

مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة اطروحات الدكتوراه (٣)

التحليل السياسي الناصري

دراسة في العقائد والسياسة الخارجية

الدكتور محمد السيد سليم

التحليل السياسي الناصري

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية»

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» ـ شارع ليون ـ ص. ب. : ٦٠٠١ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان
تلفون ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٠٢٢٣٤ ـ برقياً: «مرعربي»
تلكس: ٢٣١١٤ مارابي. فاكسيميلي ٨٠٢٢٣٣

الطبعة الأولى: بيروت، أيلول/سبتمبر ١٩٨٣
الطبعة الثانية: بيروت، آذار/مارس ١٩٨٧

اهـــداء

الى ولـــدي جمـــال

الذي جاء الى الوجُود مع اكتمـال هـذا العمل
وَالذِي اَخذتُ مِن وَقتِهِ الكَثير لكي اقدمه
بالعربيّــة

المحتويات

القسم الاول
الاطار النظري والادوات التحليلية

القسم الثاني
النسق العقيدي الناصري

القسم الثالث
قرارات السياسة الخارجية
في الفتـرة الناصريـة

قائمة الجداول

قائمة الأشكال

مقدمة

إن الهدف من هذا الكتاب هو تأصيل التحليل الناصري(*) للسياسة باستعمال ادوات علمية من تصور الاسس الرئيسية لمفاهيم جمال عبد الناصر للعالم السياسي ، وذلك من زاوية النسق العقيدي الناصري ، ثم دراسة السياسة الخارجية الناصرية انطلاقاً من هذا التحليل بهدف تبيين دور القائد السياسي في السياسة الخارجية بصفة عامة . وتنبع اهمية هذا الموضوع من اعتبارين اساسيين : اولهما يتعلق بالدور السياسي التاريخي الذي لعبه جمال عبدالناصر في بناء مصر المعاصرة ، وتغيير مسار الاحداث في المنطقة العربية . فلا شك ان جمال عبد الناصر قد لعب دوراً حاسماً في تغيير موازين القوى الاجتماعية والاقليمية في المنطقة العربية . وقد اثر ذلك سلبياً على بعض المصالح الاجتماعية والاقليمية والعالمية . ونتيجة لذلك ، عمدت تلك القوى الى محاولة تشويه صورة عبد الناصر في محاولة سافرة لضرب التجربة الوطنية التي بدأها . وفي مقابل ذلك ، حاولت بعض القوى الناصرية ان تدافع عن كل أبعاد الخبرة الناصرية ، دفاعاً وصل في بعض الاحيان الى حد التبرير . ومن ثم ، ونحن نتصور انه باستعمال المناهج العلمية السلوكية يمكن تبين الاطار الصحيح للخبرة الناصرية سواء على مستوى المفاهيم السياسية او مستوى الممارسة الواقعية . ولذلك فقد قمنا بتحليل مضمون الوثائق الناصرية باستعمال ادوات قياس محددة يمكن التأكد علمياً من صحة نتائجها ، وحاولنا ان نقدم نموذجاً للنسق العقيدي الناصري ، يمكن ابتداء منه تصور قواعد التحليل الناصري للسياسة .

واخيراً ، فقد حاولنا أن نحلل الى اي حد انعكس هذا التحليل في صياغة القرارات الاساسية للسياسة الخارجية الناصرية ، على المستوى السلوكي ، بهدف تبيان حقيقة دور

(*) سنستعمل تعبيري « ناصري » و« ناصرية » في هذا الكتاب للدلالة على كتابات وممارسات جمال عبد الناصر .

القائد السياسي في السياسة الخارجية ، مما ينقلنا الى الاعتبار الثاني . فما زالت قضية دور الفرد صانع القرار في صنع السياسة العامة للدولة قضية خلافية في الادب السياسي ، وبالذات في ادب السياسة الخارجية . ويرى فريق من الباحثين ان دور صانع القرار السياسي في السياسة الخارجية هو دور محدود ، ومن ثم فإن تحليل عقائد صانع القرار لا يساعدنا كثيراً على فهم السياسات العامة ، ويدلل هذا الفريق على وجهة نظره تلك بعدة حجج :

١ ـ إن السياسة الخارجية عملية هيكلية بصفة اساسية . فقرارات السياسة الخارجية هي نتاج لقوة اجتماعية ، كما أنها تصنع داخل مؤسسات سياسية وادارية ضخمة تضع قيوداً على دور القائد السياسي . فصانع القرار السياسي هو في النهاية ممثل لطبقة معينة او نخبة سياسية معينة ، ولا يملك في النهاية الا الانصياع لارادة تلك الطبقة او النخبة[١] . فالسياسة الخارجية الامريكية مثلاً هي محصلة للنظام الاجتماعي الامريكي والمؤسسة الصناعية العسكرية المسيطرة على النظام السياسي[٢] . كذلك ، فالسياسة الخارجية السوفياتية هي انعكاس للايديولوجية الماركسية ـ اللينينية ومؤسسات الحزب الشيوعي السوفياتي ، ولا يتولى اي فرد القيادة السياسية ما لم يكن معبراً عن الايديولوجية الرسمية[٣] .

٢ ـ ان خصائص القيادات السياسية تلغي بعضها البعض . فالسياسة الخارجية لا يصنعها قائد سياسي واحد ، وانما مجموعة من القادة السياسيين ، لكل منهم خصائصه المستقلة ، وتفاعل تلك الخصائص في غمار عملية صنع السياسة الخارجية من شأنه ان يلغي الأثر المحتمل لفرد واحد . ومن ثم تصبح عملية السياسة الخارجية ، على احسن الفروض ، محصلة لتفاعل مفاهيم وعقائد مجموعات من الافراد[٤] .

٣ ـ الموقف السياسي يفرض على القادة السياسيين اتباع سلوكيات متشابهة . فالسلوك الانساني هو في النهاية محصلة لحوافز بيئية كامنة في الموقف الخارجي . ومن ثم فإنك اذا

(١) Katarina Brodin, «Belief Systems, Doctrines and Perception,» *Cooperation and Conflict*, vol. 2 (1972), p. 101; Sidney Verba, «Assumptions of Rationality and Irrationality in Models of the International System,» in: Klaus Eugen Knorr and Sidney Verba, eds., *The International System: Theoretical Essays* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1961), p. 105, and R.J. Bauer, L. Dexter and I. de Sola Pool, *American Business and Public Policy: The Politics of Foreign Trade* (New York: Atherton, 1963).

(٢) Joyce Kolko and Gabriel Kolko, *The Limits of Power: The World and the United States' Foreign Policy, 1945-1954* (New York: Harper and Row, 1972), pp. 7-8.

(٣) Vernon Aspaturian, «Soviet Foreign Policy,» in: Roy C. Macridis, ed., *Foreign Policy and World Politics* (New York: Englewood Cliffs, 1972), pp. 182-184.

(٤) W. Levi, «Ideology, Interests and Foreign Policy,» *International Studies Quarterly*, vol. 14 (1970), pp. 1-13.

وضعت مجموعة من القادة السياسيين ـ مختلفي العقائد ـ في الموقف السياسي نفسه ، فإنهم سيتبعون حتماً السياسات نفسها(٥) .

والواقع ان هذه الانتقادات لا تعني حتماً أن الفرد صانع القرار لا يلعب دوراً مؤثراً في صنع السياسة العامة . فلدينا العديد من الدراسات الامبريقية ـ سواء في علم النفس الاجتماعي او في علم السياسة الخارجية ـ تثبت ان عقائد وادراكات الفرد تلعب دوراً حاسماً ـ في بعض الاحيان ـ في صياغة السياسات والقرارات ، بل إن هذا الدور قد يفوق دور القوى الهيكلية ؛ ومن ثم يقدم لنا اداة فضلى لتحليل وتفسير السياسات الخارجية(٦) . واكثر من ذلك ، فإن الفرد صانع القرار هو في النهاية المتحدث والمتصرف باسم الدولة . كما أن الفرد ليس مجرد انعكاس ميكانيكي لقوى البيئة ولكنه يملك القدرة على التأثير في تلك البيئة ، كما أنه يملك القدرة على خلق تصورات للبيئة وللمستقبل تختلف من فرد الى آخر . ومن ثم فإن فهم « ما يدور بعقول الافراد لحظة التفاعل الدولي هو عنصر رئيسي في فهم السلوك الدولي »(٧) . ونحن هنا لا نزعم ان الفرد صانع القرار هو المحدد الوحيد او الرئيسي للسياسة الخارجية ، ولكننا نعتقد انه لا يمكن اغفال دور الفرد صانع القرار في فهم السياسة الخارجية للدولة ، كما ان هذا الدور قد يكون حاسماً في ظل ظروف معينة . فمن المتفق عليه بين دارسي السياسة الخارجية ان الفرد صانع القرار في البلاد النامية يلعب دوراً حاسماً في عملية صنع السياسة

---

(٥) Kolko and Kolko, *The Limits of Power: The World and the United States' Foreign Policy, 1945-1954,* and Verba, «Assumptions of Rationality and Irrationality in Models of the International System,».

(٦) ففي ميدان علم النفس الاجتماعي ، قام فريق من الباحثين بدراسة رائدة حول تأثير عقائد الافراد على قراراتهم ، ووجدوا ان هناك علاقة وثيقة بين ماهية العقائد ونوعية القرارات التي يتخذها الفرد . فالفرد الذي يعتقد في امكانية التنبؤ في الحياة مثلاً ، يتجه عادة الى اختيار البديل الذي يحقق اقصى المنفعة ، انظر :
Orville G. Brim, Jr. et al., *Personality and Decision Processes: Studies in the Social Psychology of Thinking,* Stanford studies in sociology, 2 (Stanford, Calif : Stanford University Press, 1962), pp. 255-256.

وفي مجال علم السياسة الخارجية ، وجد اولي هولستي في دراسته الرائدة عن جون فوستر دالاس ، ان ادراكات الاخير للاتحاد السوفياتي تأثرت الى حد كبير بنسقه العقيدي العام ، بحيث ان اي تغيير في السلوك السوفياتي لم يكن لينتج اي تغيير مشابه في ادراكات دالاس ، انظر :
Ole R. Holsti, «Cognitive Dynamics and Images of the Enemy,» in: David J. Finlay, Ole R. Holsti and Richard R. Fagen, *Enemies in Politics* (Chicago, Ill.: Rand McNally, 1967).

ونحن هنا نكتفي بالاحالة الى العرض الوافي لأدب السياسة الخارجية المتعلق بتأثير كل من العوامل الهيكلية والعوامل الادراكية الفردية والذي قدمته الاستاذة دينا زينس . فقد استعرضت مجموعة الدراسات التي تناولت تلك العوامل ، وانتهت الى ان اجماع ادب السياسة الخارجية يؤكد ان العوامل الفردية الادراكية تلعب دورها في سلوكيات وقرارات السياسة الخارجية ، انظر :
Dina Zinnes, «Some Evidence Relevant to the Man-Milieu Hypothesis,» in: James N. Rosenau, Vincent Davis and Maurice E. East, *The Analysis of International Politics,* essays in honor of Harold and Margaret Sprout (New York: Free Press, 1972), pp. 209-251.

(٧) Herbert C. Kelman, «The Role of the Individual in International Relations: Some Methodological =

الخارجية. ذلك انه بحكم ضعف المؤسسات السياسية في تلك الدول ، وبحكم افتقارها الى المواد الكافية لبناء منظمات قومية لصنع وتنفيذ السياسة الخارجية ، بالاضافة الى عدم توافر تقاليد سياسية راسخة ، تلعب القيادة السياسية الرئيسية دوراً حاسماً في صنع السياسة الخارجية . كذلك يزداد تأثير الفرد صانع القرار على السياسة الخارجية ، كلما زاد ارتقاؤه في سلم السلطة السياسية لدولته . ذلك ان وظيفة القائد السياسي على قمة هرم السلطة السياسية تكون في العادة سلطة غير محددة تحديداً دقيقاً مما يعطيه امكانية تفسير دوره السياسي طبقاً لمعتقداته الذاتية ، ومما يمكنه من فرض هذا التفسير بحكم سلطته(٨) .

من ثم ، فإننا في هذا الكتاب سنحاول ان نستثمر تحليلنا للعقائد الناصرية لكي نستكشف ابعاد العلاقة بين تلك العقائد وبين القرارات التي اتخذها عبد الناصر ، لكي نحدد ابعاد تأثير الفرد صانع القرار على السياسة الخارجية في البلاد النامية .

وينقسم هذا الكتاب الى ثلاثة اقسام : يتناول القسم الاول منها الاطار النظري للدراسة ، ومنهج التحليل وطبيعة البيانات محل التحليل . اما القسم الثاني ، فإنه يتضمن تحليلاً كيفياً وكمياً للنسق العقيدي والتحليل السياسي الناصري ، بينما يتناول القسم الثالث السياسة الخارجية الناصرية من منظور هذا التحليل .

وتجدر الاشارة الى ان هذا الكتاب قد كتب أساساً كرسالة للدكتوراه قدمت الى قسم العلوم السياسية بجامعة كارلتون بكندا في عام ١٩٧٩(٩) . بيد انني أعدت كتابتها بالعربية ، واضفت اليها اجزاء جديدة من شأنها اثراء التحليل . ويرجع الفضل الى د. خير الدين حسيب ، مدير عام مركز دراسات الوحدة العربية ، في تبني مشروع تعريب الرسالة ونشر المركز للكتاب ، فبدون متابعته وتشجيعه ما كان من الممكن ان يظهر هذا الكتاب الى حيّز الوجود . كما لا يسعني الا ان انوّه بمجهود الاستاذ / جون سيجلر ، استاذ العلوم السياسية بجامعة كارلتون ، الذي أشرف على هذه الدراسة وتحمّس لموضوعها منذ البداية ، وان اشكر د. علي الدين هلال الذي كان له فضل اقتراح مشروع تعريبها .

الجيزة ، تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٢ **د. محمد السيد سليم**

= Considerations," *Journal of International Affairs*, vol. 14 (1970), p. 4.

(٨) Margaret Hermann, «When Leader Personality Will Affect Foreign Policy: Some Propositions,» in: James N. Rosenau, ed., *In Search of Global Patterns* (New York: Free Press, 1976), pp. 326-332.

(٩) اجيزت هذه الرسالة بدرجة الامتياز باجماع لجنة المناقشة والتي شارك فيها الاستاذ ريتشارد هراير دكمجيان .

القسم الأول

الإطار النظري والأدوات التحليلية

مقدمـــة

منذ عصر افلاطون ، إن لم يكن قبل ذلك ، اجمع دارسو السياسة عـلى ان هناك تفـاوتاً بين الواقع كما هو وبين الواقع كما يتصوره الانسان ، وعلى ان السلوك الانساني في معظمـه هو نتاج للطريقة التي يدرك ويشخص ويقوم بها الانسان هذا الواقع . فالانسان الذي يواجه بيئـة شديدة التعقيد تضطره الى خلق ادوات ذاتيـة تساعـده على تفسيـر تلك البيئـة ، اي الى خلق بيئة ذاتية تمكنه من فهم البيئة الواقعية والتصرف ازاءها . هذه الادوات الذاتية هي ما يسميها والتر ليبمان « الصور في عقولنا » وهي في تصوره تشكل : «حلقة وصل بين الانسان وبين البيئـة في شكل شبه بيئة ، وان سلوك الانسان هو نتيجة لشبه البيئة تلك . ولكن لأنه السلوك ، فإن النتـائج لا تـظهر في شبه البيئة حيث ينشأ السلوك . ولكن في البيئة الواقعية حيث ينتهي السـلوك »[١] .

ويعتبـر الاستـاذان مـارجرت وهـارولد سبـراوت رائدا ادخـال هـذه المفـاهيم في مجـال التحليـل السياسي عمـوماً ، وتحليـل السياسـة الخارجيـة بالتحـديـد . ففي دراسـة رائـدة في منتصف الخمسينـات ، أوضحا ان الفـرد يدرك الـواقع من خـلال مجمـوعـة العقـائـد والقيم والصور التي كوّنها عبر فترة من الـزمن . والادراك الناشىء عن هـذه العملية ، وهـو ما عبـرا عنـه بالبيئـة النفسيـة Psychological milieu ، قـد يختلف عن البيئـة الـواقعيـة Operational milieu . بيد ان « ما يهم في عمليـة اتخاذ القـرار هو كيف يتصـور صانـع القرار البيئـة وليس البيئة كـما هي قائمة »[٢] ، فالقرار دائـماً يتأسس عـلى تصور صـانع القـرار للموقف . بيـد ان نجاح او فشـل

---

(١) Walter Lippman, *Public Opinion* (New York: Free Press, 1965), p. 10.

(٢) Harold Sprout and Margaret Sprout, «Environmental Factors in the Study of International Politics,» *Journal of Conflict Resolution*, vol. 1 (1957), p. 318.

القرار لا يعتمد على هذه التصورات ، ولكنه يتوقف على البيئة الواقعية ، لأن تلك البيئة هي محك اختبار القرار .

ومنذ ذلك الوقت ؛ بدأ دارسو السياسة الخارجية يدخلون المتغيرات المعرفية[٣] Cognitive Variables في تحليلاتهم لعملية اتخاذ القرار في السياسة الخارجية[٤] . بيد ان البحث العلمي في ماهية وتأثير تلك المتغيرات واجهته مشكلتان اساسيتان :

الاولى : مشكلة تحديد ماهية المتغيرات المعرفية المؤثرة في عملية اتخاذ القرار والسلوك ، فقد حاول دارسو علم النفس الاجتماعي - عبر ثلاثة عقود من البحث العلمي - تحديد المستوى الذي يمكن عنده دراسة المتغيرات المعرفية وكيفية استخلاص تلك المتغيرات المؤثرة في اتخاذ القرار والسلوك الفردي . ولفترة زمنية طويلة تبنى هؤلاء الدارسون مفهوم « الاتجاه» Attitude كمتغير معرفي رئيسي .وحاولوا ربطه بعملية اتخاذ القرار والسلوك . بيد ان خبرة الدراسة العلمية للاتجاهات كانت مخيبة للآمال . وقد أوضح عرضنا ادب علم النفس الاجتماعي حول اثر الاتجاهات على السلوك الذي قدمه الاستاذان ويكر وكيسلر ، ان الاتجاه لا يؤثر كثيراً في السلوك الفردي[٥] .

---

(٣) المعرفة (Cognition) هي مفهوم كلي يشمل كل المتغيرات الذهنية ، كالمعتقدات ، والصور ، والادراكات ، والقيم . والكلمة مستمدة من«Cogna» اللاتينية التي تعني التفكير في اشياء متعددة ووضعها معاً في اطار موحد . ومن ثم ، فالمتغيرات المعرفية تنصرف الى كل العمليات الذهنية المتعلقة بالتفكير ، والتسبيب ، وحل المشكلات ، والتعلم ، وتطوير المفاهيم العقلية وغيرها ، انظر :
Henry C. Ellis, *Fundamentals of Human Learning and Cognition* (Dubuque, Iowa: Brown, 1972), and G. Reed, *The Psychology of Anomalous Perception* (Cambridge: Cambridge University Press, 1972).

(٤) يمكن ان نشير على سبيل المثال ، الى نموذج صنع القرار الذي قدمته المجموعة البحثية برئاسة سنايدر والذي يتأسس على الدور المركزي « للاطار المرجعي» لصانع القرار في عملية صنع القرار ، وكذلك الى النموذج الذي قدمته مجموعة بريتشر ، وهو يدور حول مفهوم « صور النخبة » عاملاً رئيساً في نظام السياسة الخارجية ، انظر :

Richard Snyder, H. Bruck and B. Sapin, *Foreign Policy Decision - Making* (New York: Free Press, 1962), and Michael Brecher, Blema Steinberg and Janice Gross Stein, «A Framework for Research on Foreign Policy Behaviour,» *Journal of Conflict Resolution*, vol. 13, no. 1 (1969), pp. 75-101,

لذلك ، فإن منظري الردع بدأوا اخيراً في التخلي عن مفهوم الرشادة في بناء نماذج الردع الدولي ،وفي تطوير نماذج جديدة تنهض على الدور الرئيس للعمليات المعرفية لكل من الرادع والموجه اليه الردع ، ويمكن هنا ان نشير الى النماذج التي قدمها جورج وسموك ؛ سنايدر ، وسنايدر وديزنغ ، انظر :
Alexander L. George and Richard Smoke, *Deterrence in American Foreign Policy: Theory and Practice* (New York: Columbia University Press, 1974); Jack L. Snyder, «Rationality at the Brink: The Role of Cognitive Processes in the Failures of Deterrence,» *World Politics*, vol. 31, no. 3 (April 1978), pp. 345-365, and Glenn H. Snyder and Paul Diesing, *Conflict among Nations: Bargaining, Decision-Making and System Structure in International Crises* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1977).

(٥) Charles A. Kiesler, Barry E. Collins and Norman Miller, *Attitude Change: A Critical Analysis* =

الثـانية : كيفيـة تحديـد العلاقـة بين المتغيـرات المعرفيـة وبين اتخـاذ القرار والسلوك ، فالمشكلة الثانية التي واجهت البحث العلمي في المتغيرات المعرفية كـانت مشكلة تحديـد المنهج الانسب لتحليـل اثـر تلك المتغيـرات عـلى السلوك الفـردي . ذلـك ان ادب علم النفس الاجتمـاعي قد لجـأ الى الاساليب العمليـة والاكلينيكيـة في تحـديـد تلك العـلاقـة ، وهي في معظمها أساليب يصعب استعمالها في مجال تحليل المتغيرات المعرفية لصانعي القرار السياسي .

وسنحـاول في الفصلين التـاليـين منـاقشـة المشكلتـين السـالفتـين. ففي الفصـل الاول سنوضح الاطار النظري للدراسة ، ويدور حول مفهوم النسق العقيدي واثره في اتخـاذ القرار. اما الفصل الثاني فإنه يتناول مناهج دراسة النسق العقيدي ، والمنهـج المقترح في هـذا الكتاب لبنـاء النسق العقيدي لجمال عبدالنـاصـر . واخيـراً يتنـاول الفصـل الثـالث ادوات التحليـل والبيانات .

of Theoretical Approaches (New York: Wiley, 1969), and Allan W. Wicker, «Attitudes Versus Action: The = Relationship of Verbal and Overt Behavioural Responses to Attitude Objects,» *Journal of Social Issues*, vol. 25, no. 4 (1969), pp. 41-78.

الفصل الأول

الانساق العقيدية والسياسة الخارجية

على مدى نصف القرن الاخير، شهد البحث العلمي في علم النفس الاجتماعي تطوراً جذرياً في ماهية المنظور العلمي المحدد لمساره . فمنذ ان أعلن جاسترو قولته المشهورة ان « العقل الانساني هو عقل باحث عن العقيدة وليس باحثاً عن الحقيقة »[1] ، بدأعلماء النفس الاجتماعي يتخلون عن المنظور الداروريني للعقل الانساني كمجرد جهاز انعكاس ميكانيكي ، ويتبنون منظوراً للعقل الانساني كخالق للعقائد التي تشكل بدورها قواعد للسلوك .

ويتمثل قبول العقائد كمتغير معرفي رئيسي في تفسير السلوك الانساني ، في نظريتي لوين وتولمان . ففي نظريته عن « المجال الحيوي » أكد لوين ان الفرد يتصرف في اطار « مساحة حياتية » Life Space تمثل جماع المؤثرات النفسية التي تظهر آثارها على الفرد في زمان معين . ومن ثم ، فإن سلوك الانسان يعتمد على اهدافه الاساسية ومفهومه لاحتمال أن تتحقق تلك الاهداف او ان تنجح الاساليب المتبناة في تحقيق الاهداف[2] . اما تولمان فإنه يرى ان كل فرد ونشىء « خريطة معرفية » هي جماع توقعاته للعلاقة بين المسالك والنتائج ، وان تلك الخريطة ، بما تتضمنه من عقائد واستعدادات معرفية ، تشكل متغيراً وسيطاً بين الحوافز البيئية وبين سلوكيات الانسان[3] . ومن هنا ، فإن « السلوك الزمني للانسان هو نتاج لخريطته المعرفية عن البيئة الزمنية »[4] .

---

(١) J. Jastrow, «The Animus of Physical Research,» in: C. Murchison, ed., *The Case for or against Physical Belief* (Worcester, Mass.: Clark University, 1927), p. 284.

(٢) D. Lewin, *Principles of Topological Psychology* (New York: McGraw-Hill, 1936).

(٣) E. Tolman, *Purposive Behavior in Animal and Man* (New York: Century, 1932), and Tolman,«Principles of Purposive Behavior,» in: S. Koch, ed., *Psychology: A Study of a Science* (New York: McGraw-Hill, 1959), vol. 2.

(٤) Roger.M. Downs and David Stea, « Cognitive Maps and Spatial Behavior: Process and Pro- =

والانسان ـ كما يقول كيلي رائد ادخال هذا المنظور في علم النفس الاجتماعي المعاصر ـ يعيد انشاء البيئة ، ولا يكتفي بمجرد الرد على الحوافز الآتية منها . فهو ينزع الى محاولة ضبط نتائج السلوك الاجتماعي ، وذلك من خلال تكوين مجموعة من الفروض عن البيئة ، ومحاولة اختبار مصداقية تلك الفروض ، ثم التوصل الى بدائل سلوكية محددة تمكنه من ضبط البيئة وتفسير سلوك الآخرين والتنبؤ به . ومن ثم ، فالانسان مقيد أساساً بتفسيراته للبيئة ، التي تشكل العقائد التي يؤمن بها الفرد ركناً أساسياً منها[٥] .

= ducts," in: Roger M. Downs and David Stea, eds., *Image and Environment: Cognitive Mapping and Spatial Behavior,* Foreword by Kenneth E. Boulding (Chicago, Ill.: Aldine, 1973), p. 13.

(٥) George Kelly, *The Psychology of Personal Constructs* (New York: Norton, 1955), vol. 1, p. 46.

قبل ان نتوغل في التحليل ، يجب ان نلقي الضوء على المفاهيم المعرفية الواردة في هذا الاطار النظري . فالعقيدة هي حكم احتمالي ذاتي نص عليه صراحة او ضمناً في شكل تأكيد او مقولة . هذا الحكم يصف او يوصي او يقوم ظاهرة او اسلوباً للعمل بحيث يربط بين هذه الظاهرة او الاسلوب وبين صفة محددة .

والواقع ان هناك نوعين من العقائد : عقائد من ظاهرة محددة (كالاعتقاد في وجود الله) ، وعقائد تربط الظاهرة بصفة محددة (كالاعتقاد أن العالم خير) . والتعريف السابق ينصرف أساساً الى النوع الثاني من العقائد . والعقائد ـ طبقاً للتعريف السابق ـ تتميز بأربع خصائص :

اولاً : انها تجيء في شكل مقولة صريحة او ضمنية ، وهي بذلك تختلف عن الاتجاهات التي تتمثل في استعدادات باطنة . وقد اثبت البحث العلمي انه من الممكن الاستدلال على الاتجاهات من العقائد ، ولكن يصعب استنباط العقائد من الاتجاهات ، انظر :

Martin Fishbein, «The Relationship between Beliefs, Attitudes and Behaviour,» in: S. Feldman, ed., *Cognitive Consistency* (New York: Academic Press, 1966), p. 206 +

ثانياً : العقائد تنشىء علاقة بين الشيء موضع العقيدة وبين صفة محددة . هذه العلاقة قد تنطوي على وصف الشيء (اعتقد ان اسرائيل ستهاجم البلدان العربية قريباً) ، او تقويمه (اعتقد ان اسرائيل دولة عدوانية) ، او التوصية باتباع سلوك معين تجاهه (اعتقد ان استراتيجية الردع هي افضل استراتيجيات التعامل مع اسرائيل) .

ثالثاً : العقائد ذات طابع احتمالي ، بيد ان درجة الاحتمال واليقين من العقيدة تختلف من شخص لآخر ، انظر :

Giovanni Sartori, «Politics, Ideology and Belief Systems,» *American Political Science Review,* vol. 63, no. 2 (June 1969), p. 400, and Milton Rokeach, *Beliefs, Attitudes and Values* (San Francisco, Calif.: Jossey-Bass, 1972), p. 113.

رابعاً : العقائد تتسم بوظيفتها السلوكية ، اذ انها بالاساس « ادوات لتوجيه السلوك الفردي » ، وهي بذلك تختلف عن مجرد « الافكار » (Thoughts) التي قد تطرأ على ذهن الفرد ، دون ان تكون لها وظيفة سلوكية ، انظر :

Karl Schiebe, *Beliefs and Values* (New Haven, Conn.: Yale University Press, 1970), pp. 23-24, and Daryl Bem, *Beliefs, Attitudes and Human Affairs* (Belmont, Calif.: Cole, 1970), p. 13.

كذلك تختلف العقائد عن المفاهيم المعرفية الاخرى ، كالاتجاه ، والقيمة ، والصورة ، والادراك . فالاتجاه (Attitude) هو تقويم لظاهرة معينة في شكل استعداد باطن يعبر عن المسافة العاطفية بين الشخص والظاهرة . ومن الجدير بالاشارة ان الاتجاه يختلف عن العقيدة التقويمية (Evaluative Belief) ، اذ انه من الممكن أن نحب شيئاً ، وفي الوقت نفسه نقومه سلبياً (كالتدخين) ، او نكره شيئاً ومن الوقت نفسه نقومه ايجابياً (كالتمرينات =

وعبر نصف القرن الاخير ، اضحى هذا المنظور هو المنظور الرئيسي لعلم النفس الاجتماعي ونظرية اتخاذ القرار ، واخيراً علم السياسة الخارجية . ففي دراسة حديثة يؤكد روبرت لين انه « لا يمكن تفسير السياسة العامة تفسيراً مرضياً الا من خلال فهم الانساق العقيدية السياسية السائدة في المجتمع »[٦] . وفي مجال السياسة الخارجية يؤكد روبرت جيرفيس انه « قد يكون من المستحيل تفسير قرارات وسياسات اساسية بدون الرجوع الى عقائد صانعي القرارات عن العالم وتصوراتهم للآخرين »[٧] . كما يشير بونهام وشابيرو الى انه « في عملية صنع القرار ، تشكل العقائد ادوات لنقل المعلومات للربط بين البدائل المتاحة وبين ادراك صانع القرار لنوايا وسلوك الامم الاخرى وبين اهداف صانع القرار ذاته »[٨] .

اذا كان ذلك كذلك ، فما هو الدور الذي تلعبه العقائد في عملية اتخاذ القرار وبالذات قرار السياسة الخارجية ؟

اولاً : النسق العقيدي والاختيار الانساني

من الثابت ان البيئة الواقعية هي بيئة شديدة التعقيد والاتساع ، ويصعب التنبؤ بمساراتها في بعض الاحيان . وبالعكس فإن الفرد هو كيان محدود نسبياً يمتلك ادوات حسية وشعورية محدودة وقدرات اكثر محدودية على استيعاب وتخزين المعلومات . ذلك ان قدرة الانسان على استقبال ، واستيعاب ، وتفسير المعلومات الآتية من البيئة ، وعلى التنبؤ بالنتائج المحتملة لسلوكه هي قدرات محدودة . فالفرد يستقبل فيضاً هائلاً من المعلومات من مصادر متعددة وغير موثوق من صحتها عبر مجموعة من الادوات الحسية المحدودة . كما انه يتعامل مع

= الرياضية) . والقيم (Values) هي رموز تعبر عن تصور الشخص لما يعتبره « الحياة المثالية » (كالحرية ، والمساواة ، والاحساس بالانجاز) . اما الادراك (Perception) فإنه تعبير عن وعي الفرد بالقضايا الموضوعية المرتبطة بموقف معين . فالفرد يتلقى من البيئة الخارجية انطباعات وحوافز حسية ، ينظمها في شكل قضايا محددة وتصبح جزءاً من وعيه بالبيئة . اما الصورة (Image) فإنها الانطباع الاولي الذي يتولد لدى الفرد نتيجة حافز معين . ولتوضيح الفروق بين تلك المفاهيم ، فإننا نسوق المثال التالي : فالفرد قد تكون لديه صورة لعبدالناصر زعيماً قومياً عربياً (صورة) ، رغم انه يحب او يكره مفهوم عبد الناصر للقومية العربية (اتجاه) ، فإذا أثير امامه موضوع عبد الناصر تذكر تأميم شركة قناة السويس والوحدة المصرية ـ السورية وحرب ١٩٦٧ (ادراكات) ؛ فإذا اكد صحة استراتيجية عبد الناصر ازاء اسرائيل فإنه بذلك يعبر عن عقيدة . ولتوضيح هذه المفاهيم المعرفية ، انظر :

Elizabeth Kirk, *International Perceptions and Foreign Policy: A Literature Survey and Assessment* (Bathesda: Mathematica, 1976).

(٦) Robert Lane, *Political Man* (New York: Free Press, 1972), pp. 161-162.

(٧) Robert Jervis, *Perception and Misperception in International Politics* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1976), p. 28.

(٨) M. Bonham and Shapiro, «Simulation in the Development of a Theory of Decision-Making,» In: *Sage International Yearbook of Foreign Policy, 1973*, ed. Patrick J. McGowan (Beverly Hills, Calif.: Sage, 1973), p. 61.

وحدات ومجاميع بشرية متعددة ذات توجهات واهداف متباينة وتختلف بقدر معين عن توجهاته واهدافه .

لكي يستطيع الفرد ان يتعامل مع هذه البيئة المعقدة بقدراته المحدودة ، فإنه يجب ان يكون لنفسه تصوراً محدداً لتلك البيئة . ونقصد بذلك انماطاً للتفكير وللتعامل مع الحوافز البيئية . وتعتبر العملية العقيدية believing process هي القاعدة المحورية التي تنشأ منها تلك الانماط . فالعملية العقيدية هي تصوير تقريبي نفسي للواقع . ويقصد بذلك تبويب المعلومات الآتية من البيئة في فئات معرفية (عقائد) يمكن من خلالها تفسير تلك المعلومات . فمن خلال تلك العملية ، يستطيع الفرد أن يفهم الواقع ويحدد موقعه منه(٩) .

ومن خلال العملية العقيدية يقوم الفرد بتطوير مجموعة من العقائد عن طبيعة البيئة ؛ وأساليب التعامل مع تناقضاتها . وتتميز هذه العقائد بأنها ترتبط ببعضها البعض بروابط افقية ورأسية متعددة . ذلك ان الفرد لا يطور لنفسه مجموعة عشوائية من العقائد ، ولكنه ينشىء كلاً متكاملاً يتسم بالترابط ، اي انه يشكل « نسقاً عقيدياً » Belief System(١٠) .

والوظيفة الاساسية للنسق العقيدي هي مساعدة الفرد على استيعاب المعلومات ، اي ربط المعلومات المشتتة بعضها ببعض لمحاولة خلق منطق ذاتي للظاهرة محل البحث . كذلك ، فالنسق العقيدي يقدم للفرد منهجاً للاختيار واتخاذ القرار . فعملية الاختيار بالاساس هي نتاج لتفسير المعلومات المتاحة في ضوء النسق العقيدي لصانع القرار ، وبالذات ذلك الجزء من النسق المتعلق بالمناهج والاستراتيجيات الصحيحة . فالفرد - من خلال عملية اتخاذ القرار - يربط بين المعلومات المتعلقة بظاهرة معينة ، وبين عقائده حول تلك الظاهرة حتى

---

(٩) T.R. Sarbin, «Anxiety, Reification of a Metaphor,» *Archives of General Psychiatry,* vol. 10 (1964), pp. 630-638.

(١٠) يتسم النسق العقيدي بوجود نوعين من اشكال الترابط بين اجزائه : ترابط حركي ، وترابط سكوني . ويقصد بالترابط الحركي انه اذا حدث تغير في مضمون احدى العقائد ، فإن هذا التغير ينتج تغيراً في الاجزاء الاخرى من النسق . اما الترابط السكوني فهو يعني ان وجود عقيدة معينة في النسق يستلزم وجود عقائد اخرى من نوع معين ، انظر :

P. Converse, «The Nature of Belief Systems in Mass Publics,» in: David Apter, ed., *Ideology and Discontent* (New York: Free Press, 1964), p. 208.

والواقع ان صفة الترابط بين شتى اجزاء النسق العقيدي هي نتيجة لوظيفة النسق في مساعدة الفرد على التغلب على تعقد البيئة الخارجية وغموضها . فالفرد يستقبل كماً هائلاً من المعلومات من البيئة من خلال خبرات ذاتية غير منظمة . وبدون شكل معين من اشكال التنظيم ، فإن تلك الخبرات تظل بلا معنى وفي وعي الفرد . ومن ثم ، فإنه يتجه الى تبسيط تلك المعلومات في شكل معرفة منتظمة بحيث يتسق كل جزء منها مع الآخر . بعبارة اخرى ، فالفرد يبوب تلك المعلومات في فئات معرفية متسقة مع بعضها البعض ، والا فإنه أمام مشكلة التعامل مع البيئة الخارجية ، انظر :

Roger M. Downs and David Stea, *Maps in Mind: Reflections on Cognitive Mapping* (New York: Harper and Row, 1977), p. 83, and D.M. Armstrong, *Belief, Truth and Knowledge* (Cambridge: Cambridge University Press, 1973), p. 19.

يتمكن من تحديد مجموعة من البدائل الممكن الاختيار من بينها ، وهو في النهاية يختار بديلاً من خلال مقارنة البدائل المتاحة بسلم الافضليات الكامن في نسقه العقيدي(١١) .

واخيراً ، يلعب النسق العقيدي دوراً حاسماً في ضبط حجم المعلومات الممكن قبولها واستيعابها من البيئة الخارجية . فالعقائد توجه الفرد نحو قبول معلومات معينة او نحو تجاهل ورفض معلومات اخرى ، طبقاً لمدى اتساق تلك المعلومات مع تلك العقائد(١٢) .

وعلى سبيل المثال ، فإن القرار الامريكي قبل الحرب الكورية او القرار الاسرائيلي قبل حرب عام ١٩٧٣ بعدم المبادرة بضربة وقائية كان مبنياً في الحالتين على عقائد صانعي القرار حول استعداد العدو لتحمل المخاطرة السياسية . فالقيادة الاسرائيلية مثلاً اعتقدت الى حد اليقين ان صانع القرار المصري لن يجرؤ على تحمّل مخاطرة الهجوم ، الى حد انها أهملت المعلومات المؤكدة عن هجوم مصري وشيك . بعبارة اخرى ، يلعب النسق العقيدي دوراً حاسماً في تصفية المعلومات ، بحيث يرفض المعلومات التي تتناقض مع قواعد هذا النسق ، ويسمح فقط بمرور المعلومات التي تتسق معه . وتحدث هذه العملية من خلال سلسلة من العمليات المعرفية المعروفة في ادب علم النفس الاجتماعي . بيد ان الافراد يختلفون في حجم الدور الذي يلعبه النسق العقيدي . فبينما يرفض البعض اي معلومات تتناقض مع هذا النسق ، قد يتجه البعض الآخر الى احداث تعديل جزئي في النسق العقيدي بما يتفق مع المعلومات الجديدة . بطبيعة الحال ، كلما ازداد الدور الاعتراضي للنسق العقيدي ، كان القرار الناجم اقل استجابة لمتغيرات البيئة الواقعية .

ولعل خير تعبير عن الدور العملي الذي يلعبه النسق العقيدي في تفسير المعلومات وصنع القرار ، هو تلك الفقرة التي نقتبسها من مقالة كتبها اندرو سيمل - الاستاذ بجامعة سينسناتي - من واقع مشاهدته لعملية صنع القرار في وزارة الدفاع الامريكية ، بعد ان أمضى عاماً كزميل اكاديمي بالوزارة ، فقد كتب الاستاذ سيمل :

« احد أوجه الخلاف الاساسية بين البيئة العملية للباحثين والممارسين هو ذلك الكم الهائل من المعلومات المتاحة لهم . . . ومعظم هذه المعلومات مشروط ، وعرضة للتغير ، ويتميز بالغموض وعدم اليقين . ومن المؤكد ان محاولة استيعاب تلك المعلومات موضوعياً (بمعنى تمييز القيم الشخصية ، وتقييم كل معلومة على اساس محتواها) يشكل عبئاً شديداً على اي فرد الى الحد الذي قد لا يستطيع الفرد ان يتصرف او يتخذ قراراً . في هذه

---

(١١) V. Subramaniam, «Fact and Value in Decision-Making,» *Public Administration Review*, vol. 23, no. 4 (December 1963), pp. 232-237.

(١٢) Martin Fishbein and Icek Ajzen, *Belief, Attitude, Intentions and Behavior: An Introduction to Theory and Research* (Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1975), p. 14; Joseph De Rivera, *The Psychological Dimension of Foreign Policy*, Consultant James N. Rosenau (Columbus, Ohio: Meril, 1968), p. 20, and John O. Shaughnessy, *Inquiry and Decision: A Methodology for Management in the Social Sciences* (New York: Barnes and Nobles, 1973), p. 20.

الحالة، فإن وجود وجهة نظر واضحة في اطار مرجعي، او مجموعة واضحة من اهداف السياسة الخارجية يمكن أن يساعد الفرد كثيراً . كما أن وجود نسق عقيدي محدد يمكّن الفرد من أداء بعض المهام او الحكم على الوقائع في السياق العام للسياسة الخارجية . ولا شك ان الفرد الذي يوظف عقائده اكثر كفاءة من الشخص البيروقراطي الذي يظل يتأمل ويحلل . ويتضح ذلك بالذات ، اذا كانت عقائد الفرد متسقة مع القيم السائدة لدى المنظمة التي يعمل بها»(١٣) .

ثانياً : دور النسق العقيدي في حالات عدم اليقين

إن القول بأن النسق العقيدي للفرد يلعب دوراً حاسماً في عملية الاختيار الانساني ، لا يعني بالضرورة ان ذلك الاختيار هو نتيجة للنسق العقيدي وحده . فالنسق العقيدي هو مجرد عامل «استعدادي» predisposing factor يجب ان يلحقه « عامل معجِّل » precipitating factor ـ يكمن في البيئة ذاتها ـ لكن يؤثر في عملية الاختيار . فبالاضافة الى النسق العقيدي ـ الذي يحدد دليل العمل في المجتمع ـ فإن كل فرد يكوّن نسقاً من المعلومات يتضمن تصوره لما يدور في البيئة الخارجية فعلاً . والتفاعل بين هذين النسقين ـ النسق العقيدي ونسق المعلومات ـ هو ما يمكّن الفرد من الاختيار او اتباع سلوك معين(١٤) .

ويتكوّن نسق المعلومات من نوعين من المعلومات المدركة : معلومات مدخلة Feed-in information ومعلومات مسترجعة Feed-back information . اما المعلومات المدخلة ، تحدد للفرد خصائص الموقف الذي يتعامل معه ، وهي ـ بالتوافق مع النسق العقيدي ـ تحفز الفرد على اختيار بديل معين او اتباع سلوك معين . اما المعلومات المسترجعة ، فإنها تحدد للفرد مدى ملاءمة هذا البديل او السلوك . وفي ضوء هذه المعلومات يستطيع الفرد ان يعدل او يعزز العملية التي انتجت هذا البديل او السلوك . وبالتدريج ، يطور الفرد لنفسه نمطاً ثابتاً من العلاقات بين نسقه العقيدي وبين نسق معلوماته المدركة . ويمكن أن نضرب مثالاً على ذلك بالتجربة العلمية . فمن خلال التجربة يحصل الباحث على معلومات مسترجعة مؤكدة يمكن في ضوئها ان يعدل من فرضه العلمي الاولي المبني على معلومات مدخلة . في هذه الحالة ، فإن التفاعل بين المعلومات المدخلة ، والمعلومات المسترجعة يمكّن الباحث من تعديل حكمه او فرضه الاولي ثم الانتهاء الى نتيجة محددة . ومن ثم ، فخطوات الباحث محكومة بنسق المعلومات وبنسقه العقيدي .

---

(١٣) Andrew Semmel, «Understanding Foreign Policy: Some Thoughts from Academia and Department of Defense,» *Comparative Foreign Policy Notes*, vol. 8 (Winter 1981), p. 43.

(١٤) Frederick L. Bates and Clyde C. Harvey, *The Structure of Social Systems* (New York: Gardner, 1975), pp. 240-241.

ما الذي يحدث اذا واجه الفرد موقفاً يحتم عليه الاختيار في ضوء معلومات غير مؤكدة ؟ او في ضوء غياب نسق المعلومات ، او في ضوء وجود معلومات جديدة تماماً تتناقض مع المعلومات المدركة ؟ في هذه الحالة ، لا يكون امام الفرد من معيار للاختيار سوى نسقه العقيدي ، ويكون القرار في النهاية محصلة لعقائد الفرد المتعلقة بالمشكلة ، محل البحث . ويصف بعض الباحثين هذه الحالة بحالة « النسق الواحد للاختيار » Single System case of judgement تمييزاً لها عن حالة « الاختيار الناشيء عن النسقين » اي نسق المعلومات والنسق العقيدي [١٥] .

بصفة عامة ، يمكن تصور حالة « النسق الواحد للاختيار » في ثلاثة مواقف اساسية :

ـ **المواقف الجديدة** ، التي تتطلب من صانع القرار اكثر من مجرد تطبيق قواعد اتخاذ القرار التقليدية ، لأنها ببساطة مواقف غير تقليدية . ومن ذلك ، موقف اتخاذ قرار الحرب او انهاء الحرب او الدخول في تحالف عسكري رئيسي[١٦] .

ـ **المواقف الغامضة** ، وهي المواقف التي تحتمل اكثر من تفسير واحد . ويقرر بودنر ان هناك ثلاثة اشكال من المواقف الغامضة : (١) ان يكون الموقف جديداً تماماً ، بمعنى انه لم يحدث من قبل ؛ (٢) ان يكون الموقف معقداً الى حد كبير ، بمعنى وجود قدر كبير من المعلومات التي يجب اخذها في الاعتبار ؛ (٣) او ان يتضمن الموقف معلومات متناقضة ، بحيث يصعب تفسيره[١٧] .

وتضيف مارجريت هيرمان ان تكون المعلومات المتاحة نادرة بحيث يصعب التعرف على الموقف[١٨] .

ويكاد يجمع علماء علم النفس الاجتماعي وعلم السياسة الخارجية على ان صانع القرار في هذه الحالة يضطر الى اللجوء الى عقائده المحددة سلفاً ، كمعيار وحيد لتعريف الموقف ، وعلى سبيل المثال ، يؤكد منظرو التعلم الاجتماعي أن الافراد الذين يعتقدون في قدرتهم على ضبط البيئة ، اكثر بحثاً عن المعلومات من اولئك الذين لا يعتقدون في تلك القدرة . بيد أنهم يضيفون ان هذه العلاقة تظهر بوضوح في حالة المواقف الغامضة التي تحتمل اكثر من تفسير واحد : « اذا كانت المعلومات المتعلقة بالموقف واضحة تماماً ، فإن معظم الافراد سيتجهون الى اتباع السلوك نفسه . اما اذا كان

---

(١٥) Leon Rappoport and David A. Summers, *Human Judgement and Social Interaction* (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1973), p. 5.

(١٦) Ole R. Holsti, «Foreign Policy Formation Viewed Cognitively,» in: Robert Axelord, ed., *Structure of Decision* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1976), p. 30.

(١٧) Stanley Budner, «Intolerance of Ambiguity as a Personality Variable,» *Journal of Personality*, vol. 30, no. 1 (March 1962), p. 30.

(١٨) Margaret Hermann, «When Leader Personality Will Affect Foreign Policy: Some Propositions,» in: James N. Rosenau, ed., *In Search of Global Patterns* (New York: Free Press, 1976), p. 331.

الموقف غامضاً ، فإن سلوك الافراد يكون انعكاساً لعقائدهم حول قدرتهم على ضبط البيئة »[١٩] .

وفي علم السياسة الخارجية ، يؤكد معظم الباحثين أنه في المواقف الغامضة يزداد تأثير عقائد صانع القرار على مضمون القرار وعلى كيفية اتخاذه[٢٠] . ويضرب بعضهم على ذلك مثالاً بالنزاع الالماني ـ الفرنسي عام ١٩٠٥ ، حول مراكش . فقد كانت قضايا النزاع غامضة للغاية بالنسبة لرئيس الوزراء الفرنسي روفييه ووزير خارجيته ديلكاسيه الى حد انهما تبنيا سياسات مختلفة ازاء النزاع . فقد رأى روفييه ان الالمان يحاولون الدفاع عن مصالحهم المشروعة ازاء الاستفزازات الفرنسية ، ومن ثم حاول تهدئة الالمان من خلال تقديم بعض التنازلات . اما ديلكاسيه ، فقد رأى ان الالمان عدو لدود سينتهز فرصة المهادنة الفرنسية للحصول على مزايا جديدة ، ولهذا طالب باتباع سياسات متشددة ازاء المانيا . غير انه في فترة لاحقة ، زال هذا الغموض بعد ان أوضحت المانيا بجلاء نواياها الحقيقية في اذلال فرنسا . ومن ثم غيّر روفييه من موقفه وتبنى سياسة ديلكاسيه[٢١] . كذلك يمكن أن نضرب مثالاً لذلك ، بموقف الغموض الذي ساد بالنسبة لقضية الحشود الاسرائيلية في مواجهة سوريا في ايار / مايو عام ١٩٦٧ . اذ ان عبد الناصر تلقى معلومات متناقضة بالنسبة لهذه القضية ، مما ادى الى تحييد نسق المعلومات وتعاظم تأثير النسق العقيدي في قراره بالتعبئة واغلاق خليج العقبة .

ـ **مواقف القلق والاجهاد النفسي** : ففي ظل الاجهاد النفسي تقل قدرة الفرد على تقبّل المعلومات الجديدة ، او على تفسير تلك المعلومات تفسيراً رشيداً . وفي هذه الظروف ، لا يكون امام الفرد الا نسقه العقيدي كأداة للتصرف واتخاذ القرار[٢٢] .

وتشترك هذه المواقف كلها في ظاهرة أساسية وهي « عدم اليقين الهيكلي » Structural Uncertainty ، ويقصد بذلك موقف لا يعرف فيه صانع القرار على وجه الدقة كل المعلومات

---

(١٩) Jerry Phares, *Locus of Control in Personality* (Morristown: General Learning Press, 1976), p. 172.

(٢٠) Gordon J. Di Renzo, «Perspectives on Personality and Political Behavior,» in: Gordon J. Di Renzo, ed., *Personality and Politics* (New York: Anchor Books, 1974), p. 25; Herbert Goldhamer, «Public Opinion and Personality,» *American Journal of Sociology*, vol. 55, no. 4 (January 1950), pp. 349-353; Daniel J. Levinston, «The Relevance of Personality for Political Participation,» *Public Opinion Quarterly*, vol. 22, no. 1 (Spring 1958), p. 9; Robert Mueller, *Risk, Survival and Power* (New York: American Management Association, 1970), p. 17, and Dean Pruitt, «Definition of the Situation as a Determinant of International Action,» in: Herbert Kelman, ed., *International Behavior* (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1965), pp. 391-430.

(٢١) Glenn H. Snyder and Paul Diesing, *Conflict among Nations: Bargaining, Decision-Making and System Structure in International Crises* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1977), p. 294.

(٢٢) Lawrence Falkowski, *Presidents, Secretaries of State and Crises in U.S. Foreign Relations: A Model and Predictive Analysis* (Boulder, Colo.: Westview Press, 1978), pp. 20-23; Fred I. Greenstein, *Personality and Politics: Problems of Evidence, Inference and Conceptualization* (Chicago, Ill.: Markham, 1969); Jack Sawyer and H. Guetzkow, «Bargaining and Negotiations in International Relations,» in: Kelman, ed., *International Behavior*, p. 509, and John Steinbruner, *The Cybernetic Theory of Decision* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1974), pp. 89-90.

المطلوبة ، كما انه غير متأكد تماماً من الاحتمالات المترتبة على اتباع استراتيجية معينة . بعبارة اخرى ، فإن عدم اليقين الهيكلي لا يشمل فقط ندرة المعلومات المدخلة ، ولكن عدم القدرة ايضاً على الحصول على معلومات مسترجعة ذات قيمة . في ظل هذه الظروف ، فإن النسق الوحيد المتاح كمعيار للاختيار او لحساب النتائج المتوقعة على اتباع سلوك معين ، هو النسق العقيدي لصانع القرار بل ان اختيار اي استراتيجية لاتخاذ القرار (رشيدة او غير رشيدة) يتحدد بدوره بالنسق العقيدي لصانع القرار(٢٣)

ثالثاً : النسق العقيدي والسياسة الخارجية

إذا حللنا الخصائص الرئيسية والمواقف الكبرى للسياسة الخارجية ، فإننا نجد انها في معظمها تشبه حالة عدم اليقين الهيكلي بكل ابعادها . وقد كتب الدبلوماسي الامريكي الشهير جورج كينان في مذكراته ان قرارات السياسة الخارجية توضع بناء على معلومات غامضة ، وبمجرد ان تنفذ تلك القرارات يصبح من المستحيل تقريباً الحصول على معلومات مسترجعة كافية عن آثار تنفيذ القرارات ، او قد تتغير الظروف الدولية تغيراً جذرياً الى حد يصعب معه الربط بين القرارات وبين ما يحدث فعلاً(٢٤) .

يمكن أن توضح الطبيعة اللايقينية للسياسة الخارجية بالنظر الى ثلاث خصائص رئيسية تميّز تلك السياسة :

أ ـ غموض البيئة الدولية

في كثير من الاحيان ، يستحيل على صانع قرار السياسة الخارجية ان يحصل على معلومات كافية او مؤكدة عن اهداف واستراتيجيات وسلوكيات الوحدات الدولية الاخرى الكائنة في النظام الدولي ، فهو يستطيع مثلاً ان يحصل على معلومات كاملة عن مؤسسة صناعية في دولة ما ، بمجرد ان يطلب ذلك ، ولكنه لا يستطيع ان يفعل الشيء نفسه بالنسبة للوحدات الدولية الاخرى . وهو حين يحصل على المعلومات ، فإن قدرته على التحقق من صحة تلك المعلومات ، تكون عادة محدودة الى حد كبير(٢٥) . اضف الى ذلك ان هناك تفاوتاً شديداً بين توجهات وسياسات الدول والوحدات الدولية الاخرى مما يزيد من حالة عدم اليقين ، وكلما ازداد هذا التفاوت ازدادت درجة عدم اليقين(٢٦) . ولذلك يقول توماس شيللنغ ـ عالم الاستراتيجية الشهير ـ ان العلاقات الدولية

---

(٢٣) David W. Miller and Martin K. Starr, *The Structure of Human Decisions* (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1967), p. 119.

(٢٤) George Kennan, *Memoires, 1925-1950* (New York: Atlantic, 1967).

(٢٥) Robert Mandel, *Perception, Decision-Making and Conflict* (Washington, D.C.: University Press of America, 1979), p. 88.

(٢٦) Jerry Jenkins, «Uncertainty and Uncertainty - Reduction in the Global Arena: Toward an Integrated Approach to International Politics,» in: William O. Chittick, ed., *The Analysis of Foreign Policy Outputs* (Columbus, Ohio: Merril, 1975), p. 81.

هي علاقات لا يمكن التنبؤ بها وتتسم بصفة التنافس في ظل المخاطرة ، وصانع القرار حين يدخل حرباً دولية ، فإنه يدخل حرباً غير متأكد من حجمها ، ومن ماهيـة الاعداء المحتملين ، ومن القضايا التي قد تظهر ، او من نتائج الحرب ذاتها(٢٧) .

ب ـ الضغوط النفسية في البيئة الدولية

تشكل السياسة الخارجية احد مصادر التهديد للقيم الاساسيـة لصانـع القرار والمصـالح الاساسية لدولته . ففي السياسة الداخلية ، لا يعتبر فشل الخطة الاقتصادية كارثة قومية تهدد كيان الدولة ، ولكن الهزيمة في حرب دولية تشكل تهديداً أساسياً لهذا الكيان . بعبارة اخرى ، فإن كيان الدولة ذاته مهدد بالخطر اذا حدث سوء تقدير في السياسة الخارجية . هذه الظروف تخلق ضغوطاً نفسية هائلة على صانع القرار تقلل من قدرته على التقويم الرشيد للمعلومات(٢٨) .

ج ـ ازمات السياسة الخارجية

تتميز السياسة الخارجية عن السياسة الداخلية بوجود عدد اكبـر من الازمات الـدولية . والازمة الدولية في جوهرها هي موقف مفاجىء يشكل تهديداً أساسياً لقيم صانع القرار ويتطلب اتخاذ قرار في فترة وجيزة للغاية . هذا الموقف يتضمن تقريباً كل الابعاد التي حددناها عن عدم اليقين الهيكلي . فهناك اولاً عدم القدرة على التنبؤ بحكم المفاجأة ، وهناك ثانياً ، عدم القدرة على حساب كل البدائل المتاحة او النتائج التي يمكن أن تترتب على تلك البدائل ، وهناك ثالثاً ، عنصر الضغط النفسي بحكم ضيق الوقت المتاح لاتخاذ القرار ، والذي لا يترك بدوره فترة زمنية كافية لجمع وتفسير المعلومات(٢٩) .

لكل هذه الخصائص ، فإن النسق العقيدي لصانع القرار يلعب دوراً أساسياً في عملية صنع قرار السياسة الخارجية . ويبدأ دور النسق العقيدي حينما يواجه صانع القرار مشكلة معقدة ، او موقفاً غامضاً ، او يمر بحالة من الضغط النفسي الشديد ، تتطلب اتخاذ قرار للتعامل مع المشكلة . تؤدي هذه العملية الى تنشيط النسق العقيدي لصانع القرار كمعيار رئيسي ـ إن لم يكن وحيداً ـ للاختيار بين البدائل المتاحة .

---

(٢٧) Thomas Schelling, «Uncertainty, Brinkmanship and the Game of Thinking,» in: K. Archibald, ed., *Strategic Interaction and Conflict* (Berkeley, Calif.: University of California Press, 1966), p. 94.

(٢٨) Ole R. Holsti and A. George, «The Effects of Stress on the Performance of Foreign Policy Makers,» in: *Political Science Annual*, ed. C.P. Cotter, vol. 6 (1975), pp. 260-261.

(٢٩) Schelling, «Uncertainty, Brinkmanship and the Game of Thinking,» p. 97, and Charles McClelland, «Access to Berlin: The Quantity and Variety of Events, 1948-1963,» in: J.D. Singer, ed., *Quantitative International Politics* (New York: Free Press, 1968), p. 179.

الفصل الثاني

الاطار التحليلي للنسق العقيدي

إذا كنا قد انتهينا الى ان النسق العقيدي هو المتغير المعرفي الرئيسي الذي يؤثر في عملية الاختيار واتخاذ القرار ، فكيف يمكن أن نحلل النسق العقيدي للقائد السياسي؟ وكيف يمكن أن ندرس العلاقة بين هذا النسق وبين عملية اتخاذ قرار السياسة الخارجية؟

إذا قصرنا نطاق الدراسة على تلك المناهج التي تحلل عقائد صانعي القرار ، فإننا يمكن أن نتبين مجموعة مناهج رئيسية هي : منهج « الذكاء الاصطناعي » ، منهج « الخريطة المعرفية » ، منهج « الاسلوب السياسي » ، منهج « الايديولوجية »، منهج « تحليل حقول الدلالة » . وسنحاول ان نوضح خصائص هذه المناهج ، وكيف طبق بعضها لدراسة النسق العقيدي لجمال عبدالناصر ، ثم نقدم المنهج المقترح لدراسة هذا النسق .

اولاً : المناهج البديلة لدراسة النسق العقيدي

أ ـ منهج « الذكاء الاصطناعي »

تتحصل فكرة منهج « الذكاء الاصطناعي » Artificial Intelligence ، في بناء نموذج للنسق العقيدي للقائد السياسي ، وتخزين هذا النموذج في الحاسب الآلي ، بحيث يكون هذا النموذج قادراً على التخاطب « بذكاء » مع الباحث . ويقصد بذلك ان النموذج قادر على استخلاص ردود لغوية جديدة ـ انطلاقاً من النموذج ذاته ـ اذا قدمت له اسئلة جديدة ليست موجودة في النموذج[1] . وبذلك يمكن اثراء النموذج ، وتطويره ، والتنبؤ بالسياسات التي يمكن أن تترتب عليه .

---

(١) E. Feigenbaum and J. Feldman, eds., *Computers and Thought* (New York: McGraw-Hill, 1963); Marvin Minsky, ed., *Semantic Information Processing* (Cambridge, Mass.: MIT, 1968), and Robert =

ومن امثلة تطبيقات هذا المنهج « آلة جولدووتر » Goldwater Machine التي تضمنت نموذجاً لعقائد السناتور جولدووتر عن الحرب الباردة ، وقد استخدم النموذج أساساً لمحاولة تبين السياسات المحتمل ان يتبعها جولدووتر ازاء المواقف الدولية الجديدة(٢) .

بيد ان منهج الذكاء الاصطناعي لا يقدم لنا أداة لبناء النموذج العقيدي ، الذي هو محور المنهج . كما أنه يفترض ان العلاقة بين النسق العقيدي وعملية اتخاذ القرار هي عملية آلية رشيدة ، بمعنى ان عقائد معينة لا بد من أن ينتج منها سياسات معينة ، وهو فرض خاطىء ، اذ ان العلاقات بين العقائد نفسها ، وبين العقائد وبين السياسات هي علاقة سيكولوجية مركبة ، كما أن العقائد ذاتها تتطور استجابة لمواقف جديدة قد لا يستطيع الحاسب الآلي ان يدخلها في اعتباره .

وعلى اي حال ، فإنه نظراً لحداثة هذا المنهج ، فإن احداً من الباحثين ـ على حد علمنا ـ لم يحاول حتى الآن ان يطبقه على دراسة النسق العقيدي الناصري(٣) .

ب ـ منهج الخريطة المعرفية

يتحصل هذا المنهج في بناء تصوير رياضي لمجموعة فرعية من عقائد النسق العقيدي لصانع القرار المتعلقة بمشكلة معينة . يتسم هذا التصوير الرياضي بخاصتين مهمتين :

الاولى: انه لا يتناول النسق العقيدي بأكمله، وانما يتناول جانباً معيناً من هذا النسق يتعلق بقضية محددة . ومن ذلك ، الخريطة المعرفية التي قدمها بونهام وشابيرو لصانع القرار السوري اثناء التدخل السوري في الاردن عام ١٩٧٠ لمساندة المقاومة الفلسطينية .

الثانية : هي انه لا يتناول الا العقائد التي تأخذ شكل علاقات سببية بين عقيدتين او اكثر من عقائد النسق العقيدي الجزئي . ومن ثم ، فالخريطة المعرفية لا تضم العقائد ذات العلاقة السببية بغيرها من العقائد(٤) .

إن العنصر الرئيسي في الخريطة المعرفية هو تصوير عقائد صانع القرار كنقط في صورة

P. Abelson, «The Structure of Belief Systems,» in: Roger Schank and K. Cobly, eds., *Computer Models of = Thought and Language* (San Francisco, Calif.: Freeman, 1973).

(٢) Robert P. Abelson and J. Douglas Carroll, «Computer Simulation of Individual Belief Systems,» *The American Behavioral Scientist*, vol. 8, no. 9 (May 1965), pp. 24-30.

(٣) ان احدث تطبيق لهذا المنهج ، على حد علمنا ، هو النموذج الذي طوره ستيفن اندريولي باسم «POLITICS» ، انظر :

Stephen Andriole, «Artificially Intelligent Foreign Policy Decision-Making,» *Comparative Foreign Policy Notes*, vol. 8 (Summer 1980), p. 2835.

(٤) Robert Axelord, «The Analysis of Cognitive Maps,» in: Robert Axelord, ed., *Structure of Decision* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1976), pp. 55-76.

هنـدسية ، ثم تصـوير العـلاقات السببيـة بـين تلك العقـائـد في شكـل اسهم ، بحيث يمكن حساب المنافع المترتبة على بديل معين .

ويعتبر بونهام وشابيرو اشهر من طبق هذا المنهج ، فقد قدما « نمـوذج العملية المعـرفية » Cognitive Process Model ، ويتضمن خمس عمليـات معـرفيـة اسـاسيـة ، يمكن في نهايتهـا حساب المنافـع المترتبـة على البـدائل المتـاحة ، وقـد طبقا النمـوذج على عقـائد صـانع القـرار السـوري اثناء ازمـة ايلول / سبتمبر عـام ١٩٧٠[٥] ، وعلى عقـائـد رجـال وزارة الخـارجيـة الامـريكية المتخصصـين في الشرق الاوسط فيـما يتعلق بحرب تشـرين الاول / اكتـوبـر عـام ١٩٧٣[٦] .

إن النقد الاساسي الـذي يوجـه الى منهج الخـريطة المعـرفية ـ الى جـانب عدم شمـوله للنسق العقيـدي لصانـع القرار ـ هـو انه ذو طبيعـة غـائيـة Toutotogical . فـالمنهـج يلجـأ الى استعمال المبررات السببية التي ساقها صانع القرار ذاته لكي « يفسر » القـرار او يتنبأ بـه[٧] ، وهو بهذا لا يشكل تفسيراً علمياً وإنما « تبريراً » للقرار . والواقع ان مشكلة الخلط بين التفسير والتبرير هي احدى المشكلات المنهجية التي يواجههـاالباحث في اثـر العمليات المعـرفية بصفـة عامة ، وسنتعرض لهذه المشكلة في قسم لاحق من هذا الفصل .

وقد طبّق الباحث الامريكي«فن»منهج الخريطة المعرفيـة لتحليل قـرار جمال عبـدالناصـر بـرفض الانذار البـريطاني ـ الفـرنسي عام ١٩٥٦ ، في دراسـة غير منشـورة وان كان«فن»لم يستطع ان يتنبأ بالقرار بالرجوع الى التصوير الريـاضي الذي قـدمه لعقـائد عبـد النـاصـر قبل الانذار مباشرة[٨] .

ج ـ منهج الاسلوب السياسي

يـدور منهج الاسلوب السيـاسي Political Style حول تحـديد مفهـوم القائـد السيـاسي لدوره ، وكيفية اداء هذا الدور ، وتصوره الفلسفي العام للعالم الخارجي . والمنهج كما يصفـه ماكليلاند في دراسته عن الاسلوب السياسي لدين اتشيسون يقدم لنا«صورة للطريقة التي تؤثر بها

---

(٥) Michael Shapiro and M. Bonham, «Cognitive Process and Foreign Policy Decision-Making,» *International Studies Quarterly*, vol. 17 (1973), pp. 47-74.

(٦) M. Bonham, T. Trumble and Michael Shapiro, «The October War: Congealed Beliefs and Historical Analogizing,» paper presented at: International Studies Association [I.S.A.], Meeting, Toronto, 1976.

(٧) J. Trumble, «A Methodological Critique of the Cognitive Mapping Approach to Decision-Making,» paper presented at: I.S.A., Meeting, St. Louis, 1977, and Daniel Heradstveit and D. Narvesen, «Psychological Constraints on Decision-Making: A Discussion of Cognitive Approaches, Operational Code and Cognitive Map,» paper presented at: Norsk Unternikspolitish Institut, European Consortium for Political Research in International Decision-Making Process, Grenoble, 1978.

(٨) P. H. Fenn, «The Operationalization of the Cognitive Map: Nasser during Suez,» (mimeo).

اتجاهات وتصورات اتشيسون عن الحكم ، القيادة ، التجديد ، العقل ، طبيعة السياسة العالمية ، في اختياراته »[٩] . ويصفه ستوباك في دراسة اخرى عن الاسلوب السياسي لاتشيسون ايضاً ، على انه يقدم « عرضاً منظماً لادراكات اتشيسون للكيفية التي يجب ان يعمل بها وزير الخارجية لكي يعظم من دوره في صنع السياسة »[١٠] .

يتضح من ذلك ان منهج الاسلوب السياسي لا يحدد لنا سلفاً مجموعة من الاسئلة الاجرائية التي تحدد ماهية الاسلوب السياسي ، ومثله في ذلك مثل منهج الذكاء الاصطناعي ، لا يحدد لنا كيف نقترب من عملية بناء الاسلوب السياسي لصانع القرار .

ليس لدينا في الفكر العربي دراسات تستعمل الاسلوب السياسي لدراسة العقائد الناصرية ، ولكن لدينا مجموعة من الدراسات التي تستعمل مناهج شبيهة ـ بشكل او بآخر ـ بمنهج الاسلوب السياسي ، ومنها دراسة فاتيكيوتيس عن **عبد الناصر وجيله**[١١] .

د ـ منهج الايديولوجية

ربما كان منهج الايديولوجية هو اشهر المناهج التي استعملت لدراسة القادة السياسيين ، واكثرها اقتراباً من مفهوم النسق العقيدي . والايديولوجية ـ ببساطة ـ هي تصور شامل للمجتمع المثالي ، يقدم الادوات العملية الكفيلة بتحقيق هذا المجتمع . وفي معظم الاحيان تتميز الايديولوجية بنوع من الجاذبية العاطفية التي تدفع مريديها الى الانتظام في اطار تنظيمي يحاول تحقيق اهداف الايديولوجية . وتختلف الايديولوجية عن النسق العقيدي في ان الاولى تفترض نموذجاً مثالياً وحركة نحو تحقيق هذا النموذج ، اما النسق العقيدي فإنه يشمل عقائد الفرد عن البيئة الخارجية . وبذلك فهو خصيصة لصيقة بهوية الفرد في المجتمع . بعبارة اخرى ، قد لا يؤمن الفرد او صانع القرار بايديولوجية معينة ، ولكنه بالقطع لا بد من أن ينشىء نسقاً عقيدياً يمكنه من التعامل مع المجتمع ، واتخاذ القرارات . من ناحية اخرى ، فالايديولوجية تؤثر في مضمون النسق العقيدي ، فلا شك ان النسق العقيدي الستاليني، تأثر بالايديولوجية الماركسية ـ اللينينية .

بيد ان المشكلة الاساسية التي تقلل من القوة التحليلية للمنهج ، هي ان مفهوم الايديولوجية مفهوم مطاط قابل لشتى التفسيرات . ويقرر احد الباحثين ان سر شهرة منهج النسق العقيدي هي ان مفهوم الايديولوجية غير واضح المعالم ، ويسمح لكل باحث بتفسيره

---

(٩) David S. McLellan, «The Role of Political Style: A Study of Dean Acheson,» in: Roger Hilsman and Robert C. Good, eds., *Foreign Policy in the Sixties: The Issues and Instruments*, essays in honor of Arnold Wolfers (Homewood, Mad.: Johns Hopkins University Press, 1965).

(١٠) Ronald J. Stupak, *The Shaping of Foreign Policy: The Role of the Secretary of State as Seen by Dean Acheson* (New York: Odyssey, 1969).

(١١) Panayiotis J. Vatikiotis, *Nasser and His Generation* (London: Croom Helm, 1979).

بالطريقة التي ترضيه ، مما دفع بالباحثين الى البحث عن منهج جديد[١٢] . ومما ساعد على ذلك، ان مفهوم الايديولوجية لا يقدم لنا فئات تحليلية محددة يمكن ابتداء منها، تصور ابعاد الايديولوجية . وقد حاول بناء نماذج تربط بين مفهوم الايديولوجية (الاشتراكية) والقيم (المساواة ، العدالة ، الديمقراطية) من ناحية وبين استعدادات الفرد لتبني سلوك معين[١٣] . بيد أنهم لم يقدموا لنا ادوات منهجية محددة لتحليل تلك العلاقات .

واذا رجعنا الى المؤلفات العلمية عن عبد الناصر ، فإننا نجد ان معظمها يلجأ الى منهج الايديولوجية ، ويكفي هنا أن نشير الى دراستين مهمتين هما رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الاشرم الى جامعة نيويورك عام ١٩٧٢ الايديولوجية والتنظيم الناصري، وكتاب نسيم رجوان بعنوان الايديولوجية الناصرية[١٤] . وقد انتهى الباحثان الى نتائج تكاد تكون متناقضة عن الايديولوجية الناصرية ، لأن المنهج لا يقدم لهما ادوات علمية بحثية .

هـ ـ منهج تحليل « حقول الدلالة »

يعتبر هذا المنهج هو الاسهام الحقيقي للمدرسة الفرنسية في دراسة الابعاد المعرفية للتفكير الانساني . ويبدأ هذا المنهج بتحديد مجموعة من المفاهيم المراد دراستها ، ثم يحاول ان يستخرج شبكة علاقات المفردات المحيطة بتلك المفاهيم من واقع النصوص المكتوبة . وفي خطوته التالية يصنف هذه العلاقات حسب فئات دلالة محددة سلفاً تؤدي الى تحديد موقع المفاهيم من السياق العام الذي جاءت في اطاره .

ومن ثم ، فإن منهج تحليل حقول الدلالة لا يتضمن اي افتراضات نظرية عن الابعاد التكوينية للتفكير المعرفي للقائد السياسي ، اذ انه يترك مهمة تحديد المفاهيم ، التي يفترض انها تكوِّن اساس التفكير السياسي للقائد ، للباحث ذاته . ويقتصر المنهج على تمكين الباحث من التوصل الى دراسة علمية لغوية لشبكة علاقات تلك المفاهيم باطارها العام . اضف الى ذلك ، ان المنهج لا يتعدى عملية تكوين الصورة اللغوية الى محاولة استكشاف تأثيرها على سلوك القائد السياسي .

وقد قدمت الدكتورة مارلين نصر دراسة رائدة طبقت فيها منهج تحليل حقول الدلالة

(١٢) P. Converse, «The Nature of Belief Systems in Mass Publics,» in: David Apter, ed., *Ideology and Discontent* (New York: Free Press, 1964).

(١٣) R. Schulze, «Some Socio-Psychological and Political Functions of Ideology,» *Sociological Quarterly*, vol. 10 (1969), pp. 72-83.

(١٤) E. El-Ashram, «Nasser's Ideology and Organization: A Modernizing Experiment in Egypt, 1952-1970,» (Ph.D. dissertation, New York University, 1972), and Nissim Regwan, *Nasserist Ideology: Its Exponents and Critics* (New York: Wiley, 1974)

على المفاهيم القومية العربية في فكر جمال عبد الناصر[١٥] . بيد ان الدكتورة مارلين لم تقتصر على مجرد التطبيق الآلي للمنهج ولكنها أضافت اليه اسلوبين جزئيين يساعدان على اعطاء المنهج قوة علمية ، وهما اسلوبا تحليل « الحقول المرجعية » (اي المراجع الموجودة في سياق المفهوم المدروس ، كأسماء الاعلام والاستشهادات بالتاريخ) ، وتحليل « مسار البرهنة » بمعنى تحليل المنطق والحجج التي يعطيها المتكلم لاثبات هذا المفهوم او ذاك في تصوره . ومن خلال ذلك ، توصلت الباحثة الى تحديد متكامل للمفاهيم القومية العربية في الفكر الناصري ، حيث ان هذه هي المفاهيم التي حددتها كموضوع للدراسة .

وسنرى حالاً ، ان المنهج المتبع في هذه الدراسة ، لا يترك للباحث حرية تحديد المفاهيم ، ولكنه يقدم منذ البداية الفئات التحليلية المفترض انها تحدد أساس التفكير السياسي ، كما ان تلك الفئات التحليلية (العقائد) ذات طبيعة عامة ، بمعنى أنها تشمل شتى جوانب التحليل السياسي للقائد السياسي ، كما أنه يشمل من خلالها مقارنة القادة السياسيين ببعضهم البعض . وان كنا ، كما سنرى فيما بعد ، ان النتائج التي توصلنا اليها عند تحليل الجزئية التي تناولتها دراسة الدكتورة مارلين نصر تتفق الى حد كبير مع النتائج التي توصلت اليها .

ثانياً : المنهج المقترح لدراسة النسق العقيدي

المنهج المقترح في هذه الدراسة لبناء النسق العقيدي لجمال عبد الناصر، هو ذلك المعروف باسم « النهج الاجرائي » The Operational Code . وقد قدم هذا المنهج في البداية الاستاذ ناتان لايتس في دراسته المعروفة باسمالنهج الاجرائي للمكتب السياسي عام ١٩٥١[١٦] ، والتي وسّع من نطاقها في دراسة تالية بعنوان دراسة في البلشفية عام ١٩٥٣[١٧] . وفي عام ١٩٦٩ قام الكسندر جورج ، الاستاذ بجامعة ستانفورد ، باعادة صياغة مفهوم النهج الاجرائي بطريقة منظمة في مقالة شهيرة بعنوان « النهج الاجرائي : منهج مهمل لدارسة اتخاذ القرار »[١٨] .

إن النهج الاجرائي هو اساساً نسق عقيدي يتعلق بالحياة السياسية ، بعبارة اخرى هو مجموعة من الاسئلة العقيدية السياسية الاساسية التي يفترض انها تحدد شكل الحسابات

---

(١٥) مارلين نصر ، التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر ، ١٩٥٢ - ١٩٧٠ : دراسة في علم المفردات والدلالة (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨١) .

(١٦) Nathan Leites, *The Operational Code of the Politburo* (New York: McGraw-Hill, 1951).

(١٧) Nathan Leites, *A Study of Bolshevism* (Glencoe, Ill.: Free Press, 1953).

(١٨) Alexander L. George, «The Operational Code: A Neglected Approach to the Study of Leaders and Decision-Making,» *International Studies Quarterly*, vol. 13 (1969), pp. 190-222.

السياسية للقائد السياسي . ويتكون النهج من قسمين أساسين من العقائد :

أ ـ عقائد فلسفية

١ ـ ما هي الطبيعة الاساسية للحياة السياسية؟ هل تتميز الحياة السياسية بالصراع ام بالانسجام ؟ وما هي الطبيعة الاساسية للاعداء السياسيين (اي اعداء الفرد) ؟

٢ ـ ما هي احتمالات تحقيق الاهداف والآمال السياسية الاساسية للفرد؟ هل يمكن أن يكون الفرد متفائلاً بامكانية تحقيق تلك الاهداف ، ام انه يجب الاّ يتفاءل ؟

٣ ـ هل يمكن التنبؤ في الحياة السياسية ؟

٤ ـ الى اي مدى يستطيع المرء ان يضبط او يسيطر على التطور التاريخي؟ ما هو دور الفرد في تحريك التاريخ في الاتجاه المطلوب ؟

٥ ـ ما هو دور المصادفة في الحياة البشرية وفي التطور التاريخي؟

ب ـ عقائد ادائية

١ ـ ما هو المسلك الامثل لاختيار الاهداف السياسية؟

٢ ـ ما هو المسلك الامثل لتحقيق الاهداف السياسية؟

٣ ـ كيف يمكن حساب المخاطرة السياسية او ضبطها ؟

٤ ـ ما هو التوقيت الامثل للسلوك السياسي ؟[١٩] .

بهذا الشكل ، فإن « النهج الاجرائي » يقدم لنا مجموعة من الاسئلة العقيدية الاساسية التي تحدد تعريف القائد السياسي لطبيعتها تجاه تشخيصه للاحداث السياسية ، واسلوبه في الحساب السياسي . ومن ثم فإن تلك العقائد تمد القائد بما يمكن أن نسميه « ميولاً تشخيصية » diagnostic propensities و« ميولاً اختيارية » choice propensities[٢٠] . اي انها تؤثر في كيفية فهم القائد السياسي للموقف ، واستعداده لاختيار بديل معين في موقف لاتخاذ القرار . بيد أن ذلك لا يعني ان الميول الشخصية او ميول الاختيار قد حددت سلفاً في

---

(١٩) في رسالة الدكتوراه التي كتبها اندرسون عن « النهج الاجرائي للسناتور فاندنبرغ » ، اقترح المؤلف اضافة مجموعة عقيدية عن النظام الدولي المعاصر مع المجموعة الفلسفية ، وقد ادخلها هولستي في تحليله اللاحق للنهج الاجرائي ، كما أننا ادخلناها في تحليلنا للنهج الاجرائي لعبد الناصر ، انظر :
J. Anderson, Jr. «The Operational Code Belief System of Senator Arthur Vandenberg: An Application of the George Construct,» (Ph. D. dissertation, University of Michigan, 1974).

(٢٠) Alexander L. George, *Towards a More Soundly Based Foreign Policy: Making Better Use of Information* (Washington, D.C.: U.S. Government Printing Office, 1975), Appendix D , «Commission on the Organization of the Government for the Conduct of Foreign Policy,» p. 27.

عقائد النهج الاجرائي ، ولكن تلك العقـائد تبسط وتنظم عملية تحليـل المعلومات ، وتقـوم البدائل المتاحة ، وتدفع القائد السياسي نحو اختيار بديل معين دون الـدخول حتـماً في عملية معقدة من تحليل النفقة والمنفعة .

الواقع ان قوة « النهج الاجـرائي » تكمن في بساطتـه وامكانيـة تعميمه . فـالنهج يقـدم مجمـوعة من العقـائد المحـدودة التي تتميز بقـدرتها عـلى استخلاص الابعـاد الاساسيـة للنظام العقيدي السياسي للفرد ، وبأهميتهـا في مواقف سيـاسية متبـاينة . وهـو بذلـك لا يشمل كـل عقائد الفرد ، ولكنه يضم فقط تلك العقائد المتعلقة بالسلوك السياسي .

كذلك ،فقد انتهى كافاناه من دراسته للنهج الاجرائي لرامزي ماكدونالد الى ان :

« مثل هذا النهج مفيد في تمكين البـاحث من اعادة بنـاء الاسلوب الذي استعمله مـاكدونـالد في هيكلة وتحديد البدائل المتاحة له »[٢١] .

كذلك انتهى البـاحثان النـرويجيان هيـرادسفايت ونارفيسين الى تحديـد القوة التحليليـة والتنبؤ ية للنهج الاجرائي :

« فهو (فالنهج الاجرائي) يقدم لنا دليـلاً يمكننا من تفسـير السلوك السياسي للفـرد والتنبؤ به . كـما أنه يقدم لنا اداة تحليلية ـ بتكاليف زهيدة ـ للوصول الى العناصر الاساسية للنسق العقيدي للفرد »[٢٢] .

وتتضح اهمية « النهـج الاجـرائي » كـاسلوب لبنـاء النسق العقيـدي ، اذا عـرفنـا ان المخابرات المركزية الامريكية قد لجـأت الى هذا الاسلوب كـأداة لدراسـة القادة السيـاسيين في الـدول الاخـرى . ويؤكـد ريتشـارد هوير ـ رئيس قسم البحـوث السيـاسيـة في المخـابـرات الامـريكية ـ انـه وجد ان اسلوب « النهـج الاجرائي » مفيـد للغايـة في اعطاء صـورة تقريبيـة لشخصية القائد السياسي الاجنبي واسلوبه في اتخاذ القرارات[٢٣] .

ثالثاً : خصائص « النهج الاجرائي »

« النهج الاجرائي » اذاً هو بالاساس نسق متكامـل للعقائـد السياسيـة لصانـع القرار ، يقدم لنا نموذجاً لاعادة بناء هـذا النسق من خلال اسئلة وفئـات معرفيـة محددة . وهـو بذلـك

(٢١) D. Kavanagh, «Cirsis Management and Incremental Adaptation in British Party System,» in: G. Almond, S. Flanagen and R. Mundt, *Crisis, Choice and Change: Historical Studies in Political Development* (Boston, Mass.: Little, Brown, 1973), p. 207.

(٢٢) Heradstveit and Narveson, «Psychological Constraints on Decision-Making: A Discussion of Cognitive Approaches, Operational Code and Cognitive Map,» p. 32.

(٢٣) Richards Heuer, Jr., «Adapting Academic Methods and Models to Government Needs,» in: Richard Heuer, Jr. ed., *Quantitative Approaches to Political Intelligence: The C.I.A. Experience* (Boulder, Colo.: Westview, 1978), pp. 1-10.

يتسم بمجموعة من الخصائص الموضوعية والبنائية . فمن الناحية الموضوعية ، فإنـه يتكوّن من مجموعة من العقائد الفلسفية والادائية التي تحدد جوهر تحليل القائد السياسي للعامل السياسي ولدوره في هذا العـامل ، وتصـوره للاستـراتيجية السيـاسية المـلائمة في ظـروف معينة . ومن الناحية البنائية ، فإنه يتميز بمجموعـة اساسيـة من الخصائص ، التي يمكن من خـلالها مقـارنة الانساق العقيدية لصانعي القرار .

أ ـ ثراء وتمايز النهج الاجرائي

يقصد بثراء النهج الاجرائي احتواؤه على نسبة عالية من العقائـد التي يشملها النهـج . ويزداد ثراء النهج الاجرائي للقائد السياسي ، كلما ازداد التقادم الزمني للنهج ، الى ان يصـل الى درجة معينة من الثراء ، تكاد تتـوقف عندهـا عملية اثـراء النهج ، وسنجـد ، على سبيـل المثال ، ان ثراء النهج الاجرائي الناصري في الفترة الثانية من تطوره (١٩٥٦ ـ ١٩٦٧) كان يفوق بكثير ثراءه في الفترة الاولى (١٩٥٢ ـ ١٩٥٦) . كذلك ، يتـأثر ثـراء النهج الاجـرائي بثقافة القائد السياسي ، وبحجم المعلومات المتاحة له في الاوقات العادية ، وبـدرجة ارتبـاطه العاطفي والمصلحي بالقضايا السياسية الرئيسية[٢٤] .

أمـا التمايـز فإنـه ينصرف الى درجـة التـوازن او عـدم التـوازن في التعبـير عن الفئـات العقيدية لكل من عقائد النهج الاجرائي . فلا يقتصر القائد السياسي عـلى التعبير البسيط عن العقيدة ، ولكنه يعبر عنها تعبيـراً مركبـاً في شكل اجـابات متعـددة طبقاً لنـوعية القضـايا التي يتعامل معها .

وفي هـذا الصدد ، فقـد خلص بعض الباحثـين الى نتائـج اولية عن ثـراء وتمايـز النهج الاجرائي ، من واقع تطبيقهم للنهج على حالات محددة . فمن واقع دراسته للنهج الاجـرائي للسناتور فولبرايت ، رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الامـريكي سابقـاً ، انتهى تويريسر الى ان النهج الاجرائي للقادة السياسيين الذين يلعبون دور التشريع يكـون اكثر ثـراء في قسمه الفلسفي من قسمه الادائي ، وذلـك بحكم ابتعاد المشـرعين المبـاشر عن مشكـلات السيـاسة الخـارجية والعمـل الادائي[٢٥] . كما انتهى انـدرسون من دراسـة للنهـج الاجـرائي للسناتور فاندنبرغ ، الى ان النهج الاجرائي للمشرعين يكون اكثر تمايزاً في قسمه الفلسفي عن قسمه الادائي ، للاسباب نفسها[٢٦] .

---

(٢٤) Robert Lane, *Political Ideology* (NewYork: Free Press, 1962), pp. 348-363.

(٢٥) K. Tweraser, *Changing Patterns of Political Beliefs: The Foreign Policy Operational Code of J. William Fulbright* (Beverly Hills, Calif.: Sage, 1974), p. 7.

(٢٦) Anderson, Jr., «The Operational Code Belief System of Senator Arthur Vandenberg: An Application of the George Construct,» p. 266.

ب ـ المركزية في النهج الاجرائي

تتفاوت درجة اهمية عقائد النهج الاجرائي لدى القائد السياسي ، فبعض العقائد يمثل عادة موقفاً مركزياً في النهج ، بينما يظل بعضها على هامشه . ويعرف بعض الباحثين المركزية على انها مرادف لاستقرار العقائد او للقوة الترابطية لبعضها . فالعقائد المركزية هي تلك العقائد التي تظل مستقرة عبر فترة زمنية طويلة نسبياً ، او تلك التي يؤدي تغيرها الى احداث تغيرات في العقائد الاخرى للنهج(٢٧) .

وفي نظرنا ، فإن كلاً من هذين التعريفين يتأسس على افتراض يجب اثباته تجريبياً اولاً ، لا التسليم به مقدماً . اذ من المحتمل ان ابعاد المركزية ، والاستقرار ، والترابط هي ابعاد منفصلة وليست مترادفة . ولهذا ، فإننا نرى ان نعرف المركزية تعريفاً مستقلاً عن الاستقرار والترابط تاركين قضية الترابط كقضية تجريبية . العقائد المركزية ـ في نظرنا ـ هي اكثر العقائد من حيث تكرارية التعبير اللفظي . يستتر خلف هذا التعريف افتراض مؤداه انه كلما ازدادت اهمية العقيدة بالنسبة للقائد السياسي ؛ ازداد احتمال تعبيره اللفظي عنها . وقد ثبتت صحة هذا الافتراض في عديد من دراسات تحليل المضمون(٢٨) .

ج ـ التغير والاستقرار في النهج الاجرائي

يقصد بالاستقرار في النهج الاجرائي درجة الثبات الزمني لمفهوم القائد السياسي لطبيعة العقيدة . ففي مرحلة معينة قد يعتقد القائد السياسي ان العالم السياسي هو عالم صراعي ، وفي مرحلة لاحقة يغير هذا الاعتقاد .

في المراحل الاولى لتطوره ، يكون النهج الاجرائي اكثر قابلية للتغير . بيد انه بالتقادم الزمني للنهج تصبح عملية تغيير مضمون العقائد اكثر صعوبة ، اذ يصل النهج الى وضع توازني من شأنه أن يرفض تغيير العقائد حتى اذا توافرت معلومات جديدة عن عدم

---

(٢٧) Heradstveit and Narvesen, «Psychological Constraints on Decision-Making: A Discussion of Cognitive Approaches, Operational Code and Cognitive Map,» p. 8, and Daryl J. Bem, *Beliefs, Attitudes and Human Affairs* (Belmont, Calif.: Cole, 1970), p. 12.

(٢٨) Work Conference on Content Analysis, Monticell, Ill., 1955, *Trends in Content Analysis: Papers of the World Conference on Content Analysis, Monticell, Ill, 1955*, ed. Ithiel de Sola Pool (Urbana, Ill.: University of Illinois Press, 1979), p. 194.

وفي دراسة للباحثة جانيس شتاين عن الصور المعرفية لدى نهرو ومينون ، وجدت أن التحليل التكراري قد استخلص اكثر ابعاد الصور المعرفية كثافة لكل من القائدين ، وان تكرار التعبير كان مؤشراً سلبياً لمركزية الاجزاء المختلفة للصور المعرفية ، انظر :
Janice Gross Stein, «Elite Images and Foreign Policy: Nehru, Mennon and India's Policies,» (Ph.D. dissertation, McGill-Queen's University, Montreal, 1969), p. 414.

صحتها(٢٩) . عند هذه المرحلة ، تنشأ آليات جديدة تمكن القائد السياسي من الحفاظ على استقرار عقائده . من هذه الآليات ، رفض المعلومات الجديدة ، او اعادة تفسيرها بما يتلاءم مع العقائد ، او الاقلال من اهمية تلك المعلومات(٣٠) . بيد انه من الممكن ان يتغير النهج الاجرائي نتيجة ضغوط بيئية شديدة كاستمرار توافر معلومات عن خطل العقائد او ظهور موقف جديد يجعل العقيدة غير ذي موضوع .

اضف الى ذلك ان عقائد النهج الاجرائي تتفاوت في درجة استقرارها وتغيرها طبقاً لثلاثة ابعاد رئيسية :

١ ـ العقائد الفلسفية والعقائد الادائية

يكاد يجمع الباحثون على ان العقائد الفلسفية اكثر استقراراً من العقائد الادائية . فالاخيرة ـ بطبيعتها ـ هي عقائد تتعلق بالاستراتيجية والتكتيك ، ومن ثم فهي تتعرض باستمرار لاختبار الواقع ، وقد يغير القائد السياسي عقيدته الادائية اذا ثبت لديه أنها لا تتفق مع حقائق الواقع(٣١) . وقد أثبتت دراستا النهج الاجرائي لكل من فولبرايت وفاندنبرغ ان الاجزاء الفلسفية للنهج الاجرائي اقل قابلية للتغيير من الاجزاء الادائية(٣٢) . بيد أن دراسة النهج الاجرائي للسناتور فرانك تشيرش ، رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكي سابقاً ، انتهت الى ان تلك النتيجة قد تكون محل نظر(٣٣) .

٢ ـ العقائد المركزية والعقائد الهامشية

بصفة عامة ، تتصف العقائد المركزية بأنها اكثر استقراراً من العقائد الهامشية . **فالعقائد المركزية ـ بحكم التعريف ـ اكثر اهمية من غيرها ، ومن ثم فإنها اكثر مقاومة لضغوط التغيير من غيرها الكائنة على هامش النهج الاجرائي(٣٤) .**

---

(٢٩) Vinard Aggrawal, «The Use of Systems Theory in Analyzing the Operational Code,» paper presented to I.S.A., Meeting St. Louis, 1977.

(٣٠) Ole R. Holsti, «Cognitive Dynamics and Images of the Enemy,» in: David J. Finlay, Ole R. Holsti and Richard R. Fagen, *Enemies in Politics* (Chicago, Ill.: Rand McNally, 1967), pp. 25-96.

(٣١) Thomas Mongar, «Personality and Decision-Making: John Kennedy in Four Crisis Decisions,» in: Gordon J. DiRenzo, ed., *Personality and Politics* (New York: Anchor Books,1974), pp. 348-349.

(٣٢) Anderson, Jr., «The Operational Code Belief System of Senator Arthur Vandenberg: An Application of the George Construct,» pp. 247-250, and Tweraser, *Changing Patterns of Political Beliefs: the Foreign Policy Operational Code of J. William Fulbright*, p. 70.

(٣٣) Loch Johnson, «Operational Codes and the Prediction of Leadership Behavior: Senator Frank Church at Mid-Career,» in: M. Hermann and T. Milburn, eds., *A Psychological Examination of Political Leaders* (New York: Free Press, 1977), p. 113.

(٣٤) M. Brenner, «The Problem of Innovation and the Nixon-Kissinger Foreign Policy,» *International Studies Quarterly*, vol. 17 (1973), pp. 268-269; O. Harvey and H.M. Schroder, «Cognitive Aspects of

٣ ـ درجة الترابط بين عقائد النهج الاجرائي

تزداد درجة استقرار عقائد النهج الاجرائي ، كلما ازدادت درجة الترابط بين تلك العقائد . وترجع قدرة النهج الاجرائي الشديد الترابط على مقاومة قوى التغيير الى ان إحداث اي تغيير في احد اجزائه يؤدي الى تغيير في الاجزاء الاخرى . ومن ثم يرفض القائد السياسي تغيير اي من عقائده حتى يتفادى التغيير الشامل لكل نسقه العقيدي(٣٥) .

٤ ـ الاتساق بين عقائد النهج الاجرائي

يقصد بالاتساق Consistency ، تشابه مضمون عقائد القائد السياسي في زمن محدد . فالقائد السياسي الذي يرى اعداءه على انهم عدوانيون ، من المتوقع ايضاً أن يتبع سياسات ردعية ـ عدائية تجاههم . الاتساق اذاً لا يعني ان القائد السياسي سيعبر عن « الاجابات » نفسها عن مختلف الاسئلة العقيدية عبر الزمن ، ولكنه ينصرف فقط الى « توافق » اجابات القائد عن تلك الاسئلة في زمن محدد .

يفرق بعض الباحثين بين ثلاثة اشكال من الاتساق : اتساق منطقي ، اتساق نفسي ، اتساق اجتماعي . يقصد بالاتساق المنطقي ، التوافق الموضوعي او الرياضي بين العقائد(٣٦) . فالشخص الذي يؤمن بضرورة سد العجز في الميزانية ، يتجه عادة الى معارضة برامج الاصلاح الاجتماعي . هنا يكون القائد السياسي متسقاً اتساقاً منطقياً . بيد ان ظروف تنشئة القائد السياسي وخبراته النفسية قد تدفعه الى تصور وجود اتساق بين عقائد غير متسقة منطقياً ، كما سنرى عند تحليل اتساق عقائد النهج الاجرائي لجمال عبدالناصر .

واخيراً فإن هناك شكلاً ثالثاً من الاتساق يعبر عنه « بالاتساق الاجتماعي » وهو اتساق عقائد القائد السياسي مع طبيعة دوره السياسي ونظام مجتمعه. فمن المتوقع مثلاً ان يؤمن رئيس الولايات المتحدة بأن للولايات المتحدة مسؤولية في حماية الامن الدولي ، تماماً كما أنه من المتوقع من رئيس مجلس ادارة شركة جنرال موتورز أن يؤمن بالنظام الرأسمالي .

٥ ـ الترابط بين عقائد النهج الاجرائي

تتسم عقائد النهج الاجرائي ـ بوصفها تكوّن نسقاً عقيدياً ـ بترابطها . والترابط هنا يشمل البعد السكوني والبعد الحركي على نحو ما أشرنا اليها في الفصل الاول .

Self and Motivation," in: O. Harvey, ed., *Motivation and Social Interaction* (New York: Ronald, 1963), p. = 110; Converse, "The Nature of Belief Systems in Mass Publics,"; Robert Jervis, *Perception and Misperception in International Politics* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1976), p. 279, and John Steinbruner, *The Cybernetic Theory of Decision* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1974), p. 102.

(٣٥) Jervis, Ibid, p. 304.

(٣٦) Converse, Ibid., p. 208.

٦ ـ الانساق العقيدية الفرعية

يتعامل القادة السياسيون ، بحكم دورهم السياسي ، مع قضايا مختلفة متعددة الابعاد . وتشكل كل قضية بذاتها بيئة نفسية متميزة تتطلب نمطاً متميزاً من العقائد للتعامل معها[٣٧] . وهذا يعني ان كل قضية معينة تثير لدى القائد السياسي مجموعة معينة من العقائد . كذلك ، فالقائد السياسي قد يغير من مضمون العقيدة الواحدة ، كلما تعامل مع قضايا مختلفة . فعبد الناصر مثلاً كان يتبنى استراتيجية ردعية في تعامله مع الصراع العربي ـ الاسرائيلي، ولكنه كان يتبنى استراتيجية توفيقية في التعامل مع العالم الخارجي .

يترتب على هذا التباين في التعبير عن العقائد ، أن يتكوّن كل نهج اجرائي من مجموعة من النهوج الاجرائية الفرعية التي يشكل كل منها نسقاً فرعياً متكاملاً يرتبط بالنسق العام .

في الفصل السابع من هذا الكتاب سنتولى تحليل النهج الاجرائي لجمال عبدالناصر انطلاقاً من تلك الابعاد البنائية الستة ، بهدف التوصل الى نموذج محدد للنهج الاجرائي الناصري .

رابعاً : تحليل العلاقة بين « النهج الاجرائي » والسياسة الخارجية

خلال السنوات العشر الاخيرة حاول بعض الدارسين تطوير واختيار ادوات بحثية لتحليل العلاقة بين عقائد القائد السياسي وبين سياسته الخارجية سواء على مستوى القرار او مستوى السلوك . ويمكن القول إجمالاً ان هناك مسلكين أساسيين لتحليل تلك العلاقة .

أ ـ المسلك الاول « مسلك التوافق »

يتحصل هذا المسلك في محاولة تحليل قرارات السياسة الخارجية التي اتخذها القائد السياسي لمعرفة ما اذا كانت تلك القرارات « متوافقة » مع عقائده . ويتأسس منطق هذا المسلك على ان العقائد السياسية تشكل الحدود العامة لعملية الاختيار السياسي . فالعقائد لا تملي على الفرد سياسة بذاتها ، ولكنها تجعله اكثر ميلاً الى تفضيل نمط معين من السياسات . ومن هنا فإنه من الممكن تتبع القرارات المتخذة فعلاً ، وتحليل توافقها مع النسق العقيدي ،

---

(٣٧) Edmond Glenn, «A Cognitive Approach to the Analysis of Cultural Evaluation,» *General Systems Yearbook of the Society for General Systems Research,* ed. L. Bertalanffy and A. Rapoport, vol. 11 (1966), pp. 130-131.

او التنبؤ بنمط معين من السياسات بمعرفة الطابع العام للنسق العقيدي[٣٨] .

بيد ان مسلك التوافق يصطدم ببعض المشكلات المنهجية التي قد تؤثر في مصداقية النتائج المترتبة على تطبيقه . فالمسلك ذو طبيعة غائية ـ تبريرية . ذلك ان استعمال عقائد القائد السياسي للتنبؤ بالقرار الذي اتخذه من شأنه الوقوع في شرك تبرير القرار المتخذ ، والانتهاء الى المقولة الغائية ان القرار قد اتخذ لأنه كان يجب ان يتخذ .

وللتغلب على هذه المشكلة يقترح الكسندر جورج عدم قصر التحليل على القرار المتخذ ، ولكن أن يشمل التحليل كل البدائل التي كانت متاحة امام صانع القرار وقت اتخاذ القرار ، في هذه الحالة ، فإن الباحث عليه أن يتأكد ان النهج الاجرائي لصانع القرار متوافق فقط مع القرار المتخذ فعلاً . اما إذا كان النهج الاجرائي متوافقاً مع بدائل اخرى لم تتخذ ، فإنه على الباحث ان يفسر سبب تبني تلك البدائل[٣٩] .

أضف الى ذلك مشكلتين مهمتين يجب على الباحث الذي يطبق مسلك التوافق أن ينتبه اليهما :

١ ـ **امكانية تفسير القرار في ضوء متغيرات غير عقيدية** : ويقصد بذلك أن تكون هناك متغيرات اخرى ـ لم يدخلها الباحث في تحليله ـ اكثر قدرة على تفسير القرار . ويمكن للباحث الذي يقصر تحليله على العقائد والقرارات أن يتغلب على تلك المشكلة البحثية عن طريق الاقلال من الأثر المحتمل للمتغيرات الاخرى بتحليل قرارات اتخذت تحت ظروف كان تأثير تلك المتغيرات فيها عند حده الادنى الممكن . وفي حالتنا هذه فإنه يمكن تحقيق ذلك بتحليل قرارات اتخذها قائد سياسي مركزي في ظل نظام سلطوي لاتخاذ القرار ، وفي ظل حالة من عدم اليقين الهيكلي . فمن الثابت نظرياً أنه في تلك الظروف يقل تأثير المتغيرات اللاعقيدية الى حد كبير .

٢ ـ **امكانية اتخاذ القرار حتى في حالة غياب النسق العقيدي** : ويقصد بذلك امكانية أن يتخذ قائد سياسي آخر له نسق عقيدي مختلف القرار نفسه محل الدراسة ، فإذا حدث ذلك ، فإنه من الضروري أن يتشكك الباحث في القدرة التفسيرية والتنبئية للنسق العقيدي . على

---

(٣٨) ومن أمثلة استعمالات هذا المسلك دراسة روزنبرغ في تحليل العلاقة بين النسق العقيدي لهاري ترومان وقراري الاعتراف باسرائيل عام ١٩٤٨ والبقاء في برلين عام ١٩٥٠ :
J.P. Rosenberg, «Harry Truman's Belief System and Foreign Policy Decision-Making during the Truman Administration,» paper presented at: I.S.A., Meeting, Washington, D.C., 1978,
ودراسة ووكر في تحليل العلاقة بين عقائد هنري كيسنجر وسلوكه التفاوضي مع فيتنام الشمالية :
Stephen Walker, «The Interface between Beliefs and Behavior: Henry Kissinger's Operational Code and the Viet-Nam War,» *Journal of Conflict Resolution*, vol. 21, no. 1 (March 1977) pp. 129-168.

(٣٩) Alexander L. George, «The Causal Nexus between Operational Code Beliefs and Decision-Making Behavior: Problems of Theory and Methodology,» paper presented at: I.S.A., Ibid., pp. 19-20.

سبيل المثال ، فإن اختلاف النسق العقيدي لكل من عبد الناصر والسادات لم يمنع كليهما من اختيار بديل، مثل اغلاق خليج العقبة في ايار/ مايو عام ١٩٦٧ .

بيد ان هناك حالات اخرى، تبنى عبدالناصر والسادات فيها بدائل مختلفة تتعلق بالمشكلة نفسها ، وذلك بحكم تفاوت نسقيهما العقيدي . ومن هذه الحالات ، قضية تأميم شركة قناة السويس عام ١٩٥٦ ، ومبادرة روجرز للسلام في عام ١٩٧٠ . ففي الحالة الاولى ، اعترض السادات على قرار التأميم بعد أن أعلنه عبد الناصر فعلاً ، وفي الحالة الثانية رفض السادات مبادرة روجرز ، ولكن عبد الناصر قبلها بعد ذلك بقليل . والواقع ان الدراسة المقارنة لمثل هذه الحالات يمكن أن تلقي الضوء على القدرة التفسيرية والتنبُّئية « للنهج الاجرائي » للقائد السياسي .

ب ـ المسلك الثاني : مسلك « العلاقات النمطية »

إن اساس هذا المسلك هو محاولة اكتشاف « نمط » العلاقات بين عقائد القائد السياسي وبين قدرته على تحديد البدائل ، واستعداده لاختيار بديل معين . وهذا المسلك ذو طبيعة استقرائية لأنه يحاول ان يستخلص نمطاً للعلاقات باستقراء حالات متعددة لقادة سياسيين مختلفين .

وربما كانت الدراسة التي قام بها الباحث النرويجي هيرادسفيت هي اشمل الدراسات التي طبقت هذا المسلك[٤٠] ، فقد اختار الباحث عينة من المثقفين العرب والاسرائيليين ، ومن خلال اسلوب المقابلة حاول استخلاص بعض اجزاء « نهجهم الاجرائي » واستعدادهم لاختيار بديل معين في الصراع العربي ـ الاسرائيلي . وقد انتهى الى بعض الفروض ، ومنها على سبيل المثال : ان القائد السياسي المتشائم بالنسبة لامكانية التسوية مع العدو ، والذي يرى عدوه ككيان سياسي متجانس ، وينسب اهداف العدو الى خصائصه الذاتية ، هذا القائد يتجه عادة الى تبني سياسات متشددة ازاء هذا العدو .

نظراً لأننا سنتناول في هذا الكتاب « النهج الاجرائي » لقائد سياسي واحد ، هو جمال عبدالناصر ، فإننا سنطبق المسلك الاول في التحليل ، وهو مسلك التوافق . وفي هذا الصدد ، فإننا سنتناول « التوافق » بين العقائد الناصرية ، وبين ثلاثة قرارات اساسية لعبدالناصر هي قرار تأميم شركة قناة السويس عام ١٩٥٦ ، قرار عدم استعمال القوة العسكرية لاخماد الانقلاب السوري عام ١٩٦١ ، وقرارات ازمة ايار / مايو ـ حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ . ولكن قبل ان نشرع في هذا التحليل ـ الذي سنقدمه في القسم الثالث من هذا الكتاب ـ فإننا نقدم ادوات التحليل والبيانات التي استخدمت في الدراسة .

---

(٤٠) Daniel Heradstveit, «An Operational Code Study of the Middle East,» The Norwegian Institute of Foreign Affairs, Oslo, 1978 (manuscript).

وقد نشرت هذه الرسالة فيما بعد تحت عنوان :

Arab-Israeli Conflict: Psycological Obstacles to Peace (Oslo: Universitets Foriaget; New York: Distributed by Columbia University Press, 1979).

الفصل الثالث
أدوات التحليل

اولاً : طبيعة البيانات

اعتمدنا في تحليل وبناء النسق العقيدي الناصري على الوثائق المعلنة للرئيس جمال عبد الناصر. وتشمل تلك الوثائق :

ـ وثائق معلنة ، اما لأنها قيلت بصفة علنية كالخطب والمؤتمرات الصحفية ، او لأنها نشرت فور التعبير عنها كالمقابلات الصحفية .

ـ وثائق سرية ، ولكنها نشرت فيما بعد كمحاضر المحادثات (وثائق محادثات الوحدة الثلاثية) ، او مناقشات مجلس الوزراء (الوثائق التي نشرها عبد المجيد فريد) .

وقد بلغ مجموع الوثائق المجمعة ١١١٧ وثيقة ، تم تحليل مضمونها بطريقة كمية[١] . وقد استبعدنا من التحليل النهائي الوثائق التي لا تتضمن اشارة واحدة على الاقل الى عقيدة واحدة من عقائد النهج الاجرائي . نتيجة لذلك ، فإن التحليل النهائي تم على ٧٦٤ وثيقة تمثل ٦٨ بالمائة من الوثائق الناصرية . ويوضح الجدول رقم (٣ ـ ١) ، توزيع هذه الوثائق من

---

(١) ومن ثم فإن التحليل شمل كل الوثائق الناصرية بمختلف اشكالها ، ولم يقتصر على الخطب الناصرية ، وإن كانت تشكل حوالى ٧٠ بالمائة من مجمل الوثائق الناصرية الكلية . وسنرى حالاً ، ان مضمون الخطب الناصرية لم يكن يختلف كثيراً عن مضمون الوثائق الاخرى . بيد ان عبد الناصر كان يتجه الى التركيز في الخطب على بعض القضايا ، وفي الوثائق الاخرى كان يثير قضايا اضافية اخرى . ولعل ذلك هو احد مصادر الاختلاف المحدود بين بعض النتائج التي توصلنا اليها ، وبعض النتائج التي توصلت اليها د. مارلين نصر ، ومن ذلك الاشارة الى الغياب شبه التام للدولة العربية في التصور الناصري ، بينما نجد ان تحليل وثائق محادثات الوحدة الثلاثية قد ينتهي بنا الى نتيجة اخرى ، انظر : مارلين نصر ، **التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠ : دراسة في علم المفردات والدلالة** (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨١) ، ص ٣٨٤ .

حيث السنة ومن حيث النوع ، ومنه يتبين ان الوثائق المحلل مضمونها تشمل ٥٣٤ خطبة ، ١٤ خطاباً ، ٤٦ محضر جلسة ، ١٧ مقالاً وفصلاً في كتاب ، ٧ مناقشات خاصة .

أما بالنسبة لأسلوب تحليل المضمون المستعمل في الدراسة ، فقد اعتبرنا ان وحدة التسجيل هي الفقرة . وقد قسمت كل وثيقة الى مجموعة فقرات اعطي لكل منها رقم كودي . وقد استبعد من التحليل الفقرات التي لا تتضمن اشارة واحدة على الاقل الى عقيدة واحدة من عقائد النهج الاجرائي . نتيجة لذلك ، تم تحليل ٣٨٣٨ فقرة تمثل ٢٦,٢ بالمائة من مجموع الفقرات التي تتضمنها الوثائق .

جدول رقم (٣ - ١)

الوثائق الناصرية التي شملتها الدراسة

الوثيقة / السنة	نوع الوثيقة الخاضعة لتحليل المضمون						الوثيقة		الفقرة	
	خطبة	مؤتمر - مقابلة صحفية	رسالة	محاضرة	مقال - كتاب	مناقشة خاصة	المرمزة	الكلية	المرمزة	الكلية
١٩٥٣	٣٣	١١					٤٤	٦٨	١١٣	٤٦٠
١٩٥٤	٤٩	١٣	١		٧		٧٠	١٤١	٢٠٥	٩٧١
١٩٥٥	٣٤	١٦			١	١	٥٢	٩١	١٤٤	٨٢٨
١٩٥٦	٣٦	١٨	٢				٥٦	٧٢	٢٤٨	١١٣٥
١٩٥٧	١٠	١٢	١		١		٢٤	٣٢	١٥١	٦٩١
١٩٥٨	٤٩	٥			١	١	٥٦	٨٦	٢٧٩	٩٩٧
١٩٥٩	٦١	١٠			١		٧٢	٩٧	٣٤٣	١٣٤٠
١٩٦٠	٤٩	٦					٥٥	٩٠	٢٤٦	٧٧١
١٩٦١	٢٩	٦			٣		٣٨	٥٠	٢٣٧	٦٨٩
١٩٦٢	١٥	٩	١	٨	٣		٣٦	٤٧	٢٧١	٩٩٨
١٩٦٣	١٨	٣	٦	١٩			٤٦	٥٨	٢٥٠	١١١٦
١٩٦٤	٣٠	٦		١			٣٧	٤٦	٢٠٠	٥١٤
١٩٦٥	٣٠	٧		٨			٤٥	٧٦	٢٦٠	٧٨٨
١٩٦٦	٢٤	٨		٣			٣٥	٤٨	٢٥٢	٦٠٥
١٩٦٧	١٩	٣	٢	٢		١	٢٧	٣٢	١٩٦	٦٨٤
١٩٦٨	٢٠	١		٣			٢٤	٢٧	١٤٩	٦٢٧
١٩٦٩	١٣	٤					١٧	٢٠	١١٥	٤٦٠
١٩٧٠	١٥	٨		٢		٤	٣٠	٣٦	١٧٩	٧٣٠
المجموع	٥٣٤	١٤٦	١٣	٤٦	١٧	٧	٧٦٤	١١١٧	٣٨٣٨	١٤٤٠٤

ثانياً : اسلوب تحليل المضمون

اما الخطوة التالية فكانت تحليل مضمون كل فقرة ، بهدف اكتشاف طبيعة العقائد التي تتضمنها . وقد تم هذا التحليل بموجب « كتاب ترميز » Codebook يتضمن مجموعة القواعد والاجراءات الواجب مراعاتها عند استخراج العقائد وترميزها رقمياً . وما يهمنا في هذا الجزء هو اننا كنا نحاول اكتشاف العقائد الفلسفية والادائية في كل فقرة ، من خلال المقاييس الاسمية التالية :

أ ـ العقائد الفلسفية

١ ـ طبيعة العالم السياسي : هل هو عالم صراعي ام تعاوني؟

ـ مصادر الصراع : هل الصراع نتيجة للطبيعة البشرية ، ام انه نتيجة للخصائص السياسية والايديولوجية والاقتصادية للدولة ، ام نتيجة للفوضى الدولية . . . الخ .

ـ شروط السلام الاجتماعي : هل يتحقق السلام عن طريق الاتصال والتفاوض بين الفئات الاجتماعية ، او ازالة مظاهر التوتر الاجتماعي ، او ازالة مصادر عدم المساواة الاجتماعية ، او تحقيق توازن اجتماعي ، او تغيير النظام بأسره ؟

ـ طبيعة الصراع : هل الصراع مباراة صفرية (يكسب فيها طرف على حساب الآخر) ، ام أنه مباراة لاصفرية (يكسب او يخسر فيها الطرفان معاً) ؟

ـ مجال الصراع : هل الصراعات السياسية جزء من صراع رئيسي واحد ، ام أن لكل صراع أسبابه المستقلة ؟

ـ دور الصراع : هل الصراع ظاهرة ضرورية ، ام أنه يؤدي وظيفة اجتماعية ايجابية ، ام انه ظاهرة سلبية يجب التخلص منها .

٢ ـ طبيعة العدو السياسي : هل العدو ذو طبيعة تدميرية تهدف الى انهاء الوجود القومي ، ام أنه توسعي ، ام مجرد عدو عدواني ، ام انه ذو طبيعة دفاعية ، او توفيقية او سلامية ، او عدو مهتم فقط باهدافه الداخلية ؟

ـ مصادر اهداف العدو : هل يستمد العدو اهدافه من ايديولوجية محددة ، تقاليد تاريخية للعدو ، احتياجات اجتماعية ، ام طبيعة القيادات السياسية ، ام الضغوط الخارجية على العدو هي التي تحدد له اهدافه ؟

ـ طبيعة عداء العدو : هل عداء العدو دائم وشامل لكل القضايا محل الخلاف ، ام انه مؤقت وقاصر على قضايا محددة ؟

ـ احتمال رد فعل العدو للمبادرات التوفيقية : هل يرد العـدو بالمثـل ، ام أنه يتجـاهل المبادرة ، او يستغل المبادرة للحصول على مزايا لنفسه ؟

ـ احتمال رد فعل العـدو لسياسـة الشدة : هـل يتراجـع العدو امـام الشدة ، هـل يرد بالمثل ، هل يتجاهل تلك السياسة ، ام يستغلها للحصول على مزايا لنفسه ؟

ـ رؤ ية العدو لاعدائه (اي للدولة محل التحليل) : هل يـرى العدو تلك الـدولة عـلى انها ذات طبيعـة تدميرية ، تـوسعية ، عـدوانية ، أم أنها ذات طبيعـة دفـاعيـة ، تـوفيقيـة ، سلامية ، ام انها مهتمة فقط باهدافها الداخلية ؟

ـ رؤ ية العدو للصراع الدولي : هـل يرى ان الصـراع حتمي ولا يمكن تجنّبه ، ام أنـه يرى الصراع كظاهرة غير مرغوبة ؟

ـ طبيعة نظام اتخـاذ القرار لـدى العدو : هـل العدو وحـدة واحدة متجـانسة ، ام انـه مكوّن من فئات سياسية مختلفة ؟

ـ الدور السياسي الدولي للعدو : هل العدو قائد استعمـاري ، قائـد معـادٍ للثـورة في العـالم ، عميل استعمـاري ، عميل معـادٍ للثورة ، عميـل شيوعي ، عميـل صهيوني ، ام مخرب اقليمي ؟

ـ كيف يختار العدو اهدافه : هل يختار العـدو اهدافاً قصوى او اهـدافاً محـدودة ، هل يختار اهدافاً واقعية ام غير واقعية؟ هـل هو مـرن ام غير مـرن في اختيار اهـدافه ؟ هـل يمكن التنبؤ بطريقة اختيار تلك الاهداف ؟

ـ منهج العدو في تحقيق اهدافه : هل يحقق العدو اهـدافه بعـد اعداد دقيق وتشـاور مع حلفائه ؟ هل يميل العدو الى التدرج في تحقيق الهدف ام اتباع اسلوب الدفعة القوية (البليـتز كريج) .

ـ الاستراتيجية السياسية للعدو : هل يتبـع العدو استـراتيجية استسـلامية (أدر خـدك الآخر) ، او استراتيجية توفيقية ، او استراتيجية ردعية ، او استراتيجية عدوانية ؟

٣ ـ خصائص النظام الدولي :

ـ **طبيعة النظام الدولي الراهن** : صراعي ام تعاوني ؟

ـ مصـادر الصراع الـدولي : كـما هـو الحـال في مصـادر الصـراع في العقيـدة الفلسفيـة الاولى .

ـ هيكـل النظام الـدولي : هـل هـو واحـدي القـطبيـة ، ثنـائي القـطبيـة ، ام متعـدد الاقطاب ؟

ـ استقرار النظام الدولي : هل النظام الدولي مستقر ام انه غير مستقر ؟

ـ دور الدولة في النظام الدولي : هل يرى القائد السياسي لدور دولته في النظام الدولي كقاعدة للثورة والتحرر العالمي ، كقائد اقليمي او كدولة مستقلة نشيطة ، او دولة معادية للاستعمار ومؤيدة لحركات التحرر ، كعدو للشيوعية ، كعدو للصهيونية ، كمدافع عن ايديولوجية معينة ، كوسيط دولي ، كقائد تكاملي ، كعامل في تنمية الدول الاخرى ، كمجرد حليف ، اوكحمية ، اوكصانع سلام . . . الخ .

٤ ـ التفاؤل السياسي :

ـ **التفاؤل والتشاؤم السياسي** : هل يتوقع القائد ان تتحقق اهدافه في المدى المنظور ، ام أنه لا يتوقع ذلك ؟

ـ نطاق التفاؤل السياسي : هل التفاؤل او التشاؤم السياسي مرتبط بأهداف بعيدة المدى ام بسياسات محددة ؟

ـ مشروطية التفاؤل السياسي : هل التفاؤل والتشاؤم السياسي مرتبطان بشروط محددة ام انهما تفاؤل او تشاؤم سياسي مطلق ؟

ـ **الوقت في مصلحة من؟** هل يرى القائد السياسي ان الزمن في مصلحته ام في مصلحة عدوه ؟

٥ ـ تنبئية الحياة السياسية : هل يمكن التنبؤ بالاتجاهات العامة للحياة السياسية ، ام ان التنبؤ السياسي عملية مستحيلة ؟

ـ درجة التنبؤ في الحياة السياسية : هل يمكن التنبؤ بشكل دقيق ، ام بشكل احتمالي ، ام انه لا يمكن التنبؤ على الاطلاق ؟

ـ مجالات التنبؤ السياسي : التطور التاريخي ، أشكال النظام الدولي ، العدو السياسي ، سياسات محددة ، وقائع محددة .

٦ ـ دور القائد السياسي في الحياة السياسية : الى اي حد يستطيع القائد أن يؤثر في العملية السياسية ؟ وهل يستطيع ان يفعل ذلك وحده ام بالتعاون مع قوى سياسية اخرى ؟

ب ـ العقائد الادائية

١ ـ منهج اختيار الاهداف السياسية : هل يجب على القائد السياسي ان يختار اهدافاً سياسية قصوى، ام اهدافاً ممكنة ؟

ـ العلاقة بين الاهداف السياسية : هل تتكامل كل الاهداف السياسية ، ام انه يجب التضحية ببعض الاهداف اذا اراد القائد ان يحقق اهدافاً معينة ؟

ـ إمكانية تغيير الاهداف السياسية : هل يجب على القائد السياسي ان يتمسك بأهدافه السياسية ، ام انه من الممكن التنازل عن بعض الاهداف أو تعديلها ؟

٢ ـ **مناهج تحقيق الاهداف السياسية** : هل يجب تحقيق الاهداف السياسية بعد اعداد دقيق ، ام انه يمكن اتباع اسلوب المحاولة والخطأ ، او الاسلوب التدريجي ، ام اسلوب الدفعة القوية (البليتز) ، او التعبئة الشاملة للموارد ؟

٣ ـ**الاستراتيجية السياسية** : كما هو الحال في ترميز الاستراتيجية السياسية للعدو السياسي .

٤ ـ **المخاطرة السياسية**: هل يمكن اتباع سياسات تنطوي على مخاطرة سياسية ؟ ام انه من الضروري تجنّب مثل تلك السياسات ؟

ـ كيفية تفادي الآثار السلبية للمخاطرة السياسية : اما عن طريق الاقلال من حجم الموارد المخصصة لتنفيذ السياسة ،وإمَّاعن طريق تحديد امكانيات الدولة وامكانات الاعداء مقدماً ، او بغيرها من الطرق ؟

ـ المفاضلة بين سياسات المخاطرة السياسية : اذا واجه القائد موقفاً يتضمن مخاطر سياسية ويحتم عليه التضحية بهدف لحساب هدف آخر ، فهل يختار الهدف الذي يعظم المنافع او الهدف الذي يقلل الخسائر ؟

٥ ـ **التوقيت السياسي** : هل يعتبر التوقيت السياسي مهماً بالنسبة لنجاح السلوك السياسي ، أم انه لا يؤثر على نتيجة السلوك ؟

٦ ـ **التكتيك السياسي** : متى يجب على القائد السياسي ان يتخذ سلوكاً معيناً ؟ هل يتعين عليه ان يتصرف بسرعة لانتهاز فرص النجاح ، ام يتعين عليه أن يؤخر السلوك حتى يضمن النجاح ؟

٧ ـ **وظيفة القوة العسكرية** : هل القوة العسكرية الأداة الوحيدة للتعامل السياسي الدولي ، ام انها اداة يتعين تفادي اللجوء اليها ، ام أنها اداة مفيدة كملجأ اخير اذا استنفدت الادوات الاخرى ؟

ـ اسلوب استعمال القوة العسكرية (أ) : اذا استعملت القوة العسكرية ، فإنه يجب استعمالها على نطاق واسع ام بشكل تدريجي ؟ وهل يجب ان تستعمل وحدها ام بالتنسيق مع ادوات القوة الاخرى ؟

ـ اسلوب استعمال القوة العسكرية (ب) : اذا استعملت القوة العسكرية ، فإنه يجب ان يحتفظ القائد السياسي بالمبادأة ، ام أنه يجب ان ينتظر الضربة الاولى ؟ وهل يتعين الاحتفاظ دائماً بالتفوق العسكري على العدو ، ام أن مثل هذا التفوق غير ضروري ، واذا

واجه القائد موقف الخيارين التراجع من اجل تركيز القوات او الصمود مهما كان الثمن ، فأي الموقفين يختار؟

ـ مفهوم القوة : هل يقصد بالقوة القوة العسكرية فقط ، ام أن القوة مفهوم متعدد الابعاد؟

كانت مهمة الباحث هي تحديد ما اذا كانت أدق الفقرات الواردة في الوثيقة تتضمن اجابة عن أدق تلك « الاسئلة » العقيدية الخمسة والاربعين . فإذا وجدنا اجابة عن اي منها قمنا برصدها في كشوف الترميز . وقد خصصنا لكل فقرة سطراً واحداً في تلك الكشوف بحيث يشمل السطر الواحد رقم الوثيقة ، تاريخها ، الجمهور الموجهة اليه ، عدد الفقرات الواردة فيها ، رقم الفقرة موضع التحليل ، القضايا الواردة فيها ، ثم العقائد السياسية الواردة فيها .

وقد يلي ذلك تثقيب البيانات وحفظها في الحاسب الآلي ، ثم استعمال تلك البيانات للتعرف على الانماط الاساسية للنظام العقيدي الناصري ، وبالذات على المستوى الهيكلي(٢) .

ثالثاً : ثبات وصدق المقياس

قدمنا في القسم السابق عرضاً تاماً لاسلوب القياس المستخدم في بناء النظام العقيدي الناصري . وقبل ان نتقدم لنوضح نتائج القياس على المستويين الوضعي والهيكلي ، فإنه يتعين أن نجيب عن تساؤلين مهمين يثاران عادة عند استعمال هذا النوع من المقاييس : الى اي حد يمكن الاعتماد على هذا المقياس لاستخلاص العقائد السياسية الناصرية ؟ والى اي حد يمكن الاعتماد على اللفظية الناصرية لاستخلاص تلك العقائد ؟ والواقع ان السؤال الاول يثير قضية ثبات المقياس ، بمعنى هل يعطينا هذا المقياس النتيجة نفسها كلما طبقناه على موضوع القياس ، والواقع ان الثبات يرتبط اساساً بوضوح فئات التحليل وفهم الباحث لتلك الفئات فهماً دقيقاً . وبالتالي ، كلما ازدادت دقة تعريف الفئات والمفاهيم ، او كلما كان الباحث اكثر تفهماً للمقياس ، ازدادت درجة ثباته للتعرف على ثبات المقياس المستخدم .

ولتحديد ثبات المقياس قمنا باجراء خمس تجارب احصائية .

---

(٢) اعتمدنا في بناء هذا المقياس على المقياس المبدئي الذي قدمه هولستي ، انظر : Ole R. Holsti, «Operational Code Belief System: A Code Book,» Duke University, 1976 (mimeo.).

بيد أننا قمنا بتطوير مقياس هولستي ، بتحديد فئات التحليل ، واضافة فئات اخرى ، ثم تطوير طريقة الترميز على كشوف IBM ذات الثمانين خانة .

أ ـ الثبات الكلي للمقياس بين المرمزين

ويمثل هذا الاختبار محاولة لقياس مدى اتفاق مرمزين او اكثر على استخلاص العدد نفسه من العقائد من الوثائق موضع التحليل . بعبارة اخرى ، ان كل مرمز يستخلص العدد نفسه من العقائد السياسية ، بصرف النظر عن كيفية ترميز تلك العقائد . وقد أعطينا ثلاثة من الباحثين ثلاث وثائق ناصرية[٣] ، وطلبنا منهم تطبيق المقياس (كتاب الترميز) ثم قمنا بحساب معامل الارتباط بين عدد الاشارات التي وجدها كل منهم في الوثائق لكل من العقائد المذكورة . وقد بلغ متوسط معاملات الثبات ٠,٨٣ بما يدل على الثبات الكلي للمقياس ويوضح الجدول رقم (٣ ـ ٢) النتائج التفصيلية لهذا الاختبار .

جدول رقم (٣ـ ٢)

نتائج اختبار الثبات الكلي للمقياس بين المرمزين

الوثيقة \ المرمزان	أ ـ ب	أ ـ ج	ب ـ ج
الوثيقة (١) : خطاب الاستقالة	٠,٩٥	٠,٨٣	٠,٧٢
الوثيقة (٢) : رسالة الى كنيدي	٠,٩٧	٠,٩٥	٠,٧٩
الوثيقة (٣) : خطاب في الامم المتحدة	٠,٦٠	٠,٨٦	٠,٨١

ب ـ الثبات الجزئي للمقياس بين المرمزين

يحاول هذا الاختبار التعرف على طبيعة الرموز التي وجدها كل مرمز في الوثيقة . فإذا كان المرمزون قد انتهوا الى عدد متشابه من الرموز ، فكيف قاموا بترميز تلك الرموز في الكشوف .

وقد تم هذا الاختبار باستعمال الصيغة التالية :

$$\frac{\text{ن} \times ٢}{\text{ن}١ + \text{ن}٢}$$

(٣) هذه الوثائق بالتحديد هي : خطاب عبد الناصر امام الجمعية العامة للامم المتحدة عام ١٩٦٠ ؛ رسالة عبد الناصر الى الرئيس كنيدي عام ١٩٦٣ ، وخطاب الاستقالة عام ١٩٦٧ . وقد اختير الباحثون بحيث يمثل كل منهم درجات متفاوتة من المعرفة باللغة العربية ومدلولاتها ، وباسلوب « النهج الاجرائي » . وقد أوضحت نتيجة التحليل ان العامل اللغوي كان اهم عامل في التأثير على معامل الثبات . فقد كانت معاملات الثبات بين الباحثين الناطقين بالعربية اكبر من معاملات الثبات بينهما وبين الباحث الثالث الناطق بالانكليزية .

ن = عدد الرموز المشتركة بين المرمز الاول والمرمز الثاني .
ن١ = عدد الرموز التي وجدها المرمز الاول .
ن٢ = عدد الرموز التي وجدها المرمز الثاني

وحينما طبق هذا المقياس ، وجدنا ان معامل الثبات على المستوى الجزئي ، بلغ ٠,٦٢ وهذا المعامل - وإن كان يقل عن المعامل السابق - الا انه يشير ايضاً الى ثبات المقياس . ويوضح الجدول رقم (٣-٣) النتائج التفصيلية للاختبار .

جدول رقم (٣ - ٣)

نتائج اختبار الثبات الجزئي للمقياس بين المرمزين

الوثيقة / المرمزان	أ - ب	أ - ج	ب - ج
الوثيقة (١)	٠,٥٢	٠,٧٣	٠,٦٤
الوثيقة (٢)	٠,٥٣	٠,٧٥	٠,٧٠
الوثيقة (٣)	٠,٥٠	٠,٦٨	٠,٦٤

ج - اختبار الثبات الكلي للمقياس على مستوى مرمز واحد

يقصد بهذا الاختبار قياس مدى اتساق مرمز واحد في استخلاص العدد نفسه من الرموز من الوثائق عبر فترة زمنية معينة . وهو يشبه الاختبار الاول ، الا انه يطبق على مرمز واحد مرتين يفصلهما فترة زمنية معينة . وقد قام المؤلف بترميز الوثائق الثلاث ثم اعاد الترميز بعد شهرين ، ثم قمنا بقياس معامل الارتباط بين النتيجتين . وقد بلغ متوسط معاملات الارتباط بالنسبة للوثائق الثلاث ٠,٩٠ .

د - اختبار الثبات الجزئي على مستوى مرمز واحد

هذا الاختبار هو في الواقع امتداد للاختبار الثاني ، ألا انه تم على مستوى مرمز واحد وقد قام المؤلف بترميز الوثائق الثلاث ، ثم اعاد الترميز بعد شهرين مستعملاً هذا الاختبار وقد بلغ متوسط معاملات الثبات ٠,٧٥ .

هـ ـ مقياس سكوت للثبات

انتقد بعض اساتذة تحليل المضمون ، الاختبارات السابقة على أنها لا تدخل في حسبانها احتمال أن يكون ثبات المقياس نتيجة للمصادفة وحدها(٤). كذلك قدم سكوت مقياساً للثبات يحاول اختبار ما اذا كان الثبات نتيجة للمصادفة(٥). اما صيغة حساب مقياس سكوت ، فهي كالتالي :

$$\frac{\text{النسبة المئوية للثبات الفعلي} - \text{النسبة المئوية للثبات المتوقع}}{\text{النسبة المئوية للثبات المتوقع}}$$

وكلما ازداد المعامل الناتج قل احتمال ان يكون الثبات نتيجة المصادفة.

بتطبيق مقياس سكوت على ترميز الوثائق ، وجدنا ان المعامل يصل الى ٠,٨١ ، وهو معامل يفوق احتمال المصادفة الى حد كبير.

السؤال الثاني الذي أثير في مقدمة هذا القسم يتعلق بقضية الصدق . ويقصد بذلك الى اي حد يمكن استخلاص النسق العقيدي الناصري من اقواله اللفظية ، اي « صدق البيانات » . ويثير هذا السؤال مجموعة من القضايا الفرعية ، اهمها قضية التأليف ، اي قضية ما اذا ما كانت بعض الوثائق المنسوبة الى عبد الناصر قد كتبها بنفسه ، وقضية صدق عبد الناصر في التعبير عن عقائده السياسية « الفعلية » في اقواله اللفظية .

١ ـ مشكلة التأليف

من الثابت أن معظم القادة السياسيين يلجأون في العادة الى مؤلفين محترفين لصياغة افكارهم ، واحياناً لكتابة بعض المؤلفات المنسوبة الى هؤلاء السياسيين. وهذه الظاهرة واضحة بالذات في مجال الخطب المعدة سلفاً والمذكرات والرسائل المتبادلة مع رؤساء الدول الاخرى ، والمقالات والكتب . وفي حالة عبد الناصر ، فإنه يعرف باليقين ان محمد حسنين هيكل هو مؤلف كتاب فلسفة الثورة(٦) . كما أنه كتب العديد من الوثائق بنفسه ، ومنها على سبيل المثال ، خطاب الاستقالة في يونيو عام ١٩٦٧ . والسؤال الذي يثار بالنسبة للباحث ، هل يمكن الاعتماد على مثل هذه الوثائق لاستخلاص العقائد السياسية الناصرية ؟

---

(٤) Ole R. Holsti, *Content Analysis for the Social Sciences and Humanities* (Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1969), p. 140.

(٥) William A. Scott, «Reliability of Content Analysis: The Case of Nominal Scale Coding,» *Public Opinion Quarterly*, vol. 19, no. 3 (Fall 1955), pp. 323-324.

(٦) فؤاد مطر ، بصراحة عن عبد الناصر : حوار مع محمد حسنين هيكل ، ط ٢ (بيروت : دار القضايا ، ١٩٧٥) ، ص ٣٨ .

(٧) Mohamed [Hasanayn] Heikal, *The Road to Ramadan* (New York: Ballentine, 1975), p. 29.

الـواقـع أن قضيـة التـأليف ، او مـا يعبـر عنهـا في بعض الاحيـان بكتـابـة الاشبـاح Ghost-Writing ، ليست قضيـة جوهـرية فيـما يتعلق بصدق البيـانات . فليس المهم بـالنسبـة للباحث ، هو ما اذا كان القائد السياسي قد كتب الوثيقة بنفسـه ، ولكن المهم هو ان القـائد السياسي قد قرأ الوثيقة ونسبها الى نفسـه كتعبير عن آرائـه وعقائـده . أضف الى ذلك ، انـه ليس من المحتمـل ان يكتب المؤلف الخفي في الـوثيقـة افكـاراً تتنـاقض مـع افكـار القـائـد السيـاسي ، وحتى اذا فعـل ، فليس من المحتمـل ان يقبـل القـائـد السيـاسي ان يـردد تلك الافكار . واخيراً ، فإنه يمكن التحقق من مشكلة التأليف بمقارنـة الوثـائق التي لم يكتبها عبـد النـاصر بنفسـه ، بالـوثائق التي لا شـك في نسبتها الى عبـد الناصـر كأحـاديثـه في المؤتمـرات الصحفية .

٢ ـ مشكلة صدق التعبير اللفظي

يقصـد بذلـك ما اذا كـان من الممكن استنباط العقـائد السيـاسية « الحقيقيـة » للقـائـد السيـاسي من التعبيرات والاقـوال التي ترد في الـوثائق العلنيـة . فليس من المحتمل ان يعبـر الفـرد قولاً عن كـل ما يعتقـده فعـلاً ، امـا لضغوط بيئيـة او لأسبـاب تتعلق بتكتيـك تحقيق الاهـداف . ويزداد حجم الهـوة بـين الاقـوال اللفـظيـة وبـين العقـائـد الفعليـة لـدى القـادة السياسيين. اذ تملي عليهم اعتبارات ممارسة وظائفهم السياسية ، وبالـذات في ميدان السيـاسة الخارجية ، ان يفصحوا عن عقائد لا تعبر عن عقائدهم الفعلية[٨] . ومن هنا فهل من الجائـز منهجياً أن نستعمل تلك التعبيرات اللفظية لكي نستخلص العقـائـد السياسيـة الحقيقية للقـائد السياسي ؟

في الواقع أن الاجـابة عن هذا السؤال تنقسم الى شقـين : الشقّ الاول ، فإنـه يفسر الاعتماد على الاقوال المعلنة من واقع الخبرة المستمدة من علم النفس الاجتماعي ، امـا الشق الثاني ، فإنه يقدم اجابة امبريقية للسؤال اساسها اجـراء سلسلة من الاختبارات عـلى الاقوال الناصرية للتأكد من أنها تعبر فعلاً عن العقائد الناصرية الفعلية .

ويمكن تبـرير الاعتمـاد على الاقـوال المعلنة للقـائد السيـاسي كمـدخـل لفهم عقـائـده السياسية عـلى أساس ان الاقـوال المعلنة للقـائد السيـاسي هي في الاساس جزء أساسي من محاولته شرح وتفسير سياساته وقراراته . وبالتالي ، فإنه لا يمكن تجاهل هذا الجزء على اسـاس أنه قد لا يعبـر عن عقائـد القائـد السياسي . ويـزيد من اهميـة تلك الاقوال المعلنـة انها ـ في النهاية ـ هي التي تحدد الاطار العام الذي يعمل القائد السياسي من خلاله . فهي تخلق لـديه التزامات معينة ، كما تنشيء لدى العالم الخارجي توقعات معينة عن سلوك القائد السيـاسي .

---

(٨) محمـد حسنين هيكـل ، لمصر . . . لا لعبـد الناصـر : الحملة ضد جمـال عبد النـاصر مـا وراءها ؟ (الكويت : دار السياسة ، ١٩٧٧) ، ص ٢٣ .

ومن ثم فإن شبكة العلاقات بين القائد والعالم السياسي تحدد ، في النهاية ، انطلاقاً من تلك الاقوال ، وليس ابتداء من معتقداته الخفية . أضف الى ذلك أن القائد السياسي حينما يعبر عن اقوال معينة ، فهو في النهاية يريد من العالم الخارجي ان يفهمه بطريقة معينة ، ويتصرف ازاءه بتلك الطريقة ، ومن ثم ، اذا كان القائد السياسي يعتقد حقيقة في استراتيجية الحرب ، ولكنه يفصح للعالم الخارجي عن استراتيجية السلام ، فإنه يريد أن يحدد اطار علاقاته الخارجية في اطار تلك الاستراتيجية الاخيرة . ولكنه اذا طبق استراتيجية الحرب (العقيدة الحقيقية) خلافاً لما يعلن ، فلا شك أن ذلك سيضعف من اقتناع العالم الخارجي بصدق القائد السياسي ، مما ينعكس في النهاية على مركزه الدولي .

واخيراً ، فإنه يمكن تبرير الاعتماد على الاقوال المعلنة على اساس نتائج نظرية « الاتساق المعرفي » Cognitive Consistency . فالأفراد يتجهون تلقائياً الى تحقيق نوع من الاتساق بين اقوالهم المعلنة ، وبين عقائدهم الفعلية ، اذ ليس من المحتمل ان يستطيع الفرد ان يعلن بشكل مستمر عن عقائد لا تتسق مع عقائده الفعلية . صحيح أنه اذا درسنا اقوال الفرد في لحظة معينة ، قد لا نجدها متسقة مع عقائده الفعلية ، ولكن اذا درسنا تلك الاقوال عبر فترة زمنية طويلة ، فإن النمط العام سيعبر عن نوع من الاتساق[٩] .

من ناحية اخرى ، فإنه يمكن التحقق من امكانية الاستناد الى الوثائق المعلنة ، عن طريق مجموعة من الاختبارات التي يمكن أن تحدد لنا ـ ولو بشكل تقريبي ـ احتمال التطابق بين العقائد الواردة في الوثائق المعلنة ، وبين العقائد الفعلية . ولذلك فقد أجرينا الاختبارات التالية :

(أ) اختبار الصدق الحُكمي

يقصد بالصدق الحكمي Face Validity لأي مقولة امبريقية أن يتفق الخبراء والمتخصصون في الموضوع الذي تتناوله المقولة على صدق تلك المقولة ، ويزداد صدق المقولة اذا كان هؤلاء الخبراء ينتمون الى خلفيات ثقافية مختلفة . والسؤال المثار هنا هو مدى صدق الوثائق العامة لعبد الناصر . فإذا اجمع الخبراء والمتخصصون على أن تلك الوثائق تعبر فعلاً عن العقائد الفعلية لعبد الناصر ، فلا شك في أن ثقتنا في تلك الوثائق تزداد .

اختلف الخبراء الذين عاصروا عبد الناصر وزاملوه او درسوه ، على مدى صدق وثائقه كمعبر عن عقائده الفعلية . فهناك مجموعة من الخبراء تؤكد صدق الوثائق ، وينتمي الى تلك

---

(٩) Katarina Brodin, «Belief Systems, Doctrines and Perception,» *Cooperation and Conflict*, vol. 2 (1972), p. 103.

المجموعة الاستاذ فتحي رضوان[١٠] ، والاستاذ يوسف السباعي[١١] ، والدكتور انيس صايغ[١٢] . وهناك مجموعة اخرى من الخبراء أكدت ان بعض ما سمعوه من عبد الناصر في لقاءاتهم الخاصة به يختلف عما قاله في وثائقه العلنية . ومن تلك المجموعة كمال الدين حسين[١٣] ، وابراهيم طلعت[١٤] . إلّا اننا نلاحظ ان المجموعة الاولى قد اتفقت على صدق الوثائق الناصرية كمبدأ عام ، بينما اقتصرت المجموعة الثانية على التأكيد على وجود اختلافات تتعلق بوقائع محددة ومحدودة من الوثائق الناصرية ، ولم تعمم تلك النتيجة على العقائد الناصرية ككل.

(ب) اختبار صدق المفهوم

يتأسس اختبار صدق المفهوم على افتراض مؤداه ان احتمال تعبير الفرد عن عقائده الحقيقية يزيد في حالة الاحاديث الخاصة عنه في حالة الاحاديث العامة ، كما أن هذا الاحتمال يزيد في حالة الاقوال غير المعدة سلفاً عنه في حالة الاقوال المكتوبة او المجهزة مقدماً . فإذا كان هذا الافتراض صحيحاً ، فإننا يجب ان نتحفظ على استعمال الوثائق العامة لاستخلاص العقائد ، او على الاقل يجب ان لا نعامل الوثائق العامة على قدم المساواة مع الوثائق الخاصة . أما اذا استطعنا أن نكتب ان عبد الناصر قد عبر عن العقائد نفسها ـ بشكل متسق ـ في كل الوثائق باختلاف انواعها ، وامام انماط مختلفة من المستمعين ، فإننا يمكن أن نستخلص من ذلك صدق الوثائق العامة . بعبارة اخرى ، اذا كانت البيانات المستخلصة من الوثائق العامة « صادقة » ، فإننا يجب ان لا نجد تفاوتاً ذا شأن بين العقائد الواردة في انماط

---

(١٠) عمل فتحي رضوان وزيراً للارشاد القومي في بعض مراحل الفترة الناصرية ، انظر : فتحي رضوان ، « مقدمة ، » في : جمال عبد الناصر ، قال الرئيس : روائع خالدة في احداث مصر الكبرى للرئيس جمال عبد الناصر (القاهرة : دار الهلال ، ١٩٥٧) ، ص ١٢ .

(١١) عمل يوسف السباعي مع عبد الناصر في اطار تنظيم الضباط الاحرار وبعد ثورة يوليو عام ١٩٥٢ ، انظر : يوسف السباعي ، ايام عبد الناصر : خواطر ومشاعر (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٧١) ، ص ١٣٠ .

(١٢) انيس صايغ ، في مفهوم الزعامة السياسية : من فيصل الاول الى جمال عبد الناصر (بيروت : جريدة المحرر ؛ المكتبة العصرية ، ١٩٦٥) ، ص ١٦٤ .

(١٣) عمل كمال الدين حسين عضواً في تنظيم الضباط الاحرار ونائباً لعبد الناصر حتى عام ١٩٦٣ ، انظر : كمال الدين حسين ، « مقابلة صحفية مع كمال الدين حسين ، » روز اليوسف (القاهرة) ، (١٤ آب / اغسطس ١٩٧٥) .

(١٤) كان ابراهيم طلعت احد اقطاب حزب الوفد ، واحد الذين عرفوا عبد الناصر خلال السنوات الاولى للثورة ، وقد ذكر ان عبد الناصر قد أخبره شخصياً أن الاخوان المسلمين هم الذين اشعلوا حريق القاهرة في ٢٦ كانون الثاني / يناير عام ١٩٥٢ ، وان عبد الناصر قد اعلن بعد ذلك بقليل في خطاب علني ان الشيوعيين هم الذين دبروا الحريق ، انظر : ابراهيم طلعت ، « جمال عبد الناصر يروي تفاصيل اتهام الاخوان بحرق القاهرة ، » روز اليوسف ، (١٧ كانون الثاني / يناير ١٩٧٧) .

مختلفة من الوثائق (وثائق علنية / الوثائق التلقائية / الوثائق المجهزة سلفاً ، الوثائق الحوارية / الوثائق اللاحوارية ، الوثائق الذاتية / الوثائق التي كتبها آخرون ، الوثائق المعبر عنها امام جمهور محلي / الوثائق التي عبر عنها امام جمهور اجنبي ، والوثائق المعبر عنها امام جماهير / الوثائق المعبر عنها امام مثقفين . ومن ثم قمنا باجراء ستة اختبارات لصدق المفهوم :

(١) الوثائق العلنية والوثائق السرية :

إن اساس هذا الاختبار ، هو تقسيم العقائد الناصرية التي تم ترميزها طبقاً لمعيار علنية او سرية الوثيقة التي وردت بها تلك العقائد ، الى قسمين : (أ) العقائد التي تم التعبير عنها في وثائق علنية ، كالخطب العامة ، والمقابلات والمؤتمرات الصحفية ، والخطابات ، والمذكرات المعلنة ، والكتب ، والاحاديث الاذاعية ؛ (ب) العقائد الواردة في وثائق سرية او خاصة ، كمحاضر الاجتماعات المغلقة ، والمحادثات الخاصة[١٥] .

ثم قمنا بجدولة العقائد الفلسفية والادائية الرئيسية في جدول فرعي مستقل ذي بعدين : نوعية الوثائق (علنية ام سرية) ، ونوعية التعبير عن العقيدة ، كما هو واضح بالجدول الكلي رقم (٣- ٤) . ثم قمنا بحساب معامل الارتباط الاسمي في (Phi) ، ودرجة الاهمية المعنوية الاحصائية للارتباط بالنسبة لكل جدول فرعي . فإذا كان التعبير عن العقائد قد اختلف في الوثائق العلنية عنها في الوثائق السرية ، فإننا نتوقع ان لا يقل معامل الارتباط عن ٠,٥٠ ، وألا تزيد درجة المعنوية الاحصائية عن ٠,٠٥ .

بتأمل الجدول رقم (٣- ٤) ، يتضح أن أياً من المعاملات الواردة اسفل الجداول الفرعية لا يكفي دليلاً على أن التعبير عن العقائد الناصرية في الوثائق العلنية ، كان مختلفاً عنه في الوثائق السرية . وهو نتيجة متسقة مع ما أكده عبد الناصر في خطابه في ٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٦١ من أننا « نتكلم بلغة واحدة في الوثائق السرية ، اللغة نفسها في الخطب والاحاديث العلنية » .

(١٥) من امثلة الوثائق العلنية : محاضر اجتماعات المؤتمر الوطني للقوى الشعبية ، ١٩٦٢ ، ومن امثلة الوثائق السرية : « محاضر اجتماعات الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق، ١٩٦٧ » .

جدول رقم (٣- ٤)

التعبير عن العقائد الناصرية
طبقاً لعلنية الوثيقة

(أ) وثائق علنيـــة　　　　(ب) وثائق سريـــة

(١)

	أ	ب
١	٥٩	٤
٢	٧	—
Phi =	٠,٠٩	
P =	٠,٨٥	

(٢)

	أ	ب
١	٨٠٤	١٩
٢	١٤	—
Phi =	٠,٠٤	
P =	٠,٧٢	

(٣)

	أ	ب
١	١٤٢	٣
٢	٦	—
Phi =	٠,٢١	
P =	٠,٨١	

(٤)

	أ	ب
١	٤١٢	٢
٢	٣٣	٢
Phi =	٠,١١	
P =	٠,٠١	

(٥)

	أ	ب
١	١٩٠	١٤
٢	٣	—
Phi =	٠,١١	
P =	٠,٦١	

(٦)

	أ	ب
١	٥٧	١٠
٢	٢٥	١
Phi =	٠,٢١	
P =	٠,١٥	

(٧)

	أ	ب
١	٢٠٥	٤
٢	٢٤	—
Phi =	٠,٠٥	
P =	٠,٨٢	

(٨)

	أ	ب
١	٢١٢	٢٨
٢	١٨١	٢
Phi =	٠,٢١ـ	
P =	٠,٠١	

(٩)

	أ	ب
١	٨٩	٢
٢	٣٨٩	١٠
Phi =	٠,٠١	
P =	٠,٨٩	

(١٠)

	أ	ب
١	١٦	٣
٢	١٧	٦
Phi =	٠,٠٩	
P =	٠,٣٨	

(١١)

	أ	ب
١	٣٥	٢
٢	١	١
Phi =	٠,٣٧	
P =	٠,٠٥	

(١٢)

	أ	ب
١	٦٨	٨
٢	٩٤	١
Phi =	٠,٢٢	
P =	٠,٠١	

(١) طبيعة السياسة : ١ ـ صراعية　٢ ـ تعاونية
(٢) طبيعة العدو : ١ ـ عدواني　٢ ـ دفاعي
(٣) النظام الدولي : ١ ـ صراعي　٢ ـ تعاوني
(٤) التفاؤ ل : ١ ـ متفائل　٢ ـ متشائم
(٥) التنبؤ : ١ ـ ممكن　٢ ـ مستحيل
(٦) القائد السياسي : ١ ـ نشيط　٢ ـ سلبي
(٧) اختيار الاهداف : ١ ـ اهداف قصوى　٢ ـ اهداف دنيا
(٨) المسالك : ١ ـ تدرجية　٢ ـ دفعة واحدة

(٩) الاستراتيجيات	:	١ ـ توفيقية	٢ ـ ردعية
(١٠) المخاطرة	:	١ ـ قبول المخاطرة	٢ ـ رفض المخاطرة
(١١) التوقيت	:	١ ـ مهم	٢ ـ غير مهم
(١٢) القوة العسكرية	:	١ ـ يجب تجنبها	٢ ـ اداة مفيدة

(٢) الوثائق التلقائية والوثائق المجهزة سلفاً : في هذا الاختبار ، قمنا بتقسيم العقائد الى قسمين طبقاً لمعيار تلقائية التعبير عن الوثائق التي وردت بها تلك العقائد . فهناك وثائق يعبر عنها القائد السياسي بطريقة تلقائية بمعنى ان التعبير لم يكن مجهزاً سلفاً ، ومن ذلك اقواله في المؤتمرات الصحفية (وان كان هذا لا ينفي ان التفكير في التعبير قد تم سلفاً) . وهناك ايضاً وثائق تكون مكتوبة مقدماً ، ويكتفي القائد بقراءتها او نشرها ، ومن ذلك المقالات والكتب والمذكرات والخطب المجهزة . وينبني منطق هذا الاختبار على فرضية انتهى اليها بعض علماء علم النفس الاجتماعي مؤداها انه كلما كانت الرسالة مخططة ومجهزة سلفاً ، ثقلت الرابطة بين مضمون الرسالة وبين عقائد الفرد[١٦] . وبالنسبة لعبد الناصر ، فإنه كان يتقيد بحرفية الخطاب المكتوب في المناسبات الرسمية كمعظم احاديثه امام مجلس الامة وخطاباته العلنية امام القادة الاجانب الزائرين ، وفيما عدا ذلك «كان النص الذي يكون امام الرئيس يقتصر على نقاط مكتوبة تفصل كل منها عن الاخرى مساحات بيضاء لينطلق في خطابه»[١٧] . ولذلك قسمنا العقائد (الوثائق قسمين : **عقائد تم التعبير عنها في وثائق تلقائية ؛ وعقائد تم التعبير عنها في وثائق مجهزة سلفاً**[١٨] .

وتوضح نتائج هذا الإختبار الواردة في الجدول الكلي رقم(٣ـ٥)، انه في حالة واحدة، وهي حالة العقيدة المتعلقة بدور القائد السياسي في عملية التصور التاريخي، كان التعبير عن العقيدة في الوثائق التلقائية مختلفاً عنه في الوثائق المجهزة سلفاً . ففي النوع الاول من الوثائق ، كان عبد الناصر يعبر عن دور القائد السياسي كدور نشيط في العملية التاريخية بينما في النوع الثاني كان يعبر عن دوره كدور محدود . بيد انه باستثناء تلك العقيدة الواحدة ، كان التعبير عن العقائد الاحدى عشرة الاخرى متسقاً في الوثائق .

---

(١٦) Charles E. Osgood and L. Anderson, «Certain Relations among Experienced Contingencies: Associative Structure and Contingencies in Coded Messages,» *American Journal of Psychology,* vol. 70, no. 3 (September 1957), pp. 411-420.

(١٧) حاتم صادق ، قضايا ناصرية (القاهرة : دار الموقف العربي ، ١٩٨١) ، ص ٢١ .

(١٨) من امثلة الوثائق التلقائية كل المؤتمرات والاحاديث الصحفية التي أدلى بها عبد الناصر وكذلك احاديثه في محادثات الوحدة الثلاثية ، ومن امثلة الوثائق المجهزة سلفاً : جمال عبد الناصر : **فلسفة الثورة** (القاهرة : وزارة الارشاد القومي ، ١٩٥٤) ؛ **الميثاق** : قدمه الرئيس جمال عبد الناصر الى المؤتمر الوطني للقوى الشعبية يوم ٢١ مايو ١٩٦٢ (القاهرة : الاتحاد الاشتراكي العربي ، ١٩٦٢) ، و

«The Egyptian Revolution,» *Foreign Affairs,* vol. 33, no. 2 (January 1955).

وقد استبعدنا الخطب من هذا الاختبار لأننا لم نكن متأكدين تماماً من تلقائية التعبير عند بعضها .

جدول رقم (٣-٥)

التعبير عن العقائد الناصرية
طبقاً لتلقائية التعبير عن الوثيقة

(أ) تلقائية

(١)

	أ	ب
١	١٨	١
٢	٢	—

Phi = ٠,٠٧
P = ٠,١٦

(٢)

	أ	ب
١	٢٢٢	٢٨
٢	٣	١

٠,٠٥
٠,٩٥

(٥)

	أ	ب
١	٤٢	١
٢	٣	—

Phi = ٠,٠٤
P = ٠,٠٨

(٦)

	أ	ب
١	٢٥	—
٢	٤	٢

٠,٥٣
٠,٠٤

(٩)

	أ	ب
١	٢١	٥
٢	٧٢	٨

Phi = ٠,١٢
P = ٠,٣٧

(١٠)

	أ	ب
١	٣	١
٢	١٤	—

٠,٤٥
٠,٢٢

(ب) مجهزة سلفاً

(٣)

	أ	ب
١	٣٣	٧
٢	٢	—

٠,١٠
٠,٧٥

(٤)

	أ	ب
١	٣١	١١
٢	١١	١١

٠,١٨
٠,٣٦

(٧)

	أ	ب
١	٢٥	١١
٢	٧	—

٠,٢٦
٠,٢٢

(٨)

	أ	ب
١	٦٩	٦
٢	٣٣	١٣

٠,٢٧
٠,٠١

(١١)

	أ	ب
١	١١	—
٢	١	—

—
—

(١٢)

	أ	ب
١	١١	٤
٢	٣٥	٣

٠,٢٥
٠,١٧

(١)	طبيعة السياسة	:	١ ـ صراعية	٢ ـ تعاونية
(٢)	طبيعة العدو	:	١ ـ عدواني	٢ ـ دفاعي
(٣)	النظام الدولي	:	١ ـ صراعي	٢ ـ تعاوني
(٤)	التفاؤ ل	:	١ ـ متفائل	٢ ـ متشائم
(٥)	التنبؤ	:	١ ـ ممكن	٢ ـ مستحيل
(٦)	القائد السياسي	:	١ ـ نشيط	٢ ـ سلبي
(٧)	اختيار الاهداف	:	١ ـ اهداف قصوى	٢ ـ اهداف دنيا
(٨)	المسالك	:	١ ـ تدرجية	٢ ـ دفعة واحدة
(٩)	الاستراتيجيات	:	١ ـ توفيقية	٢ ـ ردعية

(١٠) المخاطرة	:	١ ـ قبول المخاطرة	٢ ـ رفض المخاطرة
(١١) التوقيت	:	١ ـ مهم	٢ ـ غير مهم
(١٢) القوة العسكرية	:	١ ـ يجب تجنبها	٢ ـ اداة مفيدة

(٣) الوثائق الحوارية والوثائق اللاحوارية : في هذا الاختبار ، قسّمنا العقائد الى قسمين طبقاً لمعيار ما اذا كان التعبير عن الوثيقة قد جاء في شكل :

ـ حوار .
ـ او في شكل محادثة من جانب واحد .
ـ عقائد جاءت في وثائق تضمنت حواراً مع آخرين ، ومن ذلك عقائد الاحاديث الصحفية ، والمناقشات الخاصة ، ومحاضر الاجتماعات ،
ـ عقائد جاءت في وثائق لم تتضمن حوارات واحاديث ، ومن ذلك الخطب ، والكتب ، والمقالات ، والاحاديث الاذاعية .

وقد دفعنا الى اجراء هذا الاختبار المقولة التي انتهى فايز صايغ اليها ، وهي ان «عبد الناصر يكون في افضل حالاته في المناقشات الحوارية ، فالتحدي يدفعه الى التعبير عن اعمق افكاره» . ويضيف فايز صايغ «ان مناقشات عبد الناصر مع اعضاء المؤتمر الوطني للقوى الشعبية ، ومناقشاته مع القادة السوريين والعراقيين عام ١٩٦٣ ، ربما كانت اكثر تعبيراً عن العقائد الناصرية الحقيقية من اي وثائق اخرى»[١٩] . فإذا كانت مقولة فايز صايغ صحيحة ، فإننا يجب ان نتوقف قليلاً قبل الاعتماد على الوثائق اللاحوارية (ومنها كل الخطب) كأداة للتعرف على العقائد الناصرية الحقيقية .

فإذا تأملنا النتائج الواردة في الجدول رقم (٣ـ ٦) ، فإننا نجد ان مقولة فايز صايغ تصدق على حالة واحدة ، وهي العقيدة المتعلقة بالمخاطرة السياسية . ذلك ان ٦٤ بالمائة من العقائد المتعلقة بالمخاطرة السياسية الواردة في الوثائق اللاحوارية ، كانت تؤكد قبول المخاطرة السياسية ، بينما نجد أن ٨٢ بالمائة من العقائد المتعلقة بالعقيدة الواردة نفسها في الوثائق الحوارية ، كانت تؤكد رفض المخاطرة السياسية . وفيما عدا ذلك ، فقد كان تعبير عبد الناصر عن عقائده السياسية في الوثائق الحوارية متسقاً مع تعبيره عن العقائد نفسها في الوثائق اللاحوارية .

---

(١٩) Fayez Sayegh, «The Theoretical Structure of Nasser's Arab Socialism,» in: Albert Hourani, ed., *Middle Eastern Affairs, No. 4,* St. Antony's papers, 17 (London: Oxford University Press, 1965), p. 17.

جدول رقم (٣ـ ٦)

التعبير عن العقائد الناصرية
طبقاً لحوارية الوثيقة

(أ) لاحوارية

(١)

	أ	ب
١	٤٥	١٨
٢	٥	٢

Phi = ٠,٠٠
P = ٠,٦٦

(٢)

	أ	ب
١	٦٩٩	٢٢٢
٢	١٨	٣

Phi = ٠,٠٣
P = ٠,٤٣

(ب) حواريـة

(٣)

	أ	ب
١	١١٢	٤
٢	٣٣	٢

Phi = ٠,٠٤
P = ٠,٩١

(٤)

	أ	ب
١	٣٨٣	٢٤
٢	١١	١١

Phi = ٠,٢٢
P = ٠,٠٠١

(٥)

	أ	ب
١	١٦٢	٤٢
٢	—	٣

Phi = ٠,٢٣
P = ٠,٠١

(٦)

	أ	ب
١	٤٢	٢٥
٢	٢٢	٤

Phi = ٠,٢١
P = ٠,٠٧

(٧)

	أ	ب
١	١٨٤	١٧
٢	٢٥	٧

Phi = ٠,١٥
P = ٠,٠٥

(٨)

	أ	ب
١	١٧١	٦٩
٢	١٥٠	٣٣

Phi = ٠,١٣
P = ٠,٠٣

(٩)

	أ	ب
١	٧٠	٢١
٢	٣٢٧	٧٢

Phi = ٠,٠٥
P = ٠,٣٤

(١٠)

	أ	ب
١	١٦	٣
٢	٩	١٤

Phi = ٠,٤٦
P = ٠,٠١

(١١)

	أ	ب
١	٢٦	٩
٢	—	٣

Phi = ٠,٣٨
P = ٠,٠٥

(١٢)

	أ	ب
١	٤٧	٢٩
٢	٧٨	١٦

Phi = ٠,٢٤ـ
P = ٠,٠٠٣ـ

(١) طبيعة السياسة : ١ ـ صراعية — ٢ ـ تعاونية
(٢) طبيعة العدو : ١ ـ عدواني — ٢ ـ دفاعي
(٣) النظام الدولي : ١ ـ صراعي — ٢ ـ تعاوني
(٤) التفاؤ ل : ١ ـ متفائل — ٢ ـ متشائم
(٥) التنبؤ : ١ ـ ممكن — ٢ ـ مستحيل
(٦) القائد السياسي : ١ ـ نشيط — ٢ ـ سلبي
(٧) اختيار الاهداف : ١ ـ اهداف قصوى — ٢ ـ اهداف دنيا
(٨) المسالك : ١ ـ تدرجية — ٢ ـ دفعة واحدة
(٩) الاستراتيجيات : ١ ـ توفيقية — ٢ ـ ردعية

(١٠) المخـاطرة	: ١ ـ قبول المخاطرة	٢ ـ رفض المخاطرة
(١١) التوقيت	: ١ ـ مهم	٢ ـ غير مهم
(١٢) القوة العسكرية	: ١ ـ يجب تجنبها	٢ ـ اداة مفيدة

(٤) **الوثائق الاصيلة والوثائق التي كتبها آخرون** : اعتاد كثير من القادة السياسيين على ان يتركوا مهمة صياغة بعض الخطب والكتابات لمساعديهم ، اما لضيق الوقت او لقلة الخبرة . ومن الثابت ان بعض الوثائق الناصرية قد تمت صياغتها بهذه الطريقة ، ومنها كتاب فلسفة الثورة على سبيل المثال . وقد قدمنا تفسيراً من وجهة نظر علم النفس الاجتماعي للاعتماد على مثل هذه الوثائق كأداة لاستخلاص النظام العقيدي الناصري . وفي هذا الاختبار ، نحاول ان نثبت « صدق » مثل هذه الوثائق بطريقة امبريقية ، وذلك بمقارنة العقائد الواردة في كتاب فلسفة الثورة ، بالعقائد التي عبر عنها عبدالناصر في جميع وثائقه الاخرى في سنة صدور الكتاب نفسها عام (١٩٥٤) . وتوضح نتائج المقارنة الواردة في الجدول رقم (٣ ـ ٧) ، أنه لا يكاد يوجد اي فارق ذي اهمية بين ما ورد في كتاب فلسفة الثورة ، وبين العقائد الناصرية المعبر عنها في الوثائق « الاصيلة » . بعبارة اخرى ، فإنه رغم ان صياغة كتاب فلسفة الثورة ، لم تكن صياغة ناصرية ، الا أن العقائد الواردة فيه هي بالتأكيد عقائد ناصرية .

جدول رقم (٣ـ ٧)

مقارنة العقائد الناصرية الواردة في
فلسفة الثورة ، بتلك الواردة في الوثائق الاخرى لعام ١٩٥٤

المصدر / العقيدة	فلسفة الثورة	الوثائق الاخرى لعام ١٩٥٤
طبيعة السياسة	صراعية	صراعية
طبيعة العدو	اسرائيل عميل استعماري	عميل استعماري ، ومخرب اقليمي
النظام الدولي	مصر تلعب دور القائد الاقليمي	نظام صراعي مصر تلعب دور التكامل العربي، والقيادة الاقليمية
التفاؤل/ التشاؤم السياسي	تفاؤل / تشاؤم	تفاؤل غير محدود
التنبؤ السياسي	ـ	امكانية التنبؤ في الحياة السياسية
دور القائد السياسي	مجرد رصد التطور التاريخي	لا يمكن ضبط التاريخ ، ولكن يجب التصرف
المسالك السياسية	التمهيد لتحقيق الهدف مع التدرج	التمهيد لتحقيق الهدف مع التدرج

(٥) الوثائق الموجهة الى جمهور اجنبي . والوثائق الموجهة الى جمهور محلي : انتهت الاختبارات الاربعة السالفة الى أن التعبير عن العقائد الناصرية كان بصفة عامة متسقاً عبر اشكال متعددة من الوثائق . ومع ذلك ، فقد حاولنا أن نختبر صدق الوثائق الناصرية باختبار مدى تفاوت مضمون تلك الوثائق طبقاً للجمهور الموجهة اليه . فمن المؤكد ، ان صدق تلك الوثائق سيكون محل شك اذا اكتشفنا ـ كما يؤكد بعض الباحثين ـ ومنهم هاركابي ، ان عبدالناصر اعتاد أن يغير مضمون العقائد طبقاً للجمهور الذي يتحدث اليه[٢٠] .

وفي هذا الاختبار ، قسمنا العقائد الى قسمين :

ـ عقائد وردت في وثائق كانت موجهة اساساً الى جمهور اجنبي ، ومن ذلك المقابلات الصحفية مع الصحفيين الاجانب وخطابه في الامم المتحدة عام ١٩٦٠ ، وامام مؤتمري عدم الانحياز عامي ١٩٦١ ، ١٩٦٤ .

ـ وعقائد وردت في وثائق كانت موجهة الى جمهور محلي أساساً ، ومن ذلك كل خطبه المحلية[٢١] .

وتوضح نتائج الاختبار الواردة في الجدول رقم (٣ـ ٨) عدم دقة المقولة التي قدمها هاركابي . والاستثناء الوحيد الذي قد يرد على ذلك ، هو العقيدة المتعلقة باستعمال القوة العسكرية . اذ انه في ٦٦ بالمائة من اقواله المتعلقة باستعمال القوة العسكرية امام الجمهور الاجنبي ، اكد عبد الناصر على استبعاد القوة العسكرية ، بينما في ١٤ بالمائة من اقواله المتعلقة بالعقيدة نفسها امام الجمهور المحلي اكد على اهمية تلك القوة كأداة لردع العدو .

---

(٢٠) يعتبر الباحث الاسرائيلي هاركابي في مقدمة الدارسين الذين قدموا وجهة النظر تلك . ففي اطروحته للدكتوراه حول « الاتجاهات العربية ازاء اسرائيل » يؤكد ان « الاعلانات العربية العلنية اكثر اهمية من الكلمات المعسولة التي تقال في المقابلات مع الصحفيين الاجانب » . بعبارة اخرى فإن هاركابي يؤكد ان هناك تبايناً بين اقوال القادة العرب (ومنهم عبد الناصر) امام الجمهور العربي وامام الجمهور الاجنبي ، انظر :

Y[ehoshafat]Harkabi, *Arab Attitudes to Israel* (Jerusalem: Israel Universities Press, 1972), p. 39.

ومن المدهش ان هاركابي يقدم مقولته تلك على انها ظاهرة فريدة يتميز بها القادة العرب وحدهم . فهو يرى مثلاً انه في حالة القادة الامريكيين ، فإن الاقوال التي تقال في مناقشات خاصة اكثر تعبيراً عن عقائدهم الفعلية (ص ٤١٤) . بيد أن هاركابي نفسه سرعان ما يناقض نفسه بعد خمس صفحات فقط حين يؤكد ان « اعلانات القادة العرب تخدم فقط اغراض استعراضية وتكتيكية ، وليست لها اهمية تذكر » . بيد أن تلك المقولة لم تدفعه لكي يتساءل عن جدوى اعتماده على تلك الاعلانات اداة لاستخلاص الاتجاهات العربية ازاء اسرائيل .

(٢١) يثير معيار الجمهور قضية اشكالية ، وهي ان القائد السياسي قد يوجه الوثيقة الى جمهور محلي ، ولكنه يقصد اساساً جمهوراً اجنبياً . ولذلك ، فإننا نعرف الجمهور هنا على انه « الجمهور المباشر » الموجهة اليه الوثيقة ، حتى ولو كان الجمهور « المقصود » جمهوراً آخر .

جدول رقم (٣ ـ ٨)

التعبير عن العقائد الناصرية طبقاً لمحلية الجمهور الموجهة اليه الوثيقة

الجدول	الجمهور	١ ـ أ	١ ـ ب	٢ ـ أ	٢ ـ ب	Phi	P
(١)	(أ) جمهور محلي	٥٧	٦	٦	١	٠,٠٥	٠,٧٩
(٢)	(أ) جمهور محلي	٦٣٦	٢٨٥	١٨	٣	٠,٠٥	٠,١٦
(٣)	(ب) جمهور اجنبي	٥٦	٨٩	٢	٤	٠,٠٢	٠,٨٧
(٤)	(ب) جمهور اجنبي	٣٥٣	٦١	٢٠	١٥	٠,٢٠	٠,٠١
(٥)	(أ) جمهور محلي	١٥٨	٤٦	ـ	٣	٠,٢٢	٠,٠١
(٦)	(أ) جمهور محلي	٦١	٢٥	٢٥	١	٠,٠٩	٠,٦٩
(٧)	(ب) جمهور اجنبي	١٠٤	٤٥	١١	١٣	٠,٢٣	٠,٠٠١
(٨)	(ب) جمهور اجنبي	١٦٣	٧٨	١٤٢	٤١	٠,١١ــ	٠,٠٣
(٩)	(أ) جمهور محلي	٦٤	٢٧	٣١٥	٨٤	٠,٠٨	٠,١٠
(١٠)	(أ) جمهور محلي	١٥	٤	١١	١٢	٠,٣٢	٠,٠٨
(١١)	(ب) جمهور اجنبي	٢٤	١٣	٢	١	٠,٠٢	٠,٦٢
(١٢)	(ب) جمهور اجنبي	٤٤	٣٢	٧٨	١٦	٠,٢٨ــ	٠,٠٠١

		١	٢
(١)	طبيعة السياسة	١ ـ صراعية	٢ ـ تعاونية
(٢)	طبيعة العدو	١ ـ عدواني	٢ ـ دفاعي
(٣)	النظام الدولي	١ ـ صراعي	٢ ـ تعاوني
(٤)	التفاؤ ل	١ ـ متفائل	٢ ـ متشائم
(٥)	التنبؤ	١ ـ ممكن	٢ ـ مستحيل
(٦)	القائد السياسي	١ ـ نشيط	٢ ـ سلبي
(٧)	اختيار الأهداف	١ ـ اهداف قصوى	٢ ـ اهداف دنيا
(٨)	المسالك	١ ـ تدرجية	٢ ـ دفعة واحدة
(٩)	الاستراتيجيات	١ ـ توفيقية	٢ ـ ردعية
(١٠)	المخاطرة	١ ـ قبول المخاطرة	٢ ـ رفض المخاطرة
(١١)	التوقيت	١ ـ مهم	٢ ـ غير مهم
(١٢)	القوة العسكرية	١ ـ يجب تجنبها	٢ ـ اداة مفيدة

(٦) الوثائق الموجهة الى الجماهير والوثائق الموجهة الى المثقفين : في هذا الاختبار ، استبعدنا الجمهور الاجنبي ، وقسّمنا العقائد (الوثائق) الى قسمين اساسيين : (١) عقائد وردت في وثائق كانت موجهة الى الجماهير ، كالخطب الجماهيرية ؛ (٢) عقائد جاءت في وثائق كانت موجهة الى مثقفين. وقد دفعنا الى اجراء هذا الاختبار الفرضية التي قدمها بعض الدارسين في علم النفس الاجتماعي والتي تؤكد ان نوعية المستمعين تؤثر في محتوى الرسالة ، «فكلما كان جمهور المستمعين صغيراً ومكوناً من اناس يستطيعون أن يتحققوا من صحة محتوى الرسالة اتجه المتحدث الى التعبير عن عقائده الحقيقية ، بعكس الامر في حالة الجماهير»[٢٢] . فإذا استطعنا ان نثبت عدم صحة تلك الفرضية ، بمعنى أن عبد الناصر قد عبّر عن المحتوى العقيدي نفسه ، امام انماط مختلفة من الجمهور المحلي ، فمن المؤكد ان ثقتنا في صدق العقائد المستخلصة من الوثائق ستزداد الى حد كبير .

وتوضح الاحصاءات الواردة في الجدول رقم (٣- ٩) ان طبيعة الجمهور المحلي ، لم يكن له تأثير ذو بال على محتوى العقائد الناصرية . بعبارة اخرى ، إن عبدالناصر لم يتجه الى التغيير من محتوى العقيدة السياسية طبقاً لنوع الجمهور الذي يخاطبه ، وان كان ذلك لا يعني ان اسلوب التعبير اللفظي كان مختلفاً او أنه كان يتجه الى التعبير عن مجموعات معينة من العقائد امام نمط معين من الجمهور .

جدول رقم (٣- ٩)

التعبير عن العقائد الناصرية طبقاً لنوعية الجمهور المحلي

	(١) جماهير				(٢) مثقفين			
	(١)		(٢)		(٣)		(٤)	
	أ	ب	أ	ب	أ	ب	أ	ب
١	١٢	٤٤	٣٧١	٢٣٨	٢٩	٢٤	٢٣٣	١١٣
٢	٢	٣	١٣	٥	٢	–	٣	١٥
Phi =	٠,١٢		٠,٠٤		٠,١٧		٠,٢٣	
P =	٠,٦٩		٠,٤٧		٠,٥٩		٠,٠١	

---

(٢٢) Robert Axelord, «Projects,» in: Robert Axelord, ed., *Structure of Decision* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1976), pp. 272-273.

(٥)

	أ	ب
١	١١٠	٤٩
٢	—	—

Phi = —

P = —

(٦)

	أ	ب
١	٢٧	٣١
٢	١٤	٩

٠,١٣

٠,٣٩

(٧)

	أ	ب
١	٩٩	٥٩
٢	٩	٢

- ٠,١٠

٠,٣٤

(٨)

	أ	ب
١	٩٤	٦٣
٢	٧٧	٥٨

٠,٠٣

٠,٧١

(٩)

	أ	ب
١	٤٦	١٧
٢	١٨٤	١٢٢

Phi = ٠,١٠

P = ٠,٠٨

(١٠)

	أ	ب
١	٦	٩
٢	٣	٨

٠,١٣

٠,٧٩

(١١)

	أ	ب
١	١٠	١٢
٢	—	٢

٠,٢٦

٠,٦٢

(١٢)

	أ	ب
١	٢٢	١٩
٢	٣٧	٣٩

٠,٥٠

٠,٧٥

		١	٢
(١)	طبيعة السياسة	١ ـ صراعية	٢ ـ تعاونية
(٢)	طبيعة العدو	١ ـ عدواني	٢ ـ دفاعي
(٣)	النظام الدولي	١ ـ صراعي	٢ ـ تعاوني
(٤)	التفاؤ ل	١ ـ متفائل	٢ ـ متشائم
(٥)	التنبؤ	١ ـ ممكن	٢ ـ مستحيل
(٦)	القائد السياسي	١ ـ نشيط	٢ ـ سلبي
(٧)	اختيار الاهداف	١ ـ اهداف قصوى	٢ ـ أهداف دنيا
(٨)	المسالك	١ ـ تدرجية	٢ ـ دفعة واحدة
(٩)	الاستراتيجيات	١ ـ توفيقية	٢ ـ ردعية
(١٠)	المخاطرة	١ ـ قبول المخاطرة	٢ ـ رفض المخاطرة
(١١)	التوقيت	١ ـ مهم	٢ ـ غير مهم
(١٢)	القوة العسكرية	١ ـ يجب تجنبها	٢ ـ اداة مفيدة

خاتمــــة

النتيجـة الاساسيـة التي يمكن استخلاصهـا من هذه الاختبـارات الستة هي ان عقـائـد النهج الاجرائي الناصري كانت متماثلة وانمـاط المستمعـين. وبهـذا ، فإن تلك النتيجـة تقوي من حجـة اعتمادنا على التعبيرات اللفظية لعبد الناصر كـأداة لاستخلاص نـظامه العقيـدي . فإذا كانت تلك التعبيرات اللفظية متماثلة في مختلف المواقف ، فمن المرجـح الى حد كبـير انها تعكس عقـائده الفعليـة . وهذا يمهـد لنا الـطريق في الباب التـالي لتحليل الابعـاد الاساسيـة « للنهج الاجرائي » لجمال عبد الناصر كما تم ترميزه واستخلاصه باستعمال « قواعد الترميـز » المشار اليها سابقاً .

القسم الثاني

النسق العقيدي الناصريّ

مقدمة

يعتبر جمال عبد الناصر اول حاكم مصري لمصر المستقلة منذ الغزو الفارسي الذي حطّم الأسرة الفرعونية السادسة والعشرين والاخيرة عام ٥٢٥ ق. م. ومن خلال القرون الخمسة والعشرين التي فصلت بين انتهاء حكم الاسرة السادسة والعشرين وتولي عبد الناصر السلطة ، كانت مصر إمّا مستعمرة مباشرة او تحت حماية عدد كبير من الغزاة شمل اليونان والرومان والاتراك والفرنسيين والانكليز وغيرهم[١] . وخلال هذه الفترة التاريخية الطويلة ، طوت مصر واحدة من أعرق الحضارات المعروفة ، كما أفرزت مصر قيادات سياسية وطنية عديدة لعبت دوراً حاسماً في توجيه مسار التاريخ المصري . ومن المؤكد ، انه بأي معيار من المعايير ، فإن عبد الناصر يشكل حلقة اساسية ومهمة في سلسلة القيادات المصرية الوطنية .

ولد جمال عبد الناصر في ١٥ كانون الثاني / يناير عام ١٩١٨ في الاسكندرية ، حيث كان يعمل والده كموظف في مصلحة البريد لأسرة لها جذور ريفية في الصعيد المصري ، وتنتمي اجتماعياً الى الشريحة الوسطى للبورجوازية المصرية الصغيرة[٢] . كان جمال الابن

---

(١) خلال الفترة من تموز / يوليو عام ١٩٥٢ حتى تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٤ ، تولى الرئيس محمد نجيب رئاسة الدولة المصرية . بيد انه خلال تلك الفترة ، كانت القوات البريطانية متمركزة في منطقة قناة السويس طبقاً لمعاهدة عام ١٩٣٦ ، وكانت المفاوضات دائرة بين مصر وبريطانيا حول الجلاء . اضف الى ذلك أن السلطة الحقيقية كانت في يد مجلس قيادة الثورة ،وكانت الرئاسة الفعلية لعبد الناصر .

(٢) في مقابلة صحفية مع الصحفي البريطاني ديفيد مورغان ، عرف عبد الناصر جذوره الطبقية بأنه ينتمي الى الشريحة الدنيا من الطبقة الوسطى ، انظر : جمال عبد الناصر ، مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ، ٥ ج (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د.ت.])، ج ٢ : فبراير ١٩٥٨ - يناير ١٩٦٠ ، المقابلة بتاريخ ١٧ / ٦ / ١٩٨٢ .

الاكبر لأسرة كبيرة مكونة من احد عشر طفلاً . بالاضافة الى ذلك ، فقد تميزت طفولته بعدم الاستقرار وفقدان الاحساس بالامان . فقد نزح جمال عبد الناصر من مدينة الى اخرى طبقاً لمقتضيات وظيفة والده ، كما توفيت والدته وهو في سن الثامنة ، وقد شكلت وفاة والدته بالنسبة له « ضربة قاسية لم تمح آثارها من ذاكرتي »[٣] ، كما تزوج والده مرة ثانية ونزح جمال الى القاهرة ليعيش مع عمه .

من الناحية السياسية ، نشأ جمال عبد الناصر في خضم التيارات والاضطرابات السياسية التي ميزت الفترة التالية لثورة عام ١٩١٩ . وحينما التحق بالمدارس الثانوية ، شارك في المظاهرات السياسية واعتقل عدة مرات . وفي آذار / مارس عام ١٩٣٧ تقدم للكلية الحربية حيث رفض طلبه ، ولكنه قبل بعد ذلك بقليل حين احتاجت الكلية الى عدد جديد من الطلاب . في تموز / يوليو عام ١٩٣٨ ، تخرّج عبد الناصر من الكلية الحربية ، حيث ألحق بسلاح المشاة . وكضابط للمشاة ، تنقل عبد الناصر بين مواقع مختلفة في السودان والصعيد والعلمين ، حيث بدأ ومن تلك المواقع في بناء علاقات وثيقة مع مجموعة من الضباط الذين خططوا معه لثورة يوليو عام ١٩٥٢ .

كان للاهانة القومية التي لحقت بمصر نتيجة حادث ٤ شباط / فبراير عام ١٩٤٢ آثار عميقة على توجهات جمال عبد الناصر ، ليس بسبب تعاطفه مع الملك ، ولكن لأنه رأى ان التدخل البريطاني يشكل تحدياً صارخاً للارادة المصرية[٤] . فبعد عشرة ايام من الحادث كتب الى احد اصدقائه خطاباً يفيض بالوطنية والاحساس بالمهانة القومية معبراً عن احساسه بأن بريطانيا لن تنسحب من مصر إلا اذا اجبرت على ذلك .

وفي تلك الفترة ، ركّز جمال عبد الناصر جهوده على استقطاب الضباط المعادين للنظام في اطار تنظيم سري سمي فيها بعد باسم تنظيم الضباط الاحرار . كذلك ، اتصل عبد الناصر بمعظم القوى السياسية في الدولة كالاخوان المسلمين والشيوعيين ، وتأثر الى حد كبير بأفكار حزب مصر الفتاة بزعامة احمد حسين[٥]. بيد ان جمال عبد الناصر حرص على الحفاظ على الاستقلالية التنظيمية والفكرية لتنظيمه السري .

= كذلك يذكر السيد عبد اللطيف البغدادي ، نائب الرئيس عبد الناصر ، في مذكراته أن عبد الناصر قد أكد له ان « ثورتنا هي ثورة بورجوازية » ، انظر : عبد اللطيف البغدادي ، **مذكرات عبد اللطيف البغدادي** ، ٢ج (القاهرة : المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٧) ، ج٢ ، ص ١٤٧ .

(٣) المقابلة الصحفية مع مورغان في : عبد الناصر ، المصدر نفسه .

(٤) في ٤ شباط / فبراير عام ١٩٤٢ ، حاصرت القوات البريطانية القصر الملكي في عابدين وأجبر المندوب السامي البريطاني الملك فاروق على تعيين مصطفى النحاس رئيساً للوزراء لكي يضبط الشعور الوطني المتزايد المؤيد للالمان .

(٥) Panayiotis J. Vatikiotis, *Nasser and His Generation* (London: Croom Helm,1978), chaps. 1 and 2.

وتشير المعلومات المنشورة في السنوات الاخيرة الى انه لفترة قصيرة انضم عبد الناصر الى الجناح العسكري=

واخيراً ، فقد شهدت هذه الفترة تبلوراً للوعي العربي لدى جمال عبد الناصر . ففي عقب صدور قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين في تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٤٧ ، بادر عبد الناصر للاتصال بالمفتي امين الحسيني في القاهرة ، وعرض مساهمة بعض الضباط في عمليات مقاومة المنظمات الصهيونية في فلسطين . بيد ان الحكومة المصرية رفضت أن تسمح للمفتي الحسيني بالاستعانة بعبد الناصر وزملائه .

في نيسان / ابريل عام ١٩٤٨ قرر بعض رفاق عبد الناصر الانضمام الى قوات المقاومة الفلسطينية ، وانتظر البعض الآخر ـ ومنهم عبد الناصر ـ حتى دخلت القوات المسلحة المصرية الحرب الفلسطينية رسمياً . وقد التحق جمال عبد الناصر بالكتيبة السادسة المصرية . وفي مذكراته عن الحرب الفلسطينية ، يصف عبدالناصر ضعف الامكانات وانعدام الرؤية الاستراتيجية الذي ميّز الحملة المصرية العسكرية في فلسطين منذ البداية ، مما ادى الى هزيمة القوات المصرية(٦) . وتمركزت الكتيبة السادسة في عراق المنشية في صحراء النقب كجزء من لواء الفالوجا . وفي عراق المنشية خاض عبد الناصر معركته الرئيسية ضد القوات الصهيونية ، كما اتصل لأول مرة ـ في غمار المعركة ـ بالاسرائيليين . فقد حاصرت قوات البالماخ الصهيونية بقيادة ايغال آلون لواء الفالوجا . وعلى اثر ذلك بدأت المفاوضات بين جمال عبد الناصر كممثل للواء الفالوجا وبين يروهان كوهين كممثل لقوات آلون . ويذكر كوهين في مقالة نشرها عام ١٩٥٣ ، ان عبد الناصر قد أثار مجموعة من الاسئلة تتعلق بالقتال بين اسرائيل والقوات البريطانية في فلسطين ، وحركة الاستيطان في اطار الكيبوتزات(٧) . وخلال هذه المفاوضات ، رفض عبد الناصر طلب القوات الاسرائيلية المحاصرة استسلام لواء الفالوجا رغم انه كان محاصراً . وخاض عبد الناصر مع رجال لواء الفالوجا معركة ثانية ضد القوات الاسرائيلية نجح خلالها لواء الفالوجا في صد الهجوم الاسرائيلي في كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٤٨ ، وفي شن هجوم مضاد ألحق خلاله بالقوات الاسرائيلية خسائر فادحة(٨) . في ٧ كانون الثاني / يناير عام ١٩٤٩ طلبت الحكومة المصرية البدء في محادثات لعقد هدنة . وقد

= السري لحركة الاخوان المسلمين ، كما استمرت علاقته معهم حتى قيام الثورة في تموز / يوليو عام ١٩٥٢ . كذلك يؤكد البعض ان الاخوان والشيوعيين (حركة حدتو) كانوا يعرفون مقدماً بتوقيت الحركة في ٢٣ تموز / يوليو ، وان الاخوان قد حشدوا بعض قواتهم صباح يوم الثورة على طريق القاهرة ـ الاسماعيلية من اجل عرقلة اي تدخل بريطاني لاجهاض الثورة . كذلك قامت كوادر حركة حدتو بتوزيع منشورات في شوارع القاهرة مؤيدة للثورة ، كما ان معظم منشورات حركة الضباط الاحرار كان يطبع في مطابع حركة حدتو ، انظر : احمد حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، ج١ : مصر والعسكريون (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٤) ، ص ١١٨ و ١٤٨ ، وفؤاد مطر ، بصراحة عن عبد الناصر : حوار مع محمد حسنين هيكل ، ط٢ (بيروت : دار القضايا ، ١٩٧٥) ، ص ٥٣ ـ ٦٤ .

(٦) Gamal Abdel Nasser, *The Truth about the Palestine War* (Cairo: Al-Tahrir Press, 1956).

(٧) Yeruham Cohen, «The Secret Negev Talks,» *Jewish Observer and Eastern Review*, vol. 7 (1953), pp. 6-8.

(٨) Robert Stephens, *Nasser: A Political Biography* (London: Allen Lane; Penguin, 1971), p. 83.

أسفرت المحادثات عن عقد اتفاقية الهدنة المصرية ـ الاسرائيلية في رودس في ٢٤ شباط / فبراير عام ١٩٤٩ . طبقاً للاتفاقية ، انسحبت القوات المصرية من منطقة النقب[٩] .

من المؤكد ان الحرب العربية ـ الاسرائيلية قد تركت آثاراً عميقة على فكر عبد الناصر . ففي فلسطين ، بدأ عبد الناصر يقتنع بأن الدفاع عن فلسطين مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأمن الوطني المصري ، وأن العدو الرئيسي هو الاستعمار البريطاني الذي بدونه لم تكن الصهيونية لتنجح في مخططاتها ، واخيراً بأن الطريق الرئيسي لتصحيح الهزيمة العربية في فلسطين يجب ان يبدأ بتحرير مصر ذاتها من الفساد والاحتلال[١٠] .

عاد جمال عبد الناصر الى القاهرة ليعمل مدرساً بكلية اركان الحرب . وفي القاهرة ركّز على مهمة اعادة تنظيم حركته السرية . وفي اوائل عام ١٩٥٠ اطلق اسم « تنظيم الضباط الاحرار » على التنظيم السري الذي كونه عبد الناصر ، وتم تكوين لجنة تنفيذية من عشرة ضباط لتنظيم الضباط الاحرار تحت رئاسة جمال عبد الناصر[١١] . وقد نجح عبد الناصر في تدعيم قوة تنظيم « الضباط الاحرار » داخل الجيش ، وأن يقوده الى لعب ادوار سياسية مهمة دعمت قوته ومنها الاسهام في النضال السري ضد القوات البريطانية في منطقة القنال بمد المقاتلين بأسلحة الجيش[١٢] ، ومنها كذلك دخول معركة سياسية ضد مرشحي الملك فاروق في انتخابات نادي الضباط ونجاح التنظيم في انتخاب اللواء محمد نجيب رئيساً للنادي . وفي ٢٣ تموز / يوليو عام ١٩٥٢ قام تنظيم « الضباط الاحرار » ، تحت القيادة الاسمية للواء محمد نجيب[١٣] ، بانقلاب عسكري ادى الى تنازل الملك فاروق عن السلطة في ٢٦ تموز / يوليو وخروجه من البلاد .

وخلال العامين التاليين ، نجح مجلس قيادة الثورة ـ تحت الرئاسة الفعلية لجمال عبد الناصر باصدار قانون لاعادة توزيع الملكية الزراعية سمي بقانون الاصلاح الزراعي في ايلول / سبتمبر عام ١٩٥٢ ، وحل الاحزاب السياسية ثم اعلان الجمهورية عام ١٩٥٣ ، ثم توقيع اتفاقية لجلاء القوات البريطانية من مصر عام ١٩٥٤ . بيد أن الخلاف سرعان ما نشب بين اللواء محمد نجيب وجمال عبدالناصر بسبب اصرار نجيب على تهدئة عملية التغيير السياسي والاجتماعي . وقد انتهى الخلاف الى صدام علني فيما عرف باسم ازمة آذار / مارس عام ١٩٥٤ ، وقد حسم الخلاف في تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٤ باعتقال اللواء محمد نجيب ؛ ومنذ ذلك الوقت اصبح جمال عبد الناصر الزعيم الذي لا ينازع لمصر .

---

(٩) ألغت اسرائيل الاتفاقية من جانب واحد عشية الهجوم الاسرائيلي على سيناء عام ١٩٥٦ .

(١٠) جمال عبد الناصر ، فلسفة الثورة (القاهرة : وزارة الارشاد القومي ، ١٩٥٤) .

(١١) حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، ج ١ : مصر والعسكريون ، ص ١٤٧ .

(١٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٢ .

(١٣) اختار الضباط الاحرار اللواء محمد نجيب لرئاسة الحركة من اجل اضفاء طابع الشرعية والاحترام على الثورة ، اذ ان معظمهم كانوا من الشباب صغار السن في مجتمع يعطي اعتباراً لعامل السن .

في الفصـول الاربعة التـالية سنقـدم تحليـلاً للخصـائص المـوضـوعيـة والهيكليـة للنسق العقيدي لجمال عبد الناصر من وجهة نظر « النهج الاجـرائي » . ومن خلال هـذا التحليل ، سنقدم « نموذجاً » للنهج الاجرائي الناصري .

سنقسم تحليـل الخصائص المـوضوعيـة للنسق العقيدي لجمـال عبد النـاصر الى ثـلاث فتـرات تاريخيـة : الفترة الاولى ، تمتـد من ثورة تمـوز / يـوليـو عـام ١٩٥٢ حتى نهايـة ازمـة السويس في كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٦ ، اما الفترة الثانية، فإنها فترة طويلة نسبياً اذ انها تمتد بين كانون الثاني / يناير عام ١٩٥٧ ، وحتى الحرب العربية ـ الاسرائيلية في حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ ، بينما تنتهي الفترة الثالثة بوفاة جمال عبدالناصر في ايلول / سبتمبر عام ١٩٧٠ . وكما يتضح من هذا التقسيم التاريخي ، فإن معيار التقسيم هو ازمتا عامي ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، وباتفاق الباحثين ، فإن هاتين الازمتين تشكلان منعطفين حاسمين في حياة عبدالناصر السياسية سواء من ناحية تأثيرهما على حجم زعامته السياسية او من ناحية تأثيرهما على فكره السياسي ، كذلك سيساعدنا هذا التقسيم على فهم عناصر الاستمرارية والتغير في النسق العقيدي الناصري ، وتحليل اثر الازمات الدولية على النسق العقيدي للقائد السياسي .

وعقب تحليل أبعاد النسق العقيدي الناصري ، سنحاول ان نقدم تحليلاً هيكلياً لهذا النسق ، يتضمن تحليلاً لمجموعة من الأبعاد الهيكلية مثل ثراء النسق وتمايزه ، مركزية بعض العقـائد ، عناصر الاستمرارية والتغير ، الاتساق ، والارتباط المتبادل بين شتى اجزاء النسق .

الفَصْلُ الرّابعُ

النسَق العقيديّ الناصريّ: السّنَوات التكوينية (١٩٥٣ ـ ١٩٥٦)

ينصب هذا الفصل على تحليل عناصر النظام العقيدي الناصري ، خلال الفترة الممتدة من تموز / يوليو عام ١٩٥٢ حتى ازمة السويس عام ١٩٥٦ ، وذلك من واقع الوثائق الناصرية المتاحة في تلك الفترة . وسنورد هذا التحليل في شكل وصف عام للمقولات الاساسية للنسق العقيدي الناصري ، مع اقتباس بعض الجمل والفقرات التي توضح الاستنتاجات العامة التي توصلنا اليها ، على ان يتلو تحليل كل عقيدة او مجموعة من العقائد جدول يتضمن توزيعاً تكرارياً لتلك العقيدة او العقائد ، يوضح نمط التعبير عنها .

اولاً : العقائد الفلسفية

أ ـ الطبيعة الاساسية للعملية السياسية

١ ـ الحياة السياسية هي عملية مستمرة من النضال السياسي والاجتماعي . « نظرية الثورتين » .

٢ ـ أساس الصراع يكمن في نظام الاحتلال الاجنبي ، والاستغلال الداخلي .

٣ ـ من اجل اقرار السلام السياسي والاجتماعي ، يتعين التوفيق بين مصالح الطبقات .

٤ ـ الصراع ظاهرة غير صحية .

٥ ـ الصراع مباراة صفرية .

وعلى الرغم من أن الفترة التكوينية في حياة عبد الناصر السياسية الرسمية ، كانت فترة مليئة بالاضطرابات السياسية ،وبالرغم من أن جمال عبد الناصر ذاته وصل الى السلطة كضابط صغير غير مؤهل ، بحكم تكوينه الفكري ، للتحدث في المسائل الفلسفية المتعلقة بالسياسة ، الا ان كتاباته

واقواله ، في تلك الفترة ، توضح ان عبد الناصر قد طور مفهوماً واضحاً للحياة السياسية . فقد تصور عبد الناصر أن جوهر العملية السياسية يكمن في الصراع الاجتماعي والنضال المستمر من اجل التغيير السياسي والاجتماعي . فالصراع هو حقيقة أساسية تكمن في الوجود البشري ذاته . ففي خطاب ألقاه في ٣٠ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٥٤ قال : « الصراع دائماً في كل وقت موجود ، في كل زمان وكل مكان ، بين الشر والخير والحق والباطل . فإذا لم ترتفع كلمة الحق فلا بد أن ترتفع كلمة الباطل »[١] .

وفي مناسبة الاحتفال بجلاء القوات البريطانية في ١٦ حزيران / يونيو عام ١٩٥٦ قال : « ان كفاح الشعوب لا يتوقف عند غاية ولا يستقر عند نهاية . انه طريق بعيد المدى ، مداه مدى الحياة نفسها ، كلما بلغ منه الشعب مرحلة ، لاحت امامه في المنى مراحل . ان كفاح الشعوب طاقة دائمة مستمرة متجددة العمر خالدة البقاء » .

في نيسان / ابريل عام ١٩٥٤ اصدر عبد الناصر كتيب **فلسفة الثورة** ، وفيه تحدث عن الصراع الاجتماعي باعتباره جوهر عملية التطور السياسي للشعوب . فقد اوضح عبد الناصر ان كل شعب يمر بالضرورة بمرحلتين : مرحلة الثورة السياسية ومرحلة الثورة الاجتماعية . قوام المرحلة الاولى هو الصراع مع قوات الاحتلال الاجنبي والطغيان السياسي الداخلي . اما المرحلة الثانية فإنها عملية صراعية تدور مع قوى الاستغلال الاجتماعي . الثورة السياسية ، وبالتحديد ، النضال من اجل الاستقلال الوطني ، تتطلب الوحدة الاجتماعية لكل الفئات ، بينما الثورة الاجتماعية تتضمن بالضرورة صراع تلك الفئات مع بعضها البعض[٢] .

لكل شعب من شعوب الارض ثورتان : ثورة سياسية يسترد بها حقه في حكم نفسه بنفسه من يد طاغية فرضت عليه، او من جيش معتد اقام في ارضه دون رضاه . وثورة اجتماعية تتصارع فيها طبقاته ثم يستقر الامر فيها على ما يحقق العدالة لابناء الوطن الواحد .

لقد سبقتنا على طريق التقدم البشري شعوب مرت بالثورتين ولكنها لم تعشها معاً ، وانما

---

(١) التواريخ المذكورة هي تواريخ الوثائق كما جاءت في : جمال عبدالناصر : **مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبدالناصر**، ٥ج (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د.ت.])، و **وثائق عبدالناصر : خطب ، احاديث ، تصريحات** ، ٣ج (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ، ١٩٧٣) ، ما لم يذكر صراحة خلاف ذلك .

(٢) تشبه نظرية الثورتين الى حد كبير نظرية لينين في الثورة على مرحلتين . وهي النظرية المعروفة باسم « التحول التدريجي للثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية » . فقد أوضح لينين ان الثورة الاشتراكية يجب ان تسبقها ثورة بورجوازية ديمقراطية اساسها تحالف الطبقة العاملة مع البورجوازية الصغيرة ، على ان يتلو تلك الثورة البورجوازية ثورة اشتراكية تبني دكتاتورية البروليتاريا ، انظر :
Vladimir Illich Lenin, *Collected Works*, vols. 9 and 24 (Moscow: Progress, 1964, 1965) pp. 84-86 + and 43 + respectively.
بيد اننا نشك في ان عبد الناصر كان واعياً بالفكر اللينيني المتعلق بنظرية الثورتين في تلك المرحلة في تكوينه السياسي .

فصل بين الواحدة والثانية مئات من السنين ، اما نحن فإن التجربة الهائلة التي امتحن بها شعبنا هي ان نعيش الثورتين معاً في وقت واحد[٣] .

إن اهمية نظرية الثورتين تكمن في ان عبد الناصر لم يقدمها كمجرد نظرية لتفسير التطور التاريخي للمجتمع المصري ، وانما باعتبارها مبدأ عاماً يحكم التطور السياسي لكل الشعوب .

وعلى مستوى التاريخ المصري ، فقد تصور عبد الناصر ان التاريخ السياسي المصري منذ الاحتلال المملوكي والتركي على انه سلسلة من الصراعات المتعاقبة من اجل الاستقلال الوطني . وبالمثل ، على مستوى المجتمع المصري المعاصر ، تصور عبد الناصر ان جوهر التطور السياسي لهذا المجتمع يكمن في الصراع بين الاقلية الاقطاعية ـ الرأسمالية ، وبين الطبقة المتوسطة . وتشمل هذه الطبقة في تصور عبد الناصر العمال ، والفلاحين ، والموظفين . وفي خطابه في ٦ نيسان / ابريل عام ١٩٥٤ اكد عبد الناصر ان هناك صراعاً يدور مع « الرجعية » .

وفي خطابه بمناسبة العيد الثالث لثورة تموز / يوليو في ٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٥٥ اكد عبد الناصر هذا المعنى بصورة حاسمة : « على الرغم من الهدوء الذي يسود بلادنا والسلام الذي ترفرف اعلامه فوق وادينا ، والطمأنينة التي تملأ قلوبنا ، والسكينة التي تفيض بها نفوسنا ، فإن وادي النيل يشهد صراعاً لم يشهد مثله منذ قرون ، صراع صامت ساكت ولكنه عميق الجذور ، بعيد المدى ، عظيم الاثر ، صراع الشعب في اصفى معنى » .

بيد أننا ينبغي ان ننبه الى أن فهم عبد الناصر للصراع الاجتماعي على أنه ظاهرة أساسية في الحياة السياسية ، لا يعني أنه قد تصور ان الصراع يلعب وظيفة ايجابية في تلك الحياة . فعبد الناصر قد تصور ان الصراع الاجتماعي هو حتمية غير صحية ، وظاهرة انقسامية تؤدي الى تفتيت وحدة المجتمع . ولذلك فإنه اكد دائماً على فكرة وحدة كل الفئات الاجتماعية ومحاولة اجهاض الصراع الطبقي ، وأكد صراحة على ضرورة استبعاد « الحرب بين الطبقات » (٣ تموز / يوليو عام ١٩٥٥) .

إذا كان ذلك كذلك ، فما هي مصادر الصراع في مفهوم عبدالناصر ؟

لم يكن تحليل عبد الناصر لمصادر الصراع ، في تلك الفترة ، متفقاً مع معطيات التحليل الطبقي لمصادر الصراع . فقد اعتقد عبد الناصر أن الصراع ينبع أساساً من الصدام الاكبر بين القوى الخارجية (الاحتلال) تساعدها الاقلية الخائنة المستغلة وبين بقية المجتمع ككل . بعبارة اخرى ، تصور عبد الناصر ان المصدر الرئيسي للصراع هو وجود الاحتلال الاجنبي ووجود فئة مصرية موالية لهذا الاحتلال . وبصرف النظر عن هذا المصدر ، فقد تصور عبد الناصر المجتمع المصري كطبقة واحدة متجانسة تضم العمال والفلاحين والرأسماليين والموظفين الحكوميين ، وهي

---

(٣) جمال عبدالناصر، فلسفة الثورة (القاهرة : وزارة الارشاد القومي ، ١٩٥٤) ، ص ٣٨ .

كلها فئات ذات مصالح متجانسة ومنسجمة ، حسب التحليل الناصري في تلك الفترة . فقد أكد على أن المجتمع هو « أسرة كبيرة يعمل كل منها لصالحها الاكبر » (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٥٤) ، كما أنه من الممكن « تنظيم العلاقة بين الطبقات على اساس من التعاون من أجل رفع مستوى الانتاج لخير الجميع »[٤] .

بناء على ذلك ، فقد تصور عبد الناصر دور السلطة السياسية على أنه مقصور على تحقيق التوازن الامثل بين شتى الطبقات الاجتماعية . « فالحكومة لا تقدم مطالب طائفة على اخرى ، ولا ترفع طائفة على مستوى الطوائف الاخرى » (١٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٣) . وفي خطاب ألقاه في ٦ نيسان / ابريل عام ١٩٥٤، حدد دور السلطة السياسية من الخلافات بين العمال واصحاب رؤوس الاموال بأنه دور تقريب وجهات النظر دون تحيز للعمال او اصحاب رؤوس الاموال » ، وفي ١٩ نيسان / ابريل عام ١٩٥٤ قال مرة اخرى : « سنكون حكاماً بين الجميع ، ننصف صاحب العمل وننصف الفلاح وصاحب الارض ، ونعمل لايجاد تعاون قوي بين هذه الفئات جميعاً» .

وفي ٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٥٤ اعاد تأكيد مفهوم السلطة السياسية باعتبارها « حكومة الامة بطبقاتها جميعاً» ، واخيراً ، ففي مقدمة كتبها لكتاب مصر بين ثورتين في ٢٣ تموز / يوليو عام ١٩٥٥ استبعد تماماً فكرة الصراع الطبقي لحل المشكلة الاجتماعية : « روح الثورة المصرية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، يتمثل في خلق وعي مصري جديد . . . فلا حرب تنشب بين الطبقات ، ولا تثرى جماعة على حساب الاخرى »[٥] .

ب ـ طبيعة العدو السياسي

٦ ـ اسرائيل قوة انقسامية ، عدوانية ، وتوسعية .

٧ ـ التوسع الاسرائيلي هو هدف صهيوني تاريخي اصيل ، بينما العدوانية الاسرائيلية هي نتيجة لطبيعة قادة اسرائيل .

٨ ـ الاستعمار الغربي هو العدو الرئيسي واسرائيل ليست الا مجرد اداة للاستعمار .

من الخصائص المميزة للنظام العقيدي الناصري في المراحل التكوينية ، ان عبد الناصر لم ينظر الى الصراع العربي ـ الاسرائيلي كاحدى اولويات سياسته الخارجية ، على الاقل خلال العامين التاليين لثورة يوليو مباشرة . فقد دارت معظم عقائده السياسية حول قضية جلاء القوات البريطانية من منطقة قناة السويس ، وقضية التعامل مع قوى المعارضة الداخلية . فإذا أخذنا التحليل التكراري كمعيار ، فإن الجدول رقم (٤ ـ ٢) ، الذي يوضح تكرار الاشارة الى الاعداء ، يدلنا على ان ٧٥ بالمائة من اشارات عبد الناصر الى الاعداء السياسيين خلال عامي ١٩٥٣ـ ١٩٥٤ كانت تتعلق ببريطانيا وباعدائه في الداخل (الوفد) الاخوان المسلمين والشيوعيين ، وان

---

(٤) جمال عبد الناصر، تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر (القاهرة : مصلحة الاستعلامات، [د.ت.])، ص ٨ .

(٥) ولو أنه اشار في هذا الكتاب ـ لاول مرة ـ الى ضرورة اقامة « نظام اشتراكي عتيد » .

اسرائيل لم تظهر كعدو رئيسي الا عام ١٩٥٥ حيث تمثل الاشارة اليها كعدو حوالى ٥٩ بالمائة من جملة الاشارات الى الاعداء . ومن الادلة على ان اسرائيل لم تكن مطروحة في فكر عبد الناصر ، خلال تلك الفترة ، انه في خطابه في جامعة القاهرة في ١٥ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٢ ، وفي مقابلته الصحفية مع صوت امريكا المنشورة بالاهرام في ٢٦ / ٢ / ١٩٥٣ لم يشر عبد الناصر الى اسرائيل او القضية الفلسطينية .

جدول رقم (٤ـ ١)

التوزيع التكراري لعقائد عبد الناصر المتعلقة بالعالم السياسي ، للسنوات ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦

السنة / العقيدة	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	المجموع
١ ـ طبيعة العالم السياسي[1]	—	٦	١	٢	٩
(أ) صراعي[2] (٪)		٨٣	١٠٠	١٠٠	٨٩
(ب) انسجامي (٪)		١٧	—	—	١١
أ ـ مصادر الصراع		٢			٢
(أ) الطبيعة البشرية					
(ب) لايديولوجية في الدولة (٪)					
(ج) الخصائص السياسية للدولة (٪)		١٠٠			١٠٠
ب ـ شروط السلام الاجتماعي	٣	١		٥	٩
(أ) الاتصال (٪)				٢٠	١١
(ب) المساواة (٪)	١٠٠	١٠٠		٨٠	٨٩
ج ـ طبيعة الصراع		١	٠	١	٢
(أ) مباراة صفرية (٪)		١٠٠		١٠٠	١٠٠
(ب) مباراة لاصفرية (٪)					
د ـ وظيفة الصراع		٣	—	—	٣
(أ) ضروري (٪)		٣٣			٣٣
(ب) وظيفي (٪)		—	—	—	—
(ج) غير وظيفي (٪)		٦٧	—	—	٦٧

(١) عدد التكرارات .

(٢) نسبة العقيدة من التكرارات .

جدول رقم (٤-٢)

التوزيع التكراري للاعداء في الادراك الناصري ، للسنوات ١٩٥٣ - ١٩٥٦

السنة / العدو	١٩٥٣ (٪)	١٩٥٤ (٪)	١٩٥٥ (٪)	١٩٥٦ (٪)	المجموع
اسرائيل	٢,٤	١٥,٣	٥٨,٨	٢٢,٤	٩٦
اسرائيل والاستعمار	١,٢	١,٦		١٠,٩	٢٠
الاستعمار	١٠,٦	٥,٦	٨,٨	١٠,٩	٣٩
بريطانيا	٦٠,٠	١٣,٧	٢,٩	١٠,٣	٨٦
الولايات المتحدة	١,٢		٢,٩	١,٩	٦
فرنسا	–			١,٩	٣
بريطانيا وفرنسا	١,٢		٢,٩	١٩,٩	٣٤
الغرب	١,٢	٠,٨	١,٥	١٠,٣	١٩
الشرق		٠,٨			١
العرب				٢,٦	٤
اعداء داخليون	٢٢,٤	٦٢,١	١٩,١	٩,٠	١٢٣
آخرون			٣,٠		٢
عدد التكرارات	٨٥	١٢٤	٦٨	١٥٦	٤٣٣
العدد الكلي للفقرات	١١٣	٢٠٥	١٤٤	٢٤٧	٧٠٩

وفي المقابلة الاخيرة ، اكد عبد الناصر لمستمعيه الامريكيين ان « جهودنا الحاضرة لا تضمر الضغينة او العدوان تجاه اي امة قريبة او بعيدة » . كما ناشد عبد الناصر الامم التي « على الرغم مما يكون قد سبق من تنافر او سوء تفاهم معها ، ان تبرهن على ان لها فضيلة الاعتراف بالخطأ والرغبة في تقويم ما قد اعوج من الماضي »(٦) .

بيد ان ذلك لم يعن ان عبد الناصر لم يكن مهتماً بالقضية الفلسطينية . ففي مقابلة صحفية في

---

(٦) كذلك فقد نشرت مجلة التحرير التي كانت تصدر عن ادارة الشؤون العامة للقوات المسلحة المصرية ، في عددها الصادر في ١٧ / ٩ /١٩٥٣ ملخصاً وافياً لمقالة كتبها يروهان كوهين عن اتصالاته بعبد الناصر خلال حرب فلسطين عام ١٩٤٨، وهي المقالة المنشورة في :

Jewish Observer and Middle East Review, 13/2/1953.

وفي نظرنا أن نشر هذا الملخص ، الذي تضمن اشادة بنضال اليهود ضد البريطانيين ، في مجلة كان يسيطر عليها حلفاء عبد الناصر له دلالة هامة فيما يتعلق بأولوية اسرائيل في الفكر الناصري في تلك الفترة .

آذار / مارس عام ١٩٥٣ . انتقد عبد الناصر سياسة الولايات المتحدة التي تقوم على تجاهل العرب « وحقهم في الحياة مع الاقلية اليهودية في وئام وسلام في حدود دولة واحدة ذات كيان سياسي واقتصادي واحد »[٧] .

وعلى المستوى السياسي ، ظلت الجبهة المصرية ـ الاسرائيلية هادئة منذ توقيع اتفاقية الهدنة عام ١٩٤٩ حتى منتصف عام ١٩٥٣ تقريباً ، رغم ان الحكومة المصرية قبل قيام ثورة تموز / يوليو كانت قد حظرت مرور السفن الاسرائيلية في خليج العقبة وقناة السويس . وجاء الصدام المصري ـ الاسرائيلي في ٢٨ آب / اغسطس عام ١٩٥٣ حينما هاجمت القوات الاسرائيلية معسكر البريج للاجئين وقتلت ٢٠ لاجئاً فلسطينياً . وفي الشهر التالي ، طردت القوات الاسرائيلية البدو المصريين من منطقة العوجة المنزوعة السلاح وأقامت كيبوتزاً في تلك المنطقة مدعية لنفسها حقوق السيادة في المنطقة[٨] . وأعقب ذلك تصاعد الغارات الاسرائيلية على المناطق المصرية والاردنية ، تصاعداً واضحاً[٩] .

في هذا السياق ، كتب عبد الناصر مقدمة للترجمة العربية لكتاب اسرائيل كوهين المسمى ، الحركة الصهيونية والتي نشرت في آذار / مارس عام ١٩٥٤ . في هذه المقدمة كتب عبد الناصر عن الصهيونية :

« ان المعركة بيننا وبين الصهيونية لم تنته بعد ، بل لعلها لم تبدأ بعد ، فإن لنا ولها غدا قريباً او غدا بعيدا ، نغسل فيه عاراً ، ونحقق امنية ، ونسترد حقاً »[١٠] .

---

(٧) الاهرام ، ٢ / ٣ / ١٩٥٣ .

(٨) Kenneth Love, *Suez, the Twice Fought War: A History* (London: Longman, 1970), p. 12.

وقد رد عبد الناصر على ذلك بالغاء التصريح الذي سمح لاسرائيل سراً ، بالملاحة في قناة السويس ، واخطر مجلس الامن أن مصر لن تعيد العمل بالتصريح الا اذا اتخذ المجلس اجراءات فعّالة لوقف انتهاك اسرائيل للهدنة .

(٩) في تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٥٣ ، قتلت القوات الاسرائيلية ٦٦ فلسطينياً في غارة على قرية قبية ، وفي آذار / مارس من العام التالي قتلت تسعة فلسطينيين في غارة على قرية نحالين . وفي نيسان / ابريل عام ١٩٥٤ قتل ثلاثة جنود مصريين في غارتين على المواقع المصرية . وقد بررت اسرائيل غاراتها بأنها مجرد ردود فعل انتقامية للغارات التي يقوم بها الفلسطينيون والمصريون داخل اسرائيل . بيد ان لجان الهدنة المشتركة اعتبرت اسرائيل مسؤولة عن تلك الاعمال . ويذكر كينيث لف أن الاعمال الفدائية داخل اسرائيل كان يقوم بها افراد طردوا من قراهم ويحاولون استعادة ممتلكات كانوا قد تركوها وراءهم . ويسوق على ذلك حادثة ١٧ آذار / مارس عام ١٩٥٤ التي قتل فيها ١١ اسرائيلياً في حادث انفجار اوتوبيس بصحراء النقب . فقد أكد مراقبو الهدنة من رجال الامم المتحدة ان المسؤول عن الانفجار هم افراد قبيلة العزازمة التي كانت القوات الاسرائيلية قد طردتها ـ بعد ان كبدتها خسائر فادحة ـ من مناطق الكلأ في جنوب غرب بيرسبع الى سيناء . وقد أبرق الجنرال بينايك بذلك الى مجلس الامن ، بيد ان اسرائيل كانت قد سبقت بمهاجمة قرية نحالين ، انظر :

Love, Ibid., pp. 61-62.

(١٠) عبد الناصر ، تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر ، ص ٦٤ .

هكذا بدا عبد الناصر ينظر الى اسرائيل كدولة توسعية عدوانية لا تقبل الحلول الوسط وتريد ضم اراضٍ عربية جديدة. ففي خطاب جماهيري في ١٩ نيسان / ابريل عام ١٩٥٤ ، تحدث عبد الناصر ، ولأول مرة عن الصهيونية العالمية باعتبارها حركة توسعية تريد ان « تحتل وادي النيل وجزءاً من العراق وجزءاً من المملكة العربية السعودية » . وفي مقابلة مع مجلة امريكية في ٣٠ آب / اغسطس عام ١٩٥٤ أوضح عبد الناصر ان اسرائيل تشطر العالم العربي الى جزأين . وفي ٣١ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٥٤ نشر مقالاً في جريدة الاخبار القاهرية حول أشكال الاستعمار ، وأتى فيه على ذكر الصهيونية كأحد اشكال الاستعمار :

« ومنه لون كالذي فعلته الصهيونية بفلسطين واهل فلسطين ، اذ هاجر اليها اليهود لائذين مما يلقون في بعض البلاد من عنت ما نالهم بحق او بغير حق ، فلم يكادوا يضعون اقدامهم في ارض السلام حتى اشعلوها حرباً ، ثم زعموا انها بلادهم لا بلاد اهلها ، وشردوهم في الآفاق بلا مأوى ليأووا الى مساكنهم ، وطردوهم من وطنهم ليتخذوه لأنفسهم وطناً . ذلك ايضاً لون من الاستعمار »[11] .

عقب الغارة الاسرائيلية على غزة في ٢٨ شباط / فبراير عام ١٩٥٥ ، والتي قتل فيها ٤٢ جندياً مصرياً[12] ، حدث تحول واضح في عقائد عبد الناصر المتعلقة باسرائيل. فقد انزعج عبد

---

(١١) المصدر نفسه ، ص ١١٧ .

(١٢) حتى الغارة الاسرائيلية على غزة ، لم يكن عبدالناصر قد عبّر عن اي اهداف او عقائد ازاء اسرائيل سوى ادراك اسرائيل قوة توسعية ، وهدف تنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بفلسطين ، مع تبني استراتيجية دفاعية ازاء اسرائيل . على المستوى الخاص ، حاول عبد الناصر التوصل الى تسوية سلمية مع رئيس الوزراء الاسرائيلي شاريت من خلال الملحق الصحفي المصري بباريس والصحفي المصري ابراهيم عزت . ويذكر يوري افنيري انه عام ١٩٥٤ طلب عبد الناصر من السردار بانيكار ، سفير الهند في القاهرة ، ان يرتب له لقاءً سرياً مع شاريت ، انظر :
Uri Avnery, *Israel without Zionists: A Plea for Peace in The Middle East* (London: Macmillan, 1969), p. 113.

كذلك يذكر سيمحا فلابان أن موريس اورياك ، عضو البرلمان البريطاني آنئذٍ ، قد ذكر له أنه قد قابل عبدالناصر مراراً عام ١٩٥٤ بناء على طلب شاريت وأنه كان على وشك ترتيب اتفاق عدم اعتداء مصري ـ اسرائيلي مع مساعدي عبدالناصر ، انظر :
Simha Flapan, «Resolving the Israeli-Arab Conflict: Some Missed Opportunities,» *New Outlook*, vol. 16, no. 4 (May 1973), p. 38.

وفي مقابلة شخصية مع الكاتب الصحفي ابراهيم عزت عام ١٩٨٠ ذكر أن عبدالناصر في تلك الفترة قد حمّله رسالة مكتوبة الى رئيس الوزراء الاسرائيلي ، وأنه قد سلّمها فعلاً ، وقام بزيارة واسعة لاسرائيل التقط خلالها العديد من الصور التي اطلع عليها الرئيس عبدالناصر بعد عودته الى مصر . كذلك يذكر الاستاذ خالد محيي الدين عضو مجلس قيادة الثورة ، انه خلال فترة وجوده في سويسرا عام ١٩٥٤ عقب خلافه مع عبد الناصر ، علم بوجود اتصالات سرية بين مصر واسرائيل من خلال الملحق الصحفي المصري في برن ، وان الغرض من تلك الاتصالات كان هو التأكيد لاسرائيل ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي سيسوى بعد جلاء القوات البريطانية ، انظر : المقابلة مع خالد محيي الدين في : احمد حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، ج ٤ : شهور ثورة يوليو (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٧) ، ص ١٦٠ . ويذكر الجنرال بيرنز قائد قوات الامم المتحدة المشرفة على الهدنة ، ان عبدالناصر =

الناصر من وحشية الغارة ومن التصريحات التي ادلى بها قادة اسرائيل عقب الغارة والتي أكدوا فيها نية التوسع . وقد استشهد عبد الناصر بتصريحات ادلى بها بن غوريون في (١ / ١٠ / ١٩٥٥) ومناحيم بيغن في (٢/ ١٠/ ١٩٥٥) وباعلان المؤتمر الصهيوني العالمي في نيسان / ابريل ١٩٥٦ ، كدلائل على نية التوسع الاقليمي لدى قادة اسرائيل . وقد اعتبر عبد الناصر الغارة الاسرائيلية على غزة بمثابة « نقطة تحول » في العلاقات العربية ـ الاسرائيلية .

ففي حديث ادلى به لجريدة نيويورك تايمز في (٦ / ١٠ / ١٩٥٥) اوضح ان الغارة قد دقت ناقوس الخطر بالنسبة لمصر ، وانها قد أنهت السلام بين العرب واسرائيل[١٣] . وفي مقابلة صحفية مع الكاتب البريطاني ديزموند ستيوارت (١ / ٤ / ١٩٥٧) قال عبد الناصر : « في فجر

= اكد له في تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٤ ، انه لا يريد اية متاعب على الحدود مع اسرائيل ، انظر :
Eedson Louis Millard Burns, *Between Arab and Israeli* (Toronto: Clarke and Irwin, 1962), p. 18.

كما يذكر كينيث لف ان عبد الناصر اكد لريتشارد كروسمان ، عضو البرلمان البريطاني ، انه لا يعتبر اسرائيل خطراً عسكرياً رئيسياً ، وانه ينوي ان يخصص معظم الميزانية المصرية للاغراض الاقتصادية ويقلل الى ادنى حد ممكن مشتريات السلاح ، انظر :
Love, *Suez, the Twice Fought War: A History*, p. 14.

واخيراً ، وافق عبد الناصر ، خلال تلك الفترة ، على مشروع اريك جونستون ، مبعوث الرئيس ايزنهاور ، الخاص بتقسيم قيادة نهر الاردن بين اسرائيل والبلدان العربية المجاورة .

من الواضح اذاً ، ان عبد الناصر قد قام في بداية سنواته في السلطة بمحاولة حقيقية لتسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي خاصة انه ذكر في خطاب له عقب توقيع اتفاق الجلاء مع بريطانيا ، ان تلك الاتفاقية ستكون نموذجاً لتسوية المشكلات الاخرى في المنطقة . بيد أن اسرائيل ردت على تلك المحاولات بتدبير عملية ارهابية في القاهرة في تموز / يوليو عام ١٩٥٤ . فقد ارسلت اسرائيل بعض عملائها الى القاهرة لالقاء بعض القنابل على المنشآت الدبلوماسية البريطانية والامريكية ، بهدف تقويض العلاقات بين مصر وكل من بريطانيا والولايات المتحدة وتأخير جلاء القوات البريطانية وقد قامت قوات الشرطة المصرية بالقبض على الاسرائيليين ، وتمت محاكمتهم واعدام بعضهم . وعقب ذلك استقال بنحاس لافون وزير الدفاع الاسرائيلي ، وتولى بن غوريون رئاسة الوزراء. وعقب تولي بن غوريون السلطة قامت القوات الاسرائيلية بشن الغارة على مدينة غزة، مبررة اياها باحصاءات عن التسللات عبر الحدود . بيد ان مراقبي الامم المتحدة رفضوا التبريرات الاسرائيلية ، كما أن هنري بايرود ، السفير الامريكي في القاهرة آنئذٍ ، رفض الادعاءات الاسرائيلية في شهادة له امام مجلس الشيوخ الامريكي ، انظر شهادته كما وردت في :
Keith Wheelock, *Nasser's New Egypt: A Critical Analysis*, Foreign Policy Research Institute series, 8 (New York: Praeger, 1960), pp. 222-223.

(١٣) في مذكراته ، اوضح عبداللطيف البغدادي ، نائب الرئيس عبدالناصر ، انه بعد تسوية الخلاف بين عبدالناصر ومحمد نجيب في تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٤ ، كان عبد الناصر مصمماً على تركيز جهوده على التنمية الاقتصادية وخفض مستوى الانفاق العسكري عند الحد الادنى الممكن. واضاف ان الغارة الاسرائيلية كانت بمثابة نقطة التحول في تفكير عبد الناصر بالنسبة لاسرائيل ، خاصة أنها جاءت بعد يومين من زيارة ايدن لمصر والتي فشل فيها ايدن في اقناع عبد الناصر بالدخول في حلف للشرق الاوسط ، وبعد ثلاثة ايام من توقيع ميثاق حلف بغداد . كل ذلك دفع عبدالناصر الى الاعتقاد أن الهدف من الغارة هو اظهار عجز مصر امام حلفاء الغرب ، انظر : عبداللطيف البغدادي ، مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، ٢ج (القاهرة : المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٧) ، ج١ ، ص ١٩٧ - ٢٠٢ .

الثورة كنت ضد فكرة تكوين جيش كبير لأنني كنت أتمنى الحياة في سلام ومودة مع جميع الدول . بيد أن الهجـوم الوحشي الذي شنته اسرائيل على غزة غيّر هذه الفكرة في ليلة واحدة ، ٢٨ فبراير عام ١٩٥٥ ، في هذه الليلة ايقنت أننا في حاجة الى السلاح للدفاع عن سلامة اراضينا ، لقد رأيت اللاجئين في فلسطين ، وكـان يعزّ عـليّ أن أرى المصريين وقد صاروا هم ايضاً لاجئين » .

وفي خطاب ألقاه في افتتاح دورة مجلس الامة في (٢٢ / ٧ / ١٩٥٧) أعـاد تأكيـد هذا المعنى : « قبل هذه الغارة على غزة ، لم نكن نشغل أنفسنا كثيراً بخطر اسرائيل . كنا في ذلك الوقت نعتبر خطر اسرائيل هو مشكلة سباقنا مع الوقت لبناء أوطاننا . كنا نعتبر أن خطر اسرائيـل في حقيقة امره يكمن في ضعف العرب . ولكن دخان الغارة على غزة في ٢٨ فبراير عام ١٩٥٥ ، انجلى ليكشف حقيقة خطيرة ، تلك هي أن اسرائيل ليست الحدود المسروقة وراء خطوط الهدنة ، وانما اسرائيل في حقيقة امرها رأس حربة الاستعمار ، ومركز تجمع لقوى اخطر من اسرائيل واخطر من الاستعمار ومن الصهيونية العالمية . وكانت هذه الحقيقة التي انجلى عنها دخان الغارة على غزة ، نقطة تحول في تفكيرنا » .

من هنا يتضح أن التحول في عقائد عبد الناصر المتعلقة باسرائيل ، كـان نتيجة للسلوك الاسرائيلي . ومنذ تلك اللحظة بدأ عبد الناصر يدرك أن اسرائيل عدو يهـدف الى التوسـع في الاراضي العربية والقضاء على القومية العربية[١٤] . ففي خطابه في نادي الضباط في غزة في ١٣ ايار / مايو عام ١٩٥٦ ، قال :

---

(١٤) بيد أنه ، نظراً لاختلال التوازن العسكري المصري ـ الاسرائيلي لصالح اسرائيل ، استمر عبدالناصر في جهوده لتهدئة الموقف على الحدود المصرية ـ الاسرائيلية . ففي حزيران / يونيو عام ١٩٥٥ اقترح على الجنرال بيرنز اقامة منطقة منزوعة السلاح على جانبي الحدود بين مصر واسرائيل فاصلاً بين القوات ، كما قبل اقتراح بيرنز باقامة دوريات مشتركة لمراقبة الحدود . بيد ان اسرائيل رفضت تلك المقترحات . انظر :

Burns, *Between Arab and Israeli*, p. 97.

وفي تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٥ ، قابل ليستر بيرسون ، وزير خارجية كندا في ذلك الوقت ، وأكد له استعداد مصر للاعتراف باسرائيل اذا أبدت اسرائيل استعداداً لاحترام حقوق الفلسطينيين ، انظر :

Lester Pearson, *Mike: The Memoires of the Right Honorable Lester Pearson* (Toronto: Toronto University Press, 1972), vol. 2, pp. 221-222.

كما اوضح الامر نفسه روبرت اندرسون ، مبعوث الرئيس الامريكي ايزنهاور الذي حاول التوسط للتوصل الى تسوية عربية ـ اسرائيلية في كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٥ ، انظر :

Mohamed [Hasanyan] Heikal , *The Cairo Documents: The Inside Story of Nasser and His Relationships with World Leaders, Rebels and Statesmen* (New York: Doubleday, 1972), pp. 55-56.

ويذكر امين شاكر ، مدير مكتب عبد الناصر في تلك الفترة ، ان عبدالناصر اتصل ببن غوريون عقب الغارة على غزة من خلال الملحق الصحفي المصري بباريس لحثه على التخلي عن نظرية فرض التسوية بالقوة على العرب ، انظر : امين شاكر ، « منطق العملاء ، » الاهرام ، ١٦ / ١٢ / ١٩٧٧ . واكثر من ذلك ، ففي نيسان / ابريل عام ١٩٥٦ ، وافق عبدالناصر على مقابلة مبعوث اسرائيلي لمناقشة فرص التوصل الى تسوية سلمية . بيد أن الاجتماع لم يتم بسبب تدخل وزارة الخارجية البريطانية عقب تأميم شركة قناة السويس في تموز / يوليو من العام نفسه ، انظر :

= Flapan, «Resolving the Israeli-Arab Conflict: Some Missed Opportunities,».

« ان الخطة الكبيرة هي القضاء على القومية العربية في المنطقة ، ولم يعد ذلك سراً . إن المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في الشهر الماضي في اسرائيل طالب بتحرير الوطن الاسرائيلي الذي يحلمون به من النيل الى الفرات من العرب . ان العرب في رأيهم دخلاء غاصبون . ان فلسطين في رأيهم أرض يحتلها العرب من غير وجه حق . ان مديرية الشرقية في رأيهم ايضاً بلد يحتله العرب ايضاً من غير وجه حق . ان سوريا ولبنان والاردن والعراق ، بلاد يحتلها العرب كذلك في رأيهم من غير وجه حق . ذلك منطقهم وتلك خطتهم » .

وفي مناسبة تأميم شركة قناة السويس في ٢٦ تموز / يوليو عام ١٩٥٦ ، أعاد عبد الناصر تأكيد مفهومه لاسرائيل كقوة توسعية : « كان الصهيونيون يعلنون أن وطنهم المقدس يمتد من النيل الى الفرات ، يقولون في برلمانهم عن حرب مقدسة ، فالعملية ابادة للعرب وقضاء على الجنس » .

بالاضافة الى اهدافها التوسعية ، اعتقد عبد الناصر أن اسرائيل هي عامل من عوامل التوتر وعدم الاستقرار والعدوان في الشرق الاوسط . فأحد اهداف اسرائيل هو « عرقلة تعزيز اية دولة من دول المنطقة » (١٩ / ١٢ / ١٩٥٤) . هذا بالاضافة الى النوايا العدوانية التي تحاول اسرائيل من خلالها فرض السلام واجبار العرب على قبول الامر الواقع عن طريق العدوان (١٦ / ١١ / ١٩٥٥) . وفي خطابه في احتفال كلية اركان حرب في ١٣ تموز / يوليو عام ١٩٥٥ أكد عبد الناصر مرة اخرى تلك المعاني : « اذا كانت اسرائيل تمثل العدوان الخارجي وتمثل الضغط الاجنبي ، فإن وجود اسرائيل التي خلقت في هذه المنطقة لفرض السيطرة عليها ، ولغرض ايجاد نوع من انواع التوتر فيها ، فإن وجود اسرائيل يمثل الخطرين ، العدوان والسيطرة ، وخطر التدخل الاجنبي والتهديد » .

أين اذاً تقع اسرائيل بالنسبة لخريطة الصراع الاقليمي في مفهوم عبد الناصر ؟

نظر عبد الناصر الى الصراع العربي ـ الاسرائيلي كعلاقة ثلاثية تضم العرب واسرائيل والاستعمار الغربي ، كما اعتبر ان الصراع العربي ـ الغربي حول السيطرة على الدفاع عن العالم العربي بمثابة « القضية الاساسية في الشرق الاوسط ، وليس الصراع العربي ـ الاسرائيلي » (١٤ / ٥ / ١٩٥٦) .

« خطة الاستعمار دائماً هي القضاء على الامم العربية جميعاً . وهي ليست خطة قصيرة الاجل ، ولكنها خطة طويلة الاجل تهدف الى القضاء على العروبة كلها » (١٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٣) . « ان الدول

وفي اب / اغسطس عام ١٩٥٥ ، وبعد غارة اسرائيلية اخرى على غزة ، أمر عبدالناصر بتكوين قوات الفدائيين للعمل داخل اسرائيل ، انظر :

Love, *Suez, the Twice Fought War: A History,* p. 86.

وقد ادى ذلك الى تصاعد الصدامات المصرية ـ الاسرائيلية حتى وافق عبد الناصر على وقف اطلاق النار مع اسرائيل في نيسان / ابريل عام ١٩٥٦ . في خلال تلك الصدامات ، احتلت اسرائيل منطقة العوجة المنزوعة السلاح . وجاء أعنف تلك الصدامات في الهجوم الاسرائيلي على الصبحة في ليلة ٢ ـ ٣ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٥ ، وهو الهجوم الذي جاء بعد ١٠ ساعات فقط من عرض بن غوريون ان يقابل عبدالناصر للتوصل الى تسوية ، كما قال عبدالناصر الى :

New York Times, 3/11/1955.

الغربية جميعها مشتركة في خطة التآمر على العالم العربي . خطتهم استمرار الحرب التي اعلنت عام ١٩١٧ لتحطيم القومية العربية . ان الحرب مستمرة في فلسطين والجزائر وشمال افريقيا . ان الغرب متآمر علينا » (١٤ ايار / مايو ١٩٥٦) .

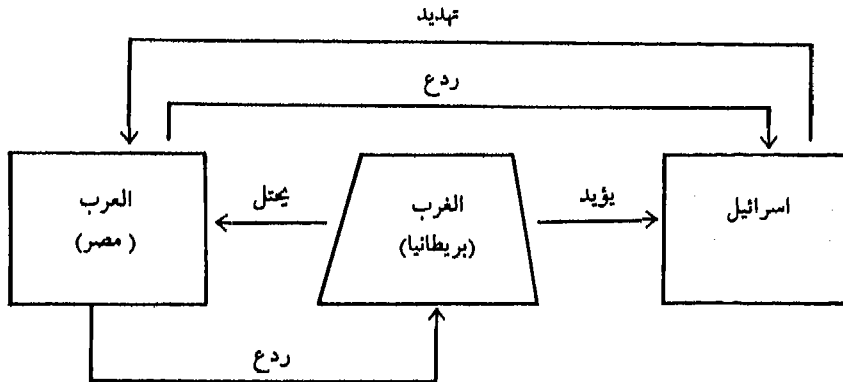
معنى ذلك ان عبد الناصر اعتبر الغرب ، وبالذات بريطانيا العدو الرئيسي لقضية التحرر العربي . فالهدف الاساسي للغرب هو ازالة القومية العربية .

ومن هذا المنطلق اعتبر عبدالناصر ان محاولة جون فوستر دالاس وانتوني ايدن ادخال مصر وباقي الدول العربية في حلف عسكري غربي بمثابة جزء من محاولة الدول الاستعمارية الغربية ادخال اشكال جديدة من الاستعمار في المنطقة (٢٤ آذار / مارس عام ١٩٥٦) . كذلك فقد اعتبر ان اسرائيل عدو ثانوي تابع للعدو الاكبر وهو الاستعمار الغربي .

والواقع ان هذا التحليل لطبيعة الصراع العربي ـ الاسرائيلي باعتباره صراعاً مرتبطاً بصراع اكبر مع الاستعمار ، كان موجوداً في فكر عبدالناصر منذ اواخر عام ١٩٥٣ . ففي خطبة القاها في « نادي فلسطين » في ١٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٣ ، أكد عبد الناصر لمستمعيه الفلسطينيين ان العدو الرئيسي ليس اسرائيل ، ولكنه بريطانيا ، فبريطانيا هي الدولة التي شجعت الاستيطان اليهودي في فلسطين كما أمدت اسرائيل بالسلاح ، واسرائيل في النهاية ليست الا عميلاً لبريطانيا . وكما هو واضح من الجدول رقم (٥ ـ ٢)، فقد أشار عبد الناصر في تلك الفترة (١٩٥٣ ـ ١٩٥٦) الى الدول الغربية كعدو في ٤٣ بالمائة من مجموع التكرارات ، بينما اشار الى اسرائيل كعدو في ٢٦ بالمائة فقط من التكرارات .

ويوضح الشكل رقم (٤ ـ ١) ، مفهوم عبد الناصر في تلك الفترة للعلاقة بين الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، والصراع العربي ـ الغربي .

شكل رقم (٤ ـ ١)
تصور عبد الناصر للصراع العربي ـ الاسرائيلي ،
للسنوات ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦



فالغرب ، وبالذات بريطانيا ، هو العدو المباشر الذي خلق اسرائيل ، وايدها بالسلاح ، كما أنه في الوقت نفسه يحتل بعض البلاد العربية ويحاول القضاء على استقلال البعض الآخر . ومن هنا ، وكما سنوضح في قسم لاحق ، فإن الاستراتيجية العربية الاساسية يجب ان تكون ردع الغرب وبالتالي اسرائيل .

بناء على ذلك ، فإن عبد الناصر ، ابتداء من عدوان غزة بالتحديد ، طوّر مفهوماً محدداً للدور الدولي والاقليمي الذي تلعبه اسرائيل ألا وهو دور العميل الاستعماري ، ودور التخريب الاقليمي . فاسرائيل هي أساساً اداة استعمارية يستعملها الاستعمار (البريطاني في تلك الفترة) لاضعاف القومية العربية وزعزعة الاستقرار الاقليمي في المنطقة . ففي خطاب له بالجبهة الشرقية في ١٤ ايار / مايو عام ١٩٥٦ قال :

« كلنا نعرف ما هي الأسباب التي خلقت اسرائيل من اجلها ، لا من اجل وطن قومي لليهود فحسب ، وإنما خلقت لتكون عاملاً من عوامل القضاء على القومية العربية الموجودة في هذه المنطقة المتوسطة من العالم ، خلقت اسرائيل لاضعافنا ولاثارة المتاعب في طريقنا » .

وفي مناسبة تأميم شركة قناة السويس في ٢٦ تموز / يوليو عام ١٩٥٦ قال : « حاول الاستعمار بكل وسيلة من الوسائل أن يضعف قوميتنا وأن يضعف عروبتنا وأن يفرق بيننا ، فخلق اسرائيل صنيعة الاستعمار » .

والواقع ان اسرائيل ذاتها قد أسهمت في خلق وترسيخ هذا المفهوم لدى عبدالناصر . فمشاركة اسرائيل الفعّالة في العدوان البريطاني ـ الفرنسي على مصر عام ١٩٥٦ ، واسهامها العسكري في محاولة اعادة النفوذ الاستعماري الغربي الى مصر بعد ان نجح عبد الناصر في تحقيق الجلاء البريطاني وتأميم شركة القناة ، كل ذلك أقنع عبدالناصر ان اسرائيل فعلاً ، وليس تصوراً ، هي عميلة استعمارية . وقد أكد عبدالناصر ذلك بنفسه حينما صرّح في ٢٨ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٦ بأن « النتيجة المستخلصة من العدوان البريطاني ـ الفرنسي ـ الاسرائيلي هي : اولاً : ان اسرائيل تعتبر منطقة وثوب يستخدمها الاستعمار » .

ما هي مصادر التوسعية والعدوانية الاسرائيلية في مفهوم عبدالناصر في تلك الفترة؟ الواقع ان الاجابة عن هذا التساؤل مهمة لأنها تحدد الى حد كبير مدى مرونة وجمود مفهوم عبدالناصر لاسرائيل . فالقائد السياسي الذي ينظر الى عداء العدو باعتباره عداء اصيلاً نابعاً من ذاته ولا يمكن تغييره ، لا يحتمل أن يغير مفهومه للعدو ، ما لم يُحدث الاخير تغييراً أساسياً في كيانه . وبالعكس ، فإن القائد السياسي الذي يعتبر عداء العدو عملية مؤقتة مرهونة بضغوط معينة يتعرّض لها العدو وتفرض عليه العداء ، يحتمل الى حد كبير ، أن يغيّر مفهومه السلبي للعدو . في تلك المرحلة مزج عبدالناصر بين المفهومين بشكل يعكس خصائص المرحلة التكوينية . فمن ناحية فهم عبد الناصر العدوانية الاسرائيلية على أنها نتيجة للضغوط الخارجية وللخصائص العدوانية للقيادة الاسرائيلية . فالاعمال الانتقامية الاسرائيلية هي اعمال خططها بن غوريون وقيادات اسرائيل لاشباع نزعاتهم العدوانية (٢ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٥٥) . كذلك ، فالاعمال

العدوانية الاسرائيلية ، ونزعات السيطرة الاقليمية لدى اسرائيل ، هي نتيجة للضغوط الخارجية التي تبذلها القوى الاستعمارية على اسرائيل لكي تلعب دوراً معيناً (١٣ تموز / يوليو عام ١٩٥٥ ، ١٨ ايلول / سبتمبر عام ١٩٥٦)(١٥) .

من ناحية ثانية ، فإن عبد الناصر عزا التوسعية الصهيونية الى العقيدة الصهيونية التي تنهض على تصور وجود حق تاريخي للصهاينة في المنطقة الممتدة من النيل الى الفرات (٢٦ تموز / يوليو عام ١٩٥٦) . وكما سنرى فيما بعد فإن المفهوم سيطر على المرحلتين اللاحقتين .

٩ ـ كلما أعطيت العدو تنازلات ، زادت عدوانيته .

١٠ ـ كلما زادت صلابتك واستعدادك ، كان العدو اكثر استعداداً للتراجع .

ومن الاهمية بمكان فهم حسابات عبدالناصر السياسية حول احتمال ردود افعال الاعداء السياسيين . فقد كان عبد الناصر ينظر الى اعدائه السياسيين من منطلق الشك في نوعية ردود افعالهم تجاه سياساته . فمن ناحية ، من المحتمل الى حد كبير ـ في نظر عبدالناصر ـ ان يفسر العدو اي بادرة من بوادر التساهل او التنازل على أنها تعبير عن الضعف ، وبالتالي سينتهز الفرصة للحصول على مكاسب اكبر ، دون أن يرد بالمثل . اما اذا واجه العدو موقفاً صلباً واستعداداً متكاملاً لملاقاته ، فإنه في هذه الحالة ـ وفي هذه الحالة فقط ـ سيتراجع ويقدم التنازلات .

« يوم يدرك الانكليز اننا اصبحنا أقوياء ، فلن يبقوا بأرض القنال » (١ كانون الثاني / يناير ١٩٥٤) .

كذلك، اذا شعرت اسرائيل، في اي لحظة، بأن مصر ليست مسلحة تسليحاً قوياً، فإنها ستستغل الفرصة لتشن هجوماً شاملاً . أما اذا أخذت مصر بأسباب القوة ، فإن اسرائيل ستتراجع ، ومن الممكن بذلك أن تكسب مصر المعركة قبل أن تبدأ . فالعدو اذاً لن يتراجع الا اذا شعر أن فرصته من كسب ثمار العدوان ضعيفة للغاية .

« يجب أن تكون مصر ، والدول العربية من القوة بما يكفي للقضاء على كل نزعة لاسرائيل في العدوان . فإن الاسرائيليين اذا اعتقدوا أننا لسنا مسلحين انقلبت مشاغباتهم الى هجوم شامل حقيقي » (٢٦ كانون الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٥) .

وقد انعكست تلك التصورات لاحتمالات ردود افعال العدو لتصرفات عبد الناصر ، على نوعية الاستراتيجية السياسية المفضلة في التعامل مع الاعداء السياسيين ، كما سنرى في قسم لاحق . فنتيجة لذلك التصور ، اعتقد عبد الناصر ان افضل استراتيجية للتعامل مع العدو هي استراتيجية الردع والصلابة .

---

(١٥) وذلك يعكس التصور الناصري لاسرائيل في الفترتين اللاحقتين والذي اقتصر على النظر الى العداء الاسرائيلي كظاهرة اصيلة نابعة من الكيان الصهيوني .

جدول رقم (٤ ـ ٣)

التوزيع التكراري لعقائد عبد الناصر المتعلقة بالعدو السياسي ، للسنوات ١٩٥٣ـ ١٩٥٦

العقيـدة / السنـة	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	المجموع
٢ ـ طبيعة العدو[1]	١٥	٣٣	٢٦	٥٩	١٣٣
تدميرية (٪)	٢٧	٣٩	(١٢)١٩	(٨)٤١	٣٥
توسعيـة (٪)	٧	(٦)٩	(٣١)	(١٤)٣٩	٢٦
عدوانيـة (٪)	٦٦	(٢١)٥٢	(٣٥)٥٠	(٢)٢٠	٣٩
أ ـ مصادر اهداف العدو	٢	٦	٨	٤	٢٠
الايديولوجية (٪)		٦٧		٢٥	٢٥
اهداف تاريخية (٪)	٥٠			(٢٥)	١٠
خصائص داخلية (٪)		١٧	١٣		١٠
خصائص القيادة (٪)			(٣٧)		١٥
سياسة القوة (٪)		(١٧)			٥
ضغوط خارجية (٪)	٥٠		(٣٧)٥٠	(٢٥)٥٠	٣٥
ب ـ عمومية عداء العدو	٢	٣		٤	٩
عام / دائم (٪)	١٠٠	١٠٠		(٥٠)١٠٠	١٠٠
عام / مؤقت (٪)					
ج ـ احتمال رد العدو على المسالمة	٢	٤		١	٧
الرد بالمثل (٪)		٢٥		١٠٠	٢٩
التجاهل (٪)					
استغلال الموقف (٪)	١٠٠	٧٥			٧١
د ـ احتمال رد العدو على القوة	٣	٣	٤	٣	١٣
التراجع (٪)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٦٧	٩٢
الرد بالمثل (٪)				٣٣	٨
هـ ـ صورة العدو عن مصر	٣	١		٥	٩
تدميرية (٪)		١٠٠			١١
توسعيـة (٪)	٣٣				٦٧
عدوانيـة (٪)	٦٧			١٠٠	٢٢
و ـ الدور الدولي للعدو	١	٤	٤	٧	١٦
قائد استعماري (٪)					
عميل استعماري (٪)	١٠٠	٥٠	(٢٥)	(٨٦)	٦٣

يتبع

تابع الجدول رقم (٤-٣)

العقيدة \ السنة	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	المجموع
عميل شيوعي (٪)			٢٥		٦
عميل صهيوني (٪)					
تخريب اقليمي (٪)		٥٠	٥٠	(١٤)	٣١
ز ـ منهج العدو	٢	١		١	٤
التمهيد اولاً (٪)		(١٠٠)			٢٥
المحاولة والملاحظة (٪)	١٠٠				٥٠
التعبئة الشاملة (٪)				١٠٠	٢٥
س ـ استراتيجية العدو	٨	١٢	٣	٢٤	٤٧
ردعية (٪)				٢	٤
عدوانية (٪)	١٠٠	١٠٠ (١٧)	١٠٠ (٣٣)	٩٢(٢١)	٩٦

(١) النسب بين قوسين في الجدول ، والجداول التالية هي نسب الاشارة الى اسرائيل من تكرارات العقيدة .

ج ـ النظام الدولي المعاصر

١١ ـ الصراع الدولي ، متمثلاً في الحرب الباردة ، هو جوهر النظام الدولي الراهن .

١٢ ـ النظام الدول العالمي ، والنظام الاقليمي الشرق الاوسطي يتميزان بوجود عناصر من الاستقرار وعدم الاستقرار السياسي .

١٣ ـ الطريق الرئيسي لتحقيق السلام العالمي هو تغيير الفوارق العقائدية بين الدول واحلالها بعقيدة عالمية في الديمقراطية ، ارساء أسس القانون الدولي ، تكثيف الاتصال الدولي ، وازالة الاستعمار .

١٤ ـ الدور الدولي الاساسي لمصر هو تكتيل وتوحيد العرب ، وارساء المركز الاستقلالي الدولي لمصر .

كان مفهوم عبد الناصر للنظام الدولي في اوائل الخمسينات في الاساس امتداداً لمفهومه الصراعي للعملية السياسية . فقد نظر الى النظام الدولي باعتباره نظاماً ثنائي القضية ينقسم الى «دول الستار الحديدي تحت السيطرة الشيوعية ، ودول الغرب تحت الاستعمار »(٥ ايلول / سبتمبر عام ١٩٥٤) . ومن هنا فإن جوهر النظام الدولي يدور حول ظاهرة الحرب الباردة بين الشيوعية والرأسمالية ، التي انتجت كل اشكال الصراع الدولي ومنها سباق التسلح[١٦] .

---

(١٦) عبدالناصر ، تصريحات الرئيس جمال عبدالناصر ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .

أما على مستوى العلاقات النظامية الدولية ، فقد كان تصور عبدالناصـر للعلاقـات بين الكتلتين يعكس طبيعة التوازن الدولي القائم آنئذٍ . فقد اعتقد عبد الناصر أن النظام الدولي يتجه نحو الاستقرار ، بمعنى عدم احتمال حدوث حرب عالمية ، نظراً لامتلاك الكتلتين للقنبلة الذرية (٢١ آب / اغسطس عام ١٩٥٤) . لهذا السبب ، فإن عبد الناصر رفض دائماً حجج فوستر دالاس لتبرير سياسة الاحتواء وادخال البلدان العربية في اطار استراتيجية المعسكر الغربي ، وهي الحجج التي تدور حول التهديد الذي تشكله الدول الشيوعية لـدول الشرق الاوسط . وكانت وجهة نظر عبد الناصر ان هذا التهديد ـ إن وجد ـ فإنه ليس من المحتمل أن يؤدي الى حرب عالمية : « انه يخيّل الى الامريكيين ان الخطر الشيوعي يهدد العالم ، وانه يجب انشاء احلاف عسكرية بأسرع ما يمكن . ولكن الرأي عندي ان الحرب ليست وشيكة الوقوع ، وعلينا أن نحمي أنفسنا من مضار الاستعمار بقدر ما ندفع عن أنفسنا الخطر الشيوعي » (١٣ شباط / فبراير عام ١٩٥٥) .

يرتبط بذلك تصور آخر على مستوى النظامين الدولي والاقليمي ، وهو ان الصراع الرئيسي في هذا النظام ، هو الصراع بين العرب من ناحية ، والاستعمار والشيوعية والصهيونية من ناحية اخرى . بيد أن الصراع المركزي يدور بين العرب وبين الاستعمار الغربي كما أوضحنا في القسم السابق .

أدت الغارة الاسرائيلية على غزة في ٢٨ شباط / فبراير عام ١٩٥٥ الى تحوّل رئيسي في عقائد عبد الناصر الخاصة بالنظام الدولي . فبعد شباط / فبراير عام ١٩٥٥ بدأ عبد الناصر ينظر الى النظام الدولي باعتباره نظاماً غير مستقر يتجه نحو الحرب الشاملة ، كما جاء في خطابه امام البرلمان الهندي في ١٤ نيسان / ابريل عام ١٩٥٥) ،«في هذا العصر الذي أصبحت فيه العلاقات بين شعوب العالم ينتابها التوتر والقلق وعدم الاستقرار وتساورها المخاوف من نشوب حرب ، اذا هي نشبت هددت كيان البشرية » .

وفي خطابه امام مؤتمر باندونغ في ١٩ نيسان / ابريل عام ١٩٥٥ اضاف : « يسود العالم الآن احساس بعدم الضمان يزداد نمواً ، ومما زاد شعور الخوف في الحرب زيادة انتاج الاسلحة ذات التدمير الشامل والتي لا تبقي ولا تذر . فما أجسم الخطر الذي يتعرض له العالم من الحرب ، وما أغلى الثمن الذي يدفع من ارواح البشر ، حتى ليخيل الى المرء أن الساعة قد دنت ، واذنت شمس العالم بالمغيب » (١٩ نيسان / ابريل عام ١٩٥٥) .

وبالمثل ، فإن الشرق الاوسط قد اصبح على حافة الحرب : « ان الحالة في منطقة الحدود بقطاع غزة اشبه بصندوق البارود . ان هذا الصندوق قد ينفجر في اي وقت وتنتشر منه حرب عامة بين العالم العربي واسرائيل » (١٧ حزيران / يونيو عام ١٩٥٥) .

اذا كان ذلك هو تصور عبد الناصر لطبيعة النظام العالمي ، والنظام الاقليمي ، فما هي شروط تحقيق السلام في كل من النظامين ؟

الواقع أن تصور عبدالناصر لعملية السلام الدولي كان يقترب من المثالية الى حد كبير . فقد تصور ان الطريقة الوحيدة لتحقيق السلام العالمي هي التغلب على الخلافات الايديولوجية بين الشيوعية والرأسمالية ، دون ان يقدم الادوات العملية الكفيلة بتحقيق ذلك ، مع ادخال

تعديلات تدريجية من النظام القانوني الدولي ، تضمن احلال الصراع الايديولوجي بعقيدة عالمية قوامها الايمان بالديمقراطية ، وهو مفهوم يقترب من مفهوم المدرسة المثالية في السلام الدولي في الثلاثينات . ففي رسالة وجهها بمناسبة العيد التاسع لانشاء الأمم المتحدة في ٢٣ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٥٤ قال :

« يقتضي الواجب بذل جهود مشتركة لتعديل العقائد الأساسية التي يقوم عليها الكيان القانوني الدولي في الوقت الحاضر . فإن وحدة الحقوق الانسانية يجب ان تمهد السبيل لعقيدة شاملة تقوم على الايمان بالديمقراطية ، على ان يكون لهذا الايمان اثر موحد في العلاقات الوطنية والدولية »[١٧] .

قدمنا أن مفهوم عبد الناصر للسلام الدولي ، في تلك الفترة ، كان يقترب الى حد كبير من مفهوم المدرسة المثالية . والواقع أن عبدالناصر ، لم يتصور اطلاقاً ، كما تصور البلاشفة ، ان الطريق لتحقيق السلام الدولي هو تغيير العلاقات الدولية البورجوازية واحلالها بنظام دولي جديد . ولكنه ، كان دائماً يتصور عملية السلام الدولي باعتبارها عملية أقلمة وتغيير تدريجي للنظام الدولي الراهن ، دون احداث تغييرات جذرية في هذا النظام . وانطلاقاً من هذا المفهوم تصور عبد الناصر أن تدعيم القانون الدولي وميثاق الامم المتحدة هو احد الطرق نحو تحقيق السلام الدولي : « أنا ارغب في توسيع مدى القانون الدولي بحيث يواجه حاجات العالم الحالي بمشاكله المعقدة » (٢١ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٦) .

كذلك ، قدم عبد الناصر التفاوض الدولي والاتصال بين الدول كأداة رئيسية لتحقيق السلام الدولي : « هذا هدفنا الرئيسي (منع الحرب) ؛ وانما نحققه بعقد اجتماعات دولية تساعد على دعم علاقات الود وتقوية اواصر الصداقة بين الشعوب » (١٤ نيسان / ابريل عام ١٩٥٥) .

وقد لخّص عبد الناصر في خطابه امام مؤتمر باندونغ في ١٩ نيسان / ابريل عام ١٩٥٥ شروط تحقيق السلام الدولي في ستة شروط رئيسية :

الشرط الاول : نجاح الجهود التي تبذلها الامم المتحدة لتنظيم وتحديد وتخفيض التسلح .

الشرط الثاني : تمسك الأمم المتحدة بالميثاق وبمبادئه .

الشرط الثالث : احترام الدول لالتزاماتها الدولية بما في ذلك القضاء على التفرقة العنصرية .

الشرط الرابع : توقف ألاعيب الضغط السياسي التي تمارسها الدول الكبرى ضد الدول الصغرى .

الشرط الخامس : تصفية الاستعمار .

الشرط السادس : التعاون بين الشعوب الافريقية والآسيوية .

---

(١٧) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ .

وهي كلها ـ كما نرى ـ شروط ذات طبيعة عامة لا تقدم ادوات للتطبيق ، وتدور حول مفهوم تنظيم النظام الدولي اكثر منها حول تغييره .

أين تقع مصر من هذا النظام الدولي ؟

قدم عبدالناصر مفهوماً لعلاقات مصر الدولية النظامية ، ودورها العالمي والاقليمي يدور حول الدوائر الثلاث . فحوى النظرية ان مصر تقع في مركز ثلاث دوائر ، يمثل كل منها مستوى معيناً من علاقات مصر الدولية ، وتزداد اهمية كل من تلك الدوائر باقترابها من المركز ، كما تقل بابتعادها عنه . هذه الدوائر بالتحديد هي الدوائر العربية ، والافريقية ، والاسلامية . اما دور مصر الرئيسي فإنه يقع بالطبع في الدائرة العربية ، الاكثر قرباً من المركز . ومن هنا ، فإن مصر تتحمّل مسؤولية الاضطلاع بدور اساسي في الوطن العربي ، قوامه الدفاع عن الوطن العربي وتوحيده .

وفي كتابه فلسفة الثورة ، شبّه عبد الناصر دور مصر في الدائرة العربية بدور هائم على وجهه في المنطقة العربية يبحث عن البطل الذي يقوم به ، وأضاف : « ولست ادري لماذا يخيل الي دائماً أن هذا الدور الذي أرهقه التجوال في المنطقة الواسعة الممتدة في كل مكان حولنا ، قد استقر به المطاف متعباً منهوك القوى على حدود بلادنا ، يشير الينا أن نتحرك ، وان ننهض بالدور ونرتدي ملابسه ، فإن احداً غيرنا لا يستطيع القيام به . وأبادر هنا فأقول ان الدور ليس دور زعامة ، وانما هو دور تفاعل وتجارب مع كل هذه العوامل ، يكون من شأنه تفجير الطاقة الهائلة الكامنة في كل اتجاه من الاتجاهات المحيطة بها ، ويكون من شأنه تجربة لخلق قوة كبيرة في هذه المنطقة » .

ويرتبط بهذا المفهوم ، تصور محدد للمنطقة العربية ، قوامه أن هذه المنطقة ليست مجرد امتداد جغرافي متاخم لحدود دولة كبرى (تصور دالاس) ، ولكنها تتمثل اساساً في وجود امة واحدة ذات مصالح مشتركة واولويات امنية واحدة ، كما أنها تواجه العدو الاساسي نفسه وهو اسرائيل والاستعمار الغربي (وليس الاتحاد السوفياتي كما حاول دالاس ان يؤكد لعبد الناصر) . ولذلك فقد رفض عبد الناصر بشدة المشروع البريطاني والامريكي لجر مصر والوطن العربي معها الى الدخول في تحالف شرق اوسطي مع البلدان الغربية الكبرى ، وقدم بدلاً من ذلك مشروعاً عربياً مضاداً . وقوام هذا المشروع هو خلق « منظمة للدفاع عن هذه المنطقة ، منظمة عربية خالصة قوية ، وليس لها ارتباط بالغرب » . وذلك كله بحيث يكون « تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة ، (حين تعطى) البلدان العربية ، كمنظمة دفاعية ، الفرصة الكاملة للتسلح والفرصة الكاملة لاقامة جيش عربي خالص يدافع عنها طبقاً لميثاق الضمان الجماعي » (٣١ آذار / مارس ١٩٥٥) . في هذا المشروع العربي ، فإن مصر تلعب دوراً قيادياً ، قوامه الدفاع عن المنطقة ، والسعي نحو تحقيق تكامل البلدان العربية .

« يجب ان تكون الهند محور اي نظام للدفاع عن آسيا والشرق الاقصى . وينبغي ان تقوم مصر بالدور ذاته فيما يتعلق بالدفاع عن الشرق الاوسط » (٣٠ آب / اغسطس عام ١٩٥٤) . « ان سياستنا العربية تهدف الى جمع شمل العرب بجعلهم امة واحدة بل اسرة واحدة » (٢٣ تموز / يوليو عام ١٩٥٥) .

يرتبط بهذا المفهوم الدفاعي ـ التكاملي ، مفهوم أساسي آخر لدور مصر في النظام العالمي الكلي قوامه فكرة الاستقلال التي تدور حول مفهوم الحياد الايجابي . فاحدى الافكار الرئيسية في النظام العقيدي الناصري خلال تلك الفترة ، كانت تدور حول مفهوم تدعيم وتثبيت الاستقلال الذي حصلت عليه مصر ، والظهور في النظام العالمي كدولة قادرة على صنع قرارات سياساتها الخارجية وعلى مقاومة ضغوط الدول الكبرى . ومن هنا أكد عبدالناصر مراراً تصميمه على مقاومة اي نفوذ امريكي او سوفياتي ، حتى لو تطلب ذلك استعمال القوة .

« الحرب الباردة قد استقرت في مصر ، فكل من المعسكرين يلقي فيها بذخيرته . . . ولكن الكل يعلم اننا نعمل على منع اولئك . . . وهؤلاء من تسميمنا » (٢ آب / اغسطس عام ١٩٥٥) . « ان مصر ستعمل على تعزيز استقلالها وان مصر لن تقبل ابداً ان تكون مناطق نفوذ لأية دولة اجنبية » (١٥ نيسان / ابريل عام ١٩٥٦) . « قلنا ان سياستنا من القاهرة ، من مصر ، وليست من لندن ، ولا من واشنطن ، ولا من موسكو ، لسنا منحازين لمعسكر من المعسكرات . وسياستنا هي سياسة عدم الانحياز » (١ حزيران / يونيو عام ١٩٥٦) .

والواقع ان معارضة عبد الناصر لمشروع منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط ، كان نابعاً ايضاً من تلك العقيدة . فقد اعتقد ان تلك المنظمة ، التي ستدخل فيها الدول العظمى ، ستنتهي بمصر الى أن تكون مجرد تابع للغرب (٣٠ آب / اغسطس عام ١٩٥٤) . ويتضح عمق اقتناع عبدالناصر ، بهذا المفهوم من مراجعة الجدول رقم (٤-٤)، وهو يوضح ان المفهوم الاستقلالي لدور مصر الدولي كان يمثل في تلك الفترة ٦٦ بالمائة من اشارات عبد الناصر الى الدور الدولي لمصر .

يرتبط بذلك بداية تصور لدور مصر الدولي كقوة معادية للاستعمار على مستوى النظام الدولي بأسره ؛ وقوة لاقرار السلام العالمي ، وان كان هذا الدور ـ في نظر عبدالناصر ـ يأتي في المرتبة الرابعة من سلم اولويات الدور السياسي الدولي لمصر . وفي خطابه في ١٩ ايار / مايو عام ١٩٥٥ ، اشار عبد الناصر لأول مرة لهذا الدور :

« إن مصر في سياستها الخارجية ستعمل على أن تساند الحرية والتحرير في جميع انحاء العالم ، وستعمل على القضاء على الاستعمار في جميع انحاء العالم ، وستعمل على ضمان حق تقرير المصير للدول التي لم تتمتع باستقلالها في العالم . ان مصر التي تحررت تريد ان ترى جميع الشعوب حرة . ستعمل مصر كل ما في وسعها لاقرار السلام العالمي ، واقامة تفاهم وتعاون بين الدول » .

وسنرى ان هذا الدور قد ارتفع في سلم اولويات الدور الدولي لمصر في الفترة التالية (١٩٥٧ ـ ١٩٦٧) ليحتل مكانة اكثر اهمية في التحليل الناصري . بيد ان مفهوم الدور الاستقلالي الايجابي ، كان هو المفهوم الاساسي الذي سيطر على تحليل عبد الناصر لدور مصر الدولي في هذه الفترة ، اذ ان ٦٦ بالمائة من الاقوال الواردة عن دور مصر الدولي في هذه الفترة كانت تضع هذا الدور في اطار الاستقلال النشيط ، وكان ذلك واضحاً الى حد كبير في عامي ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ ، بينما سيطر مفهوم الدور العربي لمصر سواء على مستوى التكامل او التطوير على النسق العقيدي الناصري عام ١٩٥٤ بالتحديد ، (الجدول رقم (٤ـ ٤)) .

جدول رقم (٤ ـ ٤)

التوزيع التكراري لعقائد عبد الناصر المتعلقة بالنظام الدولي ، للسنوات ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦

العقيدة / السنة	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	المجموع
٣ ـ النظام الدولي		٤	٤	٤	١٢
صراعي (٪)		١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
انسجامي (٪)					
أ ـ مصادر الصراع		٣	٤		٧
الطبيعة البشرية (٪)			٢٥		١٤
الخلافات الايديولوجية الدولية (٪)		١٠٠			٤٣
القومية (٪)			٢٥		١٤
سياسة القوة (٪)			٥٠		٢٩
ب ـ شروط السلام الدولي		٤	١٢	٨	٢٤
الاتصال الدولي (٪)			٥٠	٥٠	٤٢
ازالة المعتدي (٪)			٤٢	٢٥	٢٩
تحقيق المساواة الاقتصادية (٪)		٥٠			٨
توازن القوى (٪)			٨		٤
تحقيق العدالة الدولية (٪)		٥٠		٢٥	١٧
ج ـ هيكل النظام الدولي		١		١	٢
قطبية ثنائية (٪)		١٠٠		١٠٠	١٠٠
متعدد الاقطاب (٪)					
د ـ استقرار النظام الدولي		١	٦	١	٨
مستقر (٪)		١٠٠	٣٣	١٠٠	٥٠
غير مستقر (٪)			٦٧		٥٠
هـ ـ دور مصر الدولي	٢	١٥	٢٨	٦٠	١٠٥
قائد اقليمي (٪)		٢٠	٤	١٢	١١
مستقل (٪)		٧	٧١	٨٠	٦٦
معادي للاستعمار (٪)	٥٠	١٣	٧	٣	٦
تكامل عربي (٪)		٤٠	١١	٣	١٠
تطوير عربي (٪)		١٣			٢
تطوير داخلي (٪)	٥٠	٧	٧	٢	٥

د ـ التفاؤل السياســـي

١٥ ـ التحول الى الافضل هو الاحتمال المرجح

يقصد بالتفاؤ ل السياسي ، الاعتقاد بأن الاهداف الأساسية ستتحقق في المستقبل المنظور. وفي هذا الصدد ، يمكن التمييز بين الافراد الذين يستمدون تصورهم لاحتمال تحقيق الاهداف ، من ايديولوجية معينة تؤكد لهم ذلك ، وهؤلاء الذين يستمدون عقيدة التفاؤ ل من تصور ذاتي . ينتمي الماركسيون الى القسم الاول ، فهم يعتقـدون أن اهدافهم ستتحقق في المستقبـل بحكم قوانين المادية التاريخية . اما عبدالناصر ، فإنه كان ينتمي الى الفريق الثاني ، فقد كان يعتقد أن اهدافه ستتحقق ، ليس بسبب القوانين الاجتماعية ، ولكن ببساطة لأنها الاهداف الصحيحة . وقد كان هذا التصور امتداداً لتصور مثالي النزعة سيطر على التحليل الناصري ـ في تلك الفترة ـ مؤداه تقسيم العالم السياسي الى قسمين احدهما قسم الخير ، والآخر قسم الشر ، ومن البديهي أن القسم الاول هو الذي سينتصر . ولذلك نجد ان تفاؤ ل عبدالناصر ، كان في الغالب مـرتبطاً بأهدافه الاساسية ذات المدى الطويل ، اكثر منه سياسات محددة ، كما ان هذا التفاؤ ل لم يكن مشروطاً بتحقيق شروط معينة ، كما هو واضح في الجدول رقم (٤ ـ ٥) ، والذي يوضح ان ٦٩ بالمائة من الاشارات الى عقيدة التفاؤ ل السياسي ، كانت تتعلق باهداف طويلة المدى ، كما أنه حينما اشار الى تلك العقيدة ، فإن ٦٣ بالمائة من الاشارات لم تكن مشروطة بشروط معينة .

جدول رقم (٤ ـ ٥)

التوزيع التكراري لعقائد عبد الناصر
المتعلقة بالتفاؤل السياسي ، للسنوات ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦

السنة / العقيدة	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	المجموع
٤ ـ التفاؤل / التشاؤم	١٥	٣٢	٢٠		٨٧
تفاؤل غير محدود (٪)	٧٣	٩٤	٩٥	١٠٠	٩٢
تفاؤل محدود (٪)	٢٧	٣			٦
تشاؤم		٣		٥	٢
أ ـ بالاشارة الى	١٤	٣٢	٢٠	٢٠	٨٦
اهداف بعيدة المدى (٪)	٣٦	٦٩	٨٥	٧٥	٦٩
سياسات محددة (٪)	٦٤	٣١	١٥	٢٥	٣١
ب ـ مشروطية التفاؤل	٨	٢٢	١٨	١١	٥٩
مشروط (٪)	٨٧	٢٧	٢٢	٤٥	٣٧
غير مشروط (٪)	١٣	٧٣	٧٨	٥٥	٦٣

هـ ـ التنبؤ السياسي

١٦ ـ من الممكن التنبؤ بالمستقبل في المدى القصير .

١٧ ـ المصادفة تلعب دوراً معيناً في الحياة السياسية .

تختلف عقيدة التنبؤ السياسي عن عقيدة التفاؤل السياسي في أن الاولى تعني الاعتقاد بوجود نمط تكراري منتظم في الحياة السياسية يمكن على اساسه تصور احتمال تطور الاحداث ، بينما تشير الثانية الى مجرد الاعتقاد باحتمال تحقيق الاهداف .

والواقع ان الاطار الزمني المباشر بالنسبة لعبد الناصر ـ في تلك الفترة ـ كان اطاراً محدوداً يتعلق بالمدى القصير ، باستثناء اشارات محدودة الى وجود نمط تقدمي في التطور التاريخي مؤداه ان «عجلة الزمن لا تعود الى الوراء» (٢٥ حزيران / يونيو عام ١٩٥٤) . ولعل ذلك يعود الى عدم انتماء عبدالناصر الى ايديولوجية محددة تفسر له العملية التاريخية . فإن معظم تنبؤاته كانت مستمدة من الخبرة الذاتية ، ولم تكن تعتمد على مفهوم واضح للمستقبل ، او على نظرة تاريخية محددة . واخيراً فإن تنبؤات عبدالناصر كانت تتعلق أساساً بنتائج سياسات محددة ، او باحتمالات ردود افعال الاعداء . فقد تنبأ مبكراً بالنصر على القوات البريطانية في معركة انهاء الوجود البريطاني في منطقة قناة السويس (٢٣ ايار / مايو عام ١٩٥٣) ، وان القوى المعادية في الداخل ستشن هجمات مضادة في المستقبل ، وانها ستحاول اشعال نار الصراع من اجل استعادة السلطة (١٤ حزيران / يونيو عام ١٩٥٣ ، ٢٩ تموز / يوليو عام ١٩٥٤) ، وان اسرائيل ستستمر في جهودها الرامية الى عرقلة التوصل الى تسوية سلمية في الشرق الاوسط (١٩ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٤) ، وان القوى الغربية ستمد اسرائيل دائماً بالسلاح من اجل الاحتفاظ بميزان القوى في مصلحة اسرائيل (١٣ ايار / مايو عام ١٩٥٦) ، كما أنه تنبأ في اكثر من موضع باستحالة الحرب العالمية بحكم التوازن النووي (٢٦ آذار / مارس عام ١٩٥٦) . ويتضح لنا من تأمل الجدول رقم (٤ ـ ٦) ، ان ٩٠ بالمائة من التنبؤات السياسية في تلك الفترة ، كانت تتعلق اما بسياسات محددة او بسلوك الاعداء السياسيين . اكثر من ذلك ، فإنه في مناسبة واحدة على الاقل ، أشار عبد الناصر الى الدور الذي تلعبه المصادفة في الحياة السياسية ، بما يلغي احتمال التنبؤ ، وذلك حينما أشار الى احتمال حدوث الحرب العالمية لظروف خارجة عن الحسبان (٢٦ آذار / مارس عام ١٩٥٦) .

و ـ دور القائد في التطور الاجتماعي ـ التاريخي

١٨ ـ القائد السياسي ليس اكثر من وسيط سياسي . لا يستطيع القائد السياسي ان يضبط التطور الاجتماعي ـ التاريخي ، ولكنه يستطيع ان يتدخل للاقلال من الآثار السلبية للتطور .

قدمنا أنه عندما أتى عبدالناصر الى السلطة في تموز / يوليو عام ١٩٥٢ ، لم تكن لديه نظرة ايديولوجية واضحة ، وان ذلك قد أثر بشكل واضح على توجهاته العقيدية ، وبالذات من حيث نظرته للعالم السياسي ، وطبيعة مستقبل الحياة السياسية ، وامكانية تحقيق الاهداف السياسية .

والواقع ان هذا النمط انطبق الى حد كبير على مفهوم عبد الناصر لدور القائد السياسي في عملية التطور الاجتماعي ـ التاريخي ، والحركة السياسية في مجتمعه . فنظراً لافتقاد الخبرة السياسية ، وغياب الايديولوجية التي توضح له دور القوى الاجتماعية والسياسية المختلفة في العملية السياسية ، فإن اعتقاد عبدالناصر في قدرته على التأثير على الحركة السياسية والتاريخية ، كان ضعيفاً الى حد كبير، في هذه الفترة على الاقل . وقد ساعد على ترسيخ هذه العقيدة ، ان الجماهير المصرية قد أيدت الثورة تأييداً واسعاً متوقعة من اعضاء مجلس قيادة الثورة حلولاً سريعة لم يكن هؤلاء الاعضاء قادرين على تقديمها ، ولذلك فإن عبدالناصر ، اعترف للجماهير صراحة بأن تقديم الحلول السريعة لمشكلات التنمية الاقتصادية عملية تخرج عن نطاق قدرته ، او اذا كان من الممكن ضبط وتوجيه عملية التطور السياسي والاقتصادي ، فإن ذلك يتم فقط من خلال تعاون القائد مع القوى الاجتماعية الاخرى :

جدول رقم (٤ ـ ٦)

التوزيع التكراري لعقائد عبدالناصر المتعلقة بالتنبؤ السياسي ، للسنوات ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦

السنة / العقيدة	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	المجموع
٥ ـ التنبؤ السياسي	٢	١١	٨	١	٢٢
يمكن التنبؤ (٪)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
لا يمكن التنبؤ (٪)					
أ ـ مجالات التنبؤ	٢	١١	٨	١	٢٢
التطور التاريخي (٪)		٩			٥
سلوك العدو (٪)	١٠٠	٦٤	٢٥		٥٤
نتائج السياسات (٪)		١٨	٧٥		٣٦
احداث محددة (٪)		٩			٥
ب ـ درجة التنبؤ	٢	١١	٨	١	٢٢
يقين (٪)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
احتمال (٪)					

« إن رجال الثورة فئة قليلة ، ولسنا سحرة نصنع المعجزات ، ونفعل كل شيء . ان بناء الوطن يحتاج الى تساند القوى » (١٠ نيسان / ابريل عام ١٩٥٣) . « هم يريدون منا جميعاً أن نحقق لهم السعادة العائلية ، وان نحقق لهم الرفاهية . وانا لن استطيع ان احقق لهم هذا وحدي ولكني استطيع ان احقق لهم هذا إن تكاتف كل قادر وإن تكاتف كل متعلم » (٢٥ تموز / يوليو عام ١٩٥٥) .

وفي كتابه فلسفة الثورة ، أكد عبدالناصر أنه لا يمكن ضبط العملية التاريخية ، وأن القائد

السياسي لا يستطيع أن يمنع تزامن الثورة السياسية مع الثورة الاجتماعية . ولهذا فإن دور القائد السياسي يقتصر على الاقلال الى ادنى حد ممكن من الآثار السلبية الفرعية للاضطرابات الاجتماعية التي تنشأ من هذا التزامن . بعبارة اخرى ، فإن عبدالناصر حدد دوره في عملية التطور السياسي التاريخي ، في اطار ما يمكن أن نسميه « الوساطة الاجتماعية ـ السياسية » أي دور الارشاد العام ، دون التدخل الفعّال في مسار عملية التطور.

ما أشبه شعبنا الآن بقافلة كان يجب ان تلزم طريقاً معيناً ، وطال عليها الطريق ، وقابلتها المصاعب ، وانبرى لها اللصوص وقطاع الطرق ، وضللها السراب ، فتبعـرثت القافلة ، كـل جماعة منها شردت في ناحية ، وكل فرد مضى في اتجاه .

وما أشبه مهمتنا في هذا الوضع بدور الذي يمضي فيجمع الشاردين والتائهين ليضعهم على الطريق الصحيح ثم يتركهم يواصلون السير . هذا هو دورنا ولا اتصور ان لنا دوراً سواه . ولو خطر لي اننا نستطيع ان نحل كل مشاكل وطننا لكنت واهماً ، وانا لا احب ان أتعلق بالاوهام .

إننا لا نملك القدرة على ذلك ، ولا نملك الخبرة لنقوم به .

وفي تشبيه آخر ، شبّه عبد الناصر دور القائد السياسي بدور الحكم في المباراة . فالحكم يقتصر دوره على التأكد من مراعاة اللاعبين لقواعد المباراة ، ولكنه لا يلعب . وبالمثل ، فالقائد السياسي يجب ان يقتصر دوره على تحقيق الانسجام بين مصالح كل الفئات والطبقات الاجتماعية ، وبالذات بين العمال والرأسماليين . ففي خطاب امام العمال في ١٩ نيسان / ابريل عام ١٩٥٤ قال : « امامنا الفلاح والعامل وصاحب الارض وصاحب رأس المال ، ونحن نعمل للجميع ولا ننصر فئة على اخرى ، ولا نجامل احداً ، ولا نقبل رشوة . . . سنكون حكاماً بين الجميع ننصف صاحب العمل وننصف الفلاح وصاحب الارض ونعمل لايجاد تعاون قوي بين الفئات جميعاً » .

والواقع ان هذا التحليل كان مرتبطاً بتصور اكبر عن طبيعة التطور الاقتصادي والاجتماعي المصري في تلك الفترة . فقد تصور عبدالناصر ان عملية التنمية الاقتصادية لا تدخل في نطاق مهام القيادة الجديدة ، ولكنها اساساً مهمة الفئات الرأسمالية الزراعية والصناعية ، بالاضافة الى الاستثمارات الاجنبية . وفي هذا الاطار يقتصر دور القيادة الجديدة على مجرد تحرير وتدعيم الامكانيات الرأسمالية للطبقة البورجوازية المصرية في اطار الحد الادنى الممكن من التدخل السياسي . ولذلك نجده في خطابه في ٦ نيسان / ابريل عام ١٩٥٤ يؤكد للعمال ان الحكومة لا تستطيع النهوض بأعباء التنمية الصناعية ، وان دورها يقتصر على تشجيع الاستثمارات ، والتوفيق بين مصالح الفئات الاجتماعية : « ليكن في علمكم ان الحكومة ليس لديها المال الكافي للقيام بتلك النهضة الصناعية ، وعلى هذا فيجب ان نشجع كل من يريد استثمار امواله حتى تستفيد البلاد ويستفيد العمال من ذلك ، وسنعمل دائماً على تقريب وجهات النظر حتى يأخذ كل فرد نصيبه في الحياة » .

وقد استمر هذا التصور لدى عبدالناصر حتى اوائل عام ١٩٥٥ . فابتداء من تلك السنة ، غيّر عبدالناصر عقيدته عن دوره السياسي من مجرد وسيط سياسي واجتماعي الى شريك كامل في

العملية السياسة والاجتماعية . فلم يعد دور القائد هو الوساطة بين العمال والرأسماليين ، ولكنه التدخل لانقاذ الطبقات المظلومة من الاستغلال والفساد والعبودية ، ورفع مستوى وعيها السياسي (١٢ شباط / فبراير عام ١٩٥٥) . وفي خطاب مشهور امام المؤتمر التعاوني الثاني في ١ حزيران / يونيو عام ١٩٥٦ ، أوضح بجلاء ابعاد الدور الايجابي للقائد السياسي كممثل للدولة :

« . . . الدولة مسؤولة عن مصالح الجماعة وحمايتها ضد الاحتكار وضد الاستغلال وضد سيطرة رأس المال . الدولة مسؤولة عن مصالح الجماعة ، فإن الدولة تمثل مصالح الجماعة كلها ، في جميع هذه النواحي . اذاً الدولة يجب ان توجه ، وهذا الاقتصاد يجب ان يسير على نظام الاقتصاد الموجه ، توجه الدولة وتتدخل لغرض واحد هو الحد من سيطرة الاحتكارات ولغرض حفظ التوازن بين المصالح المختلفة ، ولغرض الاسراع في عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية » .

واضح اذاً أن تحولاً قد حدث في تصور عبدالناصر لدور القائد السياسي ، نحو الاضطلاع بمهام ايجابية في التطور الاجتماعي وتحريك التطور الاقتصادي . بيد ان هذا التحول لم تتكامل ابعاده الا في الفترة التالية لعدوان عام ١٩٥٦ ، كما سنرى في القسم اللاحق .

جدول رقم (٤- ٧)

التوزيع التكراري لعقيدة عبد الناصر المتعلقة
بدور القائد السياسي ، للسنوات ١٩٥٣ - ١٩٥٦

العقيدة / السنة	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	المجموع
٦ - دور القائد السياسي	٥	٨	٢	٤	١٩
تدخل سياسي نشيط (٪)		١٣	٥٠	٢٥	١٦
التدخل كلما كان ممكناً (٪)					
الوساطة الاجتماعية (٪)		٦٢			٢٦
رصد التطور (٪)				٢٥	٥
التدخل وإن كانت النتيجة غير مؤكدة (٪)		٢٥			١١
دور نشيط بالتعاون مع الآخرين (٪)	١٠٠		٥٠	٥٠	٤٢

يستتر خلف هذا التطور العقيدي لدى عبد الناصر في مفهوم القائد السياسي ، تصور اساسي يكمل التصورات السالفة ، وهي انه مهما كان دور القائد السياسي كوسيط اجتماعي او متدخل سياسي ايجابياً ، فإنه لا يستطيع أن يضطلع بهذا الدور وحده ، وإنما فقط بالتعاون مع القوى الاجتماعية والسياسية الاخرى. بعبارة اخرى ، القائد السياسي لا يستطيع وحده أن يحرك العملية الاجتماعية التاريخية ، ولكنه مجرد اداة من مجموعة ادوات للتغيير . ولعل ذلك يتضح

بتأمل الجدول رقم (٤ ـ ٧) الذي يوضح انه في ٤٢ بالمائة من اقواله عن دور القائد السياسي ، كان عبد الناصر يتصور ان هذا الدور لا يتم الا بالتعاون مع الآخرين ، وكانت تلك هي العقيدة الاساسية في الاعوام الاربعة ما عدا عام ١٩٥٤ التي تغلب فيها مفهوم الوساطة الاجتماعية .

ثانياً : العقائد الادائيـــة

أ ـ طبيعة الاهداف السياسية وكيفية اختيارها

١٩ ـ اهدافنا الرئيسية هي السيادة الكاملة ، التنمية الاقتصادية ، والعدالة الاجتماعية .

٢٠ ـ هدف مصر الرئيسي في المنطقة العربية هو توحيد العرب .

٢١ ـ هدف مصر الرئيسي في الصراع العربي ـ الاسرائيلي هو تنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية .

ومن بين العقائد المكونة لنسقه السياسي العقيدي ، كانت العقائد المرتبطة بالاهداف ، اكثر العقائد تكرارية ، اي اكثرها تواتراً في التعبير . ولعل هذا يدل على قوة التزام عبدالناصر بمجموعة الاهداف السياسية والاجتماعية التي جاء الى السلطة لوضعها موضع التطبيق . فلم يكن عبدالناصر زعيماً تقليدياً جاء الى السلطة لمجرد ممارسة السلطة ، ولكنه جاء على رأس حركة ثورية تحاول احداث تغييرات أساسية في المجتمع .

على المستوى الداخلي كان عبد الناصر ملتزماً بتحقيق هدفين محوريين غير قابلين للمساومة :

اولاً : تحقيق الاستقلال الكامل لمصر وازالة كل اشكال الانتقاص من سيادتها ، سواء في شكل الاحتلال العسكري ، او التبعية السياسية .

ثانياً : تدعيم عملية التنمية الاقتصادية وتحقيق العدالة الاجتماعية . ومن الثابت أن مسلك عبدالناصر لتحقيق التنمية والعدالة شهد تغيرات مهمة في تلك الفترة ، بيد ان الهدف ذاته ظل ثابتاً .

وفي خطاب القاه بمناسبة توقيع اتفاقية الجلاء في ٢٨ تموز / يوليو عام ١٩٥٤ ، حدد بوضوح تلك الاهداف : « إننا نريد أن نقضي على الظلم السياسي الذي حل بنا طوال السنين الماضية من آثار الاستعمار البريطاني ، وبجانب هذا كله نريد ان تكون هناك عدالة اجتماعية ، ونريد ان نرفع مستوى المعيشة » .

وفي المجال العربي ، كان عبد الناصر اول حاكم مصري يؤكد بجلاء هوية مصر العربية . فقد أنهى عبدالناصر المناظرة الثقافية التي كانت دائرة في مصر في الاربعينات والخمسينات حول هوية مصر السياسية والثقافية ، هل مصر دولة عربية ، ام فرعونية ، ام بحر متوسطية . حدّد عبدالناصر موضع مصر الطبيعي في الدائرة العربية ، بحيث ان مصر ، بحكم الموقع والتاريخ

والثقافة دولة عربية . كذلك فقد حدّد عبدالناصر الوطن العربي بأسره كمجال للأمن الوطني المصري ، بحيث اصبح « الوطن عندنا هو الوطن العربي قاطبة » (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٥٥) . ومن ثم ، حدّد عبدالناصر كأحد اهدافه الاساسية في تلك الفترة ، بلورة نظام اقليمي عربي ، يتأسس على مفهوم المصلحة العربية . وفي مقابلة صحفية مع مجلة نيوزويك في تموز / يوليو عام ١٩٥٤ حدد عبد الناصر هدف « العربي » .

« إن مصر ستعمل على انشاء عالم عربي موحد متى سويت مشكلة منطقة قناة السويس ، وفي نيتنا أن نقوم بدورنا في المساعدة لتسوية جميع المشاكل المتصلة بالبلدان العربية وشعوبها لأننا نعد كل مشكلة من مشاكل البلدان العربية مشكلة خاصة بنا ، نشعر ان هدفنا يجب ان يقوم على أساس انشاء العالم العربي وتوحيد اسرته ، بحيث تحتل المكان الجدير بها بين دول العالم »[١٨] .

وفي ١٦ كانون الثاني / يناير عام ١٩٥٦ اوضح ابعاد الهدف العربي لمصر : « اليوم نعلن عروبتنا الحقيقية ، ونعلن تماسكنا مع العرب جميعاً حتى لا يتكرر ما مضى . . . نعلن أننا نتكاتف مع العرب جميعاً من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي . . . وهذا يا اخواني هدف رئيسي من اهدافنا يمليه علينا مكاننا . . . نعلن هذا ونعلن اننا نتضافر جميعاً من اجل الدفاع عن حريتنا » .

وقد تصور عبدالناصر عملية توحيد الوطن العربي في شكل اقامة نظام ضمان جماعي عربي خالص مهمته الدفاع عن المصالح المشتركة للوطن العربي مستقلاً عن نفوذ القوى العظمى (٣١ آذار / مارس عام ١٩٥٥) . وفي خطابه بمناسبة العيد الثالث لثورة تموز / يوليو اكد ذلك بقوله :
« إن سياستنا العربية تهدف الى جمع شمل العرب بجعلهم امة واحدة بل اسرة واحدة . لقد كان سبيلنا الى تحقيق هذا الهدف هو ان نلتزم ميثاق جامعة الدول العربية . . . وقد كان ميثاق الضمان الجماعي تكميلاً وتتويجاً وتدعيماً لميثاق جامعة الدول العربية» .

اما فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ، فإن الهدف الرئيسي لعبد الناصر كان تنفيذ قرارات الامم المتحدة الصادرة عامي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ، بالذات فيما يتعلق بالتقسيم وحقوق اللاجئين الفلسطينيين . وقد أشرنا الى ان عبدالناصر في مقابلة صحفية نشرت في الاهرام في ٢ آذار / مارس عام ١٩٥٣ ، قد انتقد السياسة الامريكية لعرقلتها « حق العرب في الحياة مع الاقلية اليهودية في وئام وسلام في حدود دولة واحدة ذات كيان سياسي واقتصادي واحد » . بيد انه في حديث صحفي مع الاهرام في ٢٢ آب / اغسطس من العام نفسه أكد ان مصر لن تعقد صلحاً مع اسرائيل الا بعد ان تقوم اسرائيل باحترام قرارات هيئة الامم المتحدة وتنفيذها ، وبعد أن تحترم شروط الهدنة التي تنقضها كل يوم . وفي حديث آخر مع الاهرام في ١٩ نيسان / ابريل عام ١٩٥٤ أعاد تأكيد هذا المعنى :

« يجب ان تحترم اسرائيل قرارات الامم المتحدة الخاصة باللاجئين ، والقسم العربي من فلسطين ، تلك

---

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٤٣ .

القرارات التي صدرت في اواخر عام ١٩٤٨ ، وان تنفذها ، قبل ان تتحدث هي او اي دولة اخرى عن الصلح مع العرب »[١٩] .

وفي حديث الى جريدة نيويورك تايمز في ٢٠ آب / اغسطس عام ١٩٥٤ ، اكد عبدالناصر :

« ان العرب لا ينوون مهاجمة اسرائيل ، وأنه لا امل في تعديل موقف مصر بالنسبة لها ، الا اذا نفذت قرارات الامم المتحدة فيما يختص بحقوق اللاجئين العرب ، وتقسيم فلسطين »[٢٠] .

وفي حديث الى مجلة نيوزويك الامريكية أكد عبد الناصر ان العلاقات بين العرب واسرائيل يمكن أن تتحسن اذا أبدت اسرائيل رغبة صادقة في الوصول الى سلام عادل بقبول قرارات الامم المتحدة وبالذات تلك القرارات المتعلقة باللاجئين وتعويضهم ، وتدويل القدس[٢١] .

وفي ٩ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٥ ، اقترح انتوني ايدن ، وزير خارجية بريطانيا آنئذٍ ، عقد مفاوضات عربية - اسرائيلية على اساس قرار التقسيم من اجل التوصل الى تسوية شاملة للقضية . وفي ١٢ تشرين الثاني / نوفمبر ، اعلن عبد الناصر قبوله لمقترحات ايدن قائلاً :

« اية مفاوضات للصلح مع اسرائيل يجب ان تقوم على اساس هذا القرار (قرار التقسيم عام ١٩٤٧) الذي وافقت عليه الدول المشتركة في الامم المتحدة . ومن شأن هذا القرار أن يرجع اسرائيل الى الحدود التي تضمنها مشروع التقسيم الاصلي » (١٢ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٥) .

بيد أن اسرائيل رفضت مقترحات ايدن ، وكثفت من غاراتها الارهابية على المواقع الامامية ، مما جعل عبد الناصر يعلن في نهاية العام ، يأسه من احتمالات السلام مع اسرائيل : « لا جدوى من سياسة السلام (مع اسرائيل) ، حيث لا يمكن أن يكون هناك سلام من جانب واحد بينما يتمادى الجانب الآخر في العدوان » (١٥ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٥) .

٢٢ - على القائد ان يطلب دائماً الهدف الاقصى .

٢٣ - يجب على القائد السياسي الّا يتخلى عن/او يعدل من اهدافه القصوى ، ولكنه يجب أن يكون واقعياً بحيث يعدل من أساليب تحقيقها .

ومن العقائد الادائية الاساسية ، المنهج الذي يفضله القائد في اختيار الاهداف . ويقصد بذلك ما اذا كان القائد السياسي يفضّل اختيار الاهداف التي تحقق الحد الاقصى الوارد في قضية معينة او الاهداف الممكن تحقيقها في ظروف معينة ، وما اذا كان يتسم بدرجة من المرونة او الجمود

---

(١٩) الجدير بالذكر ان هذا الحديث ورد في : عبدالناصر ، مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ، ج١ : ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - يناير ١٩٥٨ ، ص ١١٩ بدون تلك الفقرة .

(٢٠) عبدالناصر ، تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر ، ص ٧٨ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

في اختيار تلك الاهداف والتمسك بها . بعبارة اخرى هل يقبل القائد السياسي تعديل الهدف او التخلي عنه اذا كان ذلك ضرورياً ، ام انه يتمسك به حتى ولو استحال تطبيقه .

في هذا الصدد فإن عبد الناصر كان يفضل اختيار الاهداف القصوى . فقد كان يعتقد ان اختيار الاهداف الممكنة او المساومة حول الاهداف الاساسية على حد تعبيره ـ سيؤدي بالقائد الى خسران المعركة قبل ان تبدأ . من ثم انه يجب دائماً أن يتمسك بالحد الاقصى . وقد عبّر عبدالناصر عن هذه العقيدة في تلك الفترة عدة مرات فيما يتعلق بقضية جلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس . فقد أكد مراراً أنه لن يقبل اقل من الاستقلال الكامل بدون قيد او شرط .

أكثر من ذلك فإنه بمجرد اختيار وتحديد تلك الاهداف فإنه يجب عدم تغييرها او تعديلها او التخلي عنها تحت اي ظرف من الظروف ، وهو ما كان عبد الناصر يعبر عنه بالمساومة عن الاهداف :

« إن الشعوب التي تساوم المستعمر على حريتها توقع في الوقت نفسه وثيقة عبوديتها ، لذلك فإن اول اهدافنا هو الجلاء بدون قيد او شرط » (٢٣ شباط / فبراير عام ١٩٥٣) .

« لن تقبل مصر بحال من الاحوال أن تساوم على حقها الطبيعي المشروع في الجلاء الناجز الكامل عن جميع اراضيها ، او أن يفرض المحتل الغاصب اي شرط من الشروط ثمناً للاعتراف بهذه الحقوق » (١٧ آذار / مارس عام ١٩٥٣) .

« هذه يا اخواني هي المثل التي اؤ من بها والتي لن أحيد عنها ولو أودى ذلك برقبتي وحياتي ودمي » (١٩ حزيران / يونيو ١٩٥٦) .

بيد انه رغم ميله الواضح الى اختيار اهداف قصوى فإن عبد الناصر كان واقعياً الى حد انه لم يربط بين اختيار تلك الاهداف وبين اسلوب معين لتحقيقها . فالقائد السياسي يمكن أن يختار اهدافاً قصوى ولكن اذا لاحت في الافق إمكانية تحقيق جزء من الهدف فإنه لا يجب التضحية بهذا الجزء لحساب الهدف الاقصى ، فعبدالناصر ارتبط بهدف الجلاء الكامل غير المشروط للقوات البريطانية من منطقة قناة السويس ، ولكنه في اتفاقية الجلاء قبل شروطاً تقلل الى حد ما من تحقيق هذا الهدف مما أثار موجة من الانتقاد بين معارضيه السياسيين[٢٢] . وكان رد عبدالناصر عليهم أنه قد قبل تلك الشروط لأنها ستؤدي في النهاية الى تحقيق الهدف وأنه لم يكن من الحكمة التضحية بالتنازلات التي قبلتها بريطانيا ، لحساب تحقيق الهدف الاقصى دفعة واحدة (٢٩ تموز / يوليو عام ١٩٥٤ ، ٢١ آب / اغسطس عام ١٩٥٤) . واضاف « لن اقول ابداً أنني حصلت من الاتفاقية على كل شيء ، فهذا يعد تضليلاً . ولكن خطونا خطوة في سبيل تحقيق اهداف الثورة . وهذه الاتفاقية ليست الا خطوة في سبيل التخلص من الاحتلال » (٢١ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٥٤) .

---

(٢٢) في اتفاقية الجلاء قبل عبدالناصر ١٥٠٠ فني بريطاني لادارة قاعدة قناة السويس كما قبل شرط السماح بعودة القوات البريطانية الى القاعدة اذا حدث اعتداء على اي من البلدان العربية او تركيا .

أضف الى ذلك اعتقاد عبدالناصر أنه في اطار التمسك بالهدف الاقصى ، فإنه يمكن اتباع اي وسيلة متاحة لتحقيق الهدف ، حتى ولو شمل ذلك « محالفة الشيطان نفسه » (١٧ آذار / مارس عام ١٩٥٣) .

ويتضح ذلك كله بالنظر الى الجدول رقم (٤ ـ ٨) ، اذ أنه في ٩٣ بالمائة من الجمل الواردة عن اسلوب اختيار الاهداف ، كان عبدالناصر يؤكد على ضرورة اختيار الاهداف القصوى ، ولكنه في ٧٥ بالمائة من الجمل المذكورة عن امكانية تعديل الهدف او الوسيلة ، كان عبد الناصر يحبذ تعديل الاسلوب فقط وليس الهدف .

جدول رقم (٤ ـ ٨)

التوزيع التكراري لعقائد عبد الناصر المتعلقة
باسلوب اختيار الاهداف السياسية ، للسنوات ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦

السنـة / العقيـدة	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	المجموع
١ ـ طبيعة الاهداف السياسية	٥٥	٧٤	٧	٩٣	٢٩٢
تدمير الاعداء (٪)	١٥	٩	٦	٢	٧
دفاعية (٪)	—	(٣)	٢٩	٣٤	١٩
توفيقية (٪)	٢	(٤)	١	٩	٥
البحث عن السلام (٪)	٤	٣	٢٣(١)	١٨	١٣
التنمية الداخلية (٪)	٧٧	٨٠	٣٨	٣٠	٥٣
استعادة الحقوق	٢	(١)	٣(١)	٤(٢)	٣
أ ـ اسلوب اختيار الاهداف	١٨	١١	٦	٧	٤٢
اهداف قصوى (٪)	١٠٠	٧٣	١٠٠(١٧)	١٠٠	٩٣
اهداف ممكنة (٪)		٢٧			٧
ب ـ تناقض الاهداف	٦	١١	٤	١	٢٢
الاهداف متكاملة (٪)	١٧	٩	٧٥		٢٣
الاهداف متناقضة (٪)	٨٣	٩١	٢٥	١٠٠	٧٧
جدول زمني					
ج ـ امكانية تعديل الاهداف والوسائل		٢	٢		٤
تعديل الاهداف (٪)			٥		٢٥
تعديل الوسائل (٪)		١٠٠	٥٠		٧٥

ب ـ مناهج تحقيق الاهداف السياسية

٢٤ ـ نظراً لأن الاهداف قصيرة المدى قد تتناقض مع بعضها ، فإنه يجب تحقيق الاهداف من خلال جدول زمني بحيث يتحقق هدف واحد في الوقت .

٢٥ ـ يجب تحقيق الاهداف بطريقة تدريجية وبعد اعداد دقيق .

كان عبدالناصر يعتقد أن اهدافه السياسية الكبرى لا تتناقض مع بعضها البعض . فالاستقلال والتنمية هدفان متكاملان يتحققان معاً (١٨ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٣) ، والوحدة في اطار جامعة الدول العربية لا تتناقض مع التضامن الاسلامي (٢٧ تموز / يوليو عام ١٩٥٤) . بيد ان الاهداف التكتيكية او قصيرة المدى قد تتناقض مع بعضها البعض . ولهذا فإنه لا يجب تحقيق تلك الاهداف في وقت واحد ، وإنما يجب ان يخصص لكل هدف فترة زمنية محددة لتحقيقه ، على ان يعقبها تحقيق الاهداف الاخرى في فترات زمنية لاحقة . ولهذا فإنه على القائد السياسي ان يحدد لنفسه سلماً من الاولويات في اطار زمني متسلسل . انطلاقاً من هذه العقيدة كان عبد الناصر يرى انه لا يمكن تحقيق هدف جلاء القوات البريطانية قبل التخلص من الخونة المحليين (١٨ نيسان / ابريل عام ١٩٥٣) .وان هدف التنمية لا يمكن تحقيقه قبل جلاء القوات البريطانية (٢ آب / اغسطس عام ١٩٥٤) ، كما ان هدف التخلص من النشاط الشيوعي لا يأتي الا عقب التخلص من الاحتلال البريطاني[٢٣] .

والواقع ان اعتقاد عبدالناصر بمفهوم التسلسل الزمني لتطبيق الاهداف السياسية ، كان انعكاساً لاعتقاده بضرورة التطبيق التدريجي لتلك الاهداف . ففي نظر عبدالناصر ، يستلزم تطبيق اي هدف الاعداد الدقيق والتدرج في التنفيذ ، بمعنى الانتقال البطيء من خطوة الى خطوة حتى يتم تطبيق الهدف .

« إن الحياة النيابية السليمة في امة ما ، لا تأتي الا بعد عدة تجارب وعلى مراحل تدريجية . ولا يمكن أن تحدد لهذا التطور او التدرج فترة محددة ، فهي سلسلة متصلة من التجارب » (٢٢ آب / اغسطس عام ١٩٥٣) .

كذلك اكد عبد الناصر صراحة انه ضد اسلوب الوثبة الخاطفة او الدفعة القوية في تحقيق الاهداف (٢١ تموز / يوليو عام ١٩٥٣) .

« علينا أن نسير خطوة خطوة نحو تحقيق العدالة الاجتماعية بين افراد الشعب ، ولا بد للبلد من أن يتطور تدريجياً » (٦ نيسان / ابريل عام ١٩٥٤) .

وللبرهنة على صحة هذا النهج استشهد عبد الناصر بالمنهج القرآني في تحقيق الاهداف ، فقد ذكر تأييداً لتلك الفكرة ، ان العالم قد خلق في ستة ايام ، كما جاء في القرآن الكريم .

---

(٢٣) عبدالناصر ، تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر ، ص ٤٢ .

« إننا نسعى الى هدفنا ونحقق غايتنا بدون اسراع وعدم تبصر . . . ان الله قد خلق العالم في ستة ايام ، والحركة قامت منذ ستة شهور » (٢٥ آذار / مارس عام ١٩٥٣) .

وفي خطاب القاه في اول آب / اغسطس عام ١٩٥٣ ، استشهد بالمنهج الاسلامي مرة اخرى .

« إننا نريد ان نستفيد من دروس التاريخ وعظات الماضي في الدعوة الى رسالة هيئة التحرير . لقد نزل كل نبي بفكرة ، ولم ينزل بمشروع . كانت الرسالة المحمدية فكرة ، وظل النبي صلى الله عليه وسلم يناضل ثلاثة وعشرين سنة حتى آمن الناس بالفكرة . وكان في قدرة الله سبحان أن ينفذ فكرته دون نضال في سبيل الايمان » .

وإذا نظرنا الى الجدول رقم (٤-٩) في الجزء المتعلق بمنهج تحقيق الاهداف السياسية ، يتضح لنا ان ٦٥ بالمائة من الاقوال التي اوردها عبد الناصر في تلك الفترة عن المنهج السياسي كانت تؤكد على اسلوب التمهيد والتدرج كشرط ضروري لتحقيق الاهداف السياسية .

ج ـ الاستراتيجية السياسية

٢٦ ـ الاستراتيجية العامة للسياسة الخارجية يجب ان تكون ذات طابع توفيقي ، ولكن الاستراتيجية العربية ازاء اسرائيل يجب أن تكون ذات طابع ردعي ، كما ان الاستراتيجية المصرية ازاء القوى الداخلية المعادية يجب أن تكون ذات طابع قمعي .

لم يكن عبد الناصر يعتقد أنه من الحكمة اتباع استراتيجية سياسية واحدة متماثلة لتحقيق الاهداف السياسية ، ولكنه كان يتصور تلك الاستراتيجية كنظام ثلاثي الابعاد يفرق بين القضايا السياسية والاعداء السياسيين المختلفين ، ويوجه لكل منهم استراتيجية سياسية موحدة . ويمكن تلخيص هذا النظام الثلاثي في المقولات الثلاث : استراتيجية توفيقية مع العالم الخارجي ككل ، ردع الاعداء الخارجيين المباشرين ، وسحق القوى المضادة في الداخل .

كان عبدالناصر يعتقد أن الاستراتيجية السياسية العامة لسياسة مصر الخارجية يجب أن تنهض على مبدأ « التوفيق المتبادل » .

ويقصد بذلك بعدين أساسيين : أن يكون الخط العام للسياسة الخارجية متسماً بالاستعداد للتعاون وتحقيق السلام ، صياغة السياسة الخارجية ازاء دولة معينة يجب ان تتم طبقاً لنمط سياسة تلك الدولة ازاء مصر ، اي طبقاً لمبدأ « التبادل السلوكي » . وقد عبر عبدالناصر عن هذا المبدأ الاخير بالشعار المعروف « نصادق من يصادقنا ونعادي من يعادينا » . وفي خطاب ألقاه في ٢٣ شباط / فبراير عام ١٩٥٣ عبّر عبدالناصر عن هذين البعدين في استراتيجية السياسة الخارجية بقوله :

« نحن لا نحمل للعالم كافة الا المودة والاخاء والشعور بآلام الحاضر ، والامل في المستقبل . ولكننا ننظر الى الدول ونراقب سلوكها معنا . فمن كان اقرب لمصالحنا واكثر استعداداً لمعاونتنا شددنا على يديه بأيدينا . ومن تجاهل حقوقنا ومصالحنا المقدسة ، فلن يكون له منا الا الحرب في كل ميدان » .

تطبيقاً لهذا الخط العام ، فإن الاستراتيجية السياسية الامثل تجاه الاعداء الخارجيين هي استراتيجية الردع . ذلك ان اظهار حسن النوايا تجاه العدو الخارجي سيفسر من جانب هذا العدو على انه مظهر للضعف ، وسيشجعه على التمادي في عدوانه . ولكن استراتيجية الردع من شأنها ان تحد من السلوك العدواني للعدو الخارجي .

وبحكم وجودها في قاعدة قناة السويس ، كانت بريطانيا اول دولة معادية يتعامل معها عبدالناصر ، في اطار تلك الاستراتيجية . ويُوضح تأمل الوثائق الناصرية في تلك الفترة أن عبد الناصر مزج بين التهديدات والوعود لكي يجبر بريطانيا على الجلاء من منطقة القناة . فقد هدد بريطانيا بشن حرب عصابات شاملة ضدها في منطقة القناة ، ولكنه عبّر في الوقت نفسه عن استعداده لحل الصراع كلاسيكياً واقامة علاقات ودية مع بريطانيا ، اذا استجابت لمطلب الجلاء .

« إننا على أتم استعداد لأن نكون معقولين ، ولكن الانكليز مثلاً قد وعدونا طيلة السبعين عاماً الماضية أن يخرجوا من منطقة قناة السويس ولم يخرجوا . ان مصر لا تستطيع ان تطيق مزيداً من المماطلة والتسويف ، فإذا شعرت حكومة العهد الجديد ، بعد هذه الجهود التي نبذلها ، بأننا لم نصل الى تخليص بلادنا من الاحتلال البريطاني ، فثقوابأن قواد الثورة سوف ينسحبون من الحكومة ليستعدوا لقيادة الشعب في حرب ضد الانكليز ، ولن تكون هذه الحرب رسمية ، وانما ستكون حرباً فدائية » (١٧ آذار / مارس عام ١٩٥٣) .

وقد اتضحت ابعاد تلك الاستراتيجية مرة اخرى حين ثارت مشكلة تأميم شركة قناة السويس وتهديد الدول الغربية بالتدخل . فقد رد عبدالناصر على التهديدات الغربية تحت دعوى تأمين الملاحة في القناة ، باقتراح تسوية المشكلة عن طريق التفاوض ، وابدى استعداده لحضور مؤتمر دولي في لندن لمناقشة المشكلة ، ولكنه في الوقت نفسه أكد أن مصر ستشن حرباً شاملة لتدمير مصالح الغرب في المنطقة ، اذا حاولت الدول الغربية التدخل في القناة (١٢ آب / اغسطس عام ١٩٥٦ ، ١٥ ايلول / سبتمبر عام ١٩٥٦) . وقد استمر عبدالناصر في التأكيد على تلك الاستراتيجية التوفيقية ـ الردعية ، حتى نشوب العدوان الثلاثي ، محاولاً بذلك افشال محاولات بريطانيا وفرنسا التدخل عسكرياً في مصر .

اما بالنسبة لاسرائيل ، فقد تميزت هذه الفترة بوجود استراتيجيتين سياسيتين مختلفتين ، وان كانت كل منهما تمثل فترة زمنية معينة . فقبل الغارة الاسرائيلية على غزة في شباط / فبراير عام ١٩٥٥ اتبع عبدالناصر استراتيجية دفاعية ـ توفيقية ازاء اسرائيل . قوام تلك الاستراتيجية تنسيق القدرات الدفاعية المشتركة للبلدان العربية ازاء اسرائيل ، ثم السعي تدريجياً ، انطلاقاً من هذا الموقف الدفاعي القوي ، لتحقيق السلام مع اسرائيل على اساس تنفيذ قرارات الامم المتحدة ، وذلك كله في اطار التركيز على بريطانيا ، باعتبارها العدو الرئيسي للعرب . ولذلك ، فقد اكد عبد الناصر لاسرائيل قبل شباط / فبراير عام ١٩٥٥ أن مصر « لا تنوي بدء الصراع » ، وانه مستعد للسلام اذا احترمت اسرائيل قرارات الامم المتحدة (٢٢ آب / اغسطس عام ١٩٥٣) ، « اننا لا نريد ان نكون البادئين بالصراع ، فليس للحرب مكان في سياستنا الانشائية التي رسمت لتحسين احوال شعبنا » (١٩ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٤) .

بيد أنه عقب الغارة على غزة حدث تحول في استراتيجية عبد الناصر تجاه اسرائيل ، وذلك من استراتيجية دفاعية توفيقية الى استراتيجية دفاعية ـ ردعية . من ناحية،استمر مبدأ الدفاع احد العناصر الرئيسية في استراتيجية عبد الناصر ازاء اسرائيل . فلم يحدث مطلقاً في تلك الفترة ان عبّر عبد الناصر عن تفضيله لاستراتيجية هجومية او حتى استراتيجية للدفاع الوقائي ، بمعنى المبادرة بشل هجوم العدو قبل ان يبدأ . ولهذا نجده يؤكد لقوات العريش في ٣٠ آذار / مـارس عام ١٩٥٥ ان اي حرب ستحدث في سيناء . وفي اليوم التالي ألقى محاضرة بمناسبة الموسم الثقـافي للقوات المسلحة ، اكد فيها أن « كل معاركنا ضد اسرائيل هي معارك دفاعية » . وفي الوقت نفسه ، بدأ عبدالناصر يطور ملامح استراتيجية سياسية عسكرية ازاء اسرائيل ذات ثلاثة ابعاد :

(أ) هجوم اسرائيل على مصر في المستقبل سيواجه بالمثل ، ومن ثم فإن مصر « سترد العدوان بالعدوان » (٩ تموز / يوليو عام ١٩٥٥) .

(ب) بناء قوة عسكرية مصرية ذات قدرة ردعية فعّالة ، « فالمحافظة على السلام احياناً تقتضي الانسان أن يكون مستعداً للقتال » . وقد كان عبد الناصر ينظر الى بناء تلك القوة كأداة لردع العدوان الاسرائيلي ، ولاجبار اسرائيل على التسليم بحقوق الفلسطينيين .

«ونحن ندعو بالخلاص الى السلام واستقرار الطمأنينة بين الامم كافة نظل أيقاظاً وسيفنا مسلول في أيدينا لنقاتل كل من تسول له نفسه أن يمس ذرة من الوطن . وجيشكم الذي حدثتكم عنه الآن يستحثكم دائماً أن تمنحوه كل ذرة من عواطفكم ليطوي الاعداء صدورهم على احقادهم حتى يموت فيها فيسالمونا بحق ويعيدوا الينا الحق المغتصب » (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٥٥) .

وفي ١٣ ايار / مايو عام ١٩٥٦ أعاد تأكيد المعنى نفسه في خطاب له في غزة : « ان السلام لا يمكن صيانته الا بقوة عسكرية تحميه ، ذلك ان السلام لا يتحقق من جانب واحد . . . ان صيانة السلام رهن بقدرة القتال » .

(ج) تقوية النظام الدفاعي الاقليمي العربي في اطار نظام عربي مستقل للضمان الجماعي . وفي هذا الصدد ، فإن مصر يجب أن ترفض مشروعات الاحلاف الغربية كحلف بغداد لأن نجاح تلك المشـروعات يعني عـزل مصر وتـركها منفـردة امام اسـرائيل ، (٢٦ آذار / مـارس عـام ١٩٥٦) .

والواقع ان تبني تلك الاستراتيجية الدفاعية ـ الردعيـة كانت نتيجـة لسلوك اسرائيـل . فعبدالناصر طوال تلك الفترة أبدى استعداداً للتسوية السلمية . بل انه حتى بعد الغارة على غزة لم يفقد الامل في تلك التسوية . وقد اتضح ذلك حينما قبل عبدالناصر في ١٢ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٥ المقترحات التي قدمها انتوني ايدن وزير خارجية بريطانيا آنئذٍ ، والتي اقترح فيها اجراء مفاوضات بين العرب واسرائيل على اساس قـرار التقسيم . ففي حديث ادلى بـه الى صحيفة نيوكرونيكل اللندنية ، قال :

« لأول مرة يحاول رئيس وزراء غربي مسؤول أن يكون عادلاً ويذكر قرارات الامم المتحدة ، وان سير ايدن اتخذ مسلكاً ايجابياً انشائياً ازاء مشكلة اهملت امداً طويلاً ،ان اي مفاوضات للصلح مع اسرائيل يجب ان تقوم على اساس هذا القرار (قرار الامم المتحدة بالتقسيم) » .

وقد أثارت تصريحات عبد الناصر موجة من الانتقاد في البلدان العربية . فعبدالناصر بقبوله مقترحات ايدن قد قبل مبدأ التفاوض مع اسرائيل . بيد ان اسرائيل التي طالما نادت بالسلام مع العرب ـ رفضت ايضاً مقترحات ايدن لأنها تنص على تنفيذ قرارات الامم المتحدة ، بل كثّفت من غاراتها على البلدان العربية المحيطة . وقد أسهم ذلك في اقناع عبدالناصر بعدم جدية الاعلانات الاسرائيلية حول السلام والتفاوض ، وان اسرائيل تعني بذلك تكريس الامر الواقع . ولهذا نجده في اواخر عام ١٩٥٥ يعلن فشل سياسة السلام مع اسرائيل . « لا جدوى من سياسة السلام (مع اسرائيل) . حيث لا يمكن أن يكون هناك سلام من جانب واحد بينما يتمادى الجانب الآخر في العدوان » (١٥ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٥) .

أما بالنسبة للقوى المعادية بالداخل ، فإن الاستراتيجية السياسية الناصرية كانت ذات طابع قمعي لا شبهة فيه . فقد كان عبدالناصر يتصور أن انسب الاستراتيجيات ازاء تلك القوى هي استراتيجية السحق من خلال « حرب لا هوادة فيها » ، ولذلك فقد دافع عبد الناصر عن حرمان القوى السياسية المعارضة ، وبالذات الشيوعيين والاخوان المسلمين ورجال الاحزاب السياسية من حرياتهم ، « حتى ولو كان ذلك يعني تحويل الثورة الى ثورة حمراء » (٢٩ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٥٤) .

« هناك ايدٍ مصرية غادرة تريد ان تمتد الى يد عدوكم لتمكنه منكم ، ولتحيا في ظله ، فتحسسوا هذه الايدي ، وابحثوا عنها ، واقطعوها دفاعاً عن حريتكم » (٢٦ آب / اغسطس عام ١٩٥٣) .

ولعل ذلك يوضح ان عبدالناصر كان دائماً ينظر الى المعارضة السياسية باعتبارها الوجه الآخر للخيانة القومية . ومن الطبيعي ان التعامل مع الخيانة لا يتم من خلال التوفيق او الردع ، ولكن من خلال القمع السياسي . من ناحية اخرى ، فإن عبدالناصر كان يبرر تلك الاستراتيجية على أساس ان سحق القوى المعادية يمهد الطريق نحو تحقيق اهداف الثورة ، ويحفظ حرية المواطنين . وبعبارة اخرى ، اعتبر عبدالناصر التخلص من المعارضة السياسية شرطاً للديمقراطية والتنمية[٢٤] .

« لقد قررنا أن تقام في هذا الوطن حرية حقيقية ، ولن تقام هذه الحرية الا اذا كشفنا اعداء الحرية . . سنسلب

---

(٢٤) ولعل ذلك كان واضحاً في ممارسات النظام ازاء الاحزاب السياسية المعارضة . فيذكر الاستاذ احمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة ، والاستاذ ابراهيم طلعت احد زعماء حزب الوفد ، ان عبدالناصر اخبرهما أن الاحكام التي تصدرها « محكمة الثورة » على قادة الاحزاب السياسية المعارضة ـ ومنها احكام بالاعدام ـ هي « احكام سياسية » ، وان المحكمة لا تنظر الى المحاكمات من الناحية القانونية ، انظر : احمد حسين ، في : الشعب (القاهرة)، ٧/ ٩ / ١٩٨٢) ، وابراهيم طلعت في : روز اليوسف (القاهرة)، (١٠ كانون الثاني / يناير ١٩٧٧) .

حرية اعداء الحرية ، سنسلب حريتهم حتى لا تتكرر مآسي الماضي » (٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٤) .

جدول رقم (٤ـ ٩)

التوزيع التكراري لعقائد عبد الناصر المتعلقة
بمنهج واستراتيجية تحقيق الاهداف ، للسنوات ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦

السنــة / العقيــدة	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	المجموع
٢ـ المنهج	٣٠	٢٥	٦	٩	٧٠
التمهيد اولاً (٪)	٦٣	٤٤	١٧	٣٣(١١)	٤٨
المحاولة والخطأ (٪)	١٧			١١	٩
التدرج (٪)		٤٠		٢٢	١٧
الدفعة القوية (٪)	٣	٨	٥٠(٣٣)	١١	١٠
التعبئة الشاملة (٪)	١٧	٨	(٣٣)	٢٢	١٦
٣ ـ الاستراتيجية السياسية	٢٧	٣١	٢٢	٥٩	١٣٩
أدر خدك الايسر (٪)					
استراتيجية غير عقابية (٪)					
استراتيجية توفيقية (٪)	١٥(٤)	١٠(٣)		٢٥	١٦
استراتيجية ردعية (٪)	٥٢	٥٢(١٣)	٤٥(٥٨)	٥٥(٢٠)	٥٥
استراتيجية عدوانية (٪)	٣٣	٣٩	٣٢	٢٠ •	٢٩

د ـ المخاطرة السياسية

٢٧ ـ من الممكن قبول بعض المخاطرات المحسوبة

امتداداً لمنهجه الحـذر في تنفيذ الاهداف السياسية ، لم يكن عبدالناصر مستعـداً لقبول مخاطرات سياسية كبيرة ، او غير محسوبة ، ولكنه كان مستعداً لقبول بعض المخاطرات السياسية المحسوبة . من حيث المبدأ كان عبد الناصر يعتقد انه على القائد السياسي أن يمزج بين الواقعية السياسية وبين التصـميم على تحقيق الهدف السياسي ، ولو كان السبيل اليه محفوفاً بالمهالك . وفي خطاب له امام البرلمان الهندي في ١٤ نيسان / ابريل عام ١٩٥٥ اكد تصميمه على حماية استقلال مصر « مهما كان الثمن » ، كما أنه في مناسبة اخرى امتدح مقاومة الرئيس تيتـو لمحاولات السيـطرة السوفياتية « بصرف النظر عن المخاطر » . وهذا يعني ان عبدالناصر من حيث المبدأ كان مستعداً لقبول بعض المخاطرات السياسية . بيد أنه اكد دائما أنه لا يجب قبول اي مخاطرة سياسية الا اذا كانت تلك المخاطرة محسوبة . وقد أوضح ذلك في مناسبتين مهمتين خلال تلك الفترة . المناسبة الاولى كانت الخلاف المصري ـ البريطاني حول الجلاء ، فقد أكد عبدالناصر ان مصر يجب الا تدخل اي

معركة ضد القوات البريطانية الا اذا تأكدت « مقدماً أننا منتصرون » (٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٣) . اما المناسبة الثانية ، فكانت المفاوضات التي دارت بين مصر والبنك الدولي حول تمويل انشاء السد العالي . فقد رفض عبدالناصر عرض البنك بتمويل المرحلة الاولى للسد العالي على ان يتم التفاوض حول تمويل المرحلة الثانية في فترة لاحقة . وكانت حجة عبدالناصر ، التي أعلنها في خطاب تأميم شركة قناة السويس في ٢٦ تموز / يوليو عام ١٩٥٦ ، ان قبول مثل هذا العرض هو مخاطرة سياسية كبيرة من شأنها ان تقيد من السيادة المصرية في المرحلة الثانية . فالبنك الدولي والقوى الغربية تستطيع ان تعرقل مفاوضات تمويل المرحلة الثانية ، من اجل اجبار مصر على تقديم تنازلات تمس سيادتها . وستكون مصر مضطرة لقبول ذلك حفاظاً على الاستثمارات التي تمت في المرحلة الاولى .

وبتأمل الجدول رقم (٤ - ١٠) يتضح ان ٤١ بالمائة من الجمل الواردة عن امكانية المخاطرة السياسية ، كانت تؤكد ضرورة تجنب المخاطرة السياسية ، وان ٢٩ بالمائة من تلك الجمل كانت تؤكد جواز المخاطرة السياسية بشروط معينة .

هـ - توقيت السلوك السياسي

٢٨ - نجاح اي سلوك سياسي يعتمد على التوقيت الدقيق .

٢٩ - من الضروري تجنب السلوك السابق لأوانه . تصرف فقط حينما تكون واثقاً من النجاح .

٣٠ - لا يجب اتخاذ اي سلوك الا من موقع القوة .

باعتباره ضابطاً محترفاً ، ومدرساً للتكتيك العسكري ، كان عبدالناصر واعياً الى حد كبير باهمية التوقيت الدقيق لنجاح اي سلوك . فالتوقيت الصحيح للسلوك السياسي ، كما تصور عبدالناصر ، جزء أساس من نجاح هذا السلوك في تحقيق اهدافه ، كما أن الفشل في توقيت السلوك من شأنه أن يؤدي الى فشل الهدف . ففي خطاب في ٢٣ شباط / فبراير عام ١٩٥٣ ، أعلن عبد الناصر انه لم يكن من الممكن شن الثورة - رغم الحاجة الماسة اليها - في وقت مبكر لأن الضباط الاحرار « آثروا الانتظار حتى تحين الفرصة المناسبة فضربوا ضربتهم القاضية » . وفي ١٤ حزيران / يونيو عام ١٩٥٣ أضاف انه « لو أننا قمنا بهذه الثورة في اول سنة قررناها لما نجحت » ، وان الامر احتاج تحديد التوقيت المناسب .

كذلك رد عبدالناصر على الذين انتقدوا تردده في اللجوء الى العمل العسكري الفوري بقوله : « السلاح متوافر لدينا ، ولكن نحن الذين سنحدد المعركة وسنديرها ، كما دبر الضباط الاحرار حركتهم ، ويجب ان نسلم امورنا الى قادتنا ، وسنخرج في الوقت الذي سنختاره ، وبذلك سوف يتحقق لنا النصر » (١٦ حزيران / يونيو عام ١٩٥٣) .

والواقع ان تأكيد عبدالناصر على اهمية توقيت السلوك السياسي كان انعكاساً لمنهجه الحذر في تحقيق الاهداف السياسية ، كما أنه انعكس على تصوره لأفضل التكتيكات السياسية التي تضع الاستراتيجية السياسية موضع التطبيق . وفي هذا الصدد اكد عبدالناصر انه عند اتخاذ قرار او سلوك معين يجب تجنب الانفعال والعاطفة مع القيام بحساب عقلاني تحليلي لكل النتائج المحتملة سلفاً (٢٠ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٣ ، ١ حزيران / يونيو عام ١٩٥٦) .

ويرتبط بقواعد التكتيك السياسي الامتناع عن المبادأة بأي سلوك ، سواء أكان هذا السلوك ذا طابع توفيقي او تصعيدي ، ما لم يكن المُبادىء بالسلوك في موقف القوة . وما لم يكن القائد السياسي في مثل هذا الموقف بالنسبة لعدوه ، فمن الافضل ان يمتنع عن المبادأة بأي قرار او سلوك ، لأن احتمالات الفشل ستكون كبيرة . . وعلى سبيل المثال ، فقد فسّر عبدالناصر قرار اطلاق سراح المعتقلين السياسيين بأن الثورة قد اصبحت في مركز قوة حقيقي بالنسبة لاعدائها في الداخل ولم يكن ممكناً الافراج عنهم قبل ذلك ، لأنه كان سيعني القضاء على الثورة (١ حزيران / يونيو عام ١٩٥٦) .

جدول رقم (٤ ـ ١٠)

التوزيع التكراري لعقائد عبدالناصر المتعلقة بالمخاطرة السياسية والتوقيت السياسي ، للسنوات ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦

العقيـدة / السنـة	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	المجموع
٤ ـ المخاطرة السياسية	١	٣	١	٢	٧
المخاطرة ضرورية (٪)				١٠٠	٢٩
المخاطرة ممكنة (٪)		٦٧			٢٩
المخاطرة مستبعدة (٪)	١٠٠	٣٣	١٠٠		٤١
٥ ـ التوقيت السياسي	٤	١	١		٦
أساسي (٪)	١٠٠	١٠٠	١٠٠		١٠٠
مستحب (٪)					
غير ضروري (٪)					
٦ ـ السلوك السياسي	٣	٢	٢	٣	١٠
تصرف بسرعة (٪)	٣٣				١٠
تصرف حينما يتفاقم (٪)					
استفزاز العدو (٪)			(٥٠)	٣٣	٢٠
تأخير السلوك (٪)		٥٠	(٥٠)	٦٦	٤٠
تجنب السلوك السابق لأوانه (٪)	٦٧	٥٠			٣٠

و ـ وظيفة القوة العسكرية واستعمالاتها

٣١ ـ القوة ليست بالضرورة مرادفاً للقوة العسكرية .

٣٢ ـ تجنب استعمال القوة العسكرية ، الا كملجأ اخير .

٣٣ ـ تجنب استعمال القوة العسكرية في الصراع العربي ـ الاسرائيلي .

٣٤ ـ القوة العسكرية اداة لردع العدو .

٣٥ ـ الاستعداد العسكري والتفاوض السياسي يجب ان يسيرا جنباً الى جنب .

٣٦ ـ اللجوء الى استخدام القوة العسكرية افضل من الاستسلام لابتزاز العدو .

٣٧ ـ احرص دائماً على الحصول على التفوق العسكري على العدو .

٣٨ ـ في استعمال القوة العسكرية ، من الافضل ان تتراجع لتجميع القوات عن ان تقع في الحصار .

تثير قضية القوة العسكرية في المفهوم الناصري قضية مفهوم القوة لدى عبدالناصر . هل كان عبدالناصر يتصور القوة باعتبارها مفهوماً مركباً من مجموعة من الابعاد ، احدها القوة العسكرية ، ام ان القوة العسكرية هي الجوهر الحقيقي لقوة الدولة ؟

عرّف عبدالناصر القوة بأنها تعني التصميم على تحقيق هدف معين ، وبالتالي فإن القوة يمكن أن تأخذ اشكالاً متعددة ، كالتأييد المعنوي والسيكولوجي ، الشجاعة ، الموارد الاقتصادية ، الموقع الجغرافي ، او القوة العسكرية . ومن ثم ، فالقوة العسكرية هي بعد واحد لمفهوم متعدد الابعاد، بل انه قد لا يكون اهم تلك الابعاد . ومن الجدير بالتأمل انه في تحليله لمفهوم ومصادر القوة العربية ، في تلك الفترة ، لم يشر عبدالناصر اطلاقاً الى القوة العسكرية . ففي كتابه فلسفة الثورة، عرّف عبدالناصر القوة العربية على أنها مرادف للروابط الروحية والمعنوية بين العرب ، والموقع الجغرافي ، والنفط :

« إننا نخطىء في تعريف القوة ، فليست القوة أن تصرخ بصوت عالٍ ، إنما القوة أن تتصرف ايجابياً بكل ما تملك من مقوماتها . وحين احاول ان احلل عناصر قوتنا لا اجد مفراً من أن اضع ثلاثة مصادر بارزة من مصادرها يجب ان تكون اول ما يدخل في الحساب . اول هذه المصادر اننا مجموعة من الشعوب المتجاورة المترابطة بكل رباط مادي ومعنوي يمكن أن يربط بين مجموعة من الشعوب . . . اما المصدر الثاني فهو ارضنا نفسها ومكانها على خريطة العالم . . . يبقى المصدر الثالث وهو البترول ، الذي يعتبر عصب الحضارة المادية » .

وفي خطاب أدلى به في نادي الضباط في ٢ شباط / فبراير عام ١٩٥٥ أعاد تأكيد هذا المعنى :

« إن قوتنا في قوميتنا ، قوتنا في مواردنا ، قوتنا في موقفنا ، هذه هي القوة وهذه هي اسباب القوة » .

ولهذا فإنه عندما كان عبدالناصر يتحدث في وثائقه عن القوة واستعمالها لتحقيق اهداف معينة ، فإنه كان يقصد القوة بهذا المعنى الواسع ، وليس مجرد القوة العسكرية .

القوة العسكرية في المفهوم الناصري ، هي بعد واحد من ابعاد القوة الشاملة ، ومن ثم ، فإنها يجب ان توظف في اطار استراتيجية الردع ، بحيث تكون وظيفتها الاساسية هي اقناع العدو بجدية الردع . ففي نظر عبدالناصر ، لا يمكن تحقيق السلام الا من خلال بناء قوة عسكرية مؤثرة تدفع العدو ان يفكر مرتين قبل ان يرتكب العدوان . وقد عبّر عبدالناصر عن ذلك في خطاب القاه في الجبهة الشرقية في ١٤ ايار / مايو عام ١٩٥٦ بقوله : « لن يكون سلام بالنسبة الينا إلا بعد أن نبني قوة مسلحة يعتمد عليها ، يحسب كل فرد حسابها ، ويقدرها كل التقدير » .

وقد عبّر عبدالناصر عن هذا المفهوم الشامل للقوة العسكرية من خلال تعامله مع بريطانيا في اطار مفاوضات الجلاء ، ومع اسرائيل في اطار الصراع العربي ـ الاسرائيلي . وفي الحالة الاولى ، اكد ان القوة العسكرية ، بالمعنى الضيّق ، يجب الَّا تستعمل الا بعد استنفاد كل الوسائل الاخرى المتاحة . فلا يجب ان يبدأ القائد تعامله مع العدو باللجوء الى القوة العسكرية ، ما لم تكن تلك هي الوسيلة الوحيدة الممكنة . وفي خطاب القاه في ١٧ آذار / مارس عام ١٩٥٣ ، أعلن انه سيلجأ فقط الى حرب العصابات ضد القوات البريطانية المتمركزة في منطقة قناة السويس بعد استنفاد الطرق السلمية في اطار المفاوضات . وفي خطاب آخر القاه في اول آب / اغسطس عام ١٩٥٣ أعلن : « اننا سنبذل كل ما في وسعنا لكي نصون الدم المصري ، ولن نسمح بإراقته الا عندما ندرك ان لا مفر من ذلك» .

وحتى عندما انهارت المفاوضات المصرية ـ البريطانية وأعلن عبدالناصر ان « الاستعمار لا يخرج من بلد الا بالقوة ، وبالقوة وحدها » (١٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٣) ، استمر عبدالناصر متمسكاً باعتقاده أنه ببناء قوة عسكرية مؤثرة ، فإن بريطانية ستتراجع وتسلم بالحقوق المصرية دون معركة :

« نحن مصرون رغم المفاوضات على ان ننال حرية البلاد بالقوة ، ويوم يدرك الانجليز اننا اصبحنا اقوياء لن يبقوا بأرض القناة » (اول كانون الثاني / يناير عام ١٩٥٤) .

اذا كان عبد الناصر ـ في تلك الفترة ـ قد تصوّر القوة العسكرية كملجأ أخير في التعامل مع القوات البريطانية ، فإنه قد استبعد صراحة احتمال استعمال تلك القوة ازاء اسرائيل . فبينما أدت غارة غزة الى ترسيخ الصورة السلبية لاسرائيل كدولة توسعية لدى عبد الناصر ، الا انها لم تؤد الى تغير في تصور استعمال القوة العسكرية ضد اسرائيل . فقد اعتقد عبدالناصر أنه يجب تجنّب الحرب ضد اسرائيل ، لأنها ستؤدي الى عرقلة برامج التنمية ، حين اكد ان « الحرب ستضيع علينا كثيراً مما نسعى الى تحقيقه » (١٩ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٤) . واكد ذلك في مقالته المنشورة بمجلة الشؤون الخارجية في (كانون الثاني / يناير عام ١٩٥٥) :

« اننا لا ننوي ان نبدأ الصراع مع اسرائيل ، فالحرب لا مكان لها في سياستنا التعميرية التي رسمناها لتحسين مستوى معيشة شعبنا . لدينا في مصر الكثير مما يجب ان نفعله كما أن بقية العالم العربي لديه الكثير مما يجب ان يفعله . والحرب قد تؤدي بنا الى الخسارة » .

كما أعاد تأكيد المعنى نفسه في حديث ادلى به الى مجلة نيوزويك ، استبعد فيه احتمال اللجوء الى القوة العسكرية في الصراع العربي ـ الاسرائيلي :

« من المحقق انه ليست لدينا نيات عدائية ضد اسرائيل او ضد اي امة اخرى ، وانا كجندي ، قد رأيت من المعارك ما يجعلني ارغب في السلام باخلاص ، وكزعيم لبلادي ، اعرف مقدار ما يجب عمله لتحقيق الرخاء لمواطني . ان الرخاء والسلام يسيران جنباً الى جنب ، ولا محل للحرب في مشروعاتنا الانشائية »[٢٥] .

ويتضح ذلك بتأمل التوزيع التكراري الوارد في الجدول رقم (٤ـ ١١) ، اذ انه في ٦ بالمائة فقط من اقواله عن القوة العسكرية ، كان عبد الناصر يرى ان القوة العسكرية هي الحل الوحيد لتحقيق الاهداف السياسية ، وما عدا ذلك واحدة من مجموعة الادوات .

إذا كان ذلك كذلك ، فما هي الظروف التي يمكن في ظلها اللجوء الى القوة العسكرية في التعامل السياسي الدولي ؟ حدد عبدالناصر ظرفين أساسيين ، يبرر وجود احدهما اللجوء الى القوة العسكرية . الظرف الاول ، هو حالة استنفاد كل الوسائل السياسية لحل المشكلة ، اما الظرف الثاني فهو حالة وجود تهديد خارجي مباشر للاهداف السياسية القصوى للدولة ، او تهديد بالفناء القومي للدولة . فقد اشترط عبدالناصر ضرورة اللجوء الى المفاوضات السياسية قبل اللجوء الى القوة العسكرية ، كما أوضحنا في هذا القسم . كذلك يمكن اللجوء الى القوة العسكرية ـ في التحليل الناصري ـ دفاعاً عن الاهداف القومية القصوى كالسيادة القومية او التكامل الاقليمي للدولة . ففي مثل هذه الحالة ، تعتبر القوة العسكرية الوسيلة الاساسية للتعامل . وقد تأكد تمسك عبدالناصر بهذا التحليل إبان ازمة العدوان الثلاثي على مصر في تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٦ . فقد رد عبدالناصر على الانذار البريطاني ـ الفرنسي الذي يطلب منه سحب قواته من منطقة القناة ، بتأكيد انه يفضل القتال على التسليم بمطالب الغزاة . وفي ٩ تشرين الثاني نوفمبر / عام ١٩٥٦ ، اي في اثناء الغزو ذاته : « حينما يفرض علينا القتال ، ونحن ننادي بالسلام ، لا بد من ان نقاتل لأننا بهذا ندافع عن شرف الوطن وعن كرامة الوطن » .

اذا كانت تلك هي وظيفة القوة العسكرية ، والظروف التي تبرر اللجوء اليها ، فكيف تستعمل القوة العسكرية ـ من الناحية التكتيكية ـ في مفهوم عبد الناصر؟

حدد عبد الناصر مبدأين رئيسيين يحكمان تكتيك استعمال القوة العسكرية ، التفوق العسكري ، والمرونة التكتيكية . والواقع ان المبدأين يعكسان مرة اخرى ، المفهوم الناصري الحذر إزاء القوة العسكرية . فكلا المبدأين يحقق في النهاية سيطرة القائد السياسي على استعمال القوة العسكرية سواء بضمان النصر نتيجة للتفوق ، او بالسماح له بالتراجع التكتيكي ، اذا تطلب الموقف ذلك . ففي ١٤ ايار /مايو عام ١٩٥٦ ، اكد عبدالناصر اهمية الحصول على التفوق العسكري على اسرائيل ، في كل ميادين التسلح ، حتى يتسنى الدفاع عن المنطقة العربية .

---

(٢٥) عبدالناصر ، تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر ، ص٤٢ .

كذلك ، عبّر عبدالناصر عن اعتقاده بامكانية التراجع العسكري التكتيكي من اجل توحيد الجبهة وتركيز القوات ، ولتفادي احتمال الوقوع في حصار عسكري . وقد عبّر عن ذلك ، حينما بدأ العدوان الثلاثي في خطبة ألقاها في ٢ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٦ ، فأعلن انه قد امر بسحب القوات المصرية الى غرب قناة السويس حتى تتفادى الوقوع في كماشة بين القوات الاسرائيلية من ناحية والقوات البريطانية ـ الفرنسية من ناحية اخرى . وقد اعتبر عبدالناصر هذا التراجع بمثابة نصر سياسي على القوات الغازية ، لأنه تفادى تدمير القوات المسلحة .

جدول رقم (٤ـ ١١)

التوزيع التكراري لعقائد عبدالناصر المتعلقة بالقوة العسكرية، للسنوات ١٩٥٣ـ ١٩٥٦

السنة / العقيدة	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	المجموع
٧ ـ وظيفة القوة العسكرية	١٧	٨	٧	١٩	٥١
تجنب استعمال القوة(٪)	٦	(١٣)	(١٢)٨٦		١٦
القوة حل اخير (٪)	٤٧	٦٢	(١٤)		٢٧
القوة هي الحل الوحيد (٪)	٦	٢٥			٦
القوة احد الادوات (٪)	٤١			(١١)٤٢	٢٩
القوة افضل من الاستسلام (٪)				٥٨	١٢
أ ـ استعمال القوة العسكرية(أ)			١	٦	٧
على نطاق واسع (٪)		.	(١٠٠)	٨٣	٨٦
بالاشتراك مع وسائل اخرى(٪)				١٧	١٤
ب ـ استعمال القوة العسكرية (ب)		٢		١٦	١٨
لا تشن الضربة الاولى (٪)		(٥٠)		(١٣)	١٧
بادر بالضربة الاولى (٪)		٥٠			٥
تراجع بدلاً من الحصار (٪)				٦٨ (١٩)	٦١
قاتل بدلاً من التراجع (٪)					
التفوق العسكري ضروري (٪)				١٩ (١٣)	١٧
التفوق العسكري غير ضروري (٪)					
ج ـ مفهوم القوة	٣	٤	٥	٢	١٤
متعدد الابعاد (٪)	١٠٠	٢٥	١٠٠	١٠٠	٧٩
قوة عسكرية فقط (٪)		٧٥			٢١

خاتمــة

من التحليل السابق تظهر صورة النسق العقيدي الناصري ، في تلك الفترة ، باعتبارها مزيجاً من العقائد القومية ، والافكار الليبرالية الاصلاحية ، مصحوبة بمثالية ويلسونية ، وعقيدة تفاؤلية تنتمي الى عقائد عصر التنوير . فقد فهم عبدالناصر العالم السيـاسي والاجتماعي من المنظور الليبرالي ، ذلك أنه رأى المجتمع كطبقة متوسطة عريضة ذات مصالح متجانسة ، هذه المصالح بدورها تتناقض مع مصالح الاعداء الخارجيين. كذلك فقد التزم عبدالناصر بقضية تنظيم المجتمع وتغييره بشكل تدريجي منظم . وعلى مستوى العلاقات الدولية ـ الاقليمية ، سعى الى تهدئة الصراع الاقليمي الرئيسي ، الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، كذلك ، لم يكن لدى عبدالناصر اي اوهام بصدد اقتداره السياسي كقائد سياسي . وكان التزامه بمجموعة من الاهداف القومية القصوى متوازناً مع اعتقاده الجازم بضرورة المرونة والتزام الرشادة السياسية في المنهج السياسي ، وتحقيق الاهداف بشكل تدريجي ، وتجنب استعمال القوة العسكرية . كذلك ، كان عبدالناصر مستعداً لتحمل بعض المخاطر السياسية بشرط أن تكون محسوبة مقدماً .

الفصل الخامس

النسق العقيدي الناصري : التحوّل الثوري (١٩٥٧ - ١٩٦٧)

تعتبر الفترة التاريخية الممتدة من انتهاء حرب السويس بنهاية عام ١٩٥٦ حتى حرب حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ ، بكل المقاييس فترة غير عادية في التاريخ المصري المعاصر . فقد كانت هي الفترة الوحيدة التي لم توجد فيها قوات اجنبية على الارض المصرية ، وتمتعت فيها مصر بدور قيادي رئيسي على المستويين العربي والعالمي . وكذلك ، فقد تميزت هذه الفترة بالاستقرار الداخلي ، والتحول الثوري نحو الاشتراكية والتنمية الاقتصادية . واخيراً ، فقد تميزت هذه الفترة بالهدوء النسبي على الحدود العربية ـ الاسرائيلية ، وبالذات على الحدود بين مصر واسرائيل .

وقد برز عبدالناصر بعد ازمة السويس ، كبطل القومية العربية ، وقائد حركة التحرر العربية . ذلك ان تحديه لحظر مبيعات الاسلحة الغربية لمصر ، وتأميم شركة قناة السويس ، والنصر السياسي الذي انتزعه من بين انقاض الهزيمة العسكرية مع بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، كل ذلك اسهم في امتداد زعامته لتشمل الوطن العربي بأكمله . وكما قال انتوني ناتنج ، فإن : « الامر كان يتطلب رجلاً يتمتع بقدرات تفوق طاقة البشر ، حتى لا يغتر بالألوهية التي اضفتها عليه الجماهير العربية . بيد ان المهارات التي ابداها في توجيه دفة السفينة المصرية خلال الامواج المتلاطمة لأزمة السويس ، اظهرت ان « الريس » كان بشراً »[١] .

ففي خلال الفترة محل البحث تراوحت علاقات عبدالناصر بالنظم العربية من اقصى العداء الى اقصى الصداقة . وكان عبدالناصر ممزقاً بين سعيه لتوحيد العرب ، بصرف النظر عن توجهاتهم السياسية ، لردع التهديد الاسرائيلي ، وبين محاولته تغيير المجتمع العربي تغييراً ثورياً مما أدخله في صراعات متكررة مع معظم النظم العربية . كذلك نجح عبدالناصر في تحقيق نوع من الهدوء على الجبهة المصرية ـ الاسرائيلية ، بدا للكثيرين متناقضاً مع مطلب « تحرير فلسطين » .

---

(١) Anthony Nutting, *Nasser* (New York: Dutton, 1972), p. 196.

وفي سعيه لحل هذا التناقض في ايار / مايو - حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ أفلت الموقف من يديه ، وانتهى الامر بكارثة حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ .

اولاً : العقائد الفلسفية

أ ـ الطبيعة الاساسية للعالم السياسي

١ ـ العالم السياسي هو نضال مستمر من اجل الحياة والقوة .

٢ ـ الصراع جزء اصيل من الطبيعة البشرية ، كما أنه مستمر باستمرار الحياة ذاتها .

٣ ـ الصراع السياسي يتميز بوجود مستويين : افقي ورأسي .

٤ ـ الطبيعة البشرية هي المصدر الرئيسي لكل الصراعات .

٥ ـ اشكال عدم المساواة الاجتماعية والسياسية هي المصدر الرئيسي للصراع الطبقي .

٦ ـ لكي يتم اقرار السلام الاجتماعي والسياسي ، ينبغي اقرار توازن دقيق بين الطبقات الاجتماعية .

٧ ـ لكي يتم اقرار السلام الاجتماعي والسياسي ، ينبغي تحقيق التكافؤ بين الطبقات الاجتماعية مع نزع سلاح وعزل الطبقات المستغِلة ، بشكل سلمي .

كان مفهوم عبدالناصر للعلاقات البشرية والحياة السياسية يتسم بطابع هوبزي . فالصراع البشري ظاهرة طبيعية وأساسية ودائمة . فهو ظاهرة طبيعية لأنه جزء من الطبيعة البشرية، نشأ مع نشأة الجنس البشري ذاته، ومع « قتل الاخ لأخيه من اول الخليقة . وكذلك، فالصراع ظاهرة دائمة، وهذا ما يتمثل في الصراع بين الخير والشر»(١٢ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٦٤) . وبالمثل فالسياسة هي ايضاً حرب دائمة ومستمرة بين الفئات والطبقات والامم المستغَلة ، وتلك المستغِلة من اجل السيطرة على مصادر القوة والحياة . «فالثورة الاجتماعية هي حرب وكفاح ضد السيطرة المستغلة الداخلية . . . كما أنها عملية مستمرة » . (٥ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٧) . والصراع لا يميز السياسة على مستوى العلاقات الاجتماعية فقط ، ولكنه ايضاً خصيصة اساسية للسياسة على مستوى العلاقات بين الامم . فتلك العلاقات تتميز بأنها صراع من اجل القوة والحياة ، وبالذات في مواجهة القوى الاستعمارية (٢١ شباط / فبراير عام ١٩٥٩) ، وهذا الصراع يتخذ شكل « معركة مستمرة باستمرار الزمن ، واستمرار الحياة » (٢٦ تموز / يوليو عام ١٩٥٧) .

وقد لخّص عبد الناصر هذا التحليل في خطابه امام اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني في ٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦١ بقوله :

« فيه صراع طبقي . ما نتساش أن مهما قلنا ومهما حاولنا أو حاولوا هم مفيش صراع طبقي . لا فيه . فيه صراع طبقي في كل مكان . فيه صراع بين الشخص اللي شايف أن عمله بيروح بأجر محدود وقام يطالب بأن يأخذ

حقه . فيه صراع بين الذين ورثوا الفلوس زي ما قلنا واللي ورثوا ملاعق الذهب واللي ورثوا الجهل والمرض والفقر . مهما غمضنا عنينا ، هذا الصراع موجود .بعدين بدي اقول ان الصراع تملي اما نفكر فيه يتهيأ لنـا أنه من الـطبقة الرجعية . مش بس بيجي من الطبقة المغلوب على امرها . صراع من هذا ومن هنا . كل واحد عنده اسلحته . هناك ايضاً تناقضات في داخل الشعب ، لن تنتهي مطلقاً ، ابداً ، باستمرار فيه خلافات تختلف عن الخلافات بين الشعب واعدائه وخلافات بينه وبين بعضه .زي الخلافات الموجودة في العائلة » .

وفي خطابه امام اعضاء المؤتمر الوطني للقوى الشعبية في ٢٦ ايار / مايو عام ١٩٦٢ قال :
« قد يكون هناك تناقض بين العمال والرأسمالية الوطنية والفلاحين والمثقفين . ولكن هذه التناقضات حتكون مستمرة دائماً . ممكن يكون فيه تناقض بينكم وبين الحكومة في وقت من الاوقات . . . والتناقض ، ده موجود باستمرار في الحياة اليومية . في البيت الواحد بين الاخ واخيه ، بين الرجل وابنته او زوجته واولاده يحصل نوع من التناقض » .

واخيراً ، فالصراع ليس فقط عملية دائمة ، ولكنه ايضاً ظاهرة عامة وحتمية . فالصراع الاجتماعي موجود في كل النظم الاجتماعية ، بما في ذلك النظم الاشتراكية . فالصراع الاجتماعي لا ينتهي مع تولي القوى الاشتراكية السلطة ، ولكنه يتخذ ابعاداً جديدة . وهذا ما عبر عنه عبدالناصر بقوله « ان استيلاء القوى الاشتراكية على الدولة وعلى السلطة السياسية لا يمكن بأي حال ان ينهي التناقضات الاجتماعية الموجودة » (١٦ ايار / مايو عام ١٩٦٥) .

والواقع ان ديمومة وحتمية الصراع الاجتماعي ، في التحليل الناصري ، تنبع من حقيقة اساسية وهي ان الصراع هو جزء من الطبيعة البشرية . فالانسان ـ بحكم طبيعته ـ يتسم بالانانية والتعصّب . ولهذا فإن مصالحه الذاتية تتناقض دائماً مع مصالح الافراد الآخرين ، ومع مصلحة المجتمع ككل .

وقد عبّر عبد الناصر عن تصوره للمصدر البشري الطبيعي للصراع في خطابه في الاحتفال بارساء الحجر الاساسي لكاتدرائية الكنيسة المرقسية في ٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٦٥ . «ربنا خلق العالم وخلق معه التعصب والمتعصبين . وسينتهي العالم وحيفضل معه التعصب والمتعصبين . ده موضوع لن ينتهي ابداً » .

وفي مناسبات اخرى عبر عن هذا التصور بقوله : « طبيعة الكون كده وطبيعة البشر انهم اذا تواجدوا يتناقضوا وبيتصارعوا » (٢١ ايار / مايو عام ١٩٦٥) .

« طبعاً احنا ما حناش من جمهورية افلاطون ، ولا هانقعد لغاية ما نشوف جمهورية افـلاطون . ولا حـد حايلاقي جمهورية افلاطون في هذه الدنيا . لأنها بدأت منذ الخليقة . من ايام هابيل وقابيـل ازاي الانسان يغـدر بالانسان ، وازاي الانسان يجب ان يكون حريص . فباستمرار عندنا هذه الامور وباستمرار يكون فيها الطيب وبيكون فيه الرديء » (٢٧ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦١) .

« احتمالات التصادم موجودة وستبقى موجودة ما بقي الناس وما بقي البشر . . . العلاقات البشرية متنوعة متغيرة متصادقة متناقضـة . فيه امـور في الحقيقة هي مـلازمة للطبـائع البشـرية » (١٨ آذار / مـارس عام ١٩٦٧) .

تطبيقاً لهذا المفهوم ، فقد عزا عبدالناصر بعض الهزات السياسية التي أصابت النظام السياسي المصري بعد عام ١٩٥٢ الى « ظهور بعض العناصر الانتهازية » ، وأضاف « وتلك ظاهرة طبيعية ، لأنها انعكاس لغلبة الانانية الفردية على المصلحة العامة في نفوس البشر في كل زمان ومكان » (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٥٧) .

بالاضافة الى الصراع البشري على مستوى الخلافات الشخصية ، فقد أضاف عبدالناصر نمطين أساسيين للصراع : الصراع الطبقي ، والصراع الاقليمي . وقد عرّف الصراع الطبقي بأنه « التناقضات الطبقية التي تنشأ عن استغلال الطبقة المسيطرة للطبقات العاملة » (١٧ آب / اغسطس عام ١٩٦١) . وفي مقولة تذكرنا بنظرية روسو في العقد الاجتماعي ، اضاف عبدالناصر ، بأن تلك التناقضات الطبقية لم تنشأ طبيعياً مع نشأة المجتمع . فالافراد قد خلقوا جميعاً متساوين ، والهيكل الاجتماعي بالأساس هو هيكل متناسق يحصل فيه كل فرد حسب جهده وعمله . ولكن الطبقات نشأت في مرحلة لاحقة نتيجة استعمال سلاح رأس المال كسلاح للاستغلال .

ففي خطاب لعبد الناصر في شباب سوريا في ١٧ آب / اغسطس عام ١٩٦١ قال : « إننا خلقنا كلنا متساوين . بعد ذلك كل فرد حسب جهده ، وحسب عمله في هذا المجتمع . ولكن الطبقات تكونت على مر الايام ، وعلى مر التاريخ بحيث اصبحت فيه طبقات سائدة وفيه طبقات مغلوبة على امرها ، واصبحت الطبقات السائدة تستغل جهد وعمل الطبقات العاملة واصبح رأس المال هو السلاح الاساسي الذي يستغل الانسان واصبح الاقطاع هو السلاح الرئيسي الذي يستغل الانسان » .

ومن هنا ، اصبح الصراع الطبقي مميزاً رئيسياً لكل المجتمعات البشرية ، بصرف النظر عن توجهاتها ، اذ أنه طالما استمرت التناقضات والفوارق الطبقية سيستمر الصراع الطبقي بين الذين يملكون والذين لا يملكون[٢] . وفي حديثه امام المؤتمر الوطني للقوى الشعبية في ٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦١ اكد هذا المعنى بقوله : « طالما فيه فلاح بيشتغل عامل تراحيل ومش لاقي ياكل ، وفيه واحد بيكسب في السنة نصف مليون جنيه يبقى لازم انه يكون فيه صراع طبقي . والا اذا ما كنش فيه صراع طبقي ما يقاش هذا الشعب حي . . » . وأضاف عبدالناصر : « فيه صراع طبقي في كل حتة ، صراع طبقي في كل مكان . فيه صراع بين الشخص اللي شايف ان عمله بيروح بأجر محدود ، وبين الذين ورثوا الفلوس وملاعق الذهب ، مهما غمضنا أعيننا هذا الصراع موجود . بالنسبة للتناقضات الموجودة ، هذه التناقضات موجودة وستبقى موجودة . وحتى نصل الى تذويب الفوارق بين الطبقات ستكون فيه باستمرار تناقضات في المجتمع كمجتمع . والصراع الطبقي حيكون موجود » (١٨ آذار / مارس عام ١٩٦٧) .

من ناحية اخرى ، احتل الصراع الاقليمي مركزاً رئيسياً في الادراك الناصري للعالم

---

(٢) بيد ان ذلك لا يمنع وجود جزر محدودة للوئام الاجتماعي ، لبعض اشكال العلاقات الاجتماعية في الريف . ففي « الريف هناك تضامن اجتماعي بين الناس ، طبيعي ، غير موجود بقانون . لا يوجد من يجوع في الريف . كل واحد يعمل مع الآخر . هذا القانون موجود في كل قرية من قرى الريف ، وكلنا يعلم هذا ، وكلنا نمارسه بحكم الوراثة والعادة الطبيعية » (٢٨ تموز / يوليو ١٩٥٩) .

السياسي وللعملية الصراعية . فكما استقى كارل ماركس نظريته في التطور التاريخي من تاريخ اوروبا ، فقد اعتمد عبدالناصر على التاريخ العربي كمصدر لفهم العملية السياسية . فقد انتهى عبدالناصر ـ من واقع قراءته للتاريخ العربي منذ عهد الاغريق والصليبيين والعثمانيين ـ ان الصراع من اجل القوة هو جوهر الحياة السياسية . مثل هذا الصراع كان دائماً علامة اساسية من علامات تطور المنطقة العربية ، كما أنه مرتبط اوثق الارتباط بارادة الحياة ذاتها :

« اذا كانت المنطقة التي نعيش فيها قد تعلمت خلال تاريخها الطويل ان الكفاح من اجل القوة والحياة ، يلازم الكفاح من اجل الوحدة . كان الكفاح من اجل القوة ارادة الحياة ، وكان الكفاح من اجل الوحدة ارادة النصر . ذلك هو درس التاريخ والكفاح المستمر . تاريخ هذه المنطقة التي نعيش فيها في مواجهة الامبراطوريات الغازية ، الاغريق والرومان والحروب الصليبية والفتح العثماني ، تاريخ هذه المنطقة في مواجهة الاستعمار » (٢١ شباط / فبراير عام ١٩٥٩) .

انطلاقاً من هذا المنطق ، فقد نظر عبدالناصر الى تطور التاريخ العربي كعملية صراعية اساسية تدور رحاها بين العرب وقوى السيطرة الخارجية . وامتداداً لهذا المنطق فقد اعتبر ان الصراع الراهن مع تلك القوى هو صراع ممتد لا نهاية له لأن هذا الجزء من العالم يتربص به العديد من الاعداء ، المتمثلين بالاستعمار الغربي واسرائيل والرجعية .

وفي خطابه في ١٦ ايار / مايو عام ١٩٥٨ اكد عبدالناصر هذا المعنى في سياق حديثه عن الصراع الاقليمي بين العرب والاستعمار بقوله « ان الكفاح سيستمر ما استمرت الحياة » . وفي حديث صحفي في ٢ شباط / فبراير عام ١٩٦٦ اعاد تأكيد هذا المعنى : « اما الصراع بين العناصر الرجعية والعناصر التقدمية في العالم العربي ، فلا يمكن ان ينتهي . هذه طبيعة الكون » .

وفي خطابه في ٨ آذار / مارس عام ١٩٦٥ قال : « لا زالت مواجهتنا موجودة مع اسرائيل ، مع الاستعمار ، مع الرجعية ، لا هم حايسيبونا ، ولا احنا حانسيبهم ، احنا عناصر متضادة » .

بيد ان المفهوم الناصري للحياة السياسية لم يكن مفهوماً ناصري البعد ، ولكنه كان مفهوماً متعدد الابعاد . فالصراع الاجتماعي والاقليمي في التحليل الناصري هو ظاهرة مركبة تتضمن بعدين أساسيين ، الاول بعد رأسي ، والثاني بعد أفقي . البعد الرأسي للصراع هو دور اساسي ولا يمكن حله او تفاديه ، لأن هذا البعد يتضمن التناقضات الرئيسية بين الطبقات المستغلة وبين تحالف الشعب العامل او بين القوى الاستعمارية والرجعية وبين القوى الثورية . من ناحية اخرى ، فإنه يستتر خلف البعد الافقي للصراع ، نوع من تناسق المصالح . فمصالح القطاعات المختلفة للشعب العامل (العمال ، الفلاحين ، المثقفين ، الجنود ، الرأسمالية الوطنية) هي مصالح مترابطة ومتشابهة ، رغم أنها تتميز بنوع من التناقض الثانوي الذي يمكن حله . وقد عبّر عبدالناصر عن البعد الرأسي للصراع في اطار مفهوم « الصدام » (التناقض الاجتماعي الرئيسي) ، وعن البعد الافقي في اطار مفهوم التناقض (التناقض الاجتماعي الثانوي) .

« قلنا عندنا حاجتين ، تصادم بيننا وبين اعدائنا اللي هم الرجعية ، ولذا قلنا ان الرجعية يجب تسقط ، وتحالف الاستعمار مع الرأسمالية يجب ان يسقط ، والرجعية يجب ان تتجرد من جميع اسلحتها . يبقى فـ التناقض . هذا التناقض موجود بيننا دلوقت : حيبقى فيه تناقض بين العمال والفلاحين ، فيه تناقض بـين الـ والرأسمالية الوطنية . قوى الشعب اللي موجود هنا واللي انتم بتمثلوها فيه تناقض بينها » (٢٦ ايار / مايو ١٩٦٢) .

وبالمثل ، فإن هناك انسجاماً اساسياً بين مصالح الشعوب العربية كافة ، وهذا الانسـ يتمثل في تشابه اللغة والثقافة والتاريخ . وبذلك يصبح الصراع بـين الشعوب العـربية بمـ الاستثناء ، وتناسق المصالح بمثابة القاعدة (٨ آذار / مارس عام ١٩٥٩) ، لأنه يستتر خلف الصراعات العـربية ، انسجام في الوعي السيـاسي للشعوب العـربية يتخـطى كل الخـلا المرحلية . وفي خطابه في ٢٠ ايار / مايو عام ١٩٦٤ اكد عبدالناصر على هذا المعنى بقوله :

« ان الشعوب العربية عاشت كأمة واحدة ، بل جمعتها في اطول فترات التاريخ دولة واحدة ، وبذلك تكونت روابط عضوية بين شعوب هذه الامة تجعل من كيانها وحدة واحدة . ان هذه التقسيمات التي نراها الآ الارض العربية لا تعود اصولها الى اكثر من بضع عشرات من السنين ، وكانت قوى الاستعمار هي التي فرضتها عكس الطبيعة والتاريخ . . . ان هذا الكيان العربي الواحد وعبر القرون الطويلة حقق لنفسه دعامتين اساسية ضمير واحد كان نتيجة للتاريخ الواحد الذي عاشته شعوب الامة العربية ، عقل واحد كامل نتيجة للغة الواحدة

خلال السنوات الخمس اللاحقة لأزمة السويس عام ١٩٥٦ ، كانت مفاهيم عبد الـ لأدوات حل الصراع الاجتماعي مجرد امتداد لمفاهيمه التي تبلورت خلال الفتـرة الاولى . طغت المثالية السياسية على تصور عبد الناصر لأدوات حل الصراع السياسي في تلك الفترة . رأى أنه من الممكن تحجيم الصراع الطبقي عن طريقين :

اولهما زيادة الانتاج :

« لا نستطيع ان نقضي على التناقض الذي يسود مجتمعنا الا اذا عملنا وزودنا دخلنا اليومي وعملنا في الز وعملنا في الصناعة ، وكل واحد يعمل ، وبهذا يتطور هذا الاقتصاد ، ونستطيع ان نقضي على التناقض الاجـ (٢١ شباط / فبراير عام ١٩٥٩) .

« بالعمل نستطيع ان نحقق هذا الهدف ، ونقضي على الفوارق الشاسعة التي ورثناها ، هذه الفوارق تفرق بين ابناء الوطن الواحد ، الفوارق بين الطبقات ، ولن نستطيع ان نحقق هذا الا اذا عملنا عملاً متواصلاً و دخلنا وزودنا ثروتنا » (٢٧ شباط / فبراير عام ١٩٥٩) .

وثانيهما هو التعاون بين الطبقات في اطار نظرة مشتركة للصالح العام للمجتمع بحيث تقضي طبقة على اخرى (٢٦ تموز / يوليو عام١٩٥٧) :

« لا يمكن أن نبني المجتمع الذي نريده ، المجتمع الذي ترفرف عليه الرفاهية والسعادة ، بالحقد وبالبغض ولكن السبيل الوحيد لبناء هذا المجتمع هو سبيل المحبة والتعاون والتآزر » .

وفي خطابه في ٢٧ شباط / فبراير عام ١٩٦١ : « ليس القضاء على التناقض بالامر اليسير ، لأن التناقض هو ايضاً امر ورثناه ، والتناقض يمس تقسيم الشعب الى طبقات . . . نقضي عليه نفسياً حينها يشعر كل فرد من ابناء الامة أن كل من يعمل لهذه الامة يعمل لها بقلبه وبكل روحه وبكل دمه . وبهذا نقضي على التناقضات النفسية ، ونقضي على التناقضات الطبقية ، ثم علينا أن نعمل العمل الجاد لنقضي على التناقضات التي تمس النواحي المادية . كذلك ، فإنه من الممكن تقوية اساس السلام الاجتماعي عن طريق ارساء نوع من التوازن بين كافة الطبقات الاجتماعية ، وعن طريق خلق تنظيم سياسي واسع يمكن في اطاره حل التناقضات الاجتماعية واحداث التوازن الاجتماعي » (٢٠ ايلول / سبتمبر عام ١٩٥٩) .

« في اطار الوحدة الوطنية الواعية يمكن أن يجري تفاعل الطبقات وتقاربها تجنباً للصراع الدامي المحتم اذا ما بقيت الفوارق الواسعة . ان التعبئة الوطنية لكل الطبقات هي الوحيدة لدفع التطور في جميع مجالاته . إن مجرد قيام (الاتحاد القومي) لا يحل التناقضات في مجتمعنا ، انه لا يمنع تصادم المصالح ولا تعارض الآراء . انما هو مجرد اطار من الوحدة القومية يسمح للمتناقضات ان توازن نفسها ، ويسمح للمصالح المتصادمة والآراء المتعارضة ان تجد نقطة لقاء بينها في حماية الوحدة الوطنية بطريقة تتلاءم مع طريقة شعبنا . ولقد كان ايماننا أنه يمكن في اطار الوحدة العربية أن تتفاعل الطبقات بما يقرّب بينها ، وأن يقل التناقض بطريقة سلمية لا مصادرة فيها ولا سفك دماء » (٩ تموز / يوليو عام ١٩٦٠) .

يرتبط بذلك ، وكما يتضح من الفقرة السالفة ايضاً ، تركيز عبدالناصر على الحل السلمي للصراع الاجتماعي . فقد رفض عبدالناصر بشدة فكرة التصفية الجسدية للطبقات المستغِلة ، كما رفض نظرية دكتاتورية الطبقة الواحدة مهما كانت تلك الطبقة . وفي هذا الصدد ، فقد اوضح عبدالناصر انه يختلف مع الماركسية ـ اللينينية من ناحيتين : الاولى هي ان الماركسية ـ اللينينية تنادي بالتصفية الجسدية والعنيفة للطبقة البورجوازية . مثل هذه التصفية يجب ان تتم بوسائل سلمية وفي اطار من الوحدة الوطنية ، كما أنها يجب ان تقتصر على المزايا والمصالح الاجتماعية لتلك الطبقة ، ولا تنصرف للافراد بحال من الاحوال . اما نقطة الاختلاف الثانية بين عبدالناصر والماركسية ، فقد دارت حول دفاع الماركسية عن دكتاتورية البروليتاريا على كافة الطبقات الاخرى . اذ ان عبدالناصر طالب باقامة نظام يتأسس على تحالف قوى الشعب العامل مجتمعة .

ورغم ان عبدالناصر قد طور مفهومه للسلام الاجتماعي ـ كما سنرى حالاً ـ بيد أنه لم يتخل اطلاقاً عن فكرة الحل السلمي للصراع الاجتماعي . فبعد التطور الثوري في المفاهيم العقيدية الناصرية عام ١٩٦١ ، استمر عبد الناصر في تأكيده على أن :

« الثورة ستعمل على إعادة البناء الاجتماعي وستعمل على اعادة البناء الاقتصادي لصالح الشعب كله ، لصالح الامة كلها لا لصالح طبقة من الطبقات وحدها . الثورة ستعمل على حل مشاكل الصراع الطبقي لصالح الطبقة المظلومة والعاملة بالوسائل السلمية وبدون سفك دماء » (٢ تموز / يوليو عام ١٩٦١) .

« اسلوبنا ان نحل الصراع الطبقي المحتدم بوسيلة سلمية عن طريق تقريب الفوارق بين الطبقات ، وليس عن طريق العنف والقوة » (٢٦ آب / اغسطس عام ١٩٦١) .

ابتداء من منتصف عام ١٩٦١ ، اضاف عبدالناصر بعداً جديداً الى عقائده عن ادوات حل الصراع الاجتماعي . مؤدى هذا البعد هو إقامة نظام اجتماعي جديد ، قوامه مجموعة من الابعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية . اول هذه الابعاد هو نقل السلطة السياسية الى تحالف قوى الشعب العامل واستعمال تلك السلطة لاحداث تغييرات نظامية اجتماعية لصالح تلك القوى ، مع حرمان الطبقات المستغِلة من اسلحتها السياسية والاقتصادية . وثاني هذه الابعاد، هو حل التناقضات الاجتماعية عن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات وازالة كل اشكال عدم المساواة الاجتماعية ، واقامة نظام اجتماعي قوامه فكرة تكافؤ الفرص . هذا كله مع التسليم بأن الفوارق بين الافراد ستظل حقيقة اساسية تميز النظام الاجتماعي . واخيراً ، فإن تطوير القوى الانتاجية وتنظيم القوى السياسية الاشتراكية يعتبر شرطاً رئيسياً ـ في التحليل الناصري ـ لحل الصراع الاجتماعي الرئيسي . وفي خطابه في مجلس الامة في ١٢ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٤ لخص عبد الناصر شروط السلام الاجتماعي بقوله :

« اذابة الفوارق بين الطبقات ، تكافؤ الفرص ، الكفاية والعدل . اذن الانتقال من مجتمع الاستغلال ومجتمع سيطرة الاقطاع ورأس المال الى المجتمع الاشتراكي ، مجتمع الكفاية والعدل ، مجتمع ديمقراطية الشعب العامل ، مجتمع تكافؤ الفرص. هذا الانتقال لا يمكن أن ينجح ولا يتحقق الا عن طريق نمو القوى الاشتراكية ، وجذب القوى الاشتراكية نحو القوى المنتجة في المجتمع ، وتعزيز الوعي السياسي وتنظيم قوى الشعب العاملة . . . الانتقال من الرأسمالية المستغلة والاقطاع الى الاشتراكية لا يمكن أن يتم الا عن طريق العمل السياسي للشعب العامل ، ونضال العمال والفلاحين لاستخلاص السلطة من يد الرجعية ثم الاستفادة من السلطة لتغيير العلاقات الاجتماعية الرجعية تغييراً كاملاً » .

الصراع الطبقي اذاً لن يحل من خلال التعاون بين الطبقات ولكن « لصالح الطبقة المظلومة والعاملة » وعن طريق « تجريد الطبقة التي تحكمت فينا في الماضي من اسلحتها بطريقة سلمية » (٢٢ / ٧ / ١٩٦١) .

هذا عن الصراع الاجتماعي الرئيسي (الصدام) ، اما بالنسبة للصراع الاجتماعي الثانوي (التناقض) فإنه يمكن حله عن طريق التربية السياسية ، والتعامل والاتصال المباشر بين كافة القوى الاجتماعية لتحالف الشعب العامل في اطار التنظيم السياسي الذي يشمل تلك القوى وتحقيق التوازن الاجتماعي من خلال نسبة ٥٠ بالمائة عمالاً وفلاحين (٣٠ ايار / مايو عام ١٩٦٢) .

« المجتمع الاشتراكي في مرحلة الانتقال من الرأسمالية المستغلة الى الاشتراكية لم يتوصل الى التخلص من آثار الاقطاع والرأسمالية والبيروقراطية . . . والحل لهذا ايه ؟ هل حانمسك الاقطاعيين والرأسماليين والرجعيين نذبحهم ونقول نخلص من شرهم؟ ده مش طريقنا . الحل هو ان كل القوى الاشتراكية تتجمع وتعارض وتنظم لتتصدى بكل قوة لمحاولات القوى الرجعية التي تنتهز كل فرصة واي خطأ لمهاجمة الاشتراكية » (١٢ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٤) .

« استيلاء القوى الاشتراكية على الدولة من السلطة السياسية ، لا يمكن بأي حال انهاء التناقضات الاجتماعية الموجودة . . كون ان الدولة اشتراكية ده مهم جداً للقوى الاشتراكية؟ لماذا؟ علشان نغير المجتمع والاسس الاقتصادية في المجتمع في مرحلة الانتقال . هناك اهمية كبرى للوعي الاشتراكي للشعب العامل ، لن نستطيع ان نحقق هذا الا بالاتحاد الاشتراكي » (١٦ ايار / مايو عام ١٩٦٥) .

« هناك تناقضات حتمية لكنها ليست تصادمات وهي تحل بالتفاهم وبالاقتناع ، بالتعليم . بالنسبة للتناقضات الموجودة بين قوى الشعب العاملة ، ستستمر هذه التناقضات ولكنها لن تنقلب الى تصادمات . كيف يمكن حفظ التوازن بين هذه القوى ؟ ده طبعاً بييجي بالمناقشة والعمل والبناء السياسي في داخل الاتحاد الاشتراكي العربي ، بالتوعية ، بتلاحم هذه القوى مع بعضها البعض » (٢٥ شباط / فبراير عام ١٩٦٥) .

وقد لخّص عبدالناصر هذه التصورات لطبيعة الصراع الاجتماعي بقوله : « قوى الشعب العاملة مجتمع فيه طبقات ولكن هذه الطبقات ليست متصادمة ولكن متناقضة ، ويمكن أن يمثل هذا التناقض في اطار من الوحدة الوطنية بالوسائل السلمية . اما التصادم فهو تصادم مع الرجعية وهذا التصادم يتم بوسائل سلمية سواء بالعزل او بالحراسة . واذا صممت الرجعية في ان تستمر في هذا التصادم يمكن الوسائل السلمية مش حتكون هي الوسائل الكفيلة بحل الموضوع فقد تصل الامور الى العنف » (٣٠ ايار / مايو عام ١٩٦٢) .

٨ ـ الصراع الاجتماعي ، والصراع العربي ـ الاسرائيلي هما مباراتان صغيرتان ، اما الصراع العالمي فهو مباراة صفرية بالاساس .

بالنسبة لطبيعة الصراع ، فقد ميّز عبدالناصر بين شكلين من اشكال الصراع . الاول وهو الصراع الاجتماعي والصراع الاقليمي (العربي ـ الاسرائيلي) ، والثاني ، وهو الصراع العالمي بين القوى الكبرى . والواقع أن التأمل في هذا التقسيم يوضح ان معيار التقسيم كان هو الدور الذي يلعبه عبدالناصر في الشكلين . ففي الشكل الاول من اشكال الصراعات ، يلعب عبدالناصر دوراً مباشراً ، وبالتالي ، فهذه الصراعات ـ في نظره ـ صراعات صفرية ، بمعنى ان مكاسب اي طرف هي بالتأكيد خسائر للطرف الثاني . فالوحدة العربية هي المرادف لتصفية الاستعمار (٢٨ شباط / فبراير عام ١٩٥٨) ولتصفية العدوان الاسرائيلي (٤ اذار / مارس ١٩٦٠) ، ولنهاية حكم الرجعية العربية (٢١ شباط / فبراير عام ١٩٦٥) . وبالعكس ، فالصراع العالمي في التحليل الناصري هو صراع لاصفري . فاختراع الاسلحة النووية حوّل المباراة العالمية ـ على مستوى القوى الكبرى الى مباراة يتعين على كل الاطراف ان يتعاونوا فيها ، والا فإنهم سيخسرون جميعاً :

« نحن نعمل من اجل السلام في العالم، لأن السلام في العالم ، خصوصاً بعد وجود الاسلحة ذات التدمير الشامل ، ضرورة . هذا ضرورة لأمن المستقبل . لأن الحرب اذا قامت بين الدول الكبرى ، فلن تنجو منها اي دولة ، لن ينجو منها اي شعب » (٢٨ تموز / يوليو عام ١٩٦٣) .

وبتأمل الجدول رقم (٥ ـ ١) الذي يقدم توزيعاً تكرارياً بالنسب لعقائد عبد الناصر المتعلقة بالحياة السياسية ، يتضح ان ٩١ بالمائة من الاشارات الى الحياة السياسية كانت تصفها بأنها

جدول رقم (٥-١)

التوزيع التكراري لعقائد عبد الناصر المتعلقة
بالعالم السياسي ، للسنوات ١٩٥٧ - ١٩٦٧

العقيدة / السنة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧[1]	المجموع
١ - طبيعة العالم السياسي[2] :	٤	٢	٥	١	٩	٨	١	٥	١١	٥	٤	٥٥
صراعي[3] (٪)	١٠٠	١٠٠	٨٠	١٠٠	٨٩	٨٧	١٠٠	٨٠	٩١	١٠٠	١٠٠	٩١
مختلط (٪)			—		١١	١٣						٥
انسجامي (٪)			٢٠									٤
١ - أ - مصادر الصراع	٣	—	٤	—	٩	٧	١	٣	١٠	٤	٣	٤٤
الطبيعة البشرية (٪)	٣٣		٢٥		٢٢	٤٣		٣٣	٥٠	٧٥	١٠٠	٤٣
الايديولوجية في الدولة (٪)						١٤		٣٣				٥
الخصائص السياسية للدولة (٪)	٣٣		٢٥		٢٢	١٤			٢٠			١٦
الخصائص الاقتصادية للدولة (٪)					٥٦	٢٩	١٠٠	٣٤	٣٠			٢٧
الايديولوجية في النظام الدولي (٪)										٢٥		٢
القومية في النظام الدولي (٪)	٣٤		٥٠									٧
ب - شروط السلام الاجتماعي	١	٤	١٥	٣	١١	٣٢	١٢	١٤	٢١	—	—	١١٣
الاتصال (٪)									٣٣			٦
ازالة المعتدي (٪)									٥			١
المساواة (٪)		١٠٠	٩٣	١٠٠	١٨	٩١	٩٢	٧١	٥٢			٧٤
توازن القوى الاجتماعي (٪)	١٠٠				٣٦	٦						٦
تغيير النظام الاجتماعي (٪)					٢٧							٦
العدالة (٪)			٧		١٨	٣	٨	٢٩	١٠			٦

يتبع

تابع الجدول رقم (٥ـ ١)

العقيدة / السنة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧[1]	المجموع
ج ـ طبيعة الصراع	٢	٣	٥	٨	٢	ـ	٢	٢	٢	ـ	ـ	٢٦
مباراة صفرية (٪)	١٠٠	١٠٠	٨٠	٨٨	١٠٠				١٠٠			٧٧
مباراة لاصفرية (٪)			٢٠	١٢		ـ	١٠٠	١٠٠				٢٣
د ـ نطاق الصراع	٥	٦	٦	٧	١٢	٦	٣	١٢	٨	٥	٣	٧٣
كل القضايا متشابكة (٪)	١٠٠	٦٧	١٠٠	٤٣	١٠٠	٨٣	٣٣	٦٧	٦٣	١٠٠	١٠٠	٧٨
كل القضايا تتبادل التأثير (٪)		٣٣		٤٣			٦٧	١٧	٣٧			١٧
كل القضايا منفصلة (٪)				١٤		١٧		١٦				٥
هـ ـ وظيفة الصراع			٦	٥	٢		١		١			١٥
وظيفي (٪)												
غير وظيفي (٪)			١٠٠	١٠٠	١٠٠		١٠٠		١٠٠			١٠٠

(١) تكرارات الفترة الممتدة من ١ كانون الثاني / يناير عام ١٩٦٧ حتى ١ حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ .

(٢) عدد التكرارات .

(٣) نسبة العقيدة من التكرارات .

صراعية ، ٤٣ بالمائة و٢٧ بالمائة من اشاراته الى مصادر الصراع كانت الى الطبيعة البشرية والى الاستغلال الطبقي على التوالي . لذلك ، نجد ان ٨٦ بالمائة من اشاراته الى ادوات تحقيق السلام الاجتماعي كانت تدور حول مفهوم ازالة اشكال عدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية ، واقرار نظام من توازن القوى الاجتماعي ، وتحويل النظام الاجتماعي . كذلك ، فإن ٧٧ بالمائة من اشاراته الى طبيعة الصراع كانت تعرِّفه بأنه صراع صفري .

٩ ـ الصراع ظاهرة غير صحية .

١٠ ـ هل قضايا الصراع متشابكة .

هناك نظريتان اساسيتان في تحليل وظيفة الصراع . النظرية الاولى ترى ان الصراع ظاهرة صحية بالنسبة لاداء النظام الاجتماعي . فالصراع يلعب دوراً وظيفياً في اقرار توازنات القوى الاجتماعية ، وحماية وحدة الائتلافات السياسية ويعتبر لويس كوزر اشهر من قدم هذه النظرية . اما النظرية الثانية ، التي يعتبر تالكوت بارسونز اشهر من دافع عنها ، فإنها ترى ان الصراع يعرقل الاداء الطبيعي للنظام الاجتماعي . فالصراع يهدد التوازن النظامي كما أنه يعكس وجود خلل في هذا النظام .

كان عبدالناصر ينتمي الى النظرية الثانية في تحليل وظيفة الصراع الاجتماعي . فرغم ان الصراع ظاهرة اساسية ودائمية ، فالصراع ايضاً ظاهرة لا وظيفية . فالصراع الطبقي يؤدي الى تفتيت وحدة الطبقات الاجتماعية . (٢٠ ايلول / سبتمبر عام ١٩٥٩) .

والواقع ان عدم استساغة عبدالناصر للصراع الطبقي ، رغم اعترافه بأهميته ، كان نابعاً من رفضه للعنف واراقة الدماء . فالصراع الطبقي ارتبط في ذهنه بالعنف الدموي او بما أسماه « حرب الطبقات » (٢٠ ايلول / سبتمبر عام ١٩٥٩) . ومن ثم ، فإنه من الضروري محاولة تخفيف حدة الصراع الطبقي سواء عن طريق « الوحدة الوطنية والتوازن الاجتماعي » او تغيير النظام الاجتماعي بأسره . بعبارة اخرى ، فإنه رغم حتمية الصراع الاجتماعي ، فإنه من الممكن تجنُّب الجوانب الدموية لهذا الصراع . (٩ تموز / يوليو عام ١٩٦٠) .

واخيراً، فإن الترابط الوثيق بين شتى اجزاء الظاهرة السياسية، كان احدى الخصائص المميزة لمفهوم عبدالناصر للحياة السياسية. فالظاهرة السياسية ، بما في ذلك الظاهرة الصراعية ، متشابكة الى حد ان اي تغيير في اي جزء من اجزائها يؤدي حتماً الى تغيير ما في اجزائها الاخرى . وقد اتخذت عقيدة ترابط اجزاء الظاهرة السياسية في التحليل الناصري ثلاثة اشكال أساسية :

الاول: الترابط الوظيفي بين شتى اجزاء الظاهرة السياسية

اعتبر عبد الناصر أن شتى القضايا المتفرعة عن النضال من اجل الاستقلال هي قضية أساسية واحدة ، وان تعددت ابعادها ومظاهرها . فكل قضية نضالية تقود الى الاخرى ، كما أنها نتيجة منطقية لقضية نضالية سابقة :

« كانت هذه المعارك في حقيقة الامر ، حرباً واحدة ، هي حرب الاستقلال . كان التصدي للاستعمار معركة في حرب الاستقلال ، وكان خلع الملك معركة في حرب الاستقلال ، وكان القضاء على الاقطاع معركة في حرب الاستقلال ، وكان انهاء وجود الاحزاب معركة في حرب الاستقلال ، وكانت مقاومة اليأس والدعوة الى الثقة والايمان معركة في حرب الاستقلال . كانت هذه المعارك كلها حرباً واحدة ، لقد تعددت المواقع ، ولكن العدو كان نفس العدو . كان القتال في اي معركة قتالاً في كل معركة ، ومواجهة اي خطر فيها مواجهة لكل الاخطار . كان خلع الملك مقدمة لاعلان الجمهورية ، ومقدمة لالغاء الالقاب ومقدمة للقضاء على الاقطاع ، وكان الاصلاح الزراعي مقدمة لحل الاحزاب . . . بل ان حل الاحزاب كان مقدمة لاجلاء الغاصب عن ارض مصر » (٢٠ تموز / يوليو عام ١٩٥٧) .

وبالمثل ، فإن كل القضايا المتفرعة عن العمل الاستعماري في مواجهة حركات التحرر هي حلقات في سلسلة واحدة ، بحيث يغدو كل عمل مجرد تكرار ، في صورة جديدة ، للخطة الاستعمارية الاساسية . وقد أوضح عبد الناصر هذا التحليل في تعقيبه على الخطة الامريكية « الجديدة » تجاه سوريا عام ١٩٥٧ بقوله :

« الخطة في الواقع ليست جديدة ، بل الحقيقية انها امتداد للخطة الاستراتيجية القديمة ، وعلى اساس تكتيكي جديد . . . الخطة هي نفس الخطة ، والاهداف هي نفس الاهداف ، وانما الذي اختلف هو الاسلوب فقط » .

« والواقع ان التشابه بين الحرب النفسية التي اعلنت على مصر ، والحرب النفسية التي اعلنت على سوريا ليفرض نفسه على قسمات كبيرة من ملامح الازمة ، وما أشبه البيان الذي صدر في واشنطن اول امس ضد الحكومة الوطنية في سوريا ، بالبيان الذي صدر ضد الحكومة الوطنية في مصر ابان ازمة تمويل السد العالي » (٨ ايلول / سبتمبر عام ١٩٥٧) .

الثاني : الترابط بين العناصر السياسية والعناصر الاقتصادية للقوة

اعتقد عبد الناصر ان هناك علاقة جدلية بين الظاهرة السياسية والاقتصادية والثقافية للمجتمع . بيد ان عبد الناصر لم يكن واضحاً كلياً في تحليله لمسار تلك العلاقة . ففي لحظة معينة ، كان عبد الناصر يرى ان تلك العلاقة علاقة متبادلة : « ان الاوضاع السياسية والاوضاع الاقتصادية تؤثر على الثقافة ، وان الاوضاع الثقافية تؤثر على الاوضاع السياسية ، وتؤثر على الاوضاع الاجتماعية . الثورة الثقافية للشعب مرتبطة بالثورة السياسية وبالثورة الاجتماعية» (٢٨ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦١) .

بيد أنه في مناسبات اخرى ، تبنى المفهوم الماركسي لمسار العلاقة بين السياسة والاقتصاد ؛ ففي خطابه في مجلس الامة في ٢٥ آذار / مارس عام ١٩٦٤ قال : « إن القوة السياسية في اي مجتمع هي تعبير خارجي عن مواقع القوة الاقتصادية . . . واذا كانت القوة الاقتصادية ، كما كان حالها عام ١٩٥٤ ، في يد القلة ، فمعنى ذلك ان القوة السياسية كانت باقية في يد القلة » .

الثالث : الترابط بين الصراعات في مناطق جغرافية متباينة

لا يقتصر الترابط بين اجزاء الظاهرة السياسية في التحليل الناصري ، على ترابط شتى عناصر القوة ولكنه يمتد ايضاً الى ترابط الظواهر السياسية في شتى اجزاء المعمورة . « فالعصر الحديث يشهد ثورة في وسائل المواصلات سقطت بسببها الحدود التقليدية بين البلاد المختلفة ، واصبحت الكرة الارضية بأسرها ميداناً للتأثيرات المتضاربة » (١١ ايار / مايو عام ١٩٦٤) . ومن ثم ، فإن تغير الظاهرة السياسية في جزء من اجزاء الكرة الارضية يؤثر حتماً على الظواهر السياسية في الاجزاء الاخرى . فانتصار الحرية والسلام في دولة واحدة يؤدي حتماً الى انتصار الحرية والسلام في الدول الاخرى، واذا انهار السلام في جزء من العالم ، فلا بد من ان يؤثر على العالم كله . (١ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٠) .

« اذا انتصرت الحرية في بلادكم ولو انتصر الاستقلال في بلادكم وارضكم ، فلا بد ان تنتصر الحرية في بلادهم ولا بد ان ينتصر الاستقلال في بلادهم » (١٦ ايار / مايو عام ١٩٥٨) .

« إن الحرية بمنطقها الزمني تدرك ان نجاحها في مكان هو أمن وتدعيم لنجاحها في مكان آخر . هكذا فثمة رابطة تربط الاحرار في كل مكان » (١٦ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٠) .

وقد عبّر عبدالناصر عن تصوره للترابط بين الظواهر في تحليله للتطور السياسي في الوطن العربي بالذات . فأي تطور سياسي يحدث في اي بلد عربي لا بد من أن ينعكس حتماً على البلاد الاخرى :

« انتصار مصر هو انتصار للامة العربية ، وانتصار اي بلد من البلاد العربية انتصار لمصر » (١٩ تموز / يوليو عام ١٩٥٨) .

« إن سقوط اي بلد عربي انه يكون دائماً هو البداية لسقوط باقي البلاد العربية » (٢١ نيسان / ابريل عام ١٩٥٩) .

« كل بلد عربي يقع تحت سيطرة الاستعمار انما يؤثر على البلاد العربية الاخرى واي بلد عربي يتحرر ويتخلص من النفوذ الاجنبي انما يكون قاعدة للانطلاق لتحرير باقي أجزاء الوطن العربي » (٨ ايار / مايو عام ١٩٦١) .

والواقع أن اعتقاد عبدالناصر في الطبيعة الشاملة المترابطة للظواهر السياسية انعكس على اسلوبه في تفسير تلك الظواهر . فالنهج الناصري في التفسير السياسي لحدث معين كان يربط بين الحدث وبين الاحداث الاخرى المحيطة به سواء من ناحية التوافق الزماني او المكاني ، بحيث لا يغدو الحدث مجرد واقعة منعزلة ولكنه جزء من الحركة السياسية الكلية . وذلك بعكس القادة السياسيين الذين يفصلون بين الوقائع السياسية وينظرون الى الواقعة السياسية كمجرد حدث منفصل لا علاقة له زمانياً او مكانياً بالاحداث الاخرى ، كما سنرى فيما بعد حينما نقارن بين النسق العقيدي الناصري وبين الانساق العقيدية لبعض القادة السياسيين الغربيين .

ب ـ طبيعة العدو السياسي

١١ ـ الاستعمار الغربي هو العدو الرئيسي للامة العربية ، اسرائيل مجرد عميل استعماري .

اتسمت العقائد الناصرية المتعلقة بالعدو السياسي بمركزيتها في النظام العقيدي الناصري ، وبلا تمايزها ، واخيراً بمفهومها ذي الطبيعة الثلاثية . فالعقائد المتعلقة بالعدو السياسي كانت اكثر العقائد الناصرية على الاطلاق ، من حيث التكرار ، بعد العقائد المتعلقة بالاهداف السياسية (قارن الجدول رقم (٥ ـ ٢) والجدول رقم (٥ ـ ١١) . والواقع ان كثافة التعبير عن العقائد السياسية المتعلقة بالعدو السياسي كان يعكس الاهمية التي كان عبدالناصر يعلقها على تعريف العدو السياسي كشرط لنجاح الاستراتيجية السياسية .

« ان الدرس الاكبر الذي نأخذه من النكسة هو تحديد اعداء الوحدة ، ومن هذا الدرس نأخذ سلاحاً لنضالنا في شكله الجديد » (١٣ ايار / مايو عام ١٩٦٢) .

وتتضح مركزية مفهوم العدو في النظام العقيدي الناصري بالنظر الى الجدول رقم (٥ ـ ٢) ، اذ أن ٥٩,١ بالمائة من كل الفقرات المرمزة في الفترة محل البحث كانت تتضمن اشارات الى العدو السياسي (١٥٢١ فقرة من ٢٥٧٦ فقرة) كذلك ، فقد نظر عبدالناصر الى اعدائه الداخليين ، والاقليميين ، والعالميين ، على انهم وحدة واحدة يشترك اجزاؤها في المصالح والاهداف نفسها .

ففي ابان نزاعه مع الشيوعيين العراقيين والسوريين عام ١٩٥٩ اتهمهم بأنهم على اتفاق مع « الاستعمار البريطاني » ، وأن هناك « مصالح مشتركة تجمع بين الاستعمار واسرائيل واعوان الاستعمار الانتهازيين والرجعيين المستغلين والاحزاب الشيوعية في البلاد العربية » (٢١ آذار / مارس عام ١٩٥٩ ، ٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٥٩) . وبالمثل فالاخوان المسلمون اصبحوا « عملاء للاستعمار والرجعية» (٢٢ آذار / مارس عام ١٩٦٦) . وبورقيبة حينما اختلف معه عام ١٩٦٥ « عميل الاستعمار والصهيونية » (٣١ ايار / مايو عام ١٩٦٥) . وبعد حرب عام ١٩٦٧ لم يجد تفسيراً للمظاهرات الطلابية التي اندلعت مطالبة بالتغيير سوى انها كانت مظاهرات مدفوعة بواسطة عملاء اسرائيل .

كذلك ، اتسم المفهوم الناصري للاعداء السياسيين بطابعه الثلاثي . فقد نظر عبدالناصر الى اعدائه السياسيين الاساسيين كمجموعة ثلاثية متكاملة تضم الاستعمار الغربي ، واسرائيل ، والرجعية العربية[٣] .

---

(٣) عبّر عبد الناصر عن هذا المفهوم الثلاثي لاول مرة عقب اعلان الوحدة المصرية ـ السورية عام ١٩٥٨ ، حين اشار الى النظم العربية المعادية للوحدة مؤكداً ان الاستعمار والصهيونية قد اعتمدا على « اعوان الاستعمار حتى يقضوا على القومية العربية » وأن « اعوان الاستعمار يعملون بالتعاون مع الاستعمار والصهيونية العالمية » (٢ آذار / مارس ١٩٥٨) .

« حينما تجابه اسرائيل ، نعلم أننا نجابه اسرائيل ونجابه قوى الاستعمار التي تؤيدها ونجابه الصهيونية العالمية التي تعمل من اجل امدادها بالمال . وفي نفس الوقت نجابه اعوان الاستعمار والصهيونية الذين يستجيبون لاغراء المال او لاغراء الجاه او لاغراء النفوذ » (٢٦ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٠) .

« ان عدوي وعدو امتي هو الاستعمار والرجعية المتعاونة معه والقاعدة التي يتحفز منها لضرب آمالنا وهي اسرائيل » (٥ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦١) .

« المعركة االدائرة الآن في كل مكان من الوجه العربي هي معركة بين تيارين احدهما تيار قومي والثاني تيار لاقومي ، التيار الاول يضم جميع القوى القومية والتقدمية الصادقة والتيار الثاني « اللاقومي » يضم اعداء القومية والوحدة بما فيهم الشعوبيون والرجعيون والطائفيون والاستعمار واسرائيل والرأسمالية المرتبطون بالرجعية والاستعمار » (١ نيسان / ابريل عام ١٩٦٣) .

وتتضح مركزية هذا الثالوث في النسق العقيدي الناصري بتأمل الجدول رقم (٥ ـ ٢) . فقد مثّل هذا الثالوث ما بين ٧٥ بالمائة ، ٩٩ بالمائة من كل الاشارات الى الاعداء السياسيين في كل سنوات الفترة محل البحث وفي تسع من الفترات الزمنية الاحدى عشرة الواردة في الجدول ، نجد ان الاستعمار الغربي عموماً يحتل دائماً المركز الاول او الثاني من تكرارات الاشارات الى الاعداء ممثلة ما بين ٣٠ بالمائة ، ٦٠ بالمائة ، من مجموع الاشارات . كذلك جاءت اسرائيل في المرتبة الثانية محتلة ما بين ١٥ بالمائة ، ٤٠ بالمائة من مجموع الاشارات . وفي ١٠ بالمائة من الاشارات نجد ان عبدالناصر جمع بين اسرائيل والرجعية العربية كعميلين للاستعمار الغربي .

وقد تجسّد هذا المفهوم الثلاثي للاعداء السياسيين في تحليل عبدالناصر للصراع العربي ـ الاسرائيلي . فعبد الناصر لم يتخل عن مفهومه للصراع العربي ـ الاسرائيلي الذي عبر عنه في الفترة الاولى . بيد أنه اضاف الى هذا المفهوم بعداً جديداً يتمثل في الرجعية العربية التي وضعها عبد الناصر في مرتبة اسرائيل نفسها في قائمة الاعداء السياسيين .والاستعمار الغربي هو السيد الاكبر الذي ينسق الاعمال العدائية التي تشنها الرجعية العربية واسرائيل[٤] .

« الرجعية المتحالفة مع الاستعمار ، الرجعية الداخلة في مناطق نفوذ الاستعمار لا تحسب خطر اسرائيل لأن الاستعمار باستمرار يحميها وينسق بينها وبين اسرائيل». (١٥ حزيران / يونيو عام ١٩٦٦) .

---

(٤) بيد ان عبد الناصر كان ، في بعض الاحيان ، يرى ان السيد الاستعماري قد يقع في قبضة العميل الاسرائيلي القوي . ففي مقابلة صحفية مع الصحفي الهنديكارانجيا قال « ان بروتوكولات حكماء صهيون تثبت أن مصير القارة الاوروبية في يد ثلاثمائة صهيوني » (٢٩ ايلول / سبتمبر ١٩٥٨) . وفي ٤ آذار / مارس عام ١٩٦٠ أشار الى ان « اسرائيل والصهيونية قد استعمرتا امريكا وسيطرتا عليها وعلى مقدراتها . . . » وفي خطاب آخر في ٧ ايار / مايوعام ١٩٦٠ في يوم انتصار العمال العرب ،وصف اعضاء مجلس الشيوخ الامريكي المطالبين بحرية الملاحة في قناة السويس لاسرائيل بأنهم « عملاء للصهيونية » . واضاف : « ان الصهيونية تحاول ان تستغل الشعب الامريكي وتخضع امريكا » . كما أشار في ٢٦ تموز / يوليو عام ١٩٦٠ ان « الاحزاب في امريكا تستجدي الصهيونية ، وأنها رضيت ان تركبها اسرائيل وتسيطر عليها وتقضي عليها » .

جدول رقم (٥-٢)

التوزيع التكراري للاعداء في الادراك الناصري ، للسنوات ١٩٥٧ - ١٩٦٧

العدو / السنة	١٩٥٧ (٪)	١٩٥٨ (٪)	١٩٥٩ (٪)	١٩٦٠ (٪)	١٩٦١ (٪)	١٩٦٢ (٪)	١٩٦٣ (٪)	١٩٦٤ (٪)	١٩٦٥ (٪)	١٩٦٦ (٪)	١٩٦٧ (٪)	المجموع
اسرائيل	٢٥,٣	١٧	٣١,٩	٣٤,١	٢٠,٦	٢٠,١	١٥,٤	٣٤,٥	٤٠,١	٢٠,٧	٥١,٧	٤١٨
اسرائيل والاستعمار	٥,٥	٦,١	٤,٣	١١	٥,٨	٢,٢	١,٥	٨,٨	٧,٩	٤,١	٢,٦	٨٢
الاستعمار	٢٩,٧	٢٩,٣	١٢,٦	١٢,١	١٧,٤	١١,٩	٦,٦	٩,٧	٦,٦	١٥,٢	٢,٦	٢١٢
بريطانيا	٤,٤	٠,٧	٢,٤	٠,٦	٠,٦	٠,٧	٠,٧	١٣,٣	٠,٧	٤,١	٢,٦	٣٧
الولايات المتحدة	٢٠,٩	٨,٢	٠,٥	٤,٦	٣,٩	—	—	٢,٧	٧,٢	٥,٥	٢,٠	٧٥
فرنسا	٢,٢	١,٤	—	١,٧	٣,٢	٠,٧	—	—	—	—	—	١٣
بريطانيا وفرنسا	٣,٣	٥,٤	٢,٤	٠,٦	—	—	٠,٧	٠,٩	—	٠,٧	—	١٩
المملكة العربية السعودية	—	٢,٧	—	—	٠,٦	٨,٢	٦,٦	٠,٩	١,٣	٧,٦	٢,٦	٤٠
العراق	—	٢,٠	١٠,١	٤,٦	—	—	—	—	—	—	—	٣١
الاردن	—	٤,٨	—	٦,٤	١,٣	٣٠	—	—	—	—	٣,٥	٣٣
تونس	—	٠,٧	٠,٥	—	—	—	—	—	٤,٦	٤,١	١,٧	١٦
حزب البعث	—	—	—	—	٢,٥	٠,٧	٣١,٦	٣,٥	٣,٩	—	—	٥٧
الرجعية العربية	١,١	٦,١	٠,٥	٢,٩	٦,٥	١٤,٩	١١,٨	٥,٣	٢,٦	٨,٣	٧,٠	٩٢
الرجعية العربية والاستعمار	—	٠,٧	٥,٨	٦,٩	٣,٢	١٦,٤	٨,١	٣,٥	٥,٣	١٣,١	٤,٤	٩٣
العرب (آخرون)	—	٦,٨	١,٤	١,٢	٢,٦	—	—	—	٠,٧	٢,١	—	٣٣
الاتحاد السوفياتي	—	—	٤,٨	—	٠,٦	—	—	—	—	—	—	١١
الغرب (آخرون)	—	٨,٢	٣,٤	٥,٢	٤,٥	١,٥	٠,٧	٣,٥	١٣,٨	٣,٤	٦,٩	٧٢
الشرق (آخرون)	—	—	١	—	—	٠,٧	٠,٧	—	—	—	—	٤
اعداء داخليون	٧,٧	—	١٧,٤	٥,٨	٢١,٣	١٣,٤	١٢,٥	٨,٨	٣,٣	٩,٧	٦,٦	١٥١
آخرون	—	—	١	٢,٤	٥,١	٥,٢	٢,٩	٣,٨	٢,٠	١,٤	—	٣٢
عدد التكرارات	٩١	١٤٧	٢٠٧	١٧٣	١٥٥	١٣٤	١٣٦	١١٣	١٥٢	١٤٥	٦٨	١٥٢١
العدد الكلي للفقرات	١٥٠	٢٧٩	٣٤٣	٢٤٦	٢٣٧	٢٧١	٢٥٠	٢٠٠	٢٦٠	٢٥٢	٨٨	٢٥٧٦

فبريطانيا ـ مثلاً ـ هي التي أعطت اسرائيل وعد بلفور عام ١٩١٧ ، وخططت للهزيمة العربية في فلسطين عام ١٩٤٨ وذلك بحث الرجعيين العرب على تسليم فلسطين للصهاينة :

« إن الامة العربية تذكر مآسي فلسطين عام ١٩٤٨ وحرب فلسطين ، تذكر كيف تآمر الملك عبدالله مع الاستعمار ومع الصهيونية العالمية ، وتذكر ايضاً كيف تآمر هذا الملك مع لندن ليتخلى عن الجيوش العربية ، وتذكر كيف تقدم جيش الاردن الوطني ليقاتل ويستشهد داخل اللد والرملة ، وبدون اي سبب صدرت الاوامر من ملك الاردن في هذا الوقت أن يترك اللد والرملة لاسرائيل . كان هذا هو امر لندن ، وكانت هذه هي اوامر الاستعمار » (١١آذار/ مارس عام ١٩٥٨) .

« الاستعمار هو الذي خلق اسرائيل ، فلولا بريطانيا ما كانت اسرائيل : فبعد الحرب العالمية الاولى أعلنت بريطانيا الانتداب على فلسطين ، ومكّنت بريطانيا اليهود من الهجرة الى فلسطين وأعطتهم وعد بلفور عام ١٩١٧ بأن تجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود . . . وخرجت في ١٥ ايار / مايو عام ١٩٤٨ وتركت الفلسطينيين لقمة سائغة للصهيونية العالمية . ان بريطانيا هي المسؤولة الاولى عن هذا » (٢٦ نيسان / ابريل عام ١٩٦٤) .

كذلك فبريطانيا تمارس الاستغلال الاقتصادي للعرب ، فهي تحصل على حوالى مليار جنيه سنوياً من المواد النفطية والتجارية العربية ، وتستعملها لمساعدة اسرائيل لبناء قوة عسكرية تساعدها على مواصلة استيطان الارض العربية .

« يصل دخل بريطانيا منا (إحنا العرب) الى ما يقرب من ١٠٠٠ مليون جنيه من البترول ومن المواد الاخرى ومن البضائع . . . الانجليز النهاردة بياخذوا فلوسنا ويدوا بها مساعدات لاسرائيل علشان اسرائيل تشتري بها سلاح وتشتري بها صواريخ من امريكا علشان تستعملها ضد العالم العربي » (١ ايار / مايو عام ١٩٦٤) .

وفي فلسطين ، فإن المؤامرة كلها كانت بالاساس مؤامرة استعمارية غربية ، ولم تلعب الصهيونية سوى دور الشريك الاصغر :

« إن الاستعمار انقض على الوطن الفلسطيني في قلب الارض العربية ومزّقه وحطّم حضارته وأرغمه على حياة في مخيمات اللاجئين واقطع ارضه لعنصرية عدوانية دخيلة مهد لها بالخيانة والخداع وبالمؤامرة وبالحرب لتكون له وسط الشعوب العربية قاعدة لتنفيذ خططه ومطامعه في ضرب الوحدة العربية ، والامن العربي ، والسلام العربي ، والتقدم العربي » (٢١ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٤) .

انطلاقاً من هذا المنطق ، فقد اعتبر عبد الناصر الاستعمار الغربي (البريطاني والامريكي) بمثابة العدو الرئيسي ، وان اسرائيل ليست الا اداة لهذا الاستعمار . فاسرائيل ـ في مفهوم عبدالناصر ـ هي جزء لا يتجزأ من النظام الاستعماري في الشرق الاوسط ، خلقت من اجل زعزعة استقرار المنطقة ومحو القومية العربية . كذلك ، اعتبر عبدالناصر النظم الرجعية العربية (بالذات النظامين السعودي والاردني) مجرد ادوات للاستعمار الغربي تربطها

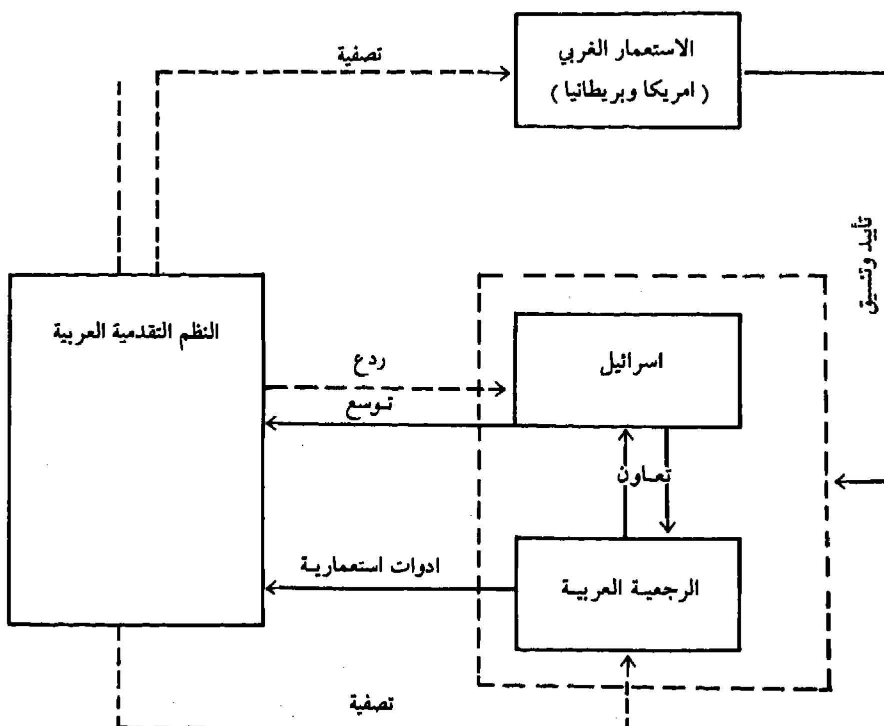
به ـ كما هو الحال بالنسبة لاسرائيل ـ علاقة عضوية قوامها المصالح المشتركة في محو النظم التقدمية العربية وإضعاف الكيان الفلسطيني . ففي خطاب له في ٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٦ قال : « التجربة الجديدة لم تلبث ان أكدت ما أظهرته تجارب سابقة مع الرجعية ، وهي أنها طرف ضالع ، بوعي او بغير وعي ، مع تواطؤ الاستعمار واسرائيل » .

وفي حديث له الى الصحفيين العرب في ٤ شباط / فبراير عام ١٩٦٧ اوضح هذا المفهوم بقوله :

« حينما يتحرك فيصل وحسين وبورقيبة ، دا معناه أن الاستعمار بيدفع اصدقاءه للعمل ، وأقصد بالاستعمار هنا امريكا وانجلترا . . . اذا كان فيه حكم متعاون مع الاستعمار في الاردن والسعودية تحققت الصلة بين البحر الابيض والخليج ، هذه الصلة هي اسرائيل ثم الاردن ثم السعودية » .

يمكن تصوير المفهوم الناصري لطبيعة العلاقة العضوية الثلاثية بين اعدائه السياسيين في الشكل التالي :

شكل رقم (٥ ـ ١)
تصور عبد الناصر للصراع العربي ـ الاسرائيلي ،
للسنوات ١٩٥٧ ـ ١٩٦٧



ويوضح الشكل رقم (٥ ـ ١) ان عبد الناصر كـان ينظر الى اسـرائيل كجزء من نظام متكامل تحركه وتنسق اعماله القـوى الاستعماريـة الغربيـة . وفي هذا النـظام تلعب اسرائيـل دورين اساسيين مترابطين أشد الترابط : دور العميل الاستعماري ودور المخرب الاقليمي .

أولاً : اسـرائيل كقـاعدة لـلاستعمار الغـربي : فاسـرائيل هي أسـاساً لا تملك وجـوداً مستقـلاً او تعبيراً عن ارادة ذاتية وانما هي احدى ادوات الاستعمار الغربي في المنطقة العربية .

« اسرائيل منذ قيامها لم تبتعد كثيراً عن الفلك الاستعماري وكان واضحاً أنها تشعر بترابط مصـالحها مـع الاستعمار . كذلك فإن الاستعمار من ناحيته يستخدم اسرائيل كـأداة لفصل الامـة العربيـة فصلاً جغـرافياً عبـر بعضهـا . وكذلـك كان يستخـدمها كقـاعـدة لتهـديـد اي حـركـة تسعى للتحرر من سيـطرتـه » (١٨ آب / اغسطس عام ١٩٦١) .

« إن قطعة من الارض العربية في فلسطين قد أعطيت من غير سند من الطبيعة او التاريخ لحركة عنصرية عدوانية . ارادها المستعمر لتكون سوطاً في يده يلهب به ظهر النضـال العربي . . . كـما أرادها المستعمـر فاصـلاً يعوق امتداد الارض العربية . (ميثاق العمل الوطني) .

« اتجه العدو الاسرائيلي الى التآمر مع الاستعمار والتواطؤ . وقام بدور التابع في العدوان الثلاثي المشهور فكشف بذلك قيمته السياسية والعسكرية على حقيقتها وهو انه ليس الا قاعـدة للاستعمـار واداة له ، يحـاول ان يهـدد بهـا التقـدم الـوطني ويعـوق الالتقـاء القـومي لشعـوب الامـة العـربيـة » (٢٥ آذار / مـارس عـام ١٩٦٤) .

« حربنا مع اسرائيل ليست قائمة على دعـوة عنصريـة ، وإنما هي امتـداد لحربنـا ضد الاستعمـار ، ولأن الاستعمار هو الذي استغل دعـوة عنصريـة ، وحوّل ديناً من اديان السـماء الى قوميـة ، وجر هـذه القوميـة الى مغامرات عدوانية تخدم اهدافه في السيطرة والاستغلال » (٢٤ شباط / فبراير عام ١٩٦٥) .

« امـريكا وانجلتـرا اقامـوا اسرائيـل وحموا اسرائيل . اقتصـاد اسـرائيـل يعتمـد عـلى امريكـا والمانيـا وبريطانيا . . كل هذا لكي تكون قاعدة للاستعمار في قلب الـوطن العربي وحـاجز يمنـع تحقيق الوحـدة في العالم العربي » (٢٢ شباط / فبراير عام ١٩٦٧) .

ثانياً : اسرائيل كأداة للتخريب الاقليمي : الدور الدولي الرئيسي الثاني ، الـذي تلعبه اسرائيل في التحليل الناصـري هو دور عـرقلة الالتقاء الجغـرافي للدول العربيـة وإشاعـة عدم الاستقرار السياسي في المنطقة العـربية ، وعـرقلة جهود العـرب لتحقيق التنمية الاقتصـادية . وقد عبّر عبدالناصر عن تلك العقيدة بوضوح في الباب الرابع من **ميثاق العمل الوطني** :

« إن قطعة من الارض العربية في فلسطين قد اعطيت من غير سند من الطبيعة او التاريخ لحركة عنصرية عدوانية . . ارادها المستعمر لتكون سوطاً في يده يلهب به ظهر النضال العربي اذا استـطاع يومـاً أن يتخلص من المهانة وأن يخرج من الازمة الطاحنة . كما أرادها المستعمر فاصلاً يعوق امتداد الارض العربية ويحجز المشرق عن المغرب . ثم ارادها عملية امتصاص مستمرة للجهد الذاتي للأمة العربية تشغلها عن البناء الايجابي » .

وقد عبّر عبدالناصر عن العقيدة نفسها في مناسبات متعددة طوال تلك الفترة مؤكداً يقينه في الدور التخريبي الذي تلعبه اسرائيل . ففي خطاب ألقاه في الاتحاد السوفياتي في ١٥ ايار / مايو عام ١٩٥٨ قال : « إن اسرائيل في هذا العدوان (الثلاثي) كانت تمثل رأس جسر للعدوان . ان اقامة اسرائيل في هذا المكان من العالم بين ارجاء العالم العربي انما تهدف الى تهديد العرب وتفتيت القومية العربية حتى يرتمي العرب في احضان الدول الاستعمارية ويطلبوا منها الحماية من اسرائيل » .

١٢ ـ الهدف الرئيسي من وراء انشاء اسرائيل هو محو القومية العربية والشعب الفلسطيني .

١٣ ـ الصهيونية تريد تحويل المنطقة الواقعة بين النيل والفرات الى وطن لليهود .

١٤ ـ اسرائيل تريد فرض تسوية سلمية قوامها اقرار الامر الواقع .

١٥ ـ التوسع الاسرائيلي هو امتداد للاهداف التاريخية ـ الايديولوجية الصهيونية ، ونتيجة للضغوط الديموغرافية في المجتمع الاسرائيلي .

في ثنايا تعبيره عن عقائده المتعلقة باسرائيل ، كان عبد الناصر حريصاً على التأكيد بأن عداءه لاسرائيل لا يعني عداء لليهود او عداء للسامية . فهناك فارق رئيسي ـ في التحليل الناصري ـ بين اليهود كمجموعة دينية ،وبين الصهيونية كأيديولوجية توسعية ٢٢ حزيران / يونيو عام ١٩٦٢ . فالعداء العربي لاسرائيل ينبع من ممارسات الايديولوجية الصهيونية في فلسطين ، وليس من اي عداء للديانة اليهودية . وفي حديثه الى ديفيد مورغان في حزيران / يونيو عام ١٩٦٢ ، أكد هذا المعنى صراحة :

« أنا لم أكن في اي يوم من الايام معادياً للسامية على المستوى الشخصي . ومن العسير على اي مصري متعلم أن يكون كذلك . لقد كانت بيننا وبين اليهود كشعب روابط عديدة . فموسى نفسه كان مصرياً . وشعوري المعادي لاسرائيل واعمالي الموجهة ضدها انما تولدت فيما بعد من شيء واحد لا سواه وهو الحركة الصهيونية التي اغتصبت جزءاً من الارض العربية » .

على هذا الاساس ، فإن صورة اسرائيل في ذهن عبدالناصر كانت صورة العدو التوسعي الذي لا يقف عداؤه عند حدود . فاسرائيل من ناحية تريد القضاء على القومية العربية واستعباد العرب ، وازالة كيانهم القومي والدولي :

« قامت اسرائيل لتفصل العرب ، عرب آسيا عن عرب افريقيا ، ولتقضي على القومية العربية في فلسطين كمقدمة للقضاء على العرب وعلى قوميتهم في المنطقة الممتدة من النيل الى الفرات . وهذا ليس حدساً او تخميناً او استنتاجاً ، ولكنه قيل بواسطة قادة اسرائيل ، لأنهم تكلموا عن مُلك اسرائيل الذي يمتد من النيل الى الفرات » (٥ آب / اغسطس عام ١٩٥٩) .

« الواضح ان اقامة اسرائيل لم يكن الهدف منه ابداً هو اقامة وطن قومي لليهود ، ولكن كان هو ايضاً

مؤامرة بين الاستعمار وبين الصهيونية من أجل تفتيت القومية العربية والقضاء على الدول العربية » (٨ آب / اغسطس عام ١٩٥٩) .

والواقع ان صورة اسرائيل التوسعية ذات الاطماع الاقليمية اللامحدودة كانت هي الصورة المسيطرة على تفكير عبد الناصر بخصوص اسرائيل . فاسرائيل دولة قائمة على اساس امر واقع ليست له اي صفة من صفات الشرعية ، بل إنها تريد تعظيم اللاشرعية التي تستند اليها عن طريق التوسع الاقليمي . وكما رأينا في الفقرة السالفة ، فإن المصدر الرئيسي لتلك العقيدة في ذهن عبدالناصر كان الاقوال المعلنة للقيادات الاسرائيلية ذاتها . وفي احدى خطبه استدل على صحة تلك العقيدة بمقالة نشرتها الجريدة العسكرية الاسرائيلية عام ١٩٥٦ أكد فيها كاتب المقال انه من الضروري احتلال دمشق (١٤ آذار / مارس عام ١٩٥٩) . وفي خطبة اخرى اظهر خريطة لاسرائيل نشرتها مجموعة صهيونية بريطانية تبين حدود « اسرائيل الكبرى » ، وتشمل تلك الحدود فلسطين والاردن والسعودية ، واليمن ، والخليج العربي ، وسوريا ، ولبنان ، وجزءاً من العراق حتى نهر الفرات وسيناء حتى قناة السويس . (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٦٥) . المشكلة اذاً لم تكن في ذهن عبدالناصر مجرد مشكلة اسرائيل بوضعها الاقليمي الحالي ، ولكنها أساساً مشكلة الرغبة الدفينة لدى اسرائيل في التوسع والسيطرة الاقليمية . ويوضح استعراض بعض فقرات الوثائق الناصرية عمق اقتناع عبدالناصر بتلك العقيدة :

« إننا نشعر بالخوف من اطماعها في التوسع الذي أعلنه الاسرائيليون في انتخاباتهم عام ١٩٥٥ . اذ صرّح بعض قادتهم وقتذاك بأنهم يحاولون بل ويعملون جاهدين على تحقيق هدفهم في الحصول على الارض الممتدة من النيل الى الفرات . وهذا يعني دون شك انهم يرغبون في ضم الاراضي المصرية الى اسرائيل » (٢٧ كانون الثاني / يناير عام ١٩٥٨) .

« اسرائيل تعلن دائماً ان وطنها الموعود هو الارض المقدسة من النيل الى الفرات . ان اسرائيل وقادة اسرائيل اعلنوا دائماً وأعلنوا عام ١٩٥٥ ، ان اسرائيل لا تمثل الوطن الموعود ولكنهم يريدون أن يحققوا الوطن الموعود من النيل الى الفرات ، يريدون ان يضموا الاردن ، كما يريدون أن يضموا لبنان ، كما يريدون أن يضموا جزءاً من سوريا وجزءاً من العراق » (٩ آذار / مارس عام ١٩٧٨).

« إسرائيل لم تكتف بما حصلت عليه ولم تكتف بما قامت به ضد اخوتنا في فلسطين ، ولكنها أعلنت بتبجح وأعلنت بأعلى صوتها ان ملك اسرائيل يمتد من النيل الى الفرات ، وأن لا بد من هجرة متدفقة الى اسرائيل حتى تستطيع اسرائيل بهؤلاء ان تحقق الملك الذي كتب عنه في تاريخهم ، وهو ملك اسرائيل الذي يمتد من النيل الى الفرات ، وكان هذا يعني احتلالهم لجزء كبير من سوريا والاردن وجزء كبير من العراق ومن مصر ومن لبنان ومن السعودية ، وكان هذا يعني ان الصهيونية ومن خلفها الاستعمار تسعى لتقضي على القومية العربية قضاء كاملاً » (٢٤ شباط / فبراير عام ١٩٦٠) .

« إن اسرائيل خطر توسعي حقيقي يخطط لدولة اكبر من حدود الدولة الحالية، يعمل ليوم تتحول فيه الشعوب العربية ـ بين الفرات والنيل ـ الى فلول من اللاجئين »(٢٥ آذار / مارس عام ١٩٦٤) .

بالاضافة الى ذلك ، فقد نظر عبد الناصر الى اسرائيل كدولة عدوانية تهدد دائماً الامن القومي العربي ، ولا تتردد عن استخدام كل وسائل الابتزاز السياسي ، والحرب النفسية ، والتخريب الاقتصادي لتحقيق اهدافها ، ولتحطيم النموذج المصري الاشتراكي . فاسرائيل تريد ترسيخ التخلف الاقتصادي العربي ، لأن التقدم العربي يعني تهديد مصالحها (١٠ آذار / مارس عام ١٩٦٥) ، كما أنها تستخدم سلاح الخداع السياسي باعلان شعار الرغبة في التفاوض مع العرب ، في الوقت الذي تخطط فيه للعدوان (٢٨ تموز / يوليو عام ١٩٦٣) . هذا بالاضافة الى « التآمر والعدوان المستمر على الامة العربية بقصد عزلها وتهديدها وامتصاص قواها في التأهب المستمر للحرب » (١٠ ايار / مايو عام ١٩٦٦) . اضف الى ذلك ، ان اسرائيل تلجأ الى عروض السلام مع العرب كوسيلة لتورية نواياها العدوانية .

« بن جوريون لا يتكلم عن السلام الا لكي يتخذ منه ستاراً ينفذ من ورائه سياسته العدوانية . واني اذكركم بأنه قبل سبعة ايام من العدوان على مصر القى بن جوريون احدى خطبه التي ينادي فيها بالسلام . وفي العام الماضي اعلن بن جوريون ذات مساء أنه يريد أن يقابلني لكي يتفاهم معي . وفي الفجر التالي كانت قواته تهاجم احد مواقعنا » (١ تموز / يوليو عام ١٩٥٧) .

« إن اقامة اسرائيل في هذا المكان من العالم بين ارجاء العالم العربي انما يهدف الى تهديد العرب وتفتيت القومية العربية حتى يرتمي العرب في احضان الدول الاستعمارية » (١٥ ايار / مايو عام ١٩٥٨) .

« اسرائيل لا زالت تمثل تهديداً ضد الشعب العربي في كل بلد عربي ، ولا زالت مؤامراتها مستمرة في كل وقت ضد مصر وسوريا ولبنان والاردن وضد كل البلاد العربية ، ولا يمكن الا ان تكون تهديد وخطر. . . . وكل ما بتروق الاحوال في هذه المنطقة تلاقي اسرائيل طلعت وراحت مفرقعة ازمة او مشكلة لتخلق توتر دولي » (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٥٩) .

بيد أن تأمل العقيدة الناصرية المتعلقة بطبيعة اسرائيل ، يوضح أن هذه العقيدة كانت تتضمن بعض التناقض . فمن ناحية ، نظر عبد الناصر الى اسرائيل ككيان توسعي عدواني ، بيد أنه من ناحية اخرى نجده يؤكد ان هدف اسرائيل هو فرض تسوية سلمية على العرب على اساس اقرار الامر الواقع ، مما يعني ان اسرائيل ـ في التصور الناصري ـ كانت تريد اضفاء المشروعية على الامر الواقع دون توسع جديد (١٦ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٦٠)[٥] .

والواقع ان مثل هذا التناقض لم يكن قائماً في ذهن عبدالناصر. فعبد الناصر نظر الى الامر الواقع كجزء من المشروع التوسعي الاسرائيلي . ويتأسس منطق عبدالناصر على ان اسرائيل قد ضمت اراضي فلسطينية تفوق بكثير الاراضي التي خصصت لها بمقتضى مشروع التقسيم . وبالتالي ، فإن الامر الواقع ذاته ينطوي على طبيعة توسعية (٢١ شباط / فبراير عام ١٩٥٩) .

---

(٥) وهذا هو معنى الاشارة في الجدول رقم (٥ـ ٣) (البند ٢) الى طبيعة اسرائيل الدفاعية او التوفيقية .

أضف الى ذلك ، فإن « فرض السلام » يعني في الواقع « السلام بالحرب » ، اي انه يعني « فرض الصلح على الدول العربية بالاعتداء على الدول العربية واجبارها واذلالها حتى تقبل الصلح » (٢١ شباط / فبراير عام ١٩٥٩) . كما أن فرض التسوية لن يكون نهاية العدوان ، ولكن سيكون بداية لخطوات عدوانية جديدة لتحقيق حلم اسرائيل المجنون في وطن يمتد من النيل الى الفرات (٨ شباط / فبراير عام ١٩٦٠) .

ما هو تصور عبدالناصر لمصادر التوسعية والعدوانية الاسرائيلية ؟ يمكن القول ان تلك الفترة قد شهدت تحولاً جذرياً في تصور عبدالناصر لمصادر الاهداف الاسرائيلية . مؤدى هذا التحول هو النظر الى الاهداف الاسرائيلية كأهداف نابعة من طبيعة الكيان الاسرائيلي . فالتوسعية الاسرائيلية ليست ظاهرة مؤقتة ، ولكنها استمرار للعقيدة الصهيونية التي عبّر عنها هرتزل وأتباعه . اكثر من ذلك ، فالتوسعية الاسرائيلية جزء من طبيعة الكيان الاسرائيلي ذاته ، فاسرائيل تريد التوسع لأنها تحتاج الى اراضٍ جديدة لتوطين المهاجرين اليهود . ومن هنا ، فطالما ظلت الطبيعة الاساسية للمجتمع الاسرائيلي على أنه مجتمع مهاجرين ، ستظل التوسعية جزءاً لا يتجزأ من السياسة الاسرائيلية .

ففي حديث له مع احدى محطات الاذاعة الامريكية في ٦ نيسان / ابريل عام ١٩٥٨ قال : « المشكلة بين العرب واسرائيل كانت اولاً حقوق شعب فلسطين المنهوبة ، ولقد اضافت اسرائيل الى هذا ايضاً مطامعها التوسعية . ويكفي للتدليل على ذلك ان اسرائيل تستقبل في العام الواحد الآن اكثر من مائة الف مهاجر . فهل تستطيع اسرائيل بمواردها الحالية ان تستوعب هذا العدد؟ ان نتيجة ذلك ستكون اعمالاً عدوانية جديدة تستهدف التوسع » .

وفي خطابه بمناسبة عيد الوحدة الاول في ٢١ شباط / فبراير عام ١٩٥٩ ، قال : « بن جوريون يقول انه يريد ان يحضر من مليون الى ٢ مليون في العشر سنين الآتية . اين يعيشون ! . . . لن يكون امامهم هناك حل الا التوسع ليعيشوا على حساب تشريد الامة العربية . . . وطبعاً اسرائيل لها سياسة معروفة ان لا بد لها أن تقيم « دولة اسرائيل » الدولة المقدسة ، التي تمتد من النيل الى الفرات » .

ويوضح تأمل (الجدول رقم (٥- ٣) البند ٢ - أ) انه طوال تلك الفترة كان عبدالناصر يتصور ان اهداف اسرائيل مستمدة اساساً من الايديولوجية الصهيونية ، او من التصورات التاريخية التقليدية ، أو من خصائص المجتمع الصهيوني ذاته . ففي تلك الفترة ، تضمنت الوثائق الناصرية ٥٥ جملة عن مصادر اهداف اسرائيل ، كان ٢٩ بالمائة يتعلق بالايديولوجية الصهيونية كمصدر ، ٤٢ بالمائة بالاهداف التاريخية ، ٢٠ بالمائة بالخصائص الداخلية للمجتمع الاسرائيلي ، ٩ بالمائة إما بخصائص القيادة الاسرائيلية او بالضغوط الخارجية المفروضة على اسرائيل .

١٦ - العداء الاسرائيلي عداء دائم وعام .

١٧ - حينما يتعلق الامر بالتوسع الاقليمي والعداء للعرب ، فإن الاسرائيليين جميعاً سواء .

أثر التصور الناصري للمصادر الذاتية للاهداف الاسرائيلية على مرونة العقائد الناصرية المتعلقة بطبيعة اسرائيل. فطالما أن اهداف العدو نابعة من ذاته ، فإنه لا امل في تغير العدو او في التوصل الى حلول وسط معه . ولذلك ، فإن عبدالناصر اعتقد اعتقاداً جازماً أن العدوانية الاسرائيلية لن تختفي ـ على الاقل في المدى القريب ـ كما أن حدة الصراع العربي ـ الاسرائيلي لن تقل في المدى المنظور. فعدوانية اسرائيل عدوانية دائمة ، لأنها مستمدة من طبيعتها وليس من اي ظروف مؤقتة ، كما أنها عدوانية عامة تشمل كل القضايا المثارة في الصراع العربي ـ الاسرائيلي . (٨ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٣ ، ٢٢ شباط / فبراير عام١٩٦٦) .

أضف الى ذلك ، ان عبدالناصر نظر الى اسرائيل ككيان سياسي واحدي ، بمعنى أنه لا توجد اختلافات ذات شأن بين شتى اجزاء النخبة السياسية الاسرائيلية حينما يتعلق الامر بالتوسع الاقليمي في المنطقة العربية . فالكل يريد التوسع ، والاختلاف الوحيد هو أن البعض يريد تحقيق هذا التوسع بطريقة مستترة . وفي حديث له مع احدى محطات الاذاعة الامريكية في ١٦ نيسان / ابريل عام ١٩٥٨ ، أشار الى أن الاختلاف الوحيد بين الاحزاب الاسرائيلية في انتخابات عام ١٩٥٥ كان في ان المعارضة تريد التوسع على اساس « الارض الموعودة » من النيل الى الفرات ، اما الحكومة الاسرائيلية فكانت تخوض المعركة على أساس فرض تسوية بالقوة . وفي خطاب آخر له في ١٧ آب / اغسطس عام ١٩٦١ ـ عقب انتخابات الكنيست الاسرائيلي ـ اقتبس فقرات من مقالات جاءت في صحيفة حزب « حيروت » المعارض آنئذٍ ـ والتي تطالب بالتوسع الاقليمي ـ كدليل على نوايا اسرائيل التوسعية مؤكداً بذلك تصوره لعدم وجود اي فوارق بين الحكومة والمعارضة في اسرائيل .

١٨ ـ اسرائيل تعتقد أن الصراع العربي ـ الاسرائيلي هو مباراة صفرية .

١٩ ـ اسرائيل تعتقد ان عبد الناصر يريد بناء امبراطورية عربية والقاءها في البحر .

٢٠ ـ اسرائيل تعتقد ان تصعيد الصراع في الشرق الاوسط ضروري لضمان تدفق المساعدات الخارجية عليها .

٢١ ـ اسرائيل تعتقد ان العرب غير قادرين على ترجمة اهدافهم الى سلوكيات محددة .

كانت صورة عبدالناصر لتصور اسرائيل لطبيعة العرب متماثلة في بعض جوانبها مع صورته عن اسرائيل . فعبدالناصر كان يعتقد ان اسرائيل تعتبره العدو الاول لها بدليل ان كل هجومها السياسي والدعائي موجه ضده (٢٢ حزيران / يونيو عام ١٩٦٢) .

« اسرائيل تنظر الينا كالهدف الاول لأنها تعلم ان القوى الذاتية موجودة في مصر » (٢٨ تموز /يوليو ١٩٦٥) .

« العدو الاول لاسرائيل هو القاهرة . . . اسرائيل لا تهاجم الا القاهرة لأنها تعلم ان القاهرة هي التي

تملك القدرة والامكانيات التي تساعد على استعادة شعب فلسطين » (٢٢ حزيران / يونيو عام ١٩٦٢) .

وكما أن عبدالناصر كان يرى ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي هو مباراة صفرية (عقيدة ٨) ، فإنه كان يتصور ايضاً ان اسرائيل ترى الصراع من المنظور نفسه . فاسرائيل ترى ان الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، هو صراع لا يمكن أن يكسبه الا طرف واحد . فاسرائيل تتصور ان « وحدة العرب عسكرياً ، انما تعني بالنسبة لهم عدم تمكنهم في المستقبل بأي حال من الاحوال للتوسع في البلاد العربية » (٢٥ نيسان / ابريل عام ١٩٥٩) . كما أن اسرائيل تريد التخلف العربي لأن « كل التنمية الموجودة هنا معناها حياة لنا ، ومعناها موت لاسرائيل ، واسرائيل تعتقد ان موتها هو في تطور العالم العربي » (١٠ آذار / مارس عام ١٩٦٥) ، كذلك « فالصهيونية والاستعمار يعتبران ان تضامن العالم العربي معناه قيام سد عال ضد مناطق النفوذ الاستعماري وضد الصهيونية » (٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٩) .

من ناحية اخرى ، فإن عقيدة عبدالناصر عن اسرائيل كدولة توسعية كان يقابلها عقيدة اخرى مؤداها ان اسرائيل هي الاخرى ترى عبدالناصر كزعيم توسعي يهدف الى اقامة امبراطورية عربية والى تحطيم الكيان الاسرائيلي .

« ان الاستعماريين والصهيونيين والمستغلين يعارضون القومية العربية ويحاولون التفريق بين العرب بادعائهم أنني اعمل لاقامة امبراطورية عربية » (١٠ آذار / مارس عام ١٩٥٧) .

« تدأب اسرائيل على القول أنها تواجه تهديدات العرب ، وأن العرب يرغبون في اكتساحها والقائها في البحر » (٢٧ كانون الثاني / يناير عام ١٩٥٨) .

« الاذاعات السرية قالت مع اذاعة اسرائيل ، لقد حوّلوا القومية العربية الى امبراطورية جمال عبدالناصر . حوّلوا الوحدة العربية والتضامن العربي الى التوسع ، هذه الاذاعات الاستعمارية والاذاعات السرية واسرائيل هي التي كانت تنادي بذلك » (٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٩) .

« قالوا ان جمال عبدالناصر يحكم سوريا ، والرئيس المصري يحكم سوريا والشعب السوري يرزح تحت الاحتلال المصري والاستعمار المصري » (٤ آذار / مارس عام ١٩٦٠) .

« اسرائيل والاستعمار والغرب على وجه الاجمال عملنا القومي يشوهوه على انه رغبة في السيطرة نقول قومية عربية لا امبراطورية . نقول وحدة عربية يقولوا تسلط مصري وتحكم مصري . محاولتنا ببذل الدم لنصر الثورة العربية ، يقولوا ده استعمار مصري في اليمن » (٩ آذار / مارس عام ١٩٦٥) .

من الواضح انه كما كان عبدالناصر ينظر الى اسرائيل كدولة توسعية والى الصراع مع اسرائيل كمباراة صفرية ، فإنه كان يعرف ان اسرائيل هي الاخرى تنظر اليه كزعيم توسعي ، والى الصراع مع العرب كمباراة صفرية .

بيد ان صورة عبدالناصر لاسرائيل لم تكن متماثلة في بعض جوانبها ، مع فهمه للتصور الاسرائيلي للعرب، فمن ناحية ترى اسرائيل ان اطالة امد الصراع العربي ـ الاسرائيلي مسألة حيوية بالنسبة لها . إذ ان هذه الاطالة تمد اسرائيل بذخيرة دعائية هائلة تمكنها من اجتذاب المعونات المالية الخارجية .

بيد أن عبدالناصر كان يرى أن اطالة امد الصراع مسألة من شأنها استنزاف الموارد العربية ، وصرف العرب عن قضية التنمية . بعبارة اخرى ، اذا كانت اسرائيل ـ في التصور الناصري ـ ترى ان الصراع مع العرب يلعب وظيفة حيوية لها ، فإن الصراع مع اسرائيل ـ في التصور الناصري ايضاً ـ يلعب دوراً تخريبياً في جهود التنمية العربية .

ابتداء من عام ١٩٦٥ ، ظهرت عقيدة اخرى في النسق العقيدي الناصري تتعلق ايضاً بفهمه للتصورات الاسرائيلية عن العرب . مؤدى هذه العقيدة ان اسرائيل تنظر الى العرب كمجموعة غير قادرة على تنسيق عمل مشترك لتحقيق اهدافها المشتركة .

« كلنا رأينا كيف ان اسرائيل تستهين بالعرب وتقول خللي العرب يتكلموا ، يتكلموا وما يعملوش . كلنا شفنا هذا الكلام ان اسرائيل تعمل اما اذا كان العرب كلامهم هو كلام وبس خليهم يتكلموا زي ما هم عاوزين » (٢١ شباط / فبراير عام ١٩٦٥) .

ومن ثم، فاسرائيل تقوم بالاعمال الانتقامية ضد القرى العربية ، وتمضي قدماً في خططها لتحويل مجرى نهر الاردن ، لأنها لا تأخذ قوة الردع العربية مأخذ الجد . وقد أدت هذه العقيدة الى ترجيح كفة المفهوم الردعي لاستراتيجية التعامل مع اسرائيل في النظام العقيدي الناصري . فإذا كانت اسرائيل لا تعتقد في جدية القوة العربية ، فإن الطريق الوحيد هو تدعيم تلك القوة من أجل تغيير المفهوم الاسرائيلي . ومن المرجح ان تكون هذه العقيدة ، هي التي دفعته الى توقيع ميثاق الدفاع المشترك مع سوريا عام ١٩٦٦ ، والى تعبئة القوات المصرية في ايار / مايو عام ١٩٦٧ كجزء من محاولة اظهار قوة الردع العربية ضد اسرائيل .

وبقراءة الجدول رقم (٥ ـ ٣) (البندان ٢ ، ٢ . هـ) يتضح غلبة عناصر التماثل بين الصورة الناصرية لاسرائيل ، والصورة الناصرية لتصور اسرائيل عن العرب . في الفترة محل البحث ، تضمنت الوثائق الناصرية فقرة عن التصور الناصري لطبيعة اسرائيل ، وفي ٩٧,٥ بالمائة من تلك الفقرات ، كان عبد الناصر ينظر الى اسرائيل كدولة تدميرية ٢٣,٦ بالمائة كدولة توسعية ٤٢,٩ بالمائة ، وكدولة عدوانية ٣١,١ بالمائة . كذلك تضمنت الوثائق الناصرية ١٥ فقرة عن التصور الناصري للتصور الاسرائيلي للعرب ، في ٨٦ بالمائة من تلك الفقرات كان عبد الناصر يتصور ان اسرائيل تنظر الى العرب كأعداء تدميريين ٢٠ بالمائة ، او توسعيين ٢٠ بالمائة ، او عدوانيين ٤٩,٧ بالمائة . مما يؤكد غلبة عناصر التماثل بين صورة عبدالناصر لاسرائيل ، وصورته للتصور الاسرائيلي عن العرب .

٢٢ ـ الاهداف الاسرائيلية تتسم بطبيعة تعظيمية ، ويمكن التنبؤ بها ، ولكنها غير واقعية .

٢٣ ـ اسرائيل تتبع الاهداف التوسعية بطريقة تدرجية ورشيدة .

٢٤ ـ اساس الاستراتيجية الاسرائيلية هو الردع والارهاب .

من المهم لفهم العقائد الناصرية عن اسرائيل ، ان نحلل تقدير عبدالناصر للاسلوب الاسرائيلي في اختيار الاهداف السياسية ، وفي تطبيق تلك الاهداف . فاسرائيل ـ طبقاً للتقدير الناصري ـ تختار دائماً الاهداف القصوى . . فهي دائماً تسعى الى تعظيم مكاسبها الاقليمية ، ولا تقبل اطلاقاً بالوضع الراهن . ومن هنا ، فكلما لاحت امام اسرائيل فرصة للتوسع ، فإنها لن تتورع عن انتهاز تلك الفرصة (٢٥ نيسان / ابريل عام ١٩٥٩ ، ٦ شباط / فبراير عام ١٩٦٤) . ويضيف عبدالناصر ان هذا النمط التعظيمي في اختيار الاهداف السياسية هو نمط ثابت ، يمكن انطلاقاً منه التنبؤ بالسلوك الاسرائيلي في المستقبل (٨ آذار / مارس عام ١٩٦٥) . بيد أن هذا النمط التعظيمي الثابت في الاهداف الاسرائيلية يتسم بالخيالية واللاواقعية . فإذا كانت اسرائيل تهدف الى التوسع من النيل الى الفرات ، او الى القضاء على القومية العربية ، فلا شك انها تمارس نوعاً من احلام اليقظة :

« إنني أؤمن من كل قلبي ان احلام اسرائيل واطماع اسرائيل ، انما هي احلام العصافير التي تضيع في الهباء وتذهب في الهواء » (١٦ شباط / فبراير عام ١٩٦٠) .

« اؤمن من كل قلبي ان هؤلاء الاعداء إنما يحرثون في الماء ، ولن يمكن لهم بأي حال من الاحوال ان يجدوا ارضاً يزرعون فيها هذا الزرع الخبيث » (٤ آذار / مارس عام ١٩٦٠) .

رغم اعتقاده ان اسرائيل تتبع اهدافاً خيالية ، فإن عبد الناصر اعتقد ان اسرائيل تحاول تحقيق تلك الاهداف من خلال خطة دقيقة قوامها محاولة تطبيق الاهداف بشكل تدرجي وعلى مدى فترات تاريخية متعاقبة . ومن ثم ، فالمخطط الاسرائيلي هو « مخطط طويل المدى ينهض اساساً على فكرة التوسع الاقليمي التدرجي » ٨ آذار / مارس عام ١٩٥٩) .

« اسرائيل لم تكن نتيجة مجهودات وقعت او قامت سنة ١٩٤٨ ، ولكنها كانت نتيجة مجهودات استمرت سنين طويلة ، وكان وعد بلفور سنة ١٩١٧ هو اول نتيجة حقيقية او اول نتيجة مادية . ومنذ سنة ١٩١٧ استمرت الصهيونية مع الاستعمار من اجل وضع هذا موضع التنفيذ . بمعنى ان سنة ١٩٤٨ لم تكن هي السنة التي بدأت فيها قضية فلسطين وانتهت . ولكنها كانت نتيجة مخططات استغرق وضعها موضع التنفيذ سنين طويلة . . . وكما انتهزوا الفرص في الماضي سينتهزون الفرص في المستقبل . . . اذن ليست المأساة وليست الكارثة التي حلت بنا هي استيلاء الصهيونية على فلسطين . ولكن هناك التهديد المستمر للتوسع من النيل الى الفرات ، وهذا لا يمكن ان يحدث على مرحلة واحدة ، ولكنه يحتاج الى مراحل والى سنين » (٢٥ نيسان / ابريل عام ١٩٥٩) .

يرتبط بذلك اسلوب انتهاز الفرص من خلال التوقيت الدقيق لتنفيذ الاهداف . فكلما

لاحت بادرة من بوادر الضعف العربي ، فلا شك ان اسرائيل ستستغلها للتوسع : « اسرائيل حينها تجد الفرصة حتضربنا . اسرائيل حينها تجد الفرصة ستعتدي علينا في اي وقت » (٩ آذار / مارس عام ١٩٦٥) .

اما استراتيجية اسرائيل في تحقيق الاهداف ، فإنها مزيج من الردع والارهاب . فاسرائيل تتبع استراتيجية قوامها اقناع العرب أنها وحدها تمتلك حق التصرف (٩ آذار / مارس عام ١٩٦٥) ، كما انه اذا حاول العرب تنفيذ اي سياسة لا ترضى عنها اسرائيل (كتحويل روافد نهر الاردن مثلاً) ، فإنها لن تتردد في اللجوء الى القوة العسكرية (٢١ شباط / فبراير عام ١٩٦٥) . أضف الى ذلك استعمال شتى وسائل الارهاب السياسي والنفسي من اجل اخضاع الامة العربية وقد حدد عبد الناصر هذا التصور للعلاقة بين الاهداف والاستراتيجيات الاسرائيلية بقوله :

« الصهيونية اليوم ـ التي تريد ان تقضي على القومية العربية ، وتريد ان تأتي باليهود من جميع انحاء العالم ليرثوا ارضنا التي عاش فيها الآباء والاجداد ـ هذه الصهيونية إنما تدس بين ارجاء العالم العربي لتسود الفرقة ويسود الخلاف ، وبهذا تستطيع اسرائيل ان تستولي على البلاد العربية بلداً بلداً ، وان تحقق اهدافها هدفاً هدفاً » (٣ آذار / مارس عام ١٩٥٩) .

٢٥ ـ اذا أظهر العرب اي بادرة للتساهل مع اسرائيل ، فإنها ستنتهز تلك الفرصة للحصول على مكاسب جديدة .

٢٦ ـ اذا أظهر العرب التشدد ازاء اسرائيل ، فإنها ستتراجع .

كان تقدير عبدالناصر لنمط الحساب السياسي الاسرائيلي ازاء سياسات التساهل والتشدد العربية متسقاً مع عقيدته العامة عن طبيعة اسرائيل . فإذا كان العدو توسعياً بالطبيعة ، فمن المنطقي ان نتوقع انه سيحاول انتهاز كل الفرص لتعظيم منافعه وتحقيق اهدافه . فإذا اظهر العرب ميلاً للتساهل او التراجع امام اسرائيل ، فإنها لن ترد على ذلك بتساهل او تراجع مماثلين ، ولكنها ستنتهز الفرصة لتحقيق اهدافها . وفي خطاب له في جامعة الاسكندرية في ٢٨ تموز / يوليو عام ١٩٦٣ عبّر عبدالناصر عن تلك العقيدة بقوله : « اذا ماكناش نتسلح ، واذا ماكناش نعطي جزء من آمالنا لهذا السلاح نصبح ثاني يوم نلاقي بن جوريون موجود قاعد هنا في القاهرة » .

« اسرائيل خطر توسعي حقيقي يخطط لدولة اكبر من حدود الدولة الحالية . . . المحارب المصري او العراقي او السوري لا يحمل السلاح دفاعاً عن اسرته المصرية او السورية او العراقية ، امة عربية واحدة تواجه نفس المعركة لأنها تواجه نفس الخط ويهددها نفس المصير اذا لانت يوماً في تصميمها او هانت وهان عليها التاريخ والمستقبل » (٢٥ آذار / مارس عام ١٩٦٤) .

ومن هنا كان رفض عبدالناصر للتفاوض مع اسرائيل بدون التزام اسرائيل المسبق بتنفيذ قرارات الامم المتحدة، إذ كان عبدالناصر من واقع خبرته مع اسرائيل عام ١٩٥٦، يعتقد ان

اي حديث اسرائيلي عن المفاوضات هو مقدمة لمخطط للعدوان تماماً كما أعلن بن غوريون قبل العدوان الاسرائيلي عام ١٩٥٦ بسبعة ايام انه مستعد للتفاوض بشأن عقد صلح وكان ذلك ستاراً للعدوان (٢٥ نيسان / ابريل عام ١٩٦٠) .

اما اذا أظهر العرب التشدد والصلابة ازاء اسرائيل ، فإنه من المرجح الى حد كبير ان تتراجع اسرائيل على الفور . ومن ثم ، فإنه من الضروري بناء قوة اقتصادية وعسكرية عربية ، اذ أن مثل هذه القوة هي وحدها الكفيلة بردع اسرائيل . وقد عبّر عبدالناصر عن ذلك المفهوم بجلاء في حديثه الى ديفيد مورغان في حزيران / يونيو عام ١٩٦٢ بقوله: « لسوف يسوى الحساب (مع اسرائيل) في يوم من الايام . وأعتقد انه مما يساعد على ذلك أن نبني اقتصاد العالم العربي وأن نرفع مستوى معيشة ابنائه لكي نبلغ المرحلة التي يتاح لنا فيها أن نمارس من الضغط على الاسرائيليين ومن وراءهم مما يجعلهم يدركون عبث مقاومتهم »

بيد أن التشدد والصلابة ازاء اسرائيل يجب الاّ يصل الى حد المبادرة باستعمال القوة العسكرية او التحدي المباشر لاسرائيل في مشكلة اقليمية محددة ، اذ أنه عند هذا الحد ، فإن رد الفعل الاسرائيلي سيكون بالمثل . وقد أوضح عبدالناصر هذا التصور عند تحليله لاحتمال رد فعل اسرائيل للمشروعات العربية بتحويل مياه نهر الاردن .

« قررنا تنفيذ خطة تحويل مضادة لاستخدام مياه منابع نهر الاردن لصالح الدول العربية التي تقع هذه المياه داخل اراضيها . . . وسيترتب على ذلك ان نواجه مشكلة تالية اكبر وهي رد الفعل الاسرائيلي ، لأننا حالما نشرع في انجاح مشروعنا للتحويل المضاد ، ستتجه اسرائيل الى استخدام القوة » (٦ شباط / فبراير عام ١٩٦٤) .

٢٧ ـ اسرائيل تتفادى المخاطر الناشئة عن عدائها للعرب عن طريق ضمان التأييد الكامل لاحدى القوى الكبرى لسياساتها .

٢٨ ـ اسرائيل تتفادى المخاطر الناشئة عن عدائها للعرب عن طريق المواجهة غير المباشرة مع العرب .

واخيراً ، ماذا عن تقدير عبدالناصر لمنهج اسرائيل في حساب المخاطر السياسية ؟ الواقع ان استحواذ عقيدة العلاقة العضوية بين اسرائيل والاستعمار ، وخبرته الذاتية خلال حربي عام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ أديا بعبدالناصر الى خطأ في تقدير المنهج الاسرائيلي في حساب المخاطرة السياسية ، مما انعكس على سياساته ازاء اسرائيل خلال ازمة ايار / مايو ـ حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ . ذلك ان تصور عبد الناصر لاسرائيل كعميل استعماري ادى به الى تصور السلوك الاسرائيلي كمجرد امتداد للسلوك الاستعماري الغربي ، وعدم القدرة على حساب السلوك الاسرائيلي الناشىء من اسرائيل ذاتها ، او تقدير قدرة اسرائيل على المخاطرة بدوافع نابعة من ذاتها .

التوزيع التكراري لعقائد عبد الناصر المتعلقة بالعدو السياسي ، للسنوات ١٩٥٧ ـ ١٩٦٧

العقيدة / السنة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢ •	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧[1]	المجموع
٢ ـ طبيعة العدو	٥٢	٧٦	١٣١	٩١	٤٨	٣٨	٣٥	٤٣	٦٧	٥٦	٣٨	٦٧٥
تدميرية (٪)	٣٣ (٧)	٣٣ (٥)	٣٦ (٥)	٣٦ (٩)	٤٠ (٨)	٢٩ (٨)	٢٦ (٨)	١٤ (٦)	٩	٣٠ (٥)	٢١	٢١
توسعية (٪)	٢٣ (٤)	٢٦ (١٩)	٣٢ (١٩)	١٩	١٢ (٨)	١٦	(١٤)	٣٣ (١٥)	١٥ (١١)	١٦ (٧)	١٦	٢٩
عدوانية (٪)	٤٠ (١٢)	٢٩ (٤)	٣١ (٩)	٤٤	٤٤ (٤)	٥٥	٦٠ (٩)	٥٣ (١٦)	١٧ (١٥)	٥٢ (١٣)	٦٣ (٢)	٤٥
دفاعية (٪)	٤			(١)					١	٢		١
توفيقية (٪)		٢	(١)		٢				٧ (٢)			١
باحث عن السلام (٪)					٢				١			٣
أ ـ مصادر اهداف العدو	٢	٦	٢٥	١٤	٣	٣	١	٤	٧	١٠	٤	٧٩
الايديولوجية (٪)		٣٣	٣٦ (٣٢)	٧	٣٣	٦٧	١٠٠			١٠٠ (٤٠)		٣٣
اهداف تاريخية (٪)	١٠٠ (٥٠)	(٥٠)	(٣٢)	(٥٠)		(٣٣)		(٢٥)	(٤٣)		٢٥	٣٣
خصائص داخلية (٪)			(١٦)	٤٣ (٢٩)	(٣٣)			٧٥ (٥)	(١٤)		٢٥	٢٠
خصائص القيادة (٪)			(٨)		٣٤							٤
ضغوط خارجية (٪)		١٧	٨						(٤٣)		٥٠	١٠
ب ـ عمومية عداء العدو	١٢	١١	١٠	١٥	١	٢	٣	٩	٥	٥	٤	٧٧
عام / دائم (٪)	٩٢	١٠٠	١٠٠ (٢٠)	١٠٠ (٣٠)	١٠٠	١٠٠	١٠٠ (٣٣)	٦٧	١٠٠ (٤٠)	١٠٠ (٤٠)	١٠٠	٩٥
عام / مؤقت (٪)												
محدد / دائم								٣٣				٤
محدد / مؤقت (٪)	٨											١
ج ـ احتمال رد العدو على المسالمة	٣		٦	١	٨	٣	٤	١	—	٣	٥	٣٤

يتبع

تابع الجدول رقم (٥ ـ ٣)

العقيدة / السنة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧(١)	المجموع
الرد بالمثل (٪)	٣٣				٢٥	٣٣	٢٥					١٥
التجاهل (٪)											٢٠	٣
استغلال الموقف في المناسبة نفسها (٪)	٦٧ (٣٣)		٨٣		١٢		٥٠	١٠٠		٣٣	٨٠ (٢٠)	٤٦
استغلال الموقف في مناسبة اخرى (٪)			١٧	١٠٠	٦٣	٦٧	(٢٥)			٦٧		٣٦
د ـ احتمال رد العدو على القوة	٣	٣	٤	—	—	١٠	١	٢	٦	١	١	٢١
التراجع (٪)	١٠٠	٦٧	٧٥ (٢٥)			١٠٠	١٠٠	٥٠	٦٧	١٠٠		٧٦
التجاهل (٪)											١٠٠	٥
الرد بالمثل (٪)		٣٣	٢٥					(٥٠)	١٧			١٤
الرد اللاعقلاني (٪)									١٦			٥
هـ ـ صورة العدو عن مصر	٥	١٨	٢٤	١٥	٣	١٠	١٩	٦	١١	٣	٢	١١٦
تدميرية (٪)	٤٠ (٢٠)	١٧	(٤)	٧			(٥)			٣٣		٨
توسعية (٪)	٦٠	٤٤	٥٨	٦٠ (٧)	٣٣	٦٠	٦٣ (١١)	٥٠	٥٥		٥٠	٥٤
عدوانية (٪)		٣٩	٣٨ (٨)	٣٣ (٧)	٦٧	٤٠ (١٠)	٣٢	٥٠ (٣٣)	٢٧ (٩)	٦٧	٥٠	٣٦
دفاعية (٪)									(١٨)			٢
و ـ تصور العدو للصراع			٣			١				١		٥
حتمي (٪)			٣٣									٢٠

يتبع

تابع الجدول رقم (٥ - ٣)

العقيدة / السنة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧(١)	المجموع
مرغوب (٪)			٦٧ (٣٣)			١٠٠				١٠٠		٨٠
س- النموذج السياسي للعدو		١	٧				٤	١				١٣
كيان واحد (٪)		(١٠٠)	٨٦ (٢٩)				٢٥					٦٢
كيان متعدد (٪)			١٤				٧٥	١٠٠				٣٨
ص- الدور الدولي للعدو	٥	١٧	٤٠	٣٠	١٩	٢٠	٩	٢٢	٣٤	٣٤	٢١	٢٥١
قائد استعماري (٪)						٥						١
عميل استعماري (٪)	(٨٠)	٨٢ (٢٩)	٤١ (٢٠)	٧٣ (٢٣)	٨٩ (٦٨)	٧٠ (٣٥)	١٠٠ (٤٥)	٨٢ (٥٩)	٦٥ (٣٢)	٧٦ (٣٢)	٨٥ (١٩)	٧١
عميل شيوعي (٪)			٤٧	١٠	١١							١٠
عميل صهيوني (٪)	٢٠	٦	٢	١٣		١٠		٤	١٤	١٥	٥	٨
تخريب اقليمي (٪)		(١٢)	(١٠)	(٤)		(١٥)		(١٤)	٢١ (١٧)	٩ (٦)	١٠ (٥)	١٠
ز (١) - مسلك العدو في اختيار الهدف	٢	٥	١٤	٤	١٠	٦	١٥	٦	٢	٨	٣	٧٥
الحد الاقصى (٪)	(٥٠)	١٠٠ (٢٠)	١٠٠ (٣٦)	١٠٠	١٠٠ (١٠)	١٠٠ (٣٣)	١٠٠	١٠٠ (١٧)	١٠٠ (١٥)	١٠٠	١٠٠ (٣٣)	٩٩
الحد الادنى (٪)	٥٠											١
ز (٢) - مسلك العدو في اختيار الهدف		١		٥	١							٧
واقعي (٪)					١٠٠							١٤
خيالي (٪)		١٠٠		(١٠٠)							٨٦	
ز (٣) - مسلك العدو في اختيار الهدف			١	٢		٢			٢			٧

يتبع

تابع الجدول رقم (٥ ـ ٣)

العقيدة / السنة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧(١)	المجموع
مرن (٪)			١٠٠			١٠٠						٤٣
جامد (٪)					١٠٠ (٥٠)					١٠٠ (٥٠)		٥٧
ز (٤) ـ مسلك العدو في اختيار الهدف	٥	٤	٣	٤	٦	٣	٤	٦	٣	—	٤	٤٢
يمكن التنبؤ به (٪)	٤٠ (٢٠)		١٠٠ (٣٣)	١٠٠ (٧٥)	٨٣	١٠٠ (٣٣)	٧٥	١٠٠ (١٧)	٦٧		١٠٠	٧٦
لا يمكن التنبؤ به (٪)	٦٠	١٠٠			١٧		٢٥		٣٣			٢٤
ر ـ منهج العدو	٤	١	٧	٥	٤	—	٢	٢	—	١	٤	٣٠
التمهيد اولاً (٪)	٢٥	١٠٠		(٢٠)	٢٥					١٠٠		٢٠
التدرج (٪)	٢٥		٥٧ (١٤)									١٧
الضربة الخاطفة (٪)	٥٠		٢٩	٤٠	٢٥			٥٠			١٠٠ (٥٠)	٢٨
التعبئة الشاملة (٪)			١٤	٤٠	٥٠		١٠٠	٥٠				٣٥
ط ـ استراتيجية العدو	٢٢	٢٢	٣٢	١٧	١	٢٠	٣٧	٢٥	٢٥	٣٧	—	٢٣٨
ردعية (٪)						١٥		(٨)	٣٢	٣		٦
عدوانية (٪)	١٠٠ (١٦)	١٠٠	١٠٠ (٩)	١٠٠	١٠٠	٨٥ (٥)	١٠٠ (٥)	٩٢ (٢٤)	١٨ (٢٠)	٩٧ (٥)		٩٤

ملاحظة عامة: النسب بين قوسين ( ) في الجدول والجداول التالية هي نسب الاشارة الى اسرائيل من تكرارات العقيدة .

من ثم ، فقد تصور عبدالناصر أن اسرائيل تتبع منهجاً حذراً للغاية في حساب احتمالات المخاطرة السياسية . قوام هذا المنهج بعدان رئيسيان : الاعتماد الكامل على الغرب ، وتجنّب المواجهة المباشرة مع العرب . فاسرائيل تتفادى الآثار السلبية الناشئة عن مخاطرتها بالعداء للعرب عن طريق ضمان وجود قوة كبرى واحدة على الاقل الى جانبها في اي وقت من الاوقات . وبذلك فهي لا تجرؤ على شن اي هجوم على البلدان العربية إلا اذا ضمنت التأييد الكامل لاحدى القوى الكبرى . ومن ثم ، فإسرائيل رفضت أن تهاجم مصر عام ١٩٥٦ إلا حينما ضمنت ان بريطانيا وفرنسا ستمدانها بغطاء جوي وبحري كافيين، كما أنهما ستضربان المطارات والمواقع الاستراتيجية المهمة المصرية اولاً قبل أن تبدأ « المقامرة » التي حدثت عام ١٩٥٦ ، (٢٤ نيسان / ابريل عام ١٩٦٤) . وفي خطاب له في ٢٦ تموز / يوليو عام ١٩٥٩ أعلن أنه متأكد ان اسرائيل لن تجرؤ على شن هجوم على مصر (كما كان موشي ديان يهدد آنئذٍ) لأن اسرائيل تفتقد تأييد الدولة الكبرى .

أما البعد الثاني للمنهج الاسرائيلي في ضبط المخاطر فهو تجنّب المواجهة الجبهوية المباشرة مع العرب . فاسرائيل لا تقامر بالقتال وجهاً لوجه مع العرب . كما حدث عام ١٩٤٨ و١٩٥٦ ـ وتفضّل دائماً الاقلال من خسائرها باللجوء الى الخداع والاعتماد على العملاء ، (٢٦ تموز / يوليو عام ١٩٥٩ ، ٤ آذار / مارس عام ١٩٦٠) .

ج ـ النظام الدولي المعاصر

٢٩ ـ الصراع هو المميز الرئيسي للسياسة العالمية والسياسة الاقليمية في الشرق الاوسط وافريقيا .

٣٠ ـ النظام العالمي هو بالاساس نظام ثنائي القطبية يتسم بالمرونة ، ولكنه ابتداء من اواسط الستينات بدأ يتجه نحو تعدد الاقطاب .

٣١ ـ المصدر الرئيسي للصراع العالمي هو الطبيعة الفوضوية للنظام العالمي .

٣٢ ـ يمكن اقرار السلام العالمي من خلال الاتصال الدولي ، المفاوضات ، نزع السلاح ، تصفية الاستعمار، وتضييق الهوة بين الشمال والجنوب .

مفهوم السياسة الخارجية

خلافاً للمقولة الشائعة ان عبد الناصر كان يهتم بالقضايا الدولية على حساب القضايا الداخلية ، فإن تحليل الوثائق الناصرية يكشف أنه كان يوازن بين النوعين من القضايا . ففي خلال تحليل المضمون الذي قمنا به لوثائق عبدالناصر ، قمنا بتحديد ما إذا كانت كل فقرة من فقرات الوثائق تتناول موضوعاً يتصل بالسياسة الخارجية ام موضوعاً يتعلق بالسياسة الداخلية . وقد وجدنا أن وثائق عبدالناصر تتضمن ١٤٤٠٤ فقرة ، وان ٥١ بالمائة من تلك الفقرات كان

يتناول موضوعات متعلقة بالسياسة الخارجية ، كما أن ٤٩ بالمائة منها يتناول قضايا مرتبطة بالسياسة الداخلية . معنى ذلك ان عبدالناصر ـ على المستوى المعرفي على الاقل ـ كان يهتم بقضايا السياسة الداخلية قدر اهتمامه بقضايا السياسة الخارجية والعلاقات الدولية لمصر . وقد حذّر عبدالناصر صراحة من خطورة الانشغال بالمعارك الدائرة في المنطقة العربية على حساب الهدف الرئيسي ، وهو مضاعفة الدخل القومي (٢٦ شباط / فبراير عام ١٩٥٩ ، ٢٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٠) ، وأكد ان « المشكلات الداخلية التي تواجهنا مهمة في نظرنا تماماً كالمشكلات الدولية » (١٤ كانون الثاني / يناير عام ١٩٥٩) .

بيد أن السياسة الخارجية احتلت مركزاً رئيسياً في النسق العقيدي الناصري بمعنى آخر وهو ارتباط التعبير عن عقائد هذا النسق بالحديث عن قضايا السياسة الخارجية ، بالمعنى الذي اشرنا اليه في الاطار النظري لهذا الكتاب . فالنسق العقيدي الناصري كان مرتبطاً في معظم اجزائه بقضايا السياسة الخارجية ، بمعنى أن العقائد تتحدد وتتضح حين يكون الاهتمام متعلقاً بالسياسة الخارجية . بعبارة اخرى ، ان السياسة الخارجية هي نقطة الالتقاء التي تتبلور عندها معالم العقائد الناصرية . فرغم التوازن النسبي لعدد الفقرات المتعلقة بالسياسة الخارجية والسياسة الداخلية ، فإن ٤١ بالمائة من الفقرات التي تتناول قضايا السياسة الخارجية كانت تتضمن عقائد ، بينما تصل النسبة الى ١٨ بالمائة فقط من الفقرات المتعلقة بالسياسة الداخلية . وهذا يثبت لنا ـ من ناحية اخرى ـ العلاقة بين العقائد والسياسة الخارجية .

بالاضافة الى ذلك ، فقد اعتبر عبدالناصر ان السياسة الخارجية بمثابة المجال الرئيسي لحركته السياسية ، دون أن يعني ذلك اهمال السياسة الداخلية . فعبدالناصر فهم العلاقة الوظيفية الوثيقة بين السياستين الداخلية والخارجية ، وحرص على توظيف تلك العلاقة لصالح قضايا التنمية الداخلية والامن الوطني . فاتباع سياسة مصرية نشيطة في المجالين العربي والدولي يمكّن مصر في المنطق الناصري ، ان تعوض نقص الموارد الاقتصادية فيها وان تحصل على منافع اقتصادية لم يكن من الممكن الحصول عليها بانعزال مصر . في خطاب له امام مجلس الامة في ١٢ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٤ ، أوضح عبدالناصر وعيه لتلك العلاقة ، ولأهمية الحركة النشيطة في العالم الخارجي بالنسبة لقضية التنمية .

« سمعت هنا بيقولوا ان احنا مهتمين بالسياسة الخارجية اكثر من اهتمامنا بالسياسة الداخلية . . . وبدي أقول ان سياستنا الخارجية هي في خدمة سياستنا الداخلية . وبدون سياستنا الخارجية لا يمكن ان احنا نستطيع ان نبني البناء الداخلي ، وقارنوا بيننا وبين البلاد الاخرى . فيه بلاد داخلة في تحالفات بتخضع وبتقبل الشروط وبتعيش زي احنا ما كنا عايشين قبل ١٩٥٢ وتأخذ شوية معونات ولا يكون لها كلمة في الشؤون العالمية . بدون عملنا الخارجي مكناش نقدر ننفذ خطة التنمية . مكناش نقدر نحصل على قروض . كنا نضطر لأن نطور نفسنا في حدود قدرتنا لو نستثمر بس دخلنا او مدخراتنا فقط لا نستطيع بأي حال من الاحوال ان نحقق الخطة ، لا نستطيع أن نضاعف الدخل في عشر سنوات » .

من ناحية اخرى ، فإن اتباع سياسة خارجية نشيطة ضروري لتحقيق الامن الوطني، بل وأمن عملية التنمية ذاتها :

« فيه ناس مثلاً في البلد كانوا يقولون أنهم مهتمون بالسياسة الخارجية اكثر من اهتمامهم بالسياسة الداخلية ، ولو يزيد الاهتمام بالسياسة الداخلية فهم لا يفهمون ، كلكم طبعاً سمعتم هذا الكلام وعارفين هذا الكلام ، العملية مربوطة ببعضها ولا يمكن ابداً انك تهتم ببناء مدارس ومستشفيات ومصانع وزراعة . . . ثم تتركها لليهود . فيأتوا ليأخذوها كما أخذوا فلسطين ، لازم اولاً نقيم المجتمع ، نبنيه ونصممه وفي نفس الوقت لازم نكون متأكدين اننا نستطيع ان نحمي هذا المجتمع » (٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٨) .

بالاضافة الى ذلك فإن عبدالناصر نظر الى التنمية الداخلية والتحرر من التبعية الاقتصادية على انهما جزء من الحركة العالمية الشاملة نحو التحرر الوطني ، بحيث ان جهود التنمية والتخلص من التبعية في الداخل لن يقدر لهما النجاح ، الا اذا نجحت الجهود المماثلة في النظام الدولي . كما أن نجاح التنمية في الداخل والتحرر من التبعية من شأنهما أن يحدثا آثاراً خارجية قوية .

لم يكن عبدالناصر ينظر الى السياسة الخارجية باعتبارها أداة مركزية في تحقيق التنمية الوطنية فحسب وإنما كان ينظر ايضاً الى السياسة الخارجية ذاتها كمحصلة منطقية للتنمية الوطنية وللقوى الاجتماعية والبنيانية الداخلية طبقاً للتحليل الناصري . فإن العنصر الحاسم في تحديد التوجهات الرئيسية للسياسة الخارجية وبالذات من النواحي الفلسفية العامة هو الهيكل الداخلي للدولة ، ولذلك نجده في الباب العاشر من ميثاق العمل الوطني يؤكد « ان اي سياسة خارجيةلأي وطن من الاوطان ليست الا انعكاساً اميناً وصادقاً لعمله الوطني تصبح ادعاء يكشف نفسه بنفسه » . والواقع ان التأكيد على الدور الحاسم للعمل الداخلي في صنع السياسة الخارجية ، كان نتيجة لتمسك عبدالناصر بدور الاستقلال المصري في النظام الدولي ، ورفضه تأثيرات الدول الكبرى على السياسة الخارجية للدول الصغرى . بيد ان عبدالناصر لم ينكر دور القوى البنيانية الدولية وتفاعلات الدول الكبرى في صنع السياسة الخارجية للدول الاخرى . ولكن هذا التأثير ـ في نظره ـ لم يكن ينصب على الاهداف العامة والاستراتيجيات ولكنه ينصب على الاساليب والتكتيكات ، فهو يؤكد مثلاً ان التطور النظامي الدولي من القطبية الثنائية او التعدد ، ومن احتمال الحرب العالمية الى استحالتها يؤثر على اسلوب الممارسة السياسية الخارجية ولكن لا يؤثر على الاهداف . عبدالناصر أذاً لم ينظر الى السياسة الخارجية باعتبارها محصلة لتأثير القوى الكبرى ، ولكنها أساساً نتيجة لحجم ومستوى التطور الاجتماعي ـ الاقتصادي الداخلي ، ولذلك نجده يؤكد ان التركيز على التنمية الاشتراكية الداخلية يمكّن مصر ان تلعب دوراً رئيسياً في ممارسة قيادة عملية التنمية العربية والتكامل السياسي والاقتصادي العربي .

طبيعة النظام الدولي

ينتمي التحليل الناصري لطبيعة النظام الدولي المعاصر الى فكر المدرسة الواقعية في

التحليـل السياسي الـدولي ، وإن كان ينتمي الى فكـر المدرسـة المثاليـة في تحليله لادوات حل الصراع الدولي . ذلك ان عبد الناصر نظر الى العملية السياسية الدولية ، على المستويين العالمي والاقليمي ، باعتبارها عملية صراعية تتضمن مجموعة أساسية من التناقضات التي تحدد طبيعة النظام الدولي . فالنظام العالمي ـ في التحليل الناصري ـ هو نظام صراعي فوضوي ويفتقر الى نقطة للتوازن السياسي او الاقتصادي . فالبيئة الـدولية تسـودها الحـرب الباردة والصـراع بين القوى الكبرى ، بحيث تحولت الى بيئة صراعية تسودها الفوضى . وقد عبّر عبدالناصر عن هذا المفهوم للنظام العالمي في خطاب القاه في ٢٤ حزيران / يونيو عام ١٩٥٩ بقوله :

« لقد آن الأوان لكي تتضامن الدول والشعوب من اجل توفير حياة سليمة هنيئة للجنس البشري . وهذه الحياة التي يستحيل وجودها في ظل التوتر المهلك الذي تقوم عليه العلاقات الحالية بـين الدول وخـاصة الكبـرى منها ، والذي يقف وراءها شبح الحرب على أهبة الاستعداد لكي يغمر العالم باسلحة الدمار الشامل التي تتسابق على انتاجها » .

وفي خطاب آخر في ٢٤ ايار / مايو عام ١٩٦٣ ، أعاد تأكيـد نظرتـه الصراعيـة للنظام الدولي :

« هناك تيارات الحرب الباردة وشدها وجذبها ، ثم نحن نعيش في عالم تلاشت فيه المسافات بسبب التقدم العلمي الكبير ، خصوصاً في وسائل المواصلات ، الامر الذي نقل معارك الحرب البـاردة الى بيوتنـا ذاتها ، والى قلوب الناس وعقولهم داخل البيوت . ونتيجة ذلك فنحن نعيش في عـالم متفتح بـالاحتمالات . عـالم زادت فيه مطالب الانسان الحقة والمشروعة بدون زيادة فعّالة مؤثرة في امكانية توفر هذه المطالب . . . كل ذلك تحت أحكام الحرب الباردة ومخاطرها » .

بتقادم الوقت ، وازدياد خبرته الدولية ، بدأت نظرة عبدالناصر للنظام الدولي تتخذ طابعاً اكثر تركيباً مبتعدة تدريجياً عن المفهوم الواحدي البسيط للصراع الدولي الذي ميّز نظرته الدولية فـي اوائل الخمسينات . بدأ عبدالناصر في تطوير مفهوم مركب رباعي الابعاد لطبيعة النظام الدولي ، باعتباره متضمناً أربعة صراعات دولية أساسية :

الصراع الاول : صراع على مستوى قمة النظام الدولي بين القوى الكبرى يتمثل في الحرب الباردة ، سباق التسلح ، الصراع الصيني ـ السوفياتي ، والتصعيد الامريكي للحرب الفيتنامية .

الصراع الثاني : الصراع الايديولوجي بين النظامين الاقتصاديين الرأسمالي والشيوعي ، باعتبارهما جذر التوتر العالمي .

الصراع الثالث : الصراع الاقتصادي بين الشمال والجنوب ، حول قضية توزيع الثروة العالمية .

الصراع الرابع : الأزمة العالمية للنظام الرأسمالي ، التي تتجسد في التناقضات التي تواجه البيوتات المالية الرأسمالية . (٢١ شباط / فبراير عام ١٩٦٥ ، والاهرام، ٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٦) .

ومع منتصف الستينات ، بدأ عبدالناصر يظهر انزعاجه من تزايد حدة الصراع الدولي متمثلاً في تزايد الهجمات الاستعمارية ، بقيادة الولايات المتحدة ، على حركات التحرر في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية ، في محاولة من الاستعمار لاستعادة مواقعه القديمة . وقد شجعه على ذلك ، النزاع الصيني ـ السوفياتي الذي أضعف التوازن الدولي ـ والنزاع الصيني ـ الهندي ، الذي اضعف مجموعة باندونغ . (٨ ايار / مايو عام ١٩٦٦) . وقد حدد عبدالناصر اربع ظواهر خطيرة في هذا الصدد ، وهي : تصاعد العدوان الامريكي على شعب فيتنام الشمالية ، الضغوط الاقتصادية والسياسية على الدول غير المنحازة ، وتوسيع دائرة التفرقة العنصرية في افريقيا (روديسيا) ، ثم محاولات استعمال اعلام الامم المتحدة ضد اهداف الامم المتحدة (الكونغو) . (١٠ ايار / مايو عام ١٩٦٥) .

الخصيصة الثانية لرؤية عبدالناصر للنظام الدولي العام ، هي نظرته للنظام الدولي ، باعتباره نظاماً مركباً من مجموعة من النظم الفرعية الاقليمية ذات العلاقة الوثيقة بالنظام العام ، من حيث ارتباط التفاعلات الصراعية في النظام العام بتفاعلات النظم الفرعية . وقد ركز عبدالناصر بالذات على النظامين الفرعيين في الشرق الاوسط ، وافريقيا .

على مستوى الشرق الاوسط ، اكد عبدالناصر اقتناعه بالتناقض الرئيسي في المنطقة العربية بين القومية العربية من ناحية وبين الصهيونية والاستعمار والشيوعية من ناحية اخرى . التناقض مع الصهيونية هو تناقض قومي اقليمي يدور حول اقليم فلسطين . والتناقض الثاني هو تناقض سياسي اقتصادي يدور حول قضية الاستقلال والتبعية . اما التناقض مع الشيوعية فهو يدور حول قضية القومية والوحدة .

« الصراع الاول هو صراع القومية مع الصهيونية التي ترى في القومية عقبة ضد اطماعهم في التوسع وتحقيق حلمهم في خلق ملك اسرائيل من النيل الى الفرات . والعقبة الاخرى هي الدول الاستعمارية ومحاولاتها في وضع هذه المنطقة . ووضع البلاد العربية داخل مناطق النفوذ الغربية والعامل الجديد هو نشاط الاحزاب الشيوعية في هذه المنطقة من اجل طعن القومية العربية وتصفية القومية العربية حتى يخلو الجو للشيوعية لتسيطر على هذه المنطقة من العالم العربي » (٢٥ نيسان / ابريل عام ١٩٥٩) .

وابتداء من الانفصال السوري عام ١٩٦١ ، بدأ عبدالناصر يدرك تناقضاً مركزياً واحداً في النظام الاقليمي للشرق الاوسط وهذا التناقض بين القوى الثورية العربية ذات الانتماء القومي من جانب ، والقوى الاستعمارية ـ الصهيونية والرجعية العربية من جانب آخر . هذا التناقض ـ في نظر عبدالناصر ـ كان يتسم بخصيصتين اساسيتين : الاولى ، انه ليس تناقضاً مؤقتاً ، ولكنه تناقض رئيسي دائم مستمر لمدة طويلة ، بمعنى أنه يحدد الحركة السياسية في المنطقة العربية لفترة تاريخية معينة ، (٣١ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٨) . والثانية ، هي ان الطرف المعادي ، رغم تعدد مكوناته ، فإنه يكوّن وحدة متناسقة تناسقاً طبيعياً لا تتناقض مصالح اطرافها فهناك انسجام طبيعي بين مصالح وسياسات الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية .

على مستوى النظام الفرعي الاقليمي الافريقي، لم يكن التحليل الناصري لطبيعة التفاعلات الدولية مختلفاً الى حد كبير عن تحليله لتفاعلات الشرق الاوسط . طبقاً للتحليل الناصري ، فإن النظام الدولي الافريقي ، يقوم على التناقض بين حركات التحرر من ناحية ، وظواهر التوطن الاستعماري ، وسياسات القوة ، والقمع الاجتماعي ، والفصل العنصري في جنوب القارة من ناحية اخرى . وقد حرص عبدالناصر على ان يؤكد هذا التحليل في كل خطاباته امام مؤتمرات منظمة الوحدة الافريقية ، واتصالاته مع حركات التحرر الافريقية . ففي خطابه امام مؤتمر القمة الافريقي الاول المنعقد في اديس ابابا في (٢٤ ايار / مايو عام ١٩٦٣) قال :

« إننا نمارس صراعنا من اجل تطوير الحياة في مواجهة تيارات عنيفة ، هناك القوى صاحبة المصالح في فرض التخلف علينا . وهي لا تتورع عن المضي الى حد تحريض الاخ على اخيه بزرع الشكوك لكي تترك حصاد الكراهية . وهناك تيارات الحرب الباردة وشدها وجذبها . ثم نحن نعيش في عالم تلاشت فيه المسافات بسبب التقدم العلمي الكبير خصوصاً في وسائل المواصلات . الامر الذي نقل معارك الحرب الباردة الى بيوتنا ذاتها » .

وفي رسالته الموجهة الى شعوب افريقيا بمناسبة يوم تحرير افريقيا في ١٧ ايلول / سبتمبر عام ١٩٦٣ قال : « العالم اليوم يشهد مرحلة خطيرة من مراحل هذا الصراع تتمثل فيها جميع العقد والرواسب الاستعمارية التي يكتسحها اليوم زحف الشعوب الافريقية ذلك هو الصراع القائم بيننا ومعنا جميع احرار شعوب العالم من تشبث الاستعمار البرتغالي بمراكزه المنهارة والحكم القائم على جريمة التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا وروديسيا » .

الخصيصة الثالثة للنظام الدولي ـ طبقاً للتحليل الناصري ـ هي ان الصراع الدولي هو مباراة لاصفرية ، بمعنى أنه ليس هناك في الصراع الدولي منتصر او مهزوم . فإما أن تكسب كل الدول في الصراع اذا تعاونت وإما أن تخسر كل الدول اذا ما نشبت حرب عالمية ثالثة . عبدالناصر كان يرى ، أنه نتيجة لتطور اسلحة الدمار النووية الشاملة فإن اي صراع دولي مسلح سيؤدي الى تدمير شامل . لن ينتج عنه انتصار لطرف على حساب الطرف الآخر ، وبالتالي فإنه إما أن يتعاون الجميع وإما ان يخسر الجميع .

« السلام في العالم خصوصاً بعد وجود الاسلحة ذات التدمير الشامل ، ضرورة لأمن المستقبل ، لأن الحرب اذا قامت بين الدول الكبرى فلن تنجو منها اية دولة . ولن ينجو منها اي شعب » (٢٨ تموز / يوليو عام ١٩٦٣) .

« إما أن نعيش جميعاً معاً ، وإما أن نموت جميعاً معاً . ولا يقبل السلام في عالمنا أن نتجزأ » (١ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٤) .

وعلى العكس ، كان عبدالناصر يرى الصراع الاجتماعي والصراع الاقليمي العربي ـ الاسرائيلي كمباراة صفرية بمعنى أنه من المحتم أن يكسب طرف على حساب الآخر . أي ان حاصل الصراع يساوي صفراً . حيث ان مكسب اي طرف هو مساوٍ لخسارة الطرف الآخر . فالبورجوازية والطبقة العاملة لا يمكنهما أن تتعايشا معاً . والقومية العربية واسرائيل لا يمكنهما الوصول الى تسوية على اساس اقرار الامر الواقع . فالوحدة على الجانب العربي ، تعني هزيمة

لاسرائيل والاستعمار واي مكسب على الجانب العربي، يعني هزيمة لاسرائيل والاستعمار ، واي مكسب لاسرائيل (كصفقة الاسلحة الالمانية عام ١٩٦٥) هو خسارة للعرب .

الخصيصة الرابعة للنظام الدولي هي النظرة الى النظام على أنه في حال استقرار عند وضع الصراع . فالنظرة الصراعية للنظام الدولي لم تكن تعني عند عبدالناصر ان النظام الدولي لا يتضمن قوى بنيانية ضخمة تدفعه نحو الاستقرار فاستقرار النظام الدولي ، يعني استمرار الخصائص الاساسية للنظام وعدم احتمال حدوث حرب نووية من شأنها تغيير طبيعته . طبقاً لعبد الناصر ، فإن العلاقات الدولية الاساسية بين الكتلتين الشرقية والغربية ، محكومة بميزان الرعب النووي ، بمعنى قدرة الدولتين على توجيه الضربة التالية مما يقلل من احتمال الحرب العالمية النووية او تغير النظام الدولي تغيراً جوهرياً ، (٢٠ ايار / مايو عام ١٩٦٣) .

الملاحظة الخامسة والاخيرة ، تتعلق بمفهوم عبد الناصر لبيان النظام الدولي ففي بداية احتكاكه بالعالم الخارجي ، كان عبدالناصر ينظر الى النظام الدولي باعتباره نظاماً اوليغاركياً يقوم على القطبية الثنائية الجامدة ، حيث ان النظام كان منقسماً بين دول الستار الحديدي تحت السيطرة الشيوعية ودول الغرب تحت الاستعمار . (٤ آب / اغسطس عام ١٩٥٩) .

ابتداء من حرب السويس سنة ١٩٥٦ ، بدأ عبدالناصر ينظر الى النظام الدولي باعتباره نظاماً تحكمه القوتان العظميان فقط ، وإنما ايضاً كنظام توجد فيه مجموعة من القوى الوسيطة (غير المنحازة) التي تقوم بدور الوساطة الدولية لتخفيف حدة التوتر الدولي بالتنسيق مع المنظمة الدولية العالمية ، (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٥٨ ، ١٠ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٠ ، ١ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٣) . في اواسط الستينات حدث تغير آخر في التحليل الناصري لهيكل النظام الدولي قوامه اعتبار النظام قائماً على هيكل تعدد الاقطاب بمعنى تفتت الكتل الدولية ، وزيادة تلاحم القوى الوسيطة ، وتعدد مراكز القوى العالمية ، (٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٥ ، ٢١ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٦) .

مصادر الصراع الدولي

من المعروف أن هناك أربع مدارس في تحليل مصادر الصراع الدولي .المدرسة الاولى ترى ان الطبيعة البشرية وغرائزها العدوانية الاصيلة هي المحرك الرئيسي للصراع بين الدول ، وينتمي الفيلسوف سبينوزا الى هذه المدرسة . المدرسة الثانية وترى ان الهيكل الداخلي للدول وعدم التوازن الذي يميزها هما مصدر الصراع الدولي . فالمدرسة الماركسية مثلاً ترى ان النظام الرأسمالي هو الدافع الرئيسي للصراعات الدولية . اما المدرسة الثالثة ، فترى ان الطبيعة الفوضوية للتفاعلات الدولية بمعنى عدم وجود سلطة عليا تحكم سير النظام هي المحرك الرئيسي للصراع الدولي ، بينما ترى المدرسة السلوكية ان مصدر الصراع الدولي لا يكمن في قوى بنيانية وإنما في سوء الادراك misperception المتبادل بين قادة الدول .

جمع عبدالناصر بين المدرستين الاخيرتين في تفسيره لمصادر الصراع في النظام الدولي ، فلقد حدد مصدر الصراع الدولي بمجموعة من السياسات التي تتبعها الدول مستغلة عدم وجود سلطة عليا في النظام الدولي . معظم الصراعات الدولية في نظر عبدالناصر تعود الى تنافس القوى الكبرى على مناطق النفوذ من خلال سياسة الاحلاف العسكرية وسباق التسلح والى السياسات الاستعمارية ـ التقليدية والجديدة في مواجهة حركات التحرر الوطني . والى عدم اكتراث الدول الكبرى بتزايد الهوة بين العالم الثالث الفقير والعالم الغني . وبالاضافة الى ذلك فهناك مجموعة العمليات النفسية التي تعتمل في صدور القيادات السياسية الدولية واهمها سوء فهم اهداف ونوايا الطرف الآخر . او تضخيم مدى عدوانية الطرف الآخر وهذه كلها مجموعة من العمليات الناشئة عن عدم وجود اتصالات كافية بين تلك القيادات . (٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٥ والاهرام في ٢٠ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٦) .

إن اهمية تحديد مفهوم عبدالناصر لمصادر الصراع الدولي بهذا الشكل هي ان هذا المفهوم ذو اهمية بالغة في تحديد حجم كبير من سياسته الخارجية ، وبالذات فيما يتعلق بالسعي لتحقيق السلام الدولي . فتحديد الصراع الدولي على انه كامن في هياكل الدول الداخلية من شأنه اتباع سياسة خارجية راديكالية قوامها تغيير هياكل الدول اولاً ، كما هو الحال في الماركسية البلشفية . ولكن تحديد مصادر الصراع في فوضوية النظام الدولي وعدم الاتصال بين القيادات من شأنه ان يولد الدافع لاتباع سياسات معتدلة قوامها تقوية السلطة العليا في النظام الدولي ، او خلقها إن لم تكن قد وجدت ، وتشجيع التفاوض بين القيادات ، اي الحفاظ على النظام وتطويره وليس تغييره . كما هو الحال في شأن عبدالناصر .

شروط تحقيق السلام الدولي

إذا كانت تلك هي نظرة عبد الناصر للعالم الخارجي ولمصدر الصراع فيه ، فكيف يمكن ـ من وجهة نظر عبدالناصر ـ حل تلك الصراعات وتحقيق السلام الدولي . ظل تفكير عبد الناصر المعرفي في هذه الخصوصية تقليدياً طوال فترة حياته ، فعبدالناصر لم يعتقد اطلاقاً ان طريق تحقيق السلام الدولي هو بإحداث تغيير جذري في النظام ، سواء تحطيم العلاقات الدولية البورجوازية وانتصار الشيوعية كما يرى الماركسيون ، او تحطيم الشيوعية وانتصار العالم الرأسمالي ، كما كان جون فوستر دالاس يعتقد . كذلك رفض عبدالناصر فكرة تحقيق السلام الدولي من خلال توازن القوى والدليل على ذلك ان هذا التوازن لم يمنع قيام الحربين العالميتين ، (١٠ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٤) .

كان عبدالناصر يعتقد أنه طالما ان جزءاً كبيراً من الصراع الدولي على مستوى علاقات الدول الكبرى ناتج عن سوء الادراك والفهم لاهداف ونوايا الاطراف الاخرى ، فإن من الطبيعي أن يكون الاتصال والتفاوض المباشران بين الدول هما طريق تحقيق السلام الدولي . والسلام هو أساساً مسألة سيكولوجية ، (٢٢ آب / اغسطس عام ١٩٦٠) . وفي خطابه امام الجمعية العامة للامم

المتحدة في ٢٧ ايولو / سبتمبر عام ١٩٦٠ ، دافع عبدالناصر عن التشاور والتفاوض بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي كوسيلتين لاجهاض الحرب الباردة وتخفيف حدة سوء الادراك المتبادل بين خروشوف وايزنهاور :

« إن توسيع نطاق التشاور والاتصال هو في حد ذاته مساهمة ايجابية في مواجهة الحدة والتوتر . كذلك فإننا نرى ان اجراء المشاورات والاتصالات في نطاق الامم المتحدة هو بمثابة محاولة لوضع ضمان يمنع أياً منا من ان يختط لنفسه ـ بعيداً عن المجموعة الدولية ـ طريقاً يشرد اليه » .

وفي مؤتمر صحفي عالمي في ١ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٣ ، أعاد عبدالناصر تأكيده على الاتصالات بين قيادات الدول الكبرى كأداة لحل الصراع الدولي :

« الخطوات العاجلة التي نعتقد أنه من الضروري اتخاذها لتخفيف حدة التوتر العالمي هي زيادة الالتقاءات والاتصالات بين رؤساء الدول في المعسكرين . ان اي اجتماع قد يساعد على التفاهم اكثر من التقارير وتبادل الرسائل وهذه الاجتماعات تساعد قادة الدول على التعرف ببعضهم البعض . وفهم ما يدور برؤوس بعضهم وجزء كبير جداً من التوتر القائم في العالم قائم على اسس من الحاجة الى الفهم ومن الشك وعدم الثقة » .

بالاضافة الى ذلك ، فقد قدم عبدالناصر مجموعة من الادوات قوامها الاقلمة التدريجية المنظمة للتفاعلات الدولية عن طريق تقوية الامم المتحدة ، نزع السلاح ، تصفية الاستعمار ، وإزالة مصادر عدم المساواة في العلاقات الدولية ، واقرار مبادىء العدالة في العلاقات بين الدول .

ففي خطابه امام المؤتمر الاول للدول غير المنحازة المنعقد في بلغراد في ١ إيلول / سبتمبر عام ١٩٦١ . قدم عبدالناصر خمسة مبادىء كشروط لحل الصراع الدولي العام .

اولاً : ترك الفرصة للمفاوضات الهادئة على اعلى المستويات .

ثانياً : بذل كل الجهود لتمكين الامم المتحدة من أداء رسالتها .

ثالثاً : اتاحة فرصة التقدم امام الشعوب النامية وتضييق الفجوة بين الشمال والجنوب .

رابعاً : مواصلة دور الدول غير المنحازة .

خامساً : تصفية الاستعمار .

وفي مؤتمر صحفي عقده في اول تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٣ أعاد تأكيد شروط تحقيق السلام العالمي كالتالي :

« نحن نعتقد ان حدة التوتر العالمي مبنية على التناقض بين النظامين الاقتصادي والرأسمالي والشيوعي . . . والخطوات العاجلة التي نعتقد انه من الضروري اتخاذها لتخفيف حدة التوتر العالمي ، هي زيادة الالتقاءات والاتصالات بين رؤساء الدول في المعسكرين ، وفي رأيي ان اي اجتماع قد يساعد على التفاهم اكثر من التقارير وتبادل الرسائل . وهذه الاجتماعات تساعد قادة الدول على التعرف على بعضهم البعض وعلى فهم ما يجول برؤوس كل منهم » .

بالاضافة الى ذلك ، ان عبدالناصر يرى ان السلام الدولي يتحقق على اساس مبادىء العدالة ، فالسلام ليس مجرد الامتناع عن استخدام القوة ، وإنما هو قيام علاقات سلمية ودية بين الامم مؤسسة على الاحترام والمساواة بين الشعوب . أي ان عبدالناصر كان يتبنى المفهوم الايجابي للسلام الذي يربط السلام بالعلاقات الودية .

« التعايش السلمي لا يمكن أن يكون هدنة مسلحة وإنما التعايش السلمي بمفهومه الحقيقي هو التعاون الخلاق المثمر بين كافة الدول وبين كافة الانظمة الاجتماعية » (١ ايلول / سبتمبر عام ١٩٦١) .

بيد أنه بالاضافة الى العلاقات الودية العادية ، « فإن السلام يتطلب وجود مفهوم حقيقي يقوم على العدل ، والعدل وحده هو الذي يصنع السلام الدائم » (٥ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٤) . وبالتالي فإن اقامة العلاقات الطبيعية بين الدول ، يفترض مراعاة مبادىء العدالة في تسوية الخلافات أولاً . العلاقات الودية هي ختام للتسوية العادلة للصراع ، وليست مقدمة لها . ولذلك نراه في خطابه امام المؤتمر الثاني للدول غير المنحازة المنعقد بالقاهرة سنة ١٩٦٤ يعيد تأكيد مبادىء حل الصراع الدولي ، باعتبارها مبادىء تحقيق العدالة الدولية وهي :

اولاً : الاستعمار بجميع اشكاله القديمة والحديثة يجب ان يزول وتشمل ذلك سياسة القمع المسلح ، الاحلاف العسكرية ، الاستيلاء على اراضي الشعوب ، التمييز العنصري .

ثانياً : الفوارق المؤلمة بين الشعوب يجب ان تضيق عن طريق :

١ - مراجعة عقود الامتيازات القديمة .
٢ - رفع اسعار المواد الخام لتناسب اسعار المواد المصنوعة .
٣ - تعاون الدول المتقدمة مع الدول النامية .

ثالثاً : توقف عمليات تعرّض القوى الكبرى للتطور التاريخي للدول النامية .

رابعاً : تعديل ميثاق الامم المتحدة بحيث يشمل التطورات الدولية الجديدة .

خامساً : نزع السلاح الكامل والنهائي .

لم يكن عبدالناصر يعتقد ان تلك الادوات ذاتها صالحة لتسوية الصراع الاقليمي العربي - الاسرائيلي ، على الاقل في المدى القصير . فعبدالناصر لم ينظر الى التفاوض والاتصال باعتبارهما حلاً للصراع ، ولم ينظر الى نزع السلاح كأداة لتسوية الصراع . كانت وجهة نظر عبدالناصر ان اسرائيل تطالب بالمفاوضات دون ان تلتزم مسبقاً بمبادىء اساسية للحل العادل ، (وهي قرارات الامم المتحدة) كوسيلة دعائية تحاول بها التمويه على القضايا الاساسية . حل الصراع في نظر عبد الناصر ، لم يكن يتطلب المفاوضات لأن الحل موجود فعلاً في القرارات الصادرة عن الامم المتحدة ، (٥ تموز / يوليو عام ١٩٦٤) . تحقيق السلام العربي - الاسرائيلي كان يتطلب - في نظر عبدالناصر - السماح للشعب الفلسطيني المشرد بالعودة الى وطنه ، ومعاملة الفلسطينيين الواقعين

تحت الحكم الاسرائيلي معاملة عادلة ، (١ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٤ ، ١ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٥) .

كذلك ، فعبد الناصر لم ير في نزع السلاح شرطاً مبدئياً لتحقيق السلام العربي ـ الاسرائيلي قبل تسوية القضايا الاساسية للصراع . عبدالناصر كان يرى ان اسرائيل لن تعدم وسائل شراء السلاح ، وبالتالي فإن ضبط تدفق السلاح الى الشرق الاوسط سيكون موجهاً أساساً ضد العرب وليس اسرائيل ، كما أن نزع السلاح سيعني تجميد القضية الفلسطينية وفرض الامر الواقع .

« الدعوة الى نزع السلاح خديعة قد تتبناها بعض الدول ، وقد تريد اسرائيل ان تخدع بها العالم لكننا نعلن هنا انها خديعة معناها تمكين المجرم أن يفر بالغنيمة وتجريد العدالة من كل قدرة على مطاردته » (١١ آب / اغسطس عام ١٩٦٣) .

« بالنسبة لسباق التسلح ، فنحن لا نؤمن بأي حديث عن نزع السلاح او تحديده في منطقة الشرق الاوسط فقد علمتنا التجارب خصوصاً سنة ١٩٤٨ ان اسرائيل سوف تحصل دائماً على ما تريد من سلاح . في سنة ١٩٤٨ فرضت الامم المتحدة حظراً على تصدير الاسلحة الى الشرق الاوسط ولم نكن قادرين على شراء المدافع الصغيرة ، وكانت اسرائيل تحصل على الدبابات »(١ تموز / يوليو عام ١٩٦٤) .

ولعل الجدول رقم (٥ـ٤) يوضح بطريقة كمية ، تقدير عبدالناصر لادوات حل الصراع الدولي والاقليمي . الواضح من الجدول رقم (٥ـ٤) ان الاتصال والتفاوض الدوليين كانا الاداة الرئيسية التي قدمها عبدالناصر لحل الصراع الدولي عموماً . يلي ذلك اقرار مبادىء العدالة السياسية الدولية ، وبالذات في مجال الصراع العربي ـ الاسرائيلي .

جدول رقم (٥ـ٤)

ادوات حل الصراع الدولي كما تصورها عبدالناصر،
خلال الفترة ١٩٥٣ ـ ١٩٧٠

القضايا / اداة الحل	الاتصال والتفاوض	ازالة المعتدي	المساواة الاقتصادية الدولية	العدالة السياسية الدولية	المجموع
العلاقات مع الغرب	١	١	١	٣	٦
العلاقات مع العالم الثالث	٣	١	٢	٣	٩
العلاقات بين العرب	٤		١		٥
الصراع العربي ـ الاسرائيلي	—			٢١	٢١
السياسة الخارجية العامة	٢٥	١٨	١٤	١٥	٧٢
المجموع	٣٣	٢٠	١٨	٤٢	١١٣

٣٣ ـ الدور العالمي الرئيسي لمصر هو دور الاستقلال النشيط ، عدم الانحياز ، وصنع السلام .

٣٤ ـ الدور العربي الرئيسي لمصر هو دور المحرر ، والمدافع عن الامن العربي والمحقق للتكامل الاقليمي العربي .

من المتفق عليه بين دارسي السياسة الخارجية ان مفهوم صانع القرار للدور السياسي الخارجي لدولته هو احد المحددات الرئيسية للسياسة الداخلية لدولته . فالاستاذ هولستي مثلاً يرى ان السلوك الحكومي يمكن تفسيره الى حد كبير بالرجوع الى مفهوم صانعي القرار لدور دولتهم في النظام الاقليمي والنظام العالمي(٦) . فما هو مفهوم عبدالناصر لدور مصر في النظام الدولي ؟

جدول رقم (٥ـ ٥)
ادوار السياسة الخارجية المصرية كما
تصورها عبدالناصر ، خلال الفترة ١٩٥٧ـ ١٩٧٠

الدور / القضايا	قائد اقليمي	مستقل نشيط	معاد للاستعمار	قائد التكامل	قائد التنمية	نموذج اقليمي	صانع سلام	وسيط دولي	المجموع
القضايا الداخلية	٢	٢١	١٠	١	١	١	٢		٣٨
العلاقات مع الغرب	٢	٣٥	٤	١			١		٤٣
العلاقات مع الشرق		١	١						١
العلاقات مع العالم الثالث	٣		١٨		٥		٢		صفر
العلاقات مع العرب	٣٥	١٢	٧٦	١٨	١٦	٦	٣		١٦٦
الصراع العربي ـ الاسرائيلي	٧	٢٢	١٢	٢			٢		٤٥
السياسة الخارجية العامة	٥	١٠١	١٨	٣		٤	٢٦	٤	١٦١
المجموع	٥٤	١٩١	١٣٩	٢٥	٢٢	١٢	٣٤	٤	٤٨٨

بتأمل الجدول رقم (٥ـ٥) يتضح ان النظام الاقليمي العربي كان يعتبر بمثابة المجال الرئيسي لدور مصر السياسي الخارجي . يليه النظام الدولي العام ، حيث يمثل النظام العربي ٣٥ بالمائة من مجموع الفقرات التي ذكرها عبدالناصر مشيراً الى دور مصر الخارجي . ويمثل النظام الدولي العام ٣٤ بالمائة من تلك الفقرات . في النظام العربي كان عبدالناصر يرى مصر على أنها تلعب دور المحرر من الاستعمار والقائد الاقليمي وقائد حركة التكامل العربي ، بينما كان يرى دور مصر في النظام الدولي العام على أنه دور الاستقلال النشيط ، اي دور عدم الانحياز وصنع السلام . كذلك فإن دور الاستقلال النشيط كان الدور الرئيسي الذي تصور عبد الناصر أن مصر تلعبه ،

(٦) K.J. Holsti, «National Role Conceptions in the Study of Foreign Policy,» *International Studies Quarterly*, vol. 14 (1970), pp. 233-309.

فالفقرات التي ورد فيها هذا الدور تمثل ٤١ بالمائة من الفقرات التي تشير الى دور مصر الخارجي ، يليه في المرتبة الدور المعادي للاستعمار ويمثل ٢٩ بالمائة من الفقرات ، يليه دور القيادية الاقليمية ١١ بالمائة وصانع السلام ٧ بالمائة .

الواقع ان اهتمام عبدالناصر بالدور المصري في الدائرة العربية كانت تفرضه اعتبارات لا تتعلق فقط برؤ يته لحركة التحرر من الاستعمار ولكنه ايضاً بنظرته الى القومية العربية كجزء اساسي من الامن القومي المصري . ولقد نظر عبدالناصر الى القومية العربية كمتغير لا غنى عنه لحماية الامن المصري باعتبارها اداة دفاعية ضد المحاولات الاستعمارية للغزو ، ولحماية استقلال مصر السياسي . منطق عبدالناصر من ذلك كان يتأسس على ان دور مصر النشيط في النظام العربي من شأنه أن يجبر المعتدي على توزيع قواته على جبهات متعددة مما يؤدي الى تشتيت قواه ، (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٥٧) .

« دعوة القومية العربية ، فضلاً عن كل ما لها من جذور جغرافية وتاريخية وروحية هي في نفس الوقت حل عسكري للدفاع عن بلدان العالم العربي ولو ان غازياً أراد ان يوجه قوته الى دولة من الدول العربية على حساب وبمعزل عن الامة العربية كلها لكفاه أن يحشد لغزوها مائة الف او مائتي الف او حتى ثلاثمائة الف جندي . ولكن في حالة وجود تنسيق عربي ، وهو أساس القومية العربية ، إذن لكان في حاجة الى ملايين الجنود لأن جبهة القتال ستتسع عليه . انه لن يواجه بلداً بمفرده وإنما يواجه منطقة بأسرها » (٢ شباط / فبراير عام ١٩٥٩) .

في اطار النظام العربي ، يمكن أن تلعب مصر دوراً قيادياً للدفاع عن العرب وتحريرهم . دور مصر الاقليمي كما حدده عبدالناصر في اوائل الخمسينات في حديث هام في ٣٠ آب / اغسطس عام ١٩٥٤ ، هو ان تكون محوراً لأي نظام دفاع عن الشرق الاوسط . وقد أعاد تأكيد هذا الدور طوال سني حياته . ولم يتخل ابداً عن تشخيصه لدور مصر الاقليمي القيادي والدفاعي عن الوطن العربي حتى بعد هزيمة حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ .

« سنقاتل من اجل رفع راية القومية العربية الحقيقية ، وسنقاتل ايضاً من اجل تحرير الوطن العربي كله ، واقامة امة عربية واحدة متحررة ، تشعر بالحرية وتشعر بالاستقلال » (٢٨ شباط / فبراير عام ١٩٥٨) .

« أُعاهد العالم العربي كله اننا سنكون له دائماً السند الاكيد والعون القوي للمحافظة على عروبته والمحافظة على قوميته . . نعاهد العالم العربي ونعاهد الاحرار اننا سنكون سنداً للاحرار وسنداً للحرية اننا سنكون العون الاكبر للقضاء على الاستعمار والقضاء على سيطرة الرجعية » (١٦ آذار / مارس عام ١٩٥٨ .

« الجمهورية العربية المتحدة تتحمل مسؤولياتها باعتبارها خط الدفاع الاول عن الامة العربية » (٢٠ آذار / مارس عام ١٩٥٨) .

« احنا الطليعة ، وبلدنا هي القاعدة . . . احنا لا نتنكر لدورنا بأي حال من الاحوال ، إننا نحارب الرجعية والاستغلال ، واننا نحارب الاستعمار وأعوان الاستعمار في جميع انحاء الامة العربية » (٢٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٠) .

« نشعر أن علينا واجباً نحو الشعب العربي في كل بلد عربي . فإذا تصدت اسرائيل لأي بلد عربي ، فإن قواتنا المسلحة على استعداد لأن تنجده» (٤ ايلول / سبتمبر عام ١٩٦٣) .

« الجمهورية العربية المتحدة التي تؤمن بوحدة النضال سيظل جيشها مناط امل الامة العربية للدفاع عن مقدراتها ومقدساتها ضد كل طغيان حتى ترفرف راية الحرية على الوطن العربي الكبير » (٢٥ ايلول / سبتمبر عام ١٩٦٣) .

« بالنسبة للدور اللي فرض علينا ، فرضته علينا عروبتنا وفرض علينا الدور العربي ، وهو دورنا في الدفاع عن ثورة اليمن . النضال العربي فرض علينا ان نقوم بهذا العمل ، وبعتنا لثورة الجزائر قوات مسلحة ، وبعتنا لثورة العراق قوات مسلحة ، وبعتنا لثورة اليمن قوات مسلحة » (٢٢ آذار / مارس عام ١٩٦٦) .

من ناحية اخرى ، فإن مصر تضطلع في النظام الاقليمي العربي بدور قائد حركة التكامل العربي والتنمية العربية بالاضافة الى كونها نموذجاً اقليمياً للتنمية الاقتصادية الاشتراكية . « فمصر تضطلع بمسؤولية التقريب بين الاقطار العربية من اجل بناء جماعة سياسية اقليمية عربية في المرحلة الممتدة منذ توليه السلطة ، وحتى الوحدة المصرية ـ السورية سنة ١٩٥٨ » . لم يكن عبدالناصر ينظر الى التكامل العربي السياسي كهدف رئيسي فقد أكد مراراً أنه لم يفكر في اي اتحاد فيدرالي او كونفيدرالي مع اية دولة عربية وانما كان يركز على وحدة الافكار والعقائد وتقوية جامعة الدول العربية والايمان بالقومية العربية ، (١٠ آذار / مارس عام ١٩٥٣) . بعبارة اخرى « فإن دور مصر التكاملي ينحصر في تقوية التعاون الفكري بين الشعوب والتعاون السياسي بين الاقطار العربية » . ولكن عقب الوحدة المصرية ـ السورية ، بدأ عبدالناصر يطالب ببناء علاقات تكاملية سياسية رسمية بين الاقطار العربية . وأن تضطلع مصر بدور رئيسي في بناء تلك العلاقات ، فيقول في حديث الى ازفستيا في ٧ شباط / فبراير عام ١٩٦١ :« سنبذل كل جهودنا لتوحيد الدول والشعوب العربية ومن اجل اعادة بناء الوطن العربي » . عقب الانفصال السوري اتخذ مفهوم عبدالناصر لدور مصر ليس فقط من منظور التكامل القومي بل ايضاً كنموذج مركزي للتنمية الاقتصادية ـ الاشتراكية ، يمكن أن تنظر الاقطار العربية اليه في المستقبل .

« نحن نريد ان نتقدم لقيادة العالم العربي ، لا بالضغط العسكري ، ولا بالتهديد ولكن بالمثل الصالح . ولا بد لنا من أن نثبت بطريقة واضحة وقاطعة . ان افكارنا تحقق خير الشعب » (٣٠ حزيران / يونيو عام ١٩٦٢) .

« ان شعبنا يدرك انه لا يبني بالاشتراكية مجتمع الشعب المصري وحده ، ولكنه يحاول ان يبني المجتمع النموذجي لشعوب الامة العربية » (٩ايار / مايو عام ١٩٦٤) .

بعبارة اخرى ، ان مصر يمكنها أن تلعب دوراً مهماً في تحقيق التكامل ، اذا قدمت للعرب نموذجاً حتمياً لبناء المجتمع السياسي والاقتصادي العربي ، دون حاجة الى التدخل المباشر في الشؤون العربية . اذا كان دور مصر في المجال العربي يتلخص في التحرير ، الدفاع ، التكامل ، فإن عبدالناصر كان يرى لمصر دوراً عالمياً حضارياً تفرضه طبيعة الموقع والمكانة :

« هذا الشعب ما زال يقوم بدوره الذي هيىء له والذي حمل رسالته . هو كما كان دائماً صلة حضارية في هذا الموقع الجغرافي الفريد على ناصية البحر المتوسط والبحر الاحمر على ملتقى الطريق بين آسيا وافريقيا واوروبا . وهو كما كان دائماً الحريص على دينه وعلى القيم الخالدة . . . . وهو ـ كما كان دائماً ـ جندي الحرية والمقاتل من اجلها » (١٧ نيسان / ابريل عام ١٩٦٥) .

وقد تصور عبد الناصر ان مضمون هذا الدور الحضاري العالمي يتلخص في : الاستقلال النشيط ، وصنع السلام العالمي . ان المقصود بدور المستقل النشيط ، هو دور الدولة التي تتخذ قرارات سياساتها الخارجية من وحي مصالحها الذاتية ، وليس من وحي مصالح اي دولة كبرى ، كما انها تلعب دوراً نشيطاً على المسرح العالمي لتخفيف حدة التوتر الدولي . ولعل تمسك عبد الناصر بهذا الدور يكمن وراء رفضه لمشروع ايزنهاور عام ١٩٥٧ وصداقته مع الاتحاد السوفياتي والشيوعيين العرب عام ١٩٥٩ . فإذا اعدنا النظر الى الجدول رقم (٥ـ٥) نجد ان الدور الاستقلالي النشيط ، كان هو الدور الرئيسي الذي يتبناه عبدالناصر سواء في علاقاته بالغرب او بالشرق . عبد الناصر اذاً لم يكتف بتأكيد توازن علاقاته بالكتلتين ، ولكنه في التعبير اللفظي عن دور مصر في القضايا المتعلقة بكل كتلة ، فإنه كان يؤكد على الدور الاستقلالي : ٨٧ بالمائة من الفقرات المتعلقة بالعلاقات مع الشرق ، ٨٠ بالمائة من الفقرات المتعلقة بالعلاقات مع الغرب تجسد دور المستقل النشيط . في نظر عبدالناصر ، عدم الانحياز كان يعني بعدين أساسيين : ان تكون السياسة الخارجية المصرية تكويناً مستقلاً بعيداً عن التأثير المباشر للقوى الخارجية ، مع الحكم على كل قضية سياسية دولية طبقاً لما تمليه مصالح مصر بدلاً من التبني الآلي لسياسات محددة مرتبطة بحلف معين . وتعني ثانياً : العمل النشيط في الشؤون العالمية ، عن طريق توسيع نطاق التعاون التجاري الدبلوماسي ، وعن طريق تكثيف دور مصر في حل الصراع الدولي ، والوساطة بين الدول الكبرى . وفي خطاب القاه عبدالناصر في ٢٠ آذار / مارس عام ١٩٥٨ ، لخّص كل هذه الادوار الدولية التي تلعبها مصر :

« الجمهورية العربية المتحدة تحمّلت ان تكون خط الدفاع الاول عن الامة العربية ، وهذه المسؤولية خطيرة تحملت ان تعبر عن اماني الامة العربية التي يمنعها الضغط والكبت والحديد والنار والاستبداد . هذه الجمهورية بأفرادها تعبر عن اماني العرب في كل مكان . هذه الجمهورية ، تحملت ايضاً مسؤولية ان تكون النموذج الحقيقي للوحدة العربية والتقدم والتحرر العربي . وتحملت ايضاً ان تكون في قاعدة الدعوة الى الوحدة العربية والحرية العربية ، والى معاونة الاحرار في كل بلد عربي ضد الاستعمار او ضد اعوان الاستعمار . تحملت هذه الجمهورية المسؤولية ايضاً بالنسبة للسلام العالمي . فاتبعنا سياسة عدم الانحياز ، وسياستنا سياسة مستقلة تنبع من ضميرنا » ٢٠ آذار / مارس عام ١٩٥٨) .

د ـ التفاؤل السياسي

٣٥ ـ من المؤكد ان الاهداف الأساسية لمصر ستتحقق .

٣٦ ـ النجاح كامن في طبيعة الاهداف المتبناة ولا يعتمد على اي عامل خارجي .

جدول رقم (٥-٦)

التوزيع التكراري لعقائد عبدالناصر المتعلقة بالنظام الدولي ، للسنوات ١٩٥٧ - ١٩٦٧

العقيدة / السنة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	المجموع
٣ ـ النظام الدولي	٧	١٠	١٥	١٤	١٤	٦	١٢	٦	١٥	٣١	٤	١٣٤
صراعي (٪)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٧٩	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٦٧	٩٣	١٠٠	١٠٠	٩٥
مختلط (٪)								٣٣				٢
انسجامي (٪)				٢١					٧			٣
أ ـ مصادر الصراع الدولي	٢	٥	١٤	٢	٤	٦	١٠	٢	٩	٢٠	٢	٧٦
الطبيعة البشرية (٪)			١٤									٣
الخلافات الايديولوجية والسياسية داخل الدول (٪)			٧			١٧						٢
الخلافات الايديولوجية الدولية (٪)							٣٠			٢٥		١١
القومية (٪)	١٠٠	٦٠	٢١		٧٥	١٧	٤٠		٣٣	١٠	٥٠	٢٨
التناقض الاقتصادي الدولي (٪)			٧			٣٣	١٠	٥٠	١١	٢٠	٥٠	١٦
سياسة القوة (٪)		٤٠	٥١	١٠٠	٢٥	٣٣	٢٠	٥٠	٥٦	٤٥		٤٠
ب ـ شروط السلام الدولي	٣	٥	٦	١٧	١٠	٥	١٦	١٩	٦	١٣	٣	١٠٣
الاتصال الدولي (٪)		٢٠	١٧	٤٦	٦٠	٤٠	٤٣		٣٣	٣١		٣٠
ازالة المعتدي (٪)	٦٧	٦٠	٥٠	١٨	١٠		١٩	١٦	١٧	٨		١٨
تحقيق المساواة الاقتصادية (٪)			١٧	١٢	٢٠	٦٠	١٩	٢١	٣٣	١٥		١٩
تحقيق العدالة الدولية (٪)	٣٣	٢٠	١٦	٢٤	٢٠		١٩	٦٣	١٧	٤٥	١٠٠	٣٣

يتبع

تابع الجدول رقم (٥ ـ ٦)

العقيدة / السنة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	المجموع
ج ـ هيكل النظام الدولي	١	٢	—	٥	٧	٣	٣	٤	٢	١	—	٢٨
قطبية ثنائية مرنة (٪)	١٠٠			٦	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٥٠				٦١
قطبية ثنائية جامدة (٪)		٥٠		٢٠				٥٠				١٨
متعدد الأقطاب (٪)		٥٠		٢٠					١٠٠	١٠٠		٢١
د ـ استقرار النظام الدولي	—	٢	٢	١	٣	١	٢	٤	٦	٨	—	٢٩
مستقر (٪)						١٠٠		٥٠	٣٣			١٧
غير مستقر (٪)		١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠		١٠٠	٥٠	٦٧	١٠٠		٨٣
هـ ـ دور مصر الدولي	٣٤	٧٩	٨١	٥٦	٣٨	٣٥	٤١	٣٤	٣١	٣٠	٣	٤٦٢
محرر (٪)		١	١	٤	١٣	٩	١٥	٢٤	٦	٣		٥
قائد اقليمي (٪)	١٢	١١	١٥	١٤	٨	٢٣	٥	٥٣	١٠	١٧		١٦
مستقل (٪)	٧٣	٤٩	٦٣	٢٥	١٣	٢٠	٢٠		٢٦	٣٣		٣٧
معادٍ للاستعمار (٪)	٦	٢٤	٩	٢٣	٤٧	٩	٣٨		٢٩	٢٧	٣٣	٢٨
معادٍ للشيوعية (٪)		١										٠.٢
مدافع عن العقيدة (٪)									٣			٠.٢
وسيط دولي (٪)				٥	٣							٠.٨
تكامل عربي (٪)	٦	٣	٧	١٦	٣	٦				٧		٤.٨
تطوير عربي (٪)		١	١			١٤	١٥	٦	٦	٣	٣٣	٤
جسر للاتصال (٪)										٣		٠.٢
نموذج للتنمية (٪)		١	٤	١٣	٣	٦		١٢	٣			٤
صانع للسلام (٪)	٣	٩			١١	١٤	٧	٦	١٦	٢٧	٣٤	٦

٣٧ - تحقيق الاهداف الاساسية قد يتأخر في المدى القصير ، ولكن من المؤكد ان هذه الاهداف ستنتصر في المدى الطويل .

لم يكن التفاؤ ل السياسي لعبد الناصر محدوداً بأي حدود . فعبدالناصر كان يعتقد ان فرص الفشل في تحقيق الاهداف محدودة للغاية الى حد العدم ، لأن تلك الاهداف هي الاهداف الصحيحة التي ارادها الشعب ، ولأن عنصر الوقت في صالح العرب وليس في صالح الاعداء :

« بفضل ايمان هذا الشعب ، الشعب العربي في كل بلد عربي ، بفضل هذا الايمان سنستطيع دائماً ، بعون الله ، ان ننتصر ، وان نهزم المؤامرات ، لأن الاهداف التي نعمل من اجلها انما هي اهداف الشعب العربي في كل وطن عربي . . . بهذه الروح التي اراها فيكم ، وقد جمعتم العرب من كل بلد عربي ، ومن كل وطن عربي ، سننتصر دائماً في تحقيق اهدافنا » (٧ آذار / مارس عام ١٩٥٨) .

وقد بلغ احساس عبدالناصر بالتفاؤ ل السياسي اقصاه عقب الوحدة المصرية - السورية عام ١٩٥٨ حين أعلن ان هذه الحقبة من تاريخ العالم هي « عصر الوحدة العربية » ، وأكد ان « الجزر قد انتهى وبدأ المد » (١٦ آذار / مارس عام ١٩٥٨) ، كما أعلن الانتصار النهائي والمطلق للقومية العربية على اعدائها في المنطقة .

ويتضح الطابع المطلق للتفاؤ ل السياسي لعبدالناصر بالنظر الى الجدول رقم (٥-٧) ، اذ أنه في ٨٢ بالمائة من الجمل التي تحدث فيها عن التفاؤ ل والتشاؤ م السياسيين ، كان عبدالناصر يعبر عن تفاؤ ل مطلق ، اي تفاؤ ل لا يتصور احتمال الفشل على الاطلاق[٧] . اضف الى ذلك ان تفاؤ ل عبدالناصر كان تفاؤ لاً غير مشروط بحدوث ظروف خارجية معينة . فالنجاح في تحقيق الاهداف كامن في طبيعة الاهداف ذاتها ، وهذا واضح في ان ٦٣ بالمائة من اشاراته الى مشروطية التفاؤ ل السياسي كانت تعبر عن تفاؤ ل غير مشروط . وكذلك ، فإن التفاؤ ل السياسي الناصري كان في الغالب متعلق بالاهداف العامة ذات الامد الطويل . فالسياسات المحددة قد تنجح وقد تفشل طبقاً للظروف الحالية ، اما الاهداف القومية الكبرى ، فإنها لا بد من أن تتحقق . وقد

---

(٧) فيما عدا عام ١٩٦٥ ، الذي هبطت فيه نسبة التفاؤ ل غير المحدود الى ادناها (٣٨ بالمائة) وارتفعت فيه نسبة التشاؤ م الى اقصاها (٢٠ بالمائة) ولعل ذلك يرتبط بالتسمية التي اطلقها عبد الناصر على عام ١٩٦٥ بأنه « اخطر اعوام النضال العربي » ، حين قال في ٢١ شباط / فبراير عام ١٩٥٨ بمناسبة عيد الوحدة السابع : « نحن في سنة من اخطر السنوات في النضال العربي . المؤامرات الاستعمارية لم تتوقف . اسرائيل تستعد لخطط عدوانية . اسرائيل حصلت على السلاح من الغرب ، اسرائيل هددت بأننا اذا حولنا روافد نهر الاردن سيقوموا بالرد بالقوة » .

ويعلل الاستاذ محمد حسنين هيكل التشاؤ م الذي ساد العقائد الناصرية خلال عام١٩٦٥ ،بأن عام ١٩٦٤ كان عاماً عربياً استثنائياً شهد تحولات هامة بالنسبة للامة العربية ، و« لعل عبدالناصر قد افترض ان رد الفعل على ذلك كله سيكون شرساً ، فقال ان عام ١٩٦٥ هو اهم سنوات النضال العربي ، وكان قوله قراءة متأنية للفعل ورد الفعل » ، انظر : فؤاد مطر ، بصراحة عن عبد الناصر : حوار مع محمد حسنين هيكل ، ط ٢ (بيروت : دار القضايا ، ١٩٧٥) ، ص ١٧٥ .

ارتبط بذلك تصور أساسي آخر يتعلق بتأثير عنصر الزمن على تحقيق الاهداف السياسية . فعبدالناصر كان يتصور ان الوقت يعمل لصالح العرب ، فالتقادم من شأنه أن يقوي من قدرة العرب على تحقيق الاهداف . ولذلك ، فإن التفاؤل الناصري كان في الاغلب مرتبطاً بالاهداف طويلة الامد ، اما تحقيق الاهداف في الامد القصير فإنه قد يكون عرضة للنجاح او الفشل . فعبدالناصر مثلاً لم يكن متفائلاً حول امكانية تحقيق هدف التضامن العربي في المستقبل القريب ، وأكد صراحة « اننا سنستمر مدة طويلة بدون تحقيق التضامن العربي » (٢٦ تموز / يوليو عام ١٩٥٧) ، وان « العمل من اجل الوحدة العربية عمل صعب وشاق وسيأخذ وقتاً طويلاً ، لأن العوامل الموجودة اليوم ضد الوحدة العربية عوامل ما زالت قوية » (٢٩ آب / اغسطس عام ١٩٦٥) . كذلك ، كان عبدالناصر متشائماً حول امكانية التوصل الى تسوية سلمية مع اسرائيل « المشكلة بين العرب واسرائيل كانت اولاً حقوق شعب فلسطين المنهوبة . ولقد اضافت اسرائيل الى هذا ايضاً مطامعها التوسعية . . . فهل ترى ان هذا كله يتيح اي امل في حل ؟» (٦ نيسان / ابريل عام ١٩٥٨) .

وقد اعترف عبدالناصر صراحة ان هدف تحرير فلسطين قد لا يمكن تحقيقه في المستقبل القريب ، فتحرير فلسطين هو عملية تاريخية طويلة قوامها التفوق الاجتماعي والاقتصادي والعسكري على اسرائيل الى الحد الذي لا تستطيع فيه اسرائيل مقاومة التيار العربي . ومن ثم ، فإن عبدالناصر ايقن أن هذا الهدف لن يتحقق في حياته (١ ايار / مايو عام ١٩٦٥). كذلك ، لم يكن عبدالناصر متفائلاً بامكانيات تحقيق عملية التحول الاشتراكي للمجتمع المصري في المستقبل المتطور (١٢ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٤) ، ولا بامكانيات تحقيق السلام العالمي (٢٧ نيسان / ابريل عام ١٩٦٥) .

هـ ـ التنبؤ السياسي

٣٨ ـ المصادفة لا تلعب دوراً حاسماً في الحياة السياسية .

٣٩ ـ العملية التاريخية هي عملية حتمية ـ دائرية ـ تقدمية ، ومن ثم فإنه من الممكن تبين مجموعة من الانماط المحددة في التطور التاريخي .

٤٠ ـ جوهر التيارات التاريخية الراهنة يكمن في الموارد البشرية العربية .

لاحظنا أنه في الفترة الاولى لم يكن لدى عبد الناصر مفهوم واضح للعملية السياسية التاريخية ، وأنه لذلك كان يعتقد في دور المصادفة في الحياة السياسية . بيد أن تحوله التاريخي نحو الايديولوجية الاشتراكية ، أدى الى بلورة مجموعة من المعتقدات المتعلقة بوجود قوانين تيارات تاريخية يمكن ابتداء منها تحديد النتائج المستقبلية .

في هذه الفترة طور عبدالناصر مفهوماً محدداً للحياة السياسية باعتبارها في الاساس منطوية على مجموعة من الانماط والقوانين المتكررة الحدوث بشكل منتظم . ان النمط الاساسي في الحياة السياسية ـ في المفهوم الناصري ـ هو نمط التغير والحركة والتطور . فمنذ بداية الخليقة ، تتطور

جدول رقم (٥-٧)

التوزيع التكراري لعقائد عبد الناصر
المتعلقة بالتفاؤل السياسي ، للسنوات ١٩٥٧ - ١٩٦٧

العقيدة / السنة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	المجموع
٤ - التفاؤل / التشاؤم	٨	٤٩	٤٩	٤٣	٢٤	٣٠	٢١	٢٠	٤٠	٢٦	١٢	٣٢٢
تفاؤل غير محدود (٪)	٧٥	٩٦	٩٢	٨٨	٨٣	٨٧	٩٠	٩٠	٣٨	٦٩	١٠٠	٨٢
تفاؤل محدود (٪)	١٣		٦	١٢		١٠	١٠		٣٧	١٢		١٠
تفاؤل مختلط (٪)								٥	٥	٤		١
تشاؤم (٪)	١٢	٤	٢		١٧	٣		٥	٢٠	١٥		٧
أ - بالاشارة الى	٨	٤٩	٤٨	٤٣	٢٤	٢٨	٢٠	٢٠	٤٠	٢٢	١٢	٣١٤
اهداف بعيدة المدى (٪)	٦٣	٧٨	٧٥	٦٥	٣٨	٥٤	٥٠	٥٥	٥٣	٤٥	٣٣	٦٠
سياسات محدودة (٪)	٣٧	٢٢	٢٥	٣٥	٦٢	٤٦	٥٠	٤٥	٤٧	٥٥	٦٧	٤٠
ب - مشروطية التفاؤل	٦	٤١	٤٧	٣٩	١٦	٢٣	٢٢	١٤	٢٥	١٥	١٢	٢٦٠
مشروط (٪)	٦٧	٣٧	٣٦	٣٩	١٩	٣٥	٣٢	٢١	٥٢	٤٠	٢٥	٣٧
غير مشروط (٪)	٣٣	٦٣	٦٤	٥١	٨١	٦٥	٦٨	٧٩	٤٨	٦٠	٧٥	٦٣
ج - الوقت لصالح من؟				١		١	١		٤	٤		١١
لصالح العرب (٪)				١٠٠		١٠٠	١٠٠		١٠٠	١٠٠		١٠٠
لصالح الأعداء (٪)												

الحياة البشرية تطوراً دينامياً متلاحقاً . « فالحركة والتطور هما قانونا الحياة منذ الأزل والى الابد » (٨ آذار / مارس عام ١٩٦٥) . والتطور التاريخي يسير طبقاً لانماط وقواعد معينة يمكن فهمها وتوقعها[٨] . اهم هذه الانماط هي الدائرية ، الحتمية ، التقدمية . كان عبدالناصر يرى أن التاريخ هو عملية دائرية . فالاحداث الراهنة والمحتملة هي في الاساس اعادة معدلة للانماط التاريخية السابقة . ومن ثم ، فإنه من الممكن التنبؤ بنتائج المواقف والسياسات الحالية بتحليل التيارات التاريخية السالفة . فالوحدة المصرية ـ السورية عام ١٩٥٨ في نظر عبدالناصر ، لم تكن اكثر من استمرار للنمط الطبيعي في حياة الامة العربية وعودة الامور الى حالتها الطبيعية :

« إن ما رأيته في هذه الايام هو الامر الطبيعي . لقد رأيت العرب امامي في هذا المكان من كل بلد عربي وقد اجتمعوا جنباً الى جنب وهم لا يشعرون إلَّا بأنهم عرب ، وأن الفوارق التي فرقت بينهم والحدود المصطنعة التي قامت بين اقطارهم لا يمكن ابداً أن تفرّق بين القلوب . . . وأنا اليوم إنما ارى الامور الطبيعية وقد عادت الى سيرتها الاولى التي حاول الاعداء ان يهزموها وأن يتغلبوا عليها . لقد كانت هذه المنطقة التي تجمع العرب على مر السنين ومنذ آلاف السنين لها اتصالات مختلفة تتآلف وتتحد . . . هذه هي الامور الطبيعية » (٩ آذار / مارس عام ١٩٥٨) .

كما أن مساعدة الجمهورية العربية المتحدة للشعب العراقي ضد « الحكم الشيوعي » في العراق عام ١٩٥٩ هو تكرار لوقوف سوريا مع العراق ضد التتار :

« حينما فتح هولاكو بغداد ، وحينما احتل التتار العراق ، قمتم في الشام وتكاتفتم مع اخوانكم في العراق لتعيدوا القومية العربية الى مكانها في العراق . إننا اليوم نبدأ العمل مرة اخرى ، إننا اليوم نكرر التاريخ . ان التاريخ يكرر نفسه . . . وسيرتفع علم القومية العربية دائماً في العراق كما ارتفع حينما هزم هولاكو » (١٣ آذار / مارس عام ١٩٥٩) .

كذلك اعتقد عبدالناصر بأن الامة العربية ستتحرر . وبرر هذا التنبؤ بالنمط التاريخي في حياة الامة العربية منذ عصور التتار والصليبيين . مؤدى هذا النمط هو أنه حينما يتحد الجيشان المصري والسوري تستطيع الامة العربية ان تهزم اعداءها . وبما أن الجيشين قد اتحدا في اطار الوحدة المصرية ـ السورية ، فإن الامة العربية ستهزم اعداءها الحاليين :

« في القرن الثاني عشر ، حينما احتل الاستعمار الصليبي فلسطين ، وحينما تقدم الصليبيون من فلسطين حتى دخلت قواتهم الى مشارف القاهرة ، وحينما كانت قوات مصر تحارب وتتقهقر ثم تحارب وتصمد ، قامت القوات

---

(٨) الواقع ان عبد الناصر كان لديه احساس عميق بالتاريخ ، اذ ان المعرفة التاريخية كانت تشكل لديه مصدراً رئيسياً للعقائد والسياسات . فعبد الناصر كان دائماً يعقد المقارنات بين الاحداث الراهنة والوقائع التاريخية ويؤكد ان هناك تشابهاً بين كل تلك الاحداث . ومن امثلة ذلك خطابه في ٧ ايار / مايو عام ١٩٦٠ حيث عقد مقارنة بين انتصار العمال العرب على مقاطعة العمال الامريكيين للسفينة المصرية كيلوباترة وبين انتصار العرب على الصليبيين ، وبين الانذار الذي وجهته بريطانيا وفرنسا الى مصر عام ١٩٥٦ والانذار الذي وجهه لويس التاسع الى الملك الصالح عام ١٢٥٠ .كما ان معركة الاستعمار الفرنسي في الجزائر كانت في نظره جزءاً من المخطط الاستعماري منذ الصليبيين للقضاء على القومية العربية (١ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٠) .

السورية وأرسل نورالدين في سورية جيشاً قوياً لمساندة اخوته المصريين ، ووصل الجيش القومي من سوريا الى مصر ، وهزم الصليبيين . . . الجيش السوري حينما اتحد مع الجيش المصري استطاع أن يخلص الامة العربية من الاحتلال والاستعمار الصليبي . واليوم يتحد الجيش السوري والجيش المصري تحت راية الجمهورية العربية المتحدة مرة اخرى بعد مئات السنين ، وباذن الله سنستطيع أن نحرر الأمة العربية كما حررناها في القرن الثاني عشر ، وكما حررناها من التتار حينما اتحد جيش مصر ايضاً مع الجيش السوري . . . حدث هذا ضد الاستعمار الصليبي ، وحدث هذا ايضاً منذ الغزو التتاري » (١٤ آذار / مارس عام ١٩٥٩) .

وطبقاً للمنطق التاريخي الدائري نفسه ، استنتج عبدالناصر ان فلسطين ستتحرر . فتاريخ المنطقة منذ عصر الحروب الصليبية يؤكد قدرة العرب على استعادة فلسطين . وفي حديثه الى الصحفي الهندي كارنجيا في ١٦ شباط / فبراير عام ١٩٦٤ ، أكد هذا المنطق بقوله :

« سيعودون (الفلسطينيون) ، لقد جاء وقت في الماضي استطاع فيه الاستعمار المستتر بالصليبية احتلال ارضنا في فلسطين لمدة سبعين عاماً طوالاً ، ولكن العرب واصلوا القتال من اجل اراضيهم الى ان استعادوها في النهاية . وليس لدي شك من أن التاريخ سوف يعيد نفسه » .

البعد الثاني لتصور عبدالناصر للعملية التاريخية هو الحتمية ، فالمصادفة لا تلعب دوراً أساسياً في تحديد مسار التاريخ ، والتاريخ في المفهوم الناصري يسير طبقاً لمنطق حتمي لا يمكن مقاومته او تغييره (١٩ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٥) . وقد استقى عبدالناصر نظريته في الحتمية التاريخية من التاريخ العربي . فهو يرى ان التاريخ العربي قد سار دائماً وفقاً لنمط محدد ، قوام هذا النمط التاريخي العربي هو التوافق بين القوة والوحدة ، فإذا توحدت الأمة العربية ازدادت قوتها ، وحينما تقوى الأمة العربية تزداد فرص الوحدة :

« لقد كان الكفاح من اجل الوحدة ، هو نفسه الكفاح من اجل الحياة . ولقد كان التلازم بين القوة والوحدة أبرز معالم تاريخ امتنا . فما من مرة تمثلت الوحدة ، الا تبعتها القوة ، وما من مرة توافرت القوة الا كانت الوحدة نتيجة طبيعية لها . . . لم يكن محض صدفة ان محاولة الوحدة في المنطقة لم تتوقف منذ اربعة آلاف سنة طلباً للقوة بل طلباً للحياة » (٥ شباط / فبراير عام ١٩٥٨) .

انطلاقاً من هذا المنطق الحتمي في التاريخ الغربي فقد استخلص عبدالناصر عدة قوانين أساسية للتطور السياسي العربي . اول هذه القوانين هو حتمية تحقق الوحدة العربية وانتصار القوى التقدمية العربية على الاستعمار والقوى الرجعية .

« نحن على ثقة أن الوحدة حتمية ، ولا بد ان تتم . قد تتعطل بضع سنوات ، ولكنها حتمية تاريخية لا يمكن بأي حال الا أن تقع » (٢١ شباط / فبراير عام ١٩٦٥) .

« الشعب المصري سوف يكون لصموده الأثر الأكبر في أن ينحسر المد الرجعي الاستعماري ويعود كما تقضي بذلك حتمية التطور التاريخي . . . الصدام مفروض في العالم العربي ، واعتقد ان هذا الصدام سيسير مع سيرة التاريخ الطبيعية وسيرة الامور الطبيعية ، اذ ستصفى قوى الرجعية واعوان الاستعمار ، وستنتصر قوى الثورة وقوى

التقدم . . . ولكن النتيجة محكوم عليها سلفاً ، نفس النتيجة القديمة ونفس المصير» (١ ايار / مايو عام ١٩٦٦) .

كذلك استخلص عبدالناصر قانوناً أساسياً من قوانين التاريخ العربي هو أن « المنطقة العربية تلاقي الهزيمة حينما تنقسم على نفسها ، وحينما تتحد استطاعت ان تهزم اعتى الجيوش » .

« هذا تاريخنا الطويل من ٨٠٠ سنة ، لما كانت دولة منا تتعرض للغزو ، كانت تسقط اذا بقيت وحدها ، ولما كانت دولة فينا تتعرض للغزو وتتضامن مع بقية الدول العربية ، كان العرب يستطيعون ان يهزموا اعتى الجيوش كما حدث في هزيمة الصليبيين وجيوش التتار » (٢١ آذار / مارس عام ١٩٥٨) .

واخيراً ، فإن العملية التاريخية في المنظور الناصري ، هي تقدمية . فالدائرية التاريخية لا تعني تكرار الوقائع التاريخية نفسها واشكال الاستغلال نفسه ، لأن التاريخ هو في الاساس عملية قوامها التقدم الاجتماعي . « فأعظم قوة محركة للتاريخ والتقدم هي ارادة التغيير نحو المثل الاعلى »(٩) .

« تيار التاريخ يسير الى الامام ، وان الدول الكبرى التي حاولت أن توقف هذا التيار لم تستطع أن تتغلب على التيار الطبيعي للتاريخ » (٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٩) .

« إن التقدم ، ان ارادة التغيير ، ان الثورة المستمرة التي نسير فيها هي مع التغيير الحتمي ومع سير مجرى التاريخ » (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٦٢) .

«إني لارفض رفضاً مطلقاً ذلك القول الذي يتردد في بعض الاحيان اعزازاً للماضي واسترجاعاً لذكرياته يقول ان الاجيال التي مضت لن تعوض ، وان ما فات لن يعود ، وان الاجيال السابقة خير من اجيال لاحقة . ارفض هذا المنطق ليس فقط لأنه يجافي سنة التطور ، وإنما أرفضه لأنه يجافي الحقيقة » (١٥ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٢) .

« التاريخ تطوره حتمي ، التاريخ يسير نحو التقدم . . . ولا يمكن للرجعية ان تبقى ، فإن امة العرب تتجه الى الامام » (٢١ شباط / فبراير عام ١٩٦٥) .

« ان تيار التاريخ غلاب في قدرته على التطوير والتغيير ، وذلك كله حتمي لصالح التقدم وانتصار له » (٢٥ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٦٥) .

ولهذا ، فإن عبدالناصر ، كان يتصور وجود اتجاه عالمي عام نحو الاشتراكية والعدالة الاجتماعية (١ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٣) . كما تنبأ بحتمية سقوط النظم الرجعية في العالم العربي ، لأن النظم تعمل ضد المسار الحتمي التقدمي للتاريخ ، (٢٦ تموز / يوليو عام ١٩٦٢ و٢٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٣) .

---

(٩) وهذا هو معنى اشارة عبد الناصر في بعض الاحيان الى ان « التاريخ لن يعيد عجلة الزمن مرة اخرى » (٩ آذار / مارس عام ١٩٥٩) ، ويقصد بذلك ان اشكال الاستغلال والاستعمار القديمة لن تعود مرة اخرى ، فالتقدمية والدائرية في التاريخ اذن صنوان لا يفترقان .

« إن الثورة الاجتماعية ستجري في الرجعية لأن هذا هو التطور الطبيعي للتاريخ » (٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦١) .

« الصدام مفروض في العالم العربي ، واعتقد ان هذا الصدام سيسير مع سيرة التاريخ الطبيعية . اذ ستصفى قوى الرجعية واعوان الاستعمار وستنتصر قوى الثورة وقوى التقدم » (١ ايار / مايو عام ١٩٦٦) .

قدمنا أن اعتقاد عبدالناصر في امكانية التنبؤ السياسي كان يرتكز على قراءته للتاريخ العربي . ويمكن أن نضيف الى ذلك أن تلك العقيدة كانت تتأسس ايضاً على قراءته للتيارات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة . فقد اعتقد عبدالناصر ان جوهر الحتمية التاريخية الراهنة يكمن في عنصر واحد هو الموارد البشرية . فزيادة الموارد البشرية العربية بنسبة اكبر من زيادة الموارد البشرية الصهيونية من شأنها أن تقلب موازين القوى في المنطقة العربية لمصلحة العرب بما يمكنهم من حسم الصراع مع اسرائيل . ولهذا ، فإن مرور الوقت بدون اتخاذ اجراءات محددة ضد اسرائيل يجب ان لا يفزع العرب لأن مرور الوقت من شأنه التعجيل بالحتمية التاريخية .

« أنا باقول ان قضية فلسطين بقالها ١٧ سنة ، ولكن مع الوقت ومع الزمن احنا اللي حانكسب قضية فلسطين ، لأن احنا عندنا الحق وعندنا القوة البشرية . واقول حاييجي اليوم اللي العرب يجندوا فيه ٢ مليون و ٣ مليون ويحرروا فلسطين ويستعيدوا حقوق شعب فلسطين ، مهما كانت كمية السلاح اللي حتديها الدول الغربية لاسرائيل »(١ ايار / مايو عام ١٩٦٥) .

كذلك اعتقد عبدالناصر في حتمية انتصار النظم التقدمية العربية ، وبنى هذا الاعتقاد على تصور مؤداه ان « التطورات التي حصلت من الشعوب التي لم تقبل احكام الدكتاتورية والفاشية والارهابية تدل على كل المشاكل التي تصادفها وتحقق الوحدة سواء أكانت وحدة هدف او وحدة في اي شكل من الاشكال » (١ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٣) . كما اعتقد أن التناقضات الاجتماعية ستستمر في المجتمع الاشتراكي لأن « هذا هو الاتجاه العام في كل المجتمعات الاشتراكية » (١٢ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٤ ، ١٦ ايار / مايو عام ١٩٦٥) .

الواقع ان مفهوم الحتمية التاريخية ، الذي كان محور التحليل الناصري لامكانية التنبؤ في الحياة السياسية ، صنع هذا التحليل بنوع من اليقين المطلق يشبه اليقين الذي يميز الايمان الديني . فإذا كان التطور التاريخي مسألة حتمية ، فإنه من المنطقي أن نتوقع قدراً من اليقين المطلق في إمكانية التنبؤ بهذا التطور . ولذلك ، فإننا نجد ان ٩٥ بالمائة من اشارات عبدالناصر الى درجة التنبؤ ، تؤكد هذا اليقين المطلق (الجدول (٥-٨)) . بيد ان الاعتقاد الناصري في حتمية التطور التاريخي ويقينه المطلق في هذه الحتمية ، لم يعن ان تلك الحتمية هي حتمية آلية . فالحتمية التاريخية تتطلب تدخل العنصر البشري لتحريك تلك الحتمية . وقد أكد عبدالناصر صراحة هذا المعنى في خطابه في اول ايار / مايو عام ١٩٦٦ بقوله :

« لا يكفي القوى الثورية أن تطمئن الى ان حركة التاريخ معها ، لا بد من أن تتجمع كل القوى الثورية القومية في العالم العربي لتتصدى لمواجهة الرجعية والاستعمار».

جدول رقم (٥ ـ ٨)

التوزيع التكراري لعقائد عبد الناصر
المتعلقة بالتنبؤ السياسي ، للسنوات ١٩٥٧ ـ ١٩٦٧

العقيدة / السنة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	المجموع
٥ ـ التنبؤ السياسي	٧	٢٧	٢٧	١٧	٥	١٤	١٤	٢٣	٢٧	٧٤	٢	١٧٧
يمكن التنبؤ (٪)	٧١	١٠٠	١٠٠	٩٤	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٩٨
لا يمكن التنبؤ (٪)	٢٩											٢
أ ـ مجالات التنبؤ	٧	٢٧	٢٧	١٧	٥	١٤	١٥	٢٣	٢٧	١٤	٢	١٧٨
التطور التاريخي (٪)	١٤	١٩	٧	٢٩		٢٩	٢٧	١٧	٤٤			٢١
النظام الدولي (٪)	١٤	١٥	١٥	١٢		٧	٣٣	٣٥	١١	٢١		١٧
سلوك العدو (٪)	٤٣	٢١	٢٦	٣٥	٤٠	٥٧	٣٣	١٧	٣٣	٥٨	١٠٠	٣٣
نتائج السياسات (٪)		١٩	٣٧	٢٤				١٣	٤	٧		١٤
احداث محددة (٪)	٢٩	٢٦	١٥		٦٠	٧	٧	١٧	٨	١٤		١٥
ب ـ درجة التنبؤ	٤	٢٧	٢٥	١٦	٥	١٤	١٥	٢٣	٢٦	١٣	٢	١٧٠
يقيـن (٪)	٧٥	١٠٠	٩٦	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٩٣	١٠٠	٨٩	٩٢	١٠٠	٩٥
احتمـال (٪)	٢٥		٤							٨		٤
لا يقيـن (٪)							٧					١

و ـ دور القائد في التطور الاجتماعي ـ التاريخي

٤٧ ـ « عبدالناصر ليس الا منفذاً لارادة الجماهير وتصميمها على السير نحو التطور والقومية العربية » .

٤٨ ـ لا يستطيع فرد واحد أن يضبط كل شيء في الحياة .

٤٩ ـ « دوري هو دراسة الآراء غير المنظمة للجماهير ، وتنسيق وتجميع آرائها » .

٥٠ـ يجب على القائد السياسي أن يحاول أن يؤثر في الاحداث المعاصرة في مجتمعه .

٥١ ـ عبد الناصر لا يستطيع أن يؤثر كثيراً في مجالين أساسيين هما : العلاقات العربية والوضع الاجتماعي للمرأة .

يميز علماء نظرية « التعلم الاجتماعي » Social Learning بين نوعين من الافراد ، الخارجيين والداخليين ، طبقاً لمعيار المقدرة على التحكم في مصائرهم . يعتقد الخارجيون ان قوى معينة ـ خارج نطاق سيطرتهم المباشرة ـ هي التي تتحكم في تحديد نتائج اعمالهم . اما الداخليون ، فإنهم على العكس يعتقدون أنهم هم الذين يسيطرون على مصائرهم . وبالمثل يختلف القادة السياسيون في درجة اعتقادهم بقدرتهم على التأثير في مسار العملية التاريخية . فبعض القادة ، من امثال لينين ، يرون أنه باستطاعة القائد السياسي الواعي بالعملية التاريخية والمنظم تنظيماً جيداً ، ان يلعب دوراً مهماً في « تحريك » التاريخ في الاتجاه المطلوب . وبالعكس ، يرى البعض الآخر ، من امثال الزعيم الالماني فيلي برانت ، ان امكانية التحكم في العملية التاريخية محدود للغاية .

أين يقف عبدالناصر من تلك المناظرة ؟ بصفة عامة ، كان عبدالناصر ينتمي الى النوع الثاني من القادة ، فقد اعتقد عبدالناصر أنه ليس بمقدور اي غزو ان يؤثر تأثيراً ذا بال في مسار التطور التاريخي . اذ أن هذا المسار يتحدد ـ في التحليل الناصري ـ « طبقاً لارادة الجماهير » ويقتصر دور القائد السياسي على رصد مسار التطور التاريخي والتصرف إيجابياً بما يتلاءم مع هذا المسار . طبقاً لهذا المنطق ، فقد أكد عبدالناصر على أن دوره في تشكيل المسار التاريخي لحركة القومية العربية هو دور محدود ويقتصر على ايضاح المشاكل الرئيسية الناشئة عن تحقيق التوجه التاريخي العربي نحو الوحدة ، وعلى تنفيذ الارادة التاريخية للجماهير . فالقائد السياسي يجب عليه الا يعرقل او يشكل المسار الرئيسي للتاريخ ، لأن اي فرد كما قال في خطاب استقالته في ٩ حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ ، « مهما كان دوره ، ومهما بلغ اسهامه في قضايا وطنه هو اداة لارادة شعبية وليس هو صانع هذه الارادة » .

« لا يوجد فرد يصنع اقدار الشعوب او يصنع ارادتها ، إنما الشعوب هي التي تصنع مقدراتها . أنا كجمال عبدالناصر كنت اعتبر أن الوحدة بين مصر وسوريا امامها خمس سنين او اكثر ، لست أنا الذي صنعت الوحدة بين مصر وسوريا ، ولكن الشعب العربي في سوريا والشعب العربي في مصر هما اللذان فرضا الوحدة .

الشعوب العربية هي التي تصنع اقدارها وهي التي تملي مشيئتها . . . أقول إن الزحف المقدس بدأ ، وان الزحف المقدس أخذ طريقه ، وأن دور القيادة ليس الا ازالة العقبات » (٢٠ آذار / مارس عام ١٩٥٨) .

« إن شعلة القومية العربية ستبقى ابد الدهر عالية مرتفعة ، لأنها لا تنحصر في شخص واحد هو جمال عبدالناصر ، ولا تنحصر في افراد آخرين هم من يعملون مع جمال عبدالناصر، ولكنها تمثل الشعب العربي . . . ليست القومية العربية رجلاً واحداً او فرداً واحداً ، وليست القومية العربية من وحي رجل واحد ومن وحي فرد واحد ، ولكنها من وحيكم انتم ومن وحي آبائكم » (١٨ تموز / يوليو عام ١٩٥٨) .

« هذه القومية العربية لا يمكن أبداً أن تكون لواء لفرد او ان يرفع لواءها جمال عبدالناصر . لأن القومية العربية هي انتم . . . . ليست القومية العربية هي قيادة جمال عبدالناصر او قيادة فرد او افراد . . . الا جمال عبدالناصر حينما يتواجد في هذا المكان في هذا الوقت ليحمل هذه الرسالة باسم الشعب انما الى على نفسه أن يسلمها الى هذا الشعب قوية راسخة عزيزة المبادىء . . . لم يحقق هذه الوحدة جمال عبدالناصر ولم يحققها اي فرد آخر ولكن حققتها آراء هذا الشعب » (١٣ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٨) .

« لما وجدت أنها ارادتكم لم يكن من حقي أن اعترضها . انما كان من واجبي ان أبصر الشعب بما يتعين عليه أن يواجهه . ليس من حق مسؤول ان يعترض ارادة شعب وإنما من واجبه أن يشرح له الجهد الذي يتعين عليه أن يبذله اذا ما أراد أن يفرض ارادته » (٢١ شباط / فبراير عام ١٩٥٩) .

بالاضافة الى التطور التاريخي ، حدد عبدالناصر مجالين أساسيين من مجالات الحركة السياسية والاجتماعية اعتبرهما خارج نطاق قدرة القائد السياسي على التأثير والسيطرة . هذان المجالان بالتحديد هما مجال العلاقات العربية ومجال الوضع الاجتماعي للمرأة في المجتمع العربي . فقد أدى النزاع الذي نشب بين عبدالناصر وقيادة حزب البعث والتمزق الذي سيطر على العلاقات العربية خلال سنة ١٩٦٣ ، ادى الى ادراك عبدالناصر لحدود قدرته على التأثير في السياسة العربية . فقد أكد عبدالناصر : « إنني لا استطيع السيطرة حتى على اولئك الذين يدعون أنهم ناصريين » (٩ تموز / يوليو عام ١٩٦٣) . ولذلك ، فإنه أوضح للجماهير العربية صراحة أنه يجب الا تتوقع منه إقامة الحركة العربية الموحدة ، اذ أن تلك هي مسؤولية الجماهير :

« أنا مش حاعمل الحركة العربية الواحدة . ولكنني أدعو كل الثوريين الوحدويين القوميين في كل بلد عربي الى أن يعملوا ويجتهدوا من اجل قيام الحركة العربية الواحدة » (١١ آب / اغسطس عام ١٩٦٣) .

« أنا قلت ان أنا لم استطع بأي حال أن أعمل الحركة العربية الواحدة . إذا أنا حاولت أن اعمل الحركة العربية الواحدة ، معنى هذا ان هذه الحركة ستولد ميتة . . . مسؤولية الثوريين المناضلين المكافحين انهم يعملوا الحركة العربية » (٢٢ شباط / فبراير عام ١٩٦٤) .

« نحن لا نغير في البلاد العربية ، ولا نستطيع أن نغير ، الذي يملك سلطة التغيير في البلاد العربية هم الشعوب العربية » (١٥ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٥) .

أما المجال الثاني لمحدودية قدرة القائد السياسي على التأثير ، فهو مجال الاوضاع الاجتماعية للمرأة . وقد تحدّث عبدالناصر عن هذا المجال نتيجة للنقد الذي تعرّض له بسبب الحقوق السياسية والاجتماعية التي أعطيت للمرأة ، من جانب بعض القوى الدينية المحافظة في مصر . فقد طلبت تلك القوى من عبدالناصر ان يتدخل للحد من حركة تحرر المرأة ولاجبار النساء على ارتداء ازياء اكثر احتشاماً . وقد رد عبدالناصر على هؤلاء بأن تلك مسؤولية رب الاسرة وليست مسؤولية القائد السياسي ، « فإذا لم تكونوا قادرين على فرض التحشم ابتداء من البيت ، فكيف تطالبوني بفرضه في الدولة بأسرها » (٢٨ ايار / مايو عام ١٩٦٢ ، ١٨ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٥) .

رغم اعتقاد عبدالناصر في محدودية قدرته على التأثير في التطور التاريخي ، فإنه لم يكن قدرياً الى الحد الذي يتصور فيه أنه غير قادر على التأثير في اي من محاولات الحركة الاجتماعية . فقد اعتقد عبدالناصر ، برغم القوانين التاريخية ، ان القائد السياسي يستطيع أن يؤثر ويشكل الاحداث الاجتماعية والسياسية الراهنة في مجتمعه ، وأن الامد القصير يتسم دائماً بوجود مجموعة من التناقضات التي تتطلب قيادة حكيمة لحسمها . وفي هذا الصدد ، فإن مجال حركة القائد السياسي محكوم بمجموعة من الشروط ، اهم تلك الشروط انه يستطيع أن يؤثر فقط في الاحداث الراهنة والمباشرة وليس في المسار العام للحركة التاريخية ، كما أنه يستطيع التأثير في تلك الاحداث التي تقع في مجتمعه وليس في اي مجتمع آخر . واخيراً ، فإن دور القائد السياسي هو جزء من الآلية الاجتماعية العامة التي يجب ان تتحرك في اطار دينامي متكامل حتى تستطيع التأثير في تلك الاحداث المباشرة . فليس هناك فرد واحد يستطيع ان يضبط الاحداث المباشرة في مجتمعه . ولكنه يستطيع أن يفعل ذلك فقط من خلال التفاعل مع الجماهير . بعبارة اخرى ، فإن التكامل بين القائد السياسي والجماهير هو وحده الكفيل بالتأثير في الاحداث الاجتماعية والاقتصادية :

« لا يمكن لقائد واحد او لفئة قليلة من الناس أن يطور المجتمع ويرسي الاساس ثم يضمن بعد ذلك ان يسير هذا البناء ليرتفع عالياً شامخاً الا اذا كان هناك قادة على جميع المستويات » (٤ آب / اغسطس عام ١٩٥٩) .

« الشعب هو الذي يقود وليس جمال عبد الناصر او اي فئة اخرى هي التي تقود . وما جمال عبدالناصر الا المنفذ لارادة هذا الشعب وتصميمه على أن يسير في طريقه » (١٧ شباط / فبراير عام ١٩٦٠) .

« الشعب لن يسمح للانتهازية بأي وسيلة من الوسائل او للاستغلال بأي طريقة من الطرق . . . وأحب أن اقول ان الحكومة او رئيس الحكومة لا يمكن ان يكون قادراً ولا يمكن ان تكون قادرة على منع هذا منعاً كاملاً . ولكن الشعب الواعي المصمم هو الذي يستطيع بقيادته ان يقضي على الانتهازية » (١٧ شباط / فبراير عام ١٩٦٠) .

« القيادة لا تستطيع أن تحمي المبادىء وحدها ، ولا تستطيع ان تنفذ المبادىء وحدها ، ولكن الشعب هو

الـذي يستطيع ان يحقق هذه المبـادىء ، والشعب هو الـذي يستطيع أن يحمي هذه المبادىء » (٢٦ تموز / يوليو عام ١٩٦٣) .

« أنا لن استطيع وحدي ان أبني شيئاً ، لا في البلد ولا في الحكم ، ولا في الاتحاد الاشتراكي . وبالتـالي فأنتم وحدكم لا تستـطيعوا أن تفعلوا شيئـاً . اذن لا بد من الاعتمـاد على الجمـاهير ، وعـلى القيادات الاخـرى المختلفة لكي نتمكن من بناء الاتحاد الاشتراكي » (١٢ كانون الثاني / يناير عام ١٩٦٦) .

« بدي أقول لكم لا يمكن لواحد وحـده عمل شيء مـطلقاً . هـات اكبر كبـير في الدنيـا خليه لـوحده ، ميقدرش يوصل لغاية العتبة ويتوه في السكة . أنا باكلمكم الكـلام العلمي ، مفيش واحد يقـدر يحرر شعب الا اذا كان هذا الشعب مستعد علشان يضحي ويحرر نفسه طبعاً » (٢٦ ايار / مايو عام ١٩٦٢) .

أوضح تحليل العقائد الناصرية خلال الفترة الاولى ، ان عبدالناصر قـد اتجه ابتـداء من منتصف الخمسينـات الى تبني الدور النشيط للدولـة والقـائـد السيـاسي كشـريـك في العمليـة الاجتماعية ، وذلك نتيجة فشل البورجوازية المصرية في الاضـطلاع بدور ذي شـأن في عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية. وقد استمر في الدفاع عن هذا الدور النشيط حتى اوائل الستينات. فالقائد السياسي يجب ان يحتفظ دائماً بالمبادأة السياسية والاقتصادية حتى يتمكن من تحقيق الانسجام بين شتى المصالح الطبقية . بيد ان القائد السياسي ـ في التصـور النـاصـري ـ يجب الا يتدخل مباشرة في الانشطة الاقتصادية ، فمثل هـذه الانشطة يجب ان تـظل في ايدي رأس المال الخاص . ويقتصـر دور القيادة السيـاسية عـلى المراقبـة والرصـد والتوجيـه ، واتخاذ المبـادرات الاقتصاديـة التي تكفل تحفيـز الاقتصاد القـومي ومنع الـرأسماليـة من الاستغلال ، وحماية كل طبقة من الطبقات الاخرى . وفي هذا الاطار اعتبر عبدالناصـر ان « القيادة السيـاسية والقيادة الاقتصادية هما الضمان الاساسي لاقامة مجتمع اشتراكي ديمقراطي » (٥ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٧) .

« الدولة تشترك مع الشعب وتعتبر ان لها الـولاية ، وهـذه الولايـة نضعها مـوضع حماية مصـالح صغـار الرأسماليـين ، وصغار المـدخرين مـع الرأسمـاليين الآخـرين ، ولا نترك صغـار المدخـرين حتى يقعوا في أيـدي المستغلين ، وحتى يستغلوا او يستخدموا لتحقيق مصـالح خـاصة لقلة معينـة او لفئة من النـاس . لكن في نفس الوقت نحن لا نريد ان نكوِّن رأسمالية الـدولة ، بـل نعتبر أن رأس المـال الخاص حـر ، ما دام يعمـل لمصلحة الشعب ويعمـل للخير العـام ، للشعب ، وفي نفس الوقت نتـدخـل ، بمعنى أننـا لا نـريـد أن نقضي او نصفي الرأسمالية ، ولكن نرى من واجبنا أن نراقبها » (٥ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٧) .

« اننا في نظامنا الاشتراكي ، ونظامنا التعاوني نعتبر ان الـدولة لهـا الولايـة على كـل شيء ، على الملكيـة الخاصة ، والملكية العامة ، والدولة مسؤ ولة عن حماية الفـرد من أي واحد يستغله . الـدولة مسؤ ولـة انها تحمي وتحرر من الاستغلال الاقتصادي والاستغلال الاجتماعي » (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٥٩) .

من الواضح اذاً أنه وإن كان عبدالناصـر يعتبر ان للقـائد السيـاسي ـ كممثل الـدولة ـ دوراً نشيطاً في مراقبة وتوجيه النشاط الاجتماعي ، الا أنه كـان يضع حـدوداً مهمة عـلى هذا

الـدور . بيد أنـه ابتـداء من الانفصـال السـوري عـام ١٩٦١ حـدث تحـول آخـر في تصـور عبدالناصر لدور القائد السياسي . فعقب الانفصال أيقن عبدالناصر ان البورجوازية المصريـة ستنتهـز اول فرصـة للانقضـاض على الثـورة . ومن ثم قـرر التخـلي نهائيـاً عن فكـرة اعـطاء الرأسمالية دوراً حاسماً في التطور الاجتماعي والاقتصادي ، وتبنى مفهوم الدور النشيط للدولة في توجيه المجتمع من خلال الاشتراكية . على المستوى النظري ، برر عبدالناصر هذا التحـول انطلاقاً من فرضيتين أساسيتين. الاولى، هي القانون الحديدي للاقلية The Iron Law of the Oligarchy. فرغم ان عبد الناصر قد دافع عن الدور الحاسم للجماهير في احداث التغيير الاجتماعي ، الا انه كان يعتقد ان التغيير الاجتماعي الاجـرائي لا يتم الا من خلال الاقليـة السياسية . فكل التنظيمات والحركـات الاجتماعيـة ذات طبيعة اوليجـاركية لأن « في العـالم كله نجد دائماً في كل دعوة من الدعوات ان القلة هي التي استطاعت ان تكافح وتقود ، وبالتالي ، فإن القلة هي التي تتبنى الاشتراكية» كما أكد عبدالناصـر[١٠] . اما الاسـاس النظري الثـاني ، فهو ضـرورة السيطرة على المؤسسات الاجتماعية من اجل بناء الاشتراكية . فقد كان عبدالناصـر يرى ان استقـلال المؤسسات الاجتماعية لا يتلاءم مـع بناء الـدولة الاشتـراكية ، وان هـذا التيار يتـطلب وضع كل المؤسسات الاجتماعية تحت السيطرة السياسية المركزية . فالجامعات والمجالس النيابيـة لا يمكن أن تكون مستقلة في اطار الدولة ، والا كان معنى ذلك الفوضى السياسية[١١] .

انطلاقاً من هاتين الفرضيتين ، اعتقـد عبد النـاصر ان عـلى القائـد السياسي ان يلعب دوراً نشيـطاً في تجميع المصـالح والتعليم السيـاسي . فالقـائد السيـاسي هـو الاداة الـرئيسيـة لتجميع المصالح الاجتماعيـة ، بمعنى ان دوره لا يقتصر عـلى مجرد التعـرف على مصـالح شتى الفئات الاجتماعيـة ، ولكنه يلعب دوراً أسـاسياً في عملية استخلاص المصالح الاجتماعية الاكثر اهمية ، وتحقيق الانسجام بين تلك المصالح . وبالتالي فإن دور القائد السياسي يتعـدى دور جماعات المصالح ودور الحزب السياسي الواحد :

« الجمـاهير لهـا آراء مختلفة ، ولكن هـذه الاراء دائماً مبعثـرة وغير منـظمة . وواجبي طـالما أنـا التقي مع الجماهير ان آخذ هذه الأراء المبعثرة غير المنظمة وأدرسها دراسة وافية ، ثم اخطط لها وأنظمهـا وأنسقها وأعـطيها ثانية للجماهير منظمة . لأنه لو تركت الجماهير على هواها نجد أنها دائماً تبدي آراء مشتتة مبعثـرة ، ولكنها فيهـا عنصـر أسـاسي سليم . فـإذا لم تنـظم لا يمكن الا انها تشرد منك » (١٦ كـانـون الثـاني / ينـايـر عـام ١٩٦٦) .

بالاضافة الى ذلك ، يلعب القائد السياسي دوراً نشيطاً في التدريب والتثقيف السياسي للجماهير . فالقائد السياسي عليه ان يتدخل لتمكين العمـال والفلاحـين من لعب دور نشيط

---

(١٠) رفعت السعيد ، اوراق ناصرية في ملف سري للغاية (القاهرة : دار الثقافة الجديدة ، ١٩٧٥) ، ص ٥٦ « محضر اجتماع عبدالناصر مع اعضاء الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي العربي في ١٥ فبراير ١٩٦٥ » .

(١١) المصدر نفسه ، ص ٤٩ ـ ٥٠ .

في الحياة السياسية ، وعليه ان يتوقع مشكلاتهم ويحاول حلها في اطار خطة قومية . وفي حديثه الى اعضاء المكاتب التنفيذية للاتحاد الاشتراكي لمحافظتي القاهرة والجيزة ، في ٧ آذار / مارس عام ١٩٦٦ حدد عبد الناصر دوره التعليمي بأنه: « تربية هؤلاء الناس وتثقيفهم . فلا يصح اليوم أن نتملص من تبعية واجب نحن مسؤولون عنه فعلاً كقيادات »[١٢].

ثانياً : العقائد الادائية

أ ـ طبيعة الاهداف السياسية وكيفية اختيارها

٥٢ ـ الهدف الداخلي الرئيسي هو اقامة مجتمع ينهض على مبدأ المساواة .

٥٣ ـ الاهداف الاساسية في الصراع العربي ـ الاسرائيلي هي : اقرار السلام على الحدود المصرية ـ الاسرائيلية ، تسوية مشكلة مرور السفن الاسرائيلية في قناة السويس من خلال التحكيم الدولي او التسوية الشاملة للقضية الفلسطينية ، وتنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بفلسطين .

٥٤ ـ الهدف الرئيسي في العلاقات العربية هو القضاء على النظم الرجعية العربية .

على المستوى الداخلي ، كانت قيمة المساواة الاجتماعية هي القيمة التي تدور حولها معظم القيم السياسية والاجتماعية لعبدالناصر . فإذا حدث تعارض بين قيمة المساواة واي قيمة اخرى ، فإن الاجابة الحاسمة لدى عبدالناصر هي اختيار قيمة المساواة ، حتى ولو كان ذلك يعني الاضعاف من القيم الاخرى . « فالاشتراكية ببساطة تعني المساواة » (٢٨ تموز / يونيو عام ١٩٥٩) . والديمقراطية لا تتحقق الا « اذا كانت المساواة هي رائدنا » (٣ آذار / مارس عام ١٩٥٩) . « والحرية لا تتحقق الا باقامة العدالة والمساواة » (١٥ شباط / فبراير عام ١٩٦٢) . والمساواة ـ في المفهوم الناصري ـ تعني « تكافؤ الفرص بين الناس جميعاً » (٢٨ تموز / يوليو عام ١٩٦٥) .

وفي خطابه امام المؤتمر التعاوني في ٥ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٧ ، تحدث عبدالناصر لأول مرة عن ضرورة اقامة نظام اشتراكي ديمقراطي تعاوني ، يتأسس على فكرة الاقلال من الفجوة الاجتماعية بين الطبقات . والواقع ان مفهوم عبدالناصر للنظام الاشتراكي الديمقراطي التعاوني كان شبيهاً الى حد كبير بالمفاهيم الاساسية لفكر الاشتراكية الديمقراطية في اوروبا . فقد تصور عبدالناصر نظاماً يتأسس على انهاء الاستغلال الاجتماعي ـ الاقتصادي ، وتحقيق توازن بين الطبقات الاجتماعية بدون تغيير الاسس الجوهرية للنظام الرأسمالي المصري في تلك الفترة :

---

(١٢) جمال عبدالناصر ، التنظيم والحركة : المحاضرات الخاصة بالتنظيم الطليعي (بيروت : [د.ن. : د.ت.])، ص ٣١ « المحاضر السرية لمناقشات عبد الناصر مع امناء المكاتب التنفيذية لمحافظتي القاهرة والجيزة ـ الجزء الاول ، ٣ / ٣ / ١٩٦٦ ، » .

« نريد أن يحل محل النظام الاقتصادي الاستغلالي والاحتكاري ، نظام اقتصادي اشتراكي ديمقراطي تعاوني من اجل مصلحة الغالبية العظمى من ابناء الشعب ، لا من اجل مصلحة فئة قليلة هي التي تستغل ، وهي التي تحتكر ، وهي التي تكسب مكاسب باهظة على حساب الشعب . نريد ان نعمل على الا تخضع اي طبقة او يخضع اي قسم من المجتمع لطبقة اخرى او قسم آخر . نريد ان نتخلص من استغلال الانسان واستغلال المجتمع لبعضه ، ونقرب الفوارق بين الطبقات . تنظيم اقتصادنا وفقاً لخطة موضوعية لصالح الشعب لا لصالح عدد من الافراد . نراعي مبادىء العدالة الاجتماعية . نوفق بين النشاط الاجتماعي العام الذي تقوم به الدولة ، والنشاط الاقتصادي الخاص الذي يقوم به الافراد على ألا يضير هذا بصالح المجتمع . . . والدولة لها الولاية ، وهذه الولاية تضعها موضع حماية مصالح صغار الرأسماليين ، وصغار المدخرين مع الرأسماليين الآخرين . . . لكن في نفس الوقت نحن لا نريد ان نكون رأسمالية الدولة ، بل نعتبر ان رأس المال الخاص حر ، ما دام يعمل لمصلحة الشعب ويعمل للخير العام ، للشعب . وفي نفس الوقت نتدخل بمعنى أننا لا نريد ان نقضي او نصفي الرأسمالية ، ولكن نرى ان من واجبنا أن نراقبها »(٥ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٧) .

ابتداء من تموز / يوليو عام ١٩٦١ ، تطور النسق العقيدي الناصري نحو نمط جديد من الاشتراكية الاكثر ثورية . وقد تأكد هذا التحول بعد الانقلاب الانفصالي السوري في ايلول / سبتمبر من السنة نفسها واعطي شكلاً ايديولوجياً في « ميثاق العمل الوطني » الذي قدمه عبدالناصر الى المؤتمر الوطني للقوى الشعبية في ايار / مايو عام ١٩٦٢ . ففي الفصل السادس من الميثاق اكد ان «الذين ينادون بترك الحرية لرأس المال ، ويتصورون ذلك طريقاً الى التقدم يقعون في خطأ فادح » وأضاف « ان الحل الاشتراكي هو المخرج الوحيد الى التقدم الاقتصادي والاجتماعي ، وهو طريق الديمقراطية بكل اشكالها السياسية والاجتماعية » ومن ثم حدد عبدالناصر مجموعة من الاهداف الاساسية لنظامه الاشتراكي اهمها تصفية التحالف الاقطاعي ـ الرأسمالي واحلاله بالسلطة السياسية لتحالف الشعب العامل المكون من العمال والفلاحين والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية ، مع سيطرة الشعب على ادوات الانتاج من خلال خطة اجتماعية ـ اقتصادية شاملة .

وقد عرّف عبدالناصر الاشتراكية بأنها « اقامة مجتمع الكفاية والعدل » . ويقصد بالكفاية « زيادة الانتاج في جميع المجالات » بما في ذلك « زيادة الرقعة الانتاجية الزراعية ، وزيادة المصانع وتدعيم كفايتها الانتاجية ، وتوسيع قاعدة الثروة الوطنية »، « اما العدل فهو يعني « توزيع الدخل القومي على ابناء الوطن دون ما استغلال او حرمان » .

« المفهوم الواضح البسيط للاشتراكية في تصوري هو أنه لا بد أن يكون الدخل القومي شركة بين المواطنين وبدونه وبدون ضمان عدالة التوزيع على الاساس الصلب المتين ، لا يعد الدخل القومي شركة بين المواطنين ، كل بقدر جهده الحقيقي في تحقيق هذا الدخل القومي » (١٦ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦١) .

والواقع ان تكرار اشارة عبد الناصر الى قيم العدل الاجتماعي والمساواة ، تؤكد ان عبدالناصر كان يهدف في المقام الاول الى انهاء الاستغلال الاجتماعي . بيد ان عبد الناصر حذر ان

العدل بدون الكفاية يعني توزيع الفقر ، كما ان الكفاية بدون العدل تعني مجرد زيادة تركز الثروات[١٣] . كذلك اكد ان السعي نحو المساواة الاجتماعية لا يعني السعي لتحقيق المساواة بين الافراد . فالاشتراكية تسعى الى تحقيق الفرصة المتكافئة لكل فرد ، ولكنها لا تسعى الى تحقيق المساواة بين الافراد الذين هم بطبيعتهم غير متساوين في امكاناتهم وجهودهم (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٦١) .

« لما أقول أذوب الفوارق بين الطبقات ، ما أقولش اذوب الفوارق بين الافراد ، لأن لكل واحد خواصه الاخلاقية وخواصه العملية . . . لما نقول نذيب الفوارق بين الطبقات يجب الا يخطر ببالنا اننا نعمل الناس زي علبة كبريت مثلاً ، مش ممكن لأن الناس بشر . . . واحد عنده اخلاق وواحد معندوش اخلاق ، واحد خايب جاهل ، لا نستطيع ان نذيب الفوارق بين هذا وذاك . لما أقول تذويب الفوارق بين الطبقات ، معناه ان الطبقة المستغلة او الرجعية التي تمثل تحالف الاقطاع مع رأس المال يجب ان تسقط ، ويجب ان يكون هناك فرصة للعدالة الاجتماعية ، وتكافؤ الفرص » (٢٦ ايار / مايو عام ١٩٦٢) .

« مش حاقدر بحال ان أذيب الفوارق بين الناس ، واحد غبي وواحد ذكي ، واحد مجدّ وواحد كسلان او واحد بيشتغل ليل نهار وواحد ما بيشتغلش . . . ازاي اخلي دا بيتساوى مع هذا ، لا يمكن ابداً . اللي بين الناس ما فيش ابداً مساواة ، كل واحد حسب جهده وكل واحد حسب عمله » (٤ تموز / يوليو عام ١٩٦٢) .

توافق هذا التحول الثوري في الاهداف الداخلية لعبد الناصر ، مع تحول مشابه في اهدافه العربية ، ذلك ان تواطؤ بعض النظم العربية المحافظة في عملية الانفصال السوري في ايلول / سبتمبر عام ١٩٦١ ، أقنع عبدالناصر بأنه لا بد من العمل على انهاء الوجود السياسي لتلك النظم ، وبالذات النظامين السعودي والاردني ، لأنها متحالفة مع الاستعمار من ناحية ، كما أنها تسعى الى انهاء النظام الثوري المصري من ناحية اخرى . وقد عبّر عبدالناصر عن هذا التحول في شعار « لا هدنة مع الرجعية » :

« لقد وقعنا في وهم خطير قادتنا اليه ثقة متزايدة بالنفس وبالغير . لقد كنا دائماً نرفض المصالحة مع الاستعمار ، ولكنا وقعنا في خطأ المصالحة مع الرجعية . لقد تصورنا انه مهما كان من خلاف بيننا وبين العناصر الرجعية فإنهم ابناء نفس الوطن وشركاء نفس المصير . ولكن التجربة اثبتت لنا خطأ ما كنا نتوهمه . أثبتت التجربة ان الرجعية ، وهي من ركائز الاستعمار ، لا تتورع عن الارتكاز عليه بدورها لسلب النضال الشعبي ثمراته الاجتماعية . . . ولا بد لنا الآن ، لسلامة النضال الشعبي ، ان نخلص انفسنا من هذا الوهم الخطير الذي تركنا

---

(١٣) وقد ضرب عبد الناصر مثالاً لذلك بقضية الاراضي الجديدة المستصلحة ، اذ ان منطق الكفاية البحتة كان يحتم بيع تلك الاراضي لمن يدفع ثمنها حتى تسترد الحكومة ما تكلفته في سبيل اصلاحها ، ولكن ذلك كان يعني تكريس التفاوت الاجتماعي لأن عرض الاراضي الجديدة للبيع يعني ان لا يتقدم للشراء سوى القادرين على دفع الثمن ممن يملكون الارض القديمة فعلاً ، ولذلك فإن منطق العدل يفرض توزيع تلك الاراضي على من حرموا العمر من التملك ، (٩ تموز / يوليو ١٩٦٠) .

انفسنا له . لا بد ان نقاتل الاستعمار في قصور الرجعية ، وان نقاتل الرجعية في احضان الاستعمار » (١٦ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦١) .

وقد استمر هذا الهدف سمة اساسية للفكر الناصري حتى حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ ، باستثناء فترة هدنة قصيرة خلال تجربة مؤتمرات القمة العربية ، والتي انتهت بانسحاب الجمهورية العربية المتحدة منها .

نتيجة لتركيزه على هدف القضاء على النظم الرجعية ، فإن عبدالناصر ادرك ان الوحدة العربية هي عملية تاريخية طويلة ، وان الهدف الآني في العلاقات مع الشعوب العربية يجب ان يكون هو تحقيق حد ادنى من التضامن يسمح بالعمل المشترك :

« اننا لا نسعى اطلاقاً الى فرض اي شكل بذاته (للوحدة) ليكون اساساً للتعاون ، فإننا نؤمن بأن التطور يجب ان يكون طبيعياً وعلى أساس من معتقدات الشعوب . على ان الذي يهمني قبل غيره هو التضامن العربي » (٢٩ ايلول / سبتمبر عام ١٩٥٨) .

وفي تعليقه على المناقشات التي دارت في العراق في أوائل عام ١٩٥٩ عن الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة قال :

« الموضوع ليس موضوع وحدة او اتحاد ، انما هو التضامن . . . انا الوحدة في ايماني فلسوف تجيء اذا كانت ارادة الشعوب العربية تقررها . ستأتي بالتطور بعد سنة اذا اراد الشعب العربي ان تأتي ، او بعد عشرة اذا اراد بعد عشرة ، ستأتي حسب الارادة » (٢١ شباط / فبراير عام ١٩٥٩) .

كما أكد عبدالناصر انه عندما فاتحه الوزير العراقي كامل الجادرجي في الاتحاد بين العراق والجمهورية العربية المتحدة ، رد عبد الناصر عليه بأن « يمحو من ذهنه فكرة اي اتحاد غير الاخوة العربية المشتركة وحسن النية الناجم عنها » (١٧ نيسان / ابريل عام ١٩٥٩) .

وفي مجال الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، حدد عبدالناصر ثلاثة اهداف اساسية : الاول ، هو اقرار السلام على خطوط الهدنة بين مصر واسرائيل من خلال وجود قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة، والثاني ، هو اقرار مشكلة مرور السفن الاسرائيلية في قناة السويس اما من خلال القضاء الدولي ، او من خلال التسوية السياسية الشاملة للصراع العربي ـ الاسرائيلي ، والثالث، هو تنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية بما فيها قرار التقسيم الصادر عام ١٩٤٧ .

بصفة عامة ، ظلت خطوط الهدنة المصرية ـ الاسرائيلية في حالة هدوء طوال الفترة من نهاية ازمة السويس في اوائل عام ١٩٥٧ حتى ايار / مايو عام ١٩٦٧ . وقد تحقق ذلك الهدوء من خلال وجود قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة على الجانب المصري لخطوط الهدنة . في ٨ آب / اغسطس عام ١٩٥٧ وعقب انتهاء ازمة السويس نجحت اسرائيل في ضمان مرور سفنها في خليج العقبة ، بيد انها أثارت على المستوى الدولي مشكلة مرور سفنها في قناة السويس . وقد رد

عبدالناصر على ذلك بأن عرض على اسرائيل احد حلين : الاول وهو حل قانوني يكمن في احالة المشكلة الى محكمة العدل الدولية لابداء رأيها في حق مصر في منع السفن الاسرائيلية من المرور في القناة . وأبدى عبدالناصر استعداده لقبول اي قرار تصدره المحكمة بشرط ان تعلن اسرائيل مقدماً عن قبولها لتحكيم المحكمة (٨ تموز / يوليو عام ١٩٥٧) . اما الحل الثاني ، فهو حل سياسي ، ومؤداه حل المشكلة من خلال التسوية السياسية الشاملة للقضية الفلسطينية طبقاً لقرارات الامم المتحدة الصادرة في هذا الشأن . فمن غير المنطقي ـ من وجهة نظر عبد الناصر ـ ان تتنازل مصر عن حقوقها القانونية بمقتضى اتفاقية القسطنطينية وتسمح لاسرائيل بالمرور في القناة ، في الوقت الذي ترفض فيه اسرائيل الامتثال لأي من قرارات الامم المتحدة :

« إن مرور اسرائيل لا يعتبر بأي حال من الاحوال ضمن حرية الملاحة في قناة السويس . ان مشكلة اسرائيل وعبور سفنها في قناة السويس انما هي جزء من مشكلة فلسطين وشعب فلسطين الذي حرم من حقه في الحرية والحياة » (٢٨ تموز / يوليو عام ١٩٥٩) .

« اصرارنا على منع بواخر اسرائيل وبضائعها من المرور في القناة لا يعتبر جزء من مشكلة حرية الملاحة ، بل هو جزء من المشكلة الفلسطينية . ومنذ سنة ١٩٤٨ حتى الآن اصدرت الامم المتحدة عدة قرارات بشأن الموقف بين العرب واسرائيل . . . . ولكن اسرائيل أغفلت ذلك واخذت تطالب بالمرور في قناة السويس . . . المسألة ليست حرية المرور في القناة ، وإنما هي المشكلة الفلسطينية برمتها » (٢٦ شباط / فبراير عام ١٩٦٠) .

ومن هنا ، فإن عبدالناصر التزم علناً بالسماح للسفن الاسرائيلية بالمرور في قناة السويس ، اذا نفذت التزاماتها طبقاً لقرارات الامم المتحدة ، ووعد بالتعاون مع اي لجنة تشكلها الامم المتحدة لهذا الغرض »[١٤] (٢٥ نيسان / ابريل عام ١٩٦٠) .

اما الهدف الرئيسي لعبدالناصر في مجال الصراع العربي ـ الاسرائيلي، فكان تنفيذ قرارات الامم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية ، بما فيها قرار التقسيم . فقد طولب عبدالناصر بأن يضع لاسرائيل مقترحات محددة لتسوية القضية الفلسطينية ، فأجاب :

« اننا على استعداد لأن نقبل قرارات الامم المتحدة ، اذا احترمت اسرائيل قرارات الامم المتحدة ونفذتها فعلاً . بالطبع ان القرارات الخاصة بفلسطين كل لا يتجـزأ . حق اللاجئين في العودة وحقهم في الممتلكات او التعويض عنها » (٩ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٥٩) .

---

(١٤) من الناحية الفعلية سمح عبد الناصر للبضائع غير الاستراتيجية المتجهة الى اسرائيل بالمرور في قناة السويس حتى ايار / مايو عام ١٩٥٩ حين تم ايقاف باخرة دنماركية تحمل بضائع متجهة الى اسرائيل بعد ان تعمدت اسرائيل ان تعلن مقدماً عن الباخرة وخط سيرها في تحدٍ سافر . وفي الوقت نفسه توصل عبد الناصر الى اتفاق مع داغ همرشولد، الامين العام للامم المتحدة آنذاك ، مؤداه الا يتم الاعلان عن اي شحنات اسرائيلية تعبر القناة ، وأن يتم بيع البضائع الاسرائيلية الى مشتريها قبل شحنها من الموانىء الاسرائيلية في طريقها الى القناة . بيد ان غولدا مائير ، وزيرة خارجية اسرائيل آنذاك ، اعترضت على هذه الخطة ، انظر :
Dan Hofstadter, *Egypt under Nasser*, 3 vols. (New York: Facts on File, 1973), vol. 2, p. 68.

جدول رقم (٥-٩)

التوزيع التكراري لعقائد عبد الناصر المتعلقة
بدور القائد السياسي ، للسنوات ١٩٥٧ - ١٩٦٧

العقيدة / السنة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	المجموع
٦ - دور القائد السياسي	٣	٥	٧	٦	١	١٠	٨	٧	١٢	٩	١	٦٩
تدخل سياسي نشيط (٪)	٣٣		٢٩	١٧		٦٠	٢٥	٢٩	٤٢	٧٨		٣٨
الرد الايجابي (٪)		٢٠	١٤					١٤				٤
التدخل كلما كان ممكناً (٪)	١٧		١٤			١٠						٦
الوساطة الاجتماعية (٪)				١٧								٢
رصد التطور (٪)									٨			٢
تجنب التدخل (٪)		٤٠			١٠٠		١٣	٢٩	٨			١٠
التدخل وإن كانت النتيجة غير مؤكدة (٪)							١٣					١
دور نشيط بالتعاون مع الآخرين (٪)		٤٠	٤٣	٦٦		٣٠	٥٠	٢٩	٤٢	٢٢	١٠٠	٣٧

ولذلك ، فإن عبدالناصر لم يكن مستعداً لقبول تسوية سياسية مع اسرائيل على اساس التعويض واعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين في البلاد العربية . فمثل هذه التسوية ، تعني قبول العرب للامر الواقع ، كما أنها تعني « عدوان يستتر خلالها بأردية السلام » (٢٠ ايار / مايو ١٩٦٣) . بيد انه أعلن انه مستعد لقبول التسوية السلمية مع اسرائيل اذا قبلت عودة كل اللاجئين الفلسطينيين (الاهرام ، ٢٠ تموز / يوليو عام ١٩٦٦) . اما اذا لم تقبل اسرائيل التسوية السياسية الشاملة ، فإن استراتيجية تحرير فلسطين هي البديل ، وهي الاستراتيجية التي سنعرض لها عند الحديث في جزء لاحق عن الاستراتيجيات السياسية الناصرية .

٥٥ ـ يجب على القائد السياسي أن يختار الاهداف القصوى .

٥٦ ـ يجب على القائد السياسي ان يتبع الاهداف الممكنة في مجال السياسة العربية والافريقية .

٥٧ ـ اذا اختار القائد السياسي اهدافاً قصوى ، فإنه يجب الا يغيرها او يتخلى عنها .

٥٨ ـ تمسك القائد السياسي بأقصى الاهداف ، لا يعني حتماً تمسكه بأساليب معينة لتحقيق تلك الاهداف .

استمر عبدالناصر ـ طوال هذه الفترة في الدفاع عن ضرورة اختيار الاهداف القصوى للعمل السياسي . ذلك ان قبول الاهداف الممكنة او قبول المساومة على الاهداف يعني « توقيع وثيقة استعبادنا » (١٧ ابريل / نيسان عام ١٩٥٩ ، ٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٩ ، ٧ ايار / مايو عام ١٩٦٠) .

وقد بنى عبدالناصر هذا الاعتقاد على اساس تصور اساسي مؤداه ان قضية التحقيق العاجل للاهداف ليست بقضية اساسية . فالقائد السياسي يجب ان يختار اهدافه بصرف النظر عن واقعية تلك الاهداف في الظروف الحالية وبصرف النظر عن النتائج المتوقعة في المدى القصير . ولذلك فإنه رفض ما اسماه « انصاف الحلول » مع قادة الانفصال السوري في ايلول / سبتمبر عام ١٩٦١ (٢٨ ايلول / سبتمبر ١٩٦١) ، وهاجم الرئيس التونسي بورقيبة في شباط / فبراير عام ١٩٦٧ لأنه اقترح التوصل الى حل وسط مع اسرائيل (٢٢ شباط / فبراير عام ١٩٦٧) .

بيد ان عبدالناصر كان مستعداً لقبول الاهداف الممكنة في مجالين محددين : العلاقات العربية والعلاقات الافريقية . ففي المجال العربي ، كان عبد الناصر مقتنعاً أن هدف الوحدة العربية الشاملة قد يتحقق في الوقت الراهن . ومن ثم ، فإنه من الضروري التركيز على الاهداف الممكنة في المرحلة الحالية وهي تحقيق التضامن العربي . وقد كان عبدالناصر شديد الوضوح في انه لا يسعى الى تحقيق وحدة عربية دستورية شاملة ، ولكنه يسعى الى تحقيق الوحدة الفكرية بين العرب :

« انني لا افكر الآن في اي نوع من الاتحاد الفيدرالي او التعاهدي او غيرهما من انواع الوحدة بين الدول العربية ، ولكني اوجه عنايتي اولاً الى اتحاد افكارنا وايماننا بالقومية العربية . وقد أثبت التاريخ ان توحيد جبهة العرب كان السبيل الى نجاحهم في قهر العدوان ، والمحافظة على استقلالهم » (١٠ آذار / مارس عام ١٩٥٧) .

ولذلك ، فإنه رغم ادراكه لحدود طاقات جامعة الدول العربية وقدرتها على تحقيق الهدف الاقصى للوحدة العربية ، فإنه كان مستعداً للعمل في اطار الجامعة من اجل تحقيق بعض الاهداف الممكنة :

« الجامعة العربية لها حدود ، الجامعة العربية لها قدرة . يبقى السؤال ، هل اذا كانت الحدود حدود ضيقة بنفك الجامعة العربية ؟ الجواب ، لا ؟ لأن الجامعة العربية مع الايام ممكن تقف ، وكل ده في صالح العمل العربي . الجامعة بتوحد ثقافياً وبتساعد اقتصادياً وبتعمل اعمال كبيرة جداً » (٣١ ايار / مايو عام ١٩٦٥) . « الجامعة العربية هي شكل من اشكال العمل العربي ، له ظروفه وله حدوده . وبرغم ضيق هذه الحدود بسبب طبيعة الاوضاع والتناقضات التي تحكم الجامعة ، إلا انه لم يكن من مصلحتنا ان نمزق الجامعة بل كان لا بد ان نأخذ منها كل ما تستطيع ان تثمره من مكاسب على صعيد العمل العربي » (٧ حزيران / يونيو عام ١٩٦٥) .

وفي مجال العلاقات الافريقية ، كان عبدالناصر يعتقد اعتقاداً جازماً بأنه « من الامور المحتمة أن نحدد لكل مرحلة من النضال الافريقي نصيبها من الاهداف » وبمعنى آخر « فإن المسؤوليات التي نتصدى لحملها يجب ان تتكافأ مع قواتنا الذاتية ، حتى نستطيع السير بها الى اهدافها » (٢٤ كانون الثاني / يناير عام ١٩٦١) . ولذلك ، نجده في كل خطاباته امام مؤتمرات القمة الافريقية ، يؤكد على انه من العبث البحث عن الوحدة الافريقية الدستورية على حساب امكانية تحقيق التعاون السياسي الممكن (٢٤ ايار / مايو ١٩٦٣ ، ١٧ تموز / يوليو ١٩٦٤) .

بمجرد ان يحدد القائد السياسي اهدافه القصوى ، فإنه من الضروري ان يتمسك بتلك الاهداف ولا يغيرها او يتخلى عنها ، حتى ولو كانت امكانية تحقيق تلك الاهداف القصوى - في المستقبل المنظور - تبدو محدودة . وقد عبر عبدالناصر عن ذلك في كثير من المناسبات باسم رفض «المساومة على الاهداف » ، او « التنازل عن الحقوق » . ولعل ذلك كان واضحاً وبالذات في مجال اهدافه المتعلقة بعروبة مصر ، واستقلال مصر الدولي ، والتنمية الاقتصادية المكثفة . فكثيراً ما اكد عبدالناصر تمسكه بالهوية العربية لمصر ، حتى بعد الانفصال السوري ، ولم تخل خطبة واحدة من خطبه بعد الانفصال في ذكرى الوحدة من التأكيد على انه لم يكفر « بالعروبة » رغم طعنة الانفصال . وفي احدى خطبه ناشد وزير الخارجية الامريكي دلاس ان يفهم انه لن يتخلى عن هدف الاستقلال الكامل لمصر ورفض الدخول في الاحلاف العسكرية . وذكر دلاس بمحادثاته معه عام ١٩٥٣ حيث ان الاهداف الاستقلالية التي عبر عنها في تلك المحادثات ما زالت هي اهدافه الحالية ولن تتغير (٢٧ تموز / يوليو عام ١٩٥٨) .

« شخصيتنا الدولية ليست موضوع مساومة ودورنا العالمي ليس سلعة مقايضة ، وحقنا في لقاء الشعوب المتحررة والتعاون معها من اجل سلام البشر جميعاً ليس للبيع او الشراء حتى ولو كان الثمن سلاحاً نحن في مسيس الحاجة اليه » (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٥٧) .

« ان اهدافنا واضحة ، وطريقنا شاق ولكننا نصمم على هذه الاهداف مع علمنا بصعوبة الطريق ... وسنقاتل الى آخر قطرة من دمائنا من اجل تثبيت هذه المثل وهذه الاهداف » (٢٤ شباط / فبراير عام ١٩٥٨) .

« اننا صممنا على ان نتبع المبادىء التي آمنا بها وأعلناها ، وهي مؤازرة الحرية في كل مكان ، ومؤازرة حق تقرير المصير . . . لن يغرينا شيء حتى نغير هذه المبادىء ، ولن يرهبنا التهديد والوعيد حتى نتخلى عن هذه المبادىء » (٤ حزيران / يونيو عام ١٩٥٨) .

« لا يمكن ان نساوم ، واي دولة تساوم على حريتها ، فهذه المساومة هي وثيقة العبودية » (٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٩) .

«يجب ان يكون لنا هدف ونسأل انفسنا ما هو هذا الهدف. ونحافظ عليه فما نجيش في حالة عصبية ونلاقي انفسنا في تنسية من النسيان » (٢٦ ايار / مايو عام ١٩٦٢) . «الهدف الذي نسعى اليه هنا في الجمهورية العربية المتحدة هو تحرير كل فرد عربي ، وكل وطن عربي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. ذلك هو الهدف الذي يجب ان نتذكره دائماً ولا ننساه . كما قلت قد تختلف السبل ، ولكن الهدف لا يختلف » (٣١ كانون الثاني / يناير عام ١٩٦١) .

تدلنا الفقـرة الاخيرة على انه رغم عقيدته في التمسك بالاهداف ورفضه للمساومات حول الاهداف ، فإنه كان يعتقد في المرونة في تطبيق الاهداف ، وذلك في « اطار المثل العليا واهداف نضالنا » (٢٦ ايار / مايو عام ١٩٦٢) .

وقد عبّر عبدالناصر عن اعتقاده الجازم في مرونة الاساليب المستخدمة لتحقيق الاهداف في عبارة حاسمة ذكرها في خطابه امام المؤتمر التعاوني في ٥ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٧ : في سياق حديثه عن عملية اجلاء القوات البريطانية عن مصر : « كان الهدف ثابتاً ، ولكن الحركة كانت دائماً متطورة متغيرة . أخذت في وقت من الاوقات شكل مفاوضات ، وفي وقت آخر ، اخذت شكل ازمات ، وفي وقت آخر اخذت شكل حرب عصابات في القناة » .

وفي خطابه امام مؤتمر المحامين العرب في ٣١ كانون الثاني / يناير عام ١٩٦١ : « الهدف ان نحرر كل وطن عربي وكل فرد عربي سياسياً واجتماعياً . اما الوسائل التي تمكننا من تحقيق هذا الهدف فقد نختلف عليها ولكن بحيث الا يكون هذا الاختلاف بأي حال من الاحوال دافعاً لنا لأن ننسى الهدف » .

وفي خطابه في ٢٢ / ٧ / ١٩٦١ اشار الى رسالة كنيدي اليه حول قضية فلسطين وان بعض معاونيه طلبوا منه عدم الرد ولكنه تمسك بالرد على كيندي على اساس ان « حركتنا تمتد على جبهة واسعة بين الكلمة والمدفع » .

« لقد يحدث ان تتغير اساليب النضال بتغير العصور . ولقد يحدث ان تتراكم العـوائق والحواجـز ، لكن الشعوب الحرة دائماً تجد طريقها الى اداء ادوارها المهيأة لها . تطور اساليبها ، وتعقد عزمها على تخطي العوائق والحواجز ثم تنطلق محققة نفسها بالغة اهدافها » (١٧ نيسان / ابريل عام ١٩٦٥) .

وفي ميثاق العمل الوطني اكد على اهمية الوضوح في رؤ ية الاهداف ومتابعتها بـاستمرار وتجنب الانسياق الانفعالي الى الدروب الفرعية ، ولكنه في الوقت نفسه اكد على اهمية « الحركـة السريعة الطليقة التي تستجيب للظروف المتغيرة التي يجابهها النضال العربي على ان تلتزم هذه الحركة باهداف النضال ومثله الاخلاقية » .

جدول رقم (٥- ١٠)

التوزيع التكراري لعقائد عبدالناصر المتعلقة بأسلوب اختيار الاهداف السياسية ، للسنوات ١٩٥٧ - ١٩٦٧

العقيدة / السنة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	المجموع
١ ـ طبيعة الاهداف												
السياسية	٣٩	٧٦	١٤٠	١٠٥	٦٢	٨٨	٥٤	٦٩	٩٢	٧٠	٣٢	٨٢٧
تدمير الاعداء (٪)	٨	١٦	١١ (٤)	١٧ (١)	٢٤ (٣)	٢٢ (١)	٣١ (٢)	١٤	٩ (٤)	١١ (٣)	٩	١٥١
قهرية (٪)		(١)		(١)	٢٧	٦	٦	١				٣
دفاعية (٪)	(١٥)	١٦ (٤)	١٩ (٦)	٨ (١)	٣٥	١	(٢)	٣ (٢)	٥ (٤)		١٦ (٦)	١١
توفيقية (٪)	١٨ (٣)	٩	١٠ (١)	٩ (٥)	٥	٥	٤٠	٩	٢١	١	١٦ (٦)	١٠
البحث عن السلام(٪)	٢١	٢٦	٩	١٠	١١	١٠ (٢)	٢٠	١٩ (٢)	٦١ (١)	٢٦	(٣)	٩,٩
التنمية الداخلية (٪)	٢٦	٢١	٤٣	٢١	٣٨	٥١	٢٤	٣٠	٣٣	٥٢	٩	٣٤
استعادة الحقوق (٪)	١٣ (١٠)	١١ (٧)	(٩)	٣٥ (٢٥)	١٠ (٦)	١١ (٥)	١٣ (٩)	٢٣ (١٧)	٢١ (٧)	١٠ (٦)	٤٧ (٤٠)	١٧
أ ـ اسلوب اختيار الاهداف	٣	١٥	١٩	٢١	٢٧	١٢	١١	٨	٢٦	٥	١٤	١٦١
اهداف قصوى (٪)	٦٧	١٠٠	٧٤	١٠٠ (٤٣)	٨٥ (٧)	١٠٠ (١٢)	١٣	٨٧ (١٣)	٧٧ (١٩)	١٠٠	١٠٠ (٧٧)	٨٨
اهداف ممكنة (٪)	٣٣		٢٦		١٥		٢٧	١٣	٢٣ (٤)			١٢
ب ـ تناقض الاهداف	٤	٢	١٢	٧	١٠	١١	١٣	٧	١	٤	٣	٧٦
الاهداف متكاملة (٪)	٥٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠ (١٤)	٧٠	٨٢ (٩)	٧٧	٨٦	١٠٠	٧٥	١٠٠	٨٤
الاهداف متناقضة (جدول												

يتبع

تابع الجدول رقم (٥-١٠)

العقيدة / السنة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	المجموع
زمني) (٪)	٢٥				٣٠	١٨	٨	(١٤)		٢٥		١١
الاهداف متناقضة (ترتيب اولويات) (٪)	٢٥						١٥ (٧)					٥
ج - امكانية تعديل الاهداف والوسائل	١	١	٢	١	٢	٥	٨	٣	٧	٧	٣	٤٠
تعديل الاهداف (٪)									(١٤)	١٤		٣
احلال الاهداف (٪)												٣
التخلي عن الاهداف (٪)	١٠٠		٥٠									٥
تعديل الوسائل (٪)		١٠٠	٥٠	١٠٠	١٠٠	٦٠						٥٩
احلال الوسائل (٪)						٢٠	٣٨	١٠٠	٧٢ (١٤)	٧١	٣٣	٢٠
التخلي عن الوسائل (٪)						٢٠	٦٢		(١٤)	١٥	٦٧	١٠

وقد تجسّد هذا الاعتقاد في مرونة الاساليب في رفض عبدالناصر اعتناق ايديولوجية او نظرية معينة يمكن ان تفرض عليه مقدماً أساليب محددة للعمل السياسي ، وفضّل دائماً أن يتخذ القرارات ويحدد الاساليب طبقاً لطبيعة المشكلة محل البحث . ولذلك ، فإن احد الافكار الاساسية في الوثائق الناصرية هي التأكيد ان النظريات الاشتراكية متشابهة ، ولكن ادوات التطبيق والممارسة الاشتراكية تختلف من دولة لأخرى . ومن ثم ، لم يكن غريباً أن تجده يحاضر في الكوادر السياسية للاتحاد الاشتراكي العربي مؤكداً امكانية تبني الاساليب الرأسمالية في الادارة والصناعة طالما أن هدف انهاء الاستغلال الاجتماعي ما زال هو الهدف الرئيسي . (في التنظيم والحركة ، ٧ آذار / مارس عام ١٩٦٦) . كذلك انتقد عبدالناصر بشدة هؤلاء الذين عارضوا قراره بتحويل بورسعيد الى منطقة حرة على اساس أن ذلك يتعارض مع الاشتراكية . وقد أسس عبدالناصر انتقاده على اساس ان « اي حاجة نكسب منها نعملها » (١٥ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٥) .

امتداداً للعقيدة نفسها ، كان عبدالناصر يرى انه من الممكن قبول اي وسيلة لتحقيق الوحدة العربية طالما ان تلك الوسيلة ستفي بالهدف المطلوب . فهدف الوحدة العربية يمكن أن يتحقق من خلال العديد من الوسائل التي تتراوح بين الوحدة الدستورية وبين مجرد التعاون السياسي العام في شكل وحدة الهدف (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٦٣) . كذلك ، اتبع عبدالناصر اساليب متعددة في التعامل مع النظم العربية كاسلوب وحدة الصف واسلوب وحدة الهدف . وقد برر اتباعه لتلك الاساليب المتفاوتة بالمرونة التكتيكية وبتغير الظروف الذي يفرض دائماً اساليب جديدة (٢٢ شباط / فبراير عام ١٩٦٢ ، ٢٢ شباط / فبراير عام ١٩٦٧) .

ب ـ مناهج تحقيق الاهداف السياسية

٥٩ ـ هناك توافق أساسي بين الاهداف الاساسية العربية .

٦٠ ـ هناك تناقض محدود بين الاهداف العربية في مجال الصراع العربي ـ الاسرائيلي . يمكن حل هذا التناقض من خلال تبني جدول زمني لتطبيق الاهداف .

٦١ ـ المنهج الامثل لتطبيق الاهداف في كل المجالات ـ عدا مجال التنمية الاقتصادية ـ هو المنهج التدرجي .

٦٢ ـ الوظيفية الجديدة هي المسلك الامثل لتحقيق التكامل العربي .

٦٣ ـ لا يمكن الاقتراب من هدف التنمية الاقتصادية الا من خلال منهج التعبئة الشاملة والدفعة القوية .

قدمنا في تحليلنا للعقائد الناصرية خلال الفترة الاولى ، ان عبدالناصر كان يعتقد ان اهدافه السياسية الكبرى لا تتناقض مع بعضها البعض ، وان كانت الاهداف التكتيكية قد تتناقض خلال الفترة محل البحث . وقد حدث تحول في التصور الناصري لتكامل وتعارض الاهداف ، مؤداه

التركيز على تكامل الاهداف ، حتى لو كان هناك تعارض بينها من منظور الحساب الرشيد مع اسقاط الاشارة الى اي تعارض بين الاهداف التكتيكية . فإذا قارنا الجدول رقم (٤ـ٨) والجدول رقم (٥ـ١٠)، وجدنا انه خلال المرحلة الاولى ، كان عبد الناصر يؤكد في ٢٣ بالمائة من اشاراته الى تناقض او تكامل الاهداف ، ان اهدافه متكاملة ، بينما ارتفعت تلك النسبة الى ٨٤ بالمائة في المرحلة الثانية(١٥).

ففي مجال العمل الداخلي ، اكد عبدالناصر على ان الثورة السياسية والثورة الاجتماعية متكاملتان . فتحقيق الثورة السياسية هو شرط أساسي لبدء الثورة الاجتماعية ، كما أن الثورة الاجتماعية بدورها تفتح مجالات ارحب للثورة السياسية (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٦١) . وبالمثل ، فإن الاشتراكية لا تتناقض مع الديمقراطية ، بل هما هدفان متكاملان :

« هناك امتزاج كامل بين الاشتراكية والديمقراطية .بدون الاشتراكية ـ التي هي في مضمونها تحرير الفرد من الاستغلال ـ لا يمكن أن تكون هناك ديمقراطية . كما أنه بدون الديمقراطية ـ التي هي في مضمونها اشراك كل فرد في التوجيه ـ لا يمكن أن تكون هناك اشتراكية . . . هناك اذاً اتصال عضوي بين الاشتراكية والديمقراطية ، حتى ليصدق القول ان الاشتراكية هي ديمقراطية الاقتصادية ، كما أن الديمقراطية هي اشتراكية السياسة » (٩ تموز / يوليو عام ١٩٦٠) .

كذلك ، فالاستقلال السياسي لا يمكن ضمانه بدون الاستقلال الاقتصادي (٩ ايار / مايو عام ١٩٦٤) ، والاشتراكية لا تتعارض مع الدين (٢٥ شباط / فبراير عام ١٩٦٥) .

وعلى المنوال نفسه ، تصور عبدالناصر ان الاهداف الاساسية المتبعة في مجال السياسة الخارجية والعلاقات العربية ، اهداف متكاملة ، ويجب ان تتبع في آن واحد . فهدف الوحدة العربية ، لا يتناقض مع مطلب الجامعة الافريقية او هدف التضامن الاسلامي (١ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٣) ، كما أن مساندة الحركات الثورية العربية لا يتعارض مع سياسة مؤتمرات القمة العربية (٢٢ شباط / فبراير عام ١٩٦٤) .

---

(١٥) الواقع ان تأكيد عبدالناصر على تكامل الاهداف العربية يؤكد فرضية القيمة الواحدة في النظرية الادراكية . وجوهر فرضية القيمة الواحدة ، هو ان آلية تحليل المعلومات في العقل البشري تتجه عادة الى انكار اي علاقة تعارض بين القيم الكامنة في اي موقف محدد ، ما لم يتم اجبار العقل البشري على ذلك من خلال ضغوط البيئة . فبدلاً من المقارنة بين منافع كل قيمة ـ طبقاً لما تتصوره النظرية التحليلية الرشيدة ـ فإن العقل البشري يفصل بين القيم ويتظاهر بأن تلك القيم يكمل بعضها البعض في اطار قيمة واحدة ، انظر :
John Steinbruner, *The Cybernetic Theory of Decision* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1974), pp. 103-108.

وتتضح صحة هذا الفرض بالنسبة لعبدالناصر ، في تأكيده على تكامل القيم السياسية الاساس ، كالتكامل بين الوحدة العربية والانتماء الافريقي ، رغم ان هناك تعارضاً من الناحية التحليلية البحتة ، بين تلك القيم . فلا يمكن لمصر ـ مثلاً ـ ان تدخل في وحدة دستورية افريقية واخرى عربية في الوقت نفسه .

وفي مجال العمل العربي ، تصور عبدالناصر وجود ثلاث ثورات متكاملة هي : الثورة الوطنية لتحقيق الاستقلال السياسي ، والثورة العربية لتحقيق الوحدة العربية ، والثورة الاجتماعية لتحقيق العدل الاجتماعي ، وقد اشار عبدالناصر الى ان هذه الثورات متلازمة وتكمل كل منها الاخرى . وقد عبّر في حديثه الى اعضاء المؤتمر العام للاتحاد القومي في ٩ تموز / يوليو عام ١٩٦٠ بقوله :

« لقد دخلت معكم ، بل دخلت بكم الى هنا ثلاث ثورات مجيدة عاشتها الامة العربية . . . ودفعها الامل في كل الاحيان حتى قطعت الطريق الى هنا حيث تلتقي الثورات الثلاث لكي تتفاعل معاً وتنسجم ولكي تكون نقطة لقائها . . . : ثورة وطنية في كل قطر عربي تحفزه على مجابهة الاستعمار . . . وثورة عربية في كل قطر تدفعه الى تخطي الاسوار والى كسر الاسوار والحواجز المادية التي تتمثل في الحدود التي اصطنعها الدخيل الغاصب . . . وثورة اجتماعية في كل قطر عربي تحفزه الى طلب الحياة لكل فرد من افراده تحقيقاً للعدل . . . » .

إن المجال الوحيد الذي اعترف عبدالناصر فيه بتعارض القيم السياسية هو الصراع العربي ـ الاسرائيلي . فهدف التخلص من النظم الرجعية يقتضي حتماً تأجيل هدف تحرير فلسطين ، كما أن التضامن مع النظم الرجعية من شأنه تعطيل عملية التحرير . وقد تصور عبد الناصر ان حل هذه الاشكالية يتطلب اتباع تلك الاهداف المتعارضة في اطار جدول زمني يبدأ بتحقيق الهدف تلو الآخر ، على نحو ما سنوضحه حالاً .

استمر عبدالناصر طوال تلك الفترة يؤمن بالتدرجية والذرائعية ، والمحاولة والخطأ كمناهج اساسية لتحقيق الاهداف . وقد تجلى ذلك في رفضه اعتناق اي نظرية او ايديولوجية محددة مفضلاً اسلوب التجريب من خلال المحاولة والخطأ . وفي خطابه امام اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني للقوى الشعبية في ٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦١ ، انتقد هؤلاء الذين طالبوه بتحديد نظرية واضحة للعمل الوطني . ولكنه رد عليهم قائلاً ان النظرية ليست الا دليلاً للعمل، يجب ان يستقى من واقع الممارسة الواقعية ، كما ان صياغة النظرية هي عملية معقدة قوامها المحاولة والخطأ . وفي ميثاق العمل الوطني رفض الانحياز الى نظرية معينة على اساس انه نوع من « المراهنة الفكرية ! » المطلوب اذاً هو « الوضوح الفكري » و« التجريب » :

إن الوضوح الفكري اكبر ما يساعد على نجاح التجربة، كما أن التجربة تزيد من وضوح الفكر وتمنحه قوة وخصوبة تؤثر في الواقع وتتأثر به ، ويكتسب العمل الوطني من هذا التبادل الخلاق امكانيات اكبر لتحقيق النجاح» (ميثاق العمل الوطني ، الباب الثامن) .

من ثم فإن المنهج الناصري في تحقيق الاهداف كان يتأسس على التجربة والمحاولة والخطأ والتدرجية والتمهيد ، فبمجرد ان يتحدد الهدف الاقصى ، يجب ان يتحقق هذا الهدف من خلال

سلسلة من الاجراءات التدرجية المتتالية التي تسترشد الطريق الصحيح من خلال التطبيق[١٦] .
وقد ضرب عبدالناصر مثالاً بالقرآن للدلالة على صحة هذا المنهج ، فالقرآن نزل على النبي عليه الصلاة والسلام عبر ثلاث وعشرين سنة وطبقاً للظروف السائدة وللوفاء باحتياجات محددة . وقد تدرجت الآيات القرآنية المتعلقة بالخمر في درجة التحريم حتى وصلت الى حد التحريم الكامل . كذلك ، فلم يعط الله سبحانه وتعالى للنبي عليه الصلاة والسلام نظرية جاهزة ليطبقها على البشر ، ولكنه تقدم خطوة خطوة حتى اتضحت النظرية القرآنية في النهاية .

« اللي بيقولو ايه هي النظرية بيعقدوها اوي ، بيصعبوها ، يعني عملية تعجيز . ربنا ادانا مثل في هذا عشان نطبقه في الحياة . في الاسلام ، كان يقدر ينزل مع سيدنا جبريل كتاب مطبوع ومتجلد ويقول له دي النظرية ، آدي القرآن ، آدي العقيدة . ما عملش كدة ليه ما عملش كدة علشان يدينا في هدينا عبرة لينا وعظة لينا نتبعها . . . بيمشي مرحلة ورا مرحلة لغاية ماجه في الآخر وحرمها (الخمر) . ٢٣ سنة لغاية ما نزل القرآن ، ليه ربنا عمل كدة ؟ حتى يعطينا الفرصة والدليل او الوسيلة التي نعمل بها في حياتنا . النظرية هي دليل العمل بعدين من اي شيء بتيجي النظرية؟ من دراسة المشاكل » .

وفي الفصل الخامس من ميثاق العمل الوطني اعاد التأكيد على اهمية التجربة كمنهج لتحقيق الاهداف :

« ان تجربة الصواب والخطأ هي في حياة الامم - شأنها في حياة الافراد - طريق النضج والوضوح » .

نعتبر المنهج الناصري ازاء قضايا البناء السياسي وتحرير فلسطين ، والوحدة العربية نموذجاً لعقيدة التدريجية والتمهيد كمنهج لتحقيق الاهداف بالنسبة لقضية البناء السياسي ، فقد عبّر عبد الناصر ، ان المنهج الامثل هو المنهج المبني على كل منطق الانتقال التدريجي من مرحلة الى مرحلة بحيث لا يتم الانتقال الى الخطوة التالية الا بعد التأكد من نجاح الخطوة السالفة بناء على الظروف المحلية .

« هذه هي الخطوط الاساسية للمجتمع الاشتراكي التعاوني الديمقراطي كما اتصوره . ونعتبر اننا سننتقل من مرحلة الى مرحلة ، وفي كل مرحلة سنرى ما هي العيوب الموجودة لنقاومها » .

---

(١٦) الاستثناء الوحيد الذي اورده عبدالناصر على المنهج التدرجي ، هو منهج العمل في مجال التنمية الاقتصادية . فقد اعتقد عبدالناصر ان ضخامة المشكلات الاقتصادية التي تواجهها تتطلب اللجوء الى منهج التعبئة الشاملة لكل الموارد من اجل اعطاء الاقتصاد الوطني دفعة قوية سريعة على طريق التنمية (٢٤ تموز / يوليو عام ١٩٥٩ ؛ ٩ تموز / يوليو ١٩٦٠ ، و٢٨ تموز / يوليو ١٩٦٣) . وقد عبّر عبدالناصر عن هذا المنهج بتأكيده على ضرورة انجاز في عشر سنوات ما حققته اوروبا في مائة سنة (٢٤ تموز / يوليو ١٩٦٢) .

« العالم يتقدم بخطى واسعة ،تتضاعف كل يوم بل كل ساعة الفوارق بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة . كذلك فإن وسائل المواصلات وتقدمها الخيالي وما ترتب على ذلك من الاتصال الفكري المباشر على النطاق العالمي ، مضافاً اليه ضغط المبادىء المختلفة التي تسندها الدول الكبرى بالاشكال المختلفة من فنون الحرب الباردة ، كل ذلك جعل السرعة في العمل امراً لا يقل اهمية عن العمل ذاته . فقد اصبح علينا أن نعمل بسرعة مضاعفة لكي نعوض ما فات من ناحية . . . علينا أن نتذكر ان ظروفنا لا تحتمل اي تردد او اي انتظار » (٩ تموز / يوليو ١٩٦٠) .

« إذا قضينا على استغلال الفرد وحققنا العدالة الاجتماعية لكل فرد نكون قد مشينا مرحلة اخرى . كل مرحلة نستعرض ما عملناه والعيوب التي رأيناها ونبتدي نبني ونقيم المرحلة الاخرى . طبعاً الطريق لا يمكن أن يكون واضحاً ، ولا اعتقد ان احداً يقدر أن يأتي بورقة وقلم ويرسم الا اذا كان بينقل من بلد ثانٍ » (٥ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٧) .

« نحن مطالبون بأن ندرس تجارب الآخرين حتى نستطيع ان نستفيد منها ولكننا لا نستطيع بأي حال من الاحوال ان ننقلها . ولهذا فنحن صممنا ، نقول اننا نبني المجتمع الجديد فإننا لا نبني فقط وانما نصمم . وهذا التصميم يتطور بشكل مع تطور المجتمع ومع حاجات المجتمع ومع وظيفة المجتمع » (٢٦ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٨) .

كذلك ، فقد تصور عبد الناصر أن تحرير فلسطين هو عملية تاريخية طويلة ستحدث نتيجة لارتباط العرب التاريخي بفلسطين . ومن ثم ، تقدّم عبدالناصر بمشروع قومي لتحرير فلسطين يتضمن مجموعة من الخطوات والاجراءات التي تطبق آنياً وتدريجياً كتمهيد لتحرير فلسطين . اساس هذا المشروع هو العمل للقضاء على النفوذ الاستعماري ـ الرجعي في الوطن العربي ، ببناء القاعدة الاقتصادية للعمل العربي ، وتحقيق الوحدة العربية الشاملة . وكان عبد الناصر يعتقد ان تحقيق هذا المشروع القومي سيؤدي الى استعادة حقوق فلسطين ، بدون معركة عسكرية :

« التخلف هو الشيء الوحيد الذي يضمن البقاء لاسرائيل على ارضنا الى الابد . والخطر الاسرائيلي يتلاشى حتى قبل المعركة العسكرية الفاصلة اذا تمكنت الامة العربية ان تخلّص نفسها من التخلف » (٢٢ شباط / فبراير عام ١٩٦٢) .

« أعتقد انه مما يساعد على ذلك (استعادة حقوق الشعب الفلسطيني) ان نبني اقتصاد العالم العربي ، وأن نرفع مستوى معيشة ابنائه لكي نبلغ المرحلة التي يتاح لنا فيها ان نمارس من الضغط على الاسرائيليين ومن وراءهم بما يجعلهم يدركون عبث مقاومتهم » (حديث الى ديفيد مورغان في حزيران / يونيو عام ١٩٦٢) .

« إذا تحررنا من الاستعمار فإننا نخطو خطوة في تحرير فلسطين ، واذا تحررنا من اعوان الاستعمار فإنا نخطو خطوة اخرى في سبيل تحرير فلسطين ، واذا قوينا جيشنا وصنّعنا الاسلحة فإننا نخطو خطوة اخرى في سبيل تحرير فلسطين واذا صنعنا الطائرات والنفاثة والدبابات فإننا نخطو خطوة اخرى في سبيل تحرير فلسطين » (١٩ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٠) .

« القوة الذاتية العربية خطر على اسرائيل . الصناعات الثقيلة خطر على اسرائيل . الاشتراكية خطر على اسرائيل . بناء مجتمع جديد خطر على اسرائيل . السد العالي ، طاقات الكهرباء ، كل هذه مسائل تحدث تحولات اساسية في قدرة العرب على مواجهة اي تصرفات عدوانية » (٩ آذار / مارس عام ١٩٦٥) .

بالاضافة الى ذلك ، كان عبد الناصر مؤمناً بضرورة اتباع منهج « تعدد المسالك » ، بحيث يتم استثمار كل الاساليب المتاحة ، حتى وان كانت تبدو غير قادرة على تحقيق الهدف . ولذلك، دافع عن استثمار اسلوب جامعة الدول العربية ، واسلوب مؤتمرات القمة العربية ، واسلوب العمل الثوري العربي في آن واحد :

« في تصدينا لقضية فلسطين ، لا بد ان نحدد مسالك العمل العربي المختلفة ، ونفهم حدود كل منها ، والطاقة التي يمثلها كي لا تتصادم هذه المسالك فيما بينها ، وكي نتمكن من كل مرحلة باسلوب العمل المناسب لها . الجامعة العربية هي شكل من اشكال العمل العربي له ظروفه وله حدوده . . ولا بد ان نأخذ منها كل ما تستطيع أن تثمره من مكاسب على صعيد العمل العربي . . . فقد اعلنت في كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٣ الدعوة الى مؤتمر الملوك والرؤساء ، وكان هذا المؤتمر المسلك الثاني من مسالك العمل العربي . وكنت اعتقد ان العمل العربي الموحد المنبثق عن سياسة القمة يمكن أن يسير بنا خطوة جديدة في طريق تحقيق هدفنا المرحلي . . . الا انه لم يخطر ببالي انه يمكن أن تتحرر فلسطين بالمؤتمرات ، فبالعمل الثوري نستطيع بناء القوة الذاتية العربية » (٧ حزيران / يونيو عام ١٩٦٥) .

وقد انبنى منطق المشروع الناصري لتحرير فلسطين على اساس التطور الحتمي للتطور التاريخي الذي أشرنا اليه عند تحليل العقائد الفلسفية ، كما تأسس على افتراض العلاقة العضوية بين اسرائيل وبين الاستعمار والرجعية . فإذا كانت اسرائيل عميلة للاستعمار ، فإنه من المنطقي التركيز على تحطيم نفوذ السيد الاستعماري لأن ذلك سيقلل حتماً من نفوذ العميل الاستعماري (اسرائيل) :

« استطاع الغزاة والصليبيون ان يحتلوا القدس لمدة ٨٨ سنة ، فهل هذا صرف العرب عن اهدافهم في تحرير ارضهم ؟ ابداً ، لأن الحروب الصليبية استمرت ٢٠٠ سنة ، ولكن رغم هذا صمم العرب على ان يحرروا القدس فحرروها بعد احتلال دام ٨٨ سنة ، هذه هي الروح العربية الاصيلة التي سار عليها الاجداد وهذه هي الروح التي نسير عليها اليوم » (٧ ايار / مايو عام ١٩٦٠) .

« إذا أردنا أن نستعيد حقوق شعب فلسطين فلا بد أن نقضي على الاستعمار وعلى اعوان الاستعمار ، ولا بد ان نقضي على الخيانة والبلاء ، ولا بد ان نتجه جميعاً رغم مؤامرات الاستعمار لتحقيق اهدافنا الكبرى في تثبيت استقلالنا وفي تطوير بلادنا ثم نتجه جميعاً مسلحين بالوحدة الوطنية نحو اقامة الوحدة الكبرى ، الوحدة العربية ، هذا هو سبيلنا من اجل تحرير فلسطين » (١٦ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٠) .

« يثبت استقراء التاريخ والتجربة انها (اسرائيل) بغير الاستعمار لا تكون . هي له لخدمته ولاهدافه في السيطرة والاستغلال . يرتبط بذلك ان وجودها هو امتداد للوجود الاستعماري . وينبع من ذلك ان انتصار الحرية والسلام في تصفية الوجود الاستعماري لا يمكن أن تمضي بغير اثر على الوجود الاسرائيلي . معركة واحدة متصلة وان اتسع ميدانها ليشمل قارات بأكملها . وحين تحقق الحرية انتصارها الكامل في افريقيا ـ ولسوف تصل الى ذلك مهما كانت الصعاب ـ فإن شمس الاستعمار الغاربة سوف تسقط في المحيط تجر أذيالها وراءها ، ولن تهرب اسرائيل من المصير » (٢٥ آذار / مارس عام ١٩٦٤) .

« انا باقول ان الزمن معانا ، وانا باقول ان القوى البشرية العربية تستطيع ان يكون لها النفوذ في الاسلحة اللي ممكن الغرب يديها لاسرائيل . وبقول ان احنا مش حانحرر النهاردة فلسطين ، ولكن سنعمل على تحرير فلسطين ببناء بلدنا ذاتياً » (١ ايار / مايو عام ١٩٦٥) .

بالاضافة الى ذلك ، فإنه انطلاقاً من العلاقة العضوية بين اسرائيل وبين الرجعية العربية ،

ومن تصور ان الاخيرة هي السبب الرئيسي للهزيمة العربية في فلسطين عام ١٩٤٨ ، فإن عبد الناصر اعتقد ان اي عمل لتحرير فلسطين يجب ان ينتظر حتى يتم تصفية النظم الرجعية العربية (١٧ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٠ ، ١٩ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٠ ، ٢٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٢) . وحتى يتم تحقيق الوحدة العربية الشاملة (٢٢ شباط / فبراير عام ١٩٦٢ ، ٨ آذار / مارس عام ١٩٦٥) . فقد اعترف عبدالناصر انه لا يمتلك خطة اجرائية لتحرير فلسطين ، ولكنه يتصور ان الوحدة العربية وتصفية النظم الرجعية العربية يفتح الباب امام تحرير فلسطين :

« الوحدة العربية هي املنا في تحرير فلسطين . الوحدة العربية نوع من انواع الاستعداد . نستعد بشرياً ونستعد قومياً ونستعد وطنياً ، ونستعد بالاسلحة ، ونستعد بالطائرات ، ونستعد في كل الميادين . . وأنا زي ما قلت قبل كده ما عندناش خطة لتحرير فلسطين ، خطة مباشرة ، لكن عندنا خطة اذا هجمت علينا اسرائيل او هجمت على اي بلد عربي نعمل ايه ، ولكن يجب علينا أن نستعد ، عندنا خطة للاستعداد ولتوحيد العالم العربي وتوحيد العالم العربي هو الذي يحمي العالم العربي » (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٦٣) .

وقد تمسك عبد الناصر بهذه العقيدة رغم تحدي النظامين السعودي والاردني ، اللذين تحديا عبدالناصر ان يتقدم خطوة لتحرير فلسطين ، وطلبا منه ان يحدد للجماهير العربية ، ماذا ينتظر لتحقيق هذا الهدف ، أجاب عبد الناصر قائلاً :

« منتظر حتى اخلص على الرجعيين اولاً والطابور الخامس الموجود في البلاد العربية . ازاي حاندخل ونسيب الطابور الخامس الرجعي . منتظر ان الشعوب العربية تتخلص وتطهر نفسها من الطابور الخامس . وتبقى بعد كدة معركة تحرير فلسطين قربت » (٢٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦١) .

وبعد عام كامل أعاد تأكيد التحليل نفسه : « سنكون قادرين على تحرير الارض السليبة في فلسطين بعدما ننظف جبهاتنا الداخلية ، بعدما نخلص من الرجعية المتآمرة مع الصهيونية والاستعمار والملك حسين المتآمر مع الصهيونية والاستعمار » (٢٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٢) .

وباختصار ، فإن المنهج الناصري لتحرير فلسطين كان مبنياً على منظوره التاريخي للسياسة . اذ انه يتصور ان استعادة حقوق شعب فلسطين ستتم فقط حينما يبني العرب قاعدة اجتماعية ـ اقتصادية متحدة وقوية ، ويخلصوا انفسهم من النفوذ الاستعماري ـ الرجعي . فإذا تم تنفيذ هذا البرنامج بشكل تدريجي وعقلاني ، فإن ذلك يخلق تغييرات كيفية اساسية في ميزان القوى العربي ـ الاسرائيلي من شأنها أن تجبر اسرائيل على قبول الحقوق الفلسطينية .

إذا كان ذلك كذلك ، فعلى عاتق من تقع مسؤولية تطبيق هذا المنهج ؟

كان عبد الناصر يعتقد أن تطبيق المنهج يقع على عاتق « القوى الثورية العربية » فالقوى اللاثورية ـ في تصوره ـ متحالفة مع الاستعمار والصهيونية ، ولن تستطيع ان تسير في الطريق الى نهايته :

« علينا أن نستعد حتى لا تتكرر مأساة سنة ١٩٤٨ ، ذلك واجبنا كطليعة ، وذلك واجبنا كقاعدة للتحرر العربي . هذا البلد يتحمل تاريخياً اكبر قسط من المسؤولية ، لأننا تحررنا تحرراً كاملاً وليس هناك اثر لنفوذ اجنبي علينا » (٢ تموز / يوليو عام ١٩٦٢) .

« الرجاء الاصيل معقود على القوى الثورية العربية . هي وحدها التي تقدر على القطيعة الكاملة مع الاستعمار ، وهي وحدها التي تقدر على اجباره على ان يفك قواعده الباقية فوق الارض العربية ، وهي وحدها التي تقدر على مواجهة التصفية الحاسمة للخطر الصهيوني » (٢٧ كانون الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٥) .

وبالمثل ، فإن النهج الناصري ازاء قضية الوحدة العربية كان ينبني على منطق التدرجية والتمهيد المسبق . فقد نظر عبدالناصر الى عملية التكامل العربي على انها ستتحقق من خلال تفاعل القوى الثورية العربية على مستوى الشعوب والحكومات ، والبناء التدرجي للقاعدة الاجتماعية ـ الاقتصادية للتكامل قبل الدخول في التكامل السياسي[١٧] . وفي ميثاق العمل الوطني حدد عبدالناصر مجموعة من الخطوات المتتابعة التي من شأنها تمهيد الطريق للتكامل العربي الشامل . تبدأ هذه الخطوات باقامة حكومات وطنية في البلدان العربية ، تدعيم الوحدات الجزئية في الوطن العربي ، الدعوة السلمية والتطبيق العلمي للمفاهيم التقدمية للوحدة ، وملء الفجوات الاقتصادية والاجتماعية بين البلدان العربية ، مع فتح الطريق امام تفاعل التيارات الفكرية الوحدوية العربية . وحذر من اي مسارعة بتنفيذ خطوة على حساب الخطوات الاخرى من شأنها ان تخلق فجوات وهزات يمكن أن تنسف العملية التكاملية ذاتها :

« إن اي حكومة وطنية في العالم العربي ـ تمثل ارادة شعبها ونضاله في اطار من الاستقلال الوطني ـ هي خطوة نحو الوحدة من حيث انها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الآمال النهائية في الوحدة ، ان اي وحدة جزئية في العالم العربي تمثل ارادة شعبين او اكثر من شعوب الامة العربية هي خطوة وحدوية متقدمة تقرب من يوم الوحدة الشاملة . . . ان الدعوة السلمية هي المقدمة ، والتطبيق العلمي لكل ما تتضمنه الدعوة من مفاهيم تقدمية للوحدة هو الخطوة الثانية للوصول الى نتيجة محققة . ان استعمال مراحل التطور نحو الوحدة يترك من خلفه ـ كما اثبتت التجارب ـ فجوات اقتصادية تستغلها العناصر المعادية للوحدة كي تطعنها من الخلف . ان تطور العمل الوحدوي نحو هدفه النهائي الشامل يجب ان تصحبه بكل وسيلة جهود عملية لملء الفجوات الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن اختلاف مراحل التطور بين شعوب الامة العربية . ان جهوداً عظيمة ودائمة يجب ان تتجه ايضاً الى فتح الطريق امام التيارات الفكرية الجديدة حتى تحدث اثرها في محاولات التمزيق وتتغلب على بقايا التشتت الفكري » (ميثاق العمل الوطني ، الفصل التاسع) .

بالاضافة الى ذلك ، تصور عبدالناصر ان العملية الوحدوية العربية هي عملية تدريجية لا

---

(١٧) ولذلك ، رفض عبد الناصر في البداية المطلب الذي تقدم به بعض السياسيين والعسكريين السوريين عام ١٩٥٧ واوائل عام ١٩٥٨ ، لاقامة وحدة قوية بين مصر وسورية . كانت وجهة نظر عبد الناصر ان مثل هذه الوحدة تحتاج الى خمس سنوات من التمهيد على الاقل . وقد اكد عبدالناصر ذلك في خطبه اثناء الوحدة . (٢٦ شباط / فبراير ١٩٥٨ ؛ ٢٠ اذار / مارس ١٩٥٨ ، و ٢٩ ايلول / سبتمبر ١٩٦١) .

تتحقق الا بالموافقة الاختيارية الاجماعية للقوى الشعبية في كل دولة عربية . فمن ناحية اكد عبدالناصر على عنصر الاختيار التطوعي البحت كأساس للوحدة العربية ، بمعنى موافقة القوى السياسية والشعبية قبل الدخول في العملية الوحدوية كشرط اساسي للبدء في التجربة .

« لن نقبل بأي حال من الاحوال ان نتحد مع بلد عربي لا يجمع على الاتحاد ، وقد قبلنا الاتحاد حينما اجمع شعب سوريا على الاتحاد ، ولكننا نحترم ارادة الشعب ، ونعتقد ان وجود دول اقلية ضد الاتحاد انما يعرّض البلاد لخطر الحرب الاهلية »(١٦ ايار / مايو عام ١٩٥٨) .

والموافقة الاختيارية هنا لا تنصرف الى ارادة الاغلبية وحدها ، ولكنها تعني الموافقة الاجماعية لكل القوى السياسية .

« يجب لقيام اي وحدة بين بلدين او اكثر ان تتم بموافقة وارادة شعوبهم . موافقة وارادة اجماعية وليس موافقة وارادة الغالبية » (٢٨ كانون الثاني / يناير عام ١٩٥٩) .

« رفضت الوحدة السياسية مع اليمن طالما لنا قوات في اليمن ، حتى يكون اليمن بعد خروج قواتنا وبعد استقراره ، حراً كل الحرية في ان يقرر الوحدة » (١ ايار / مايو عام ١٩٦٤) .

بالاضافة الى ذلك ، استخلص عبدالناصر من الانفصال السوري عام ١٩٦١ شرطاً ثالثاً لاتمام الوحدة العربية مؤدى هذا الشرط هو ان تصل البلدان العربية الداخلة في عملية التكامل مرحلة من التطور الاشتراكي تمكنها من بناء قاعدة اجتماعية ـ اقتصادية قوية ومجتمع سياسي قوي . وقد اكد عبدالناصر انه لا يجب دفع اي دولة عربية لم تصل الى هذه المرحلة نحو الوحدة ، بل يجب السماح لها بأن تسير نحو هذا التطور طبقاً لظروفها . (٣٠ حزيران / يونيو عام ١٩٦٢) .

طبقاً للتصور الناصري ، فإن الخطوة الاجرائية الاولى في تحقيق الوحدة العربية هي بناء اطار قومي عربي موحد يضم العناصر القومية الوحدوية في كل البلدان العربية (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٦٣) . ذلك ان تفاعل تلك العناصر في اطار تنظيمي سياسي موحد من شأنه أن يمهد الطريق نحو الوحدة الشاملة . عبدالناصر اذاً نظر الى العملية الوحدوية على أنها عملية تبدأ من القوى القومية في كل بلد عربي ، لا من النظم والحكومات بمجرد ان تنجح تلك القوى في استلام السلطة السياسية في بلادها ، يصبح دور المؤسسات السياسية المركزية اساسياً في دفع عملية الوحدة . ففي محادثات الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣ ، اكد عبدالناصر دائماً على دور وحدة القيادة السياسية ووحدة الجيش كخطوات اساسية (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٦٣) .

لدفع العملية الوحدوية بين مصر وسوريا والعراق : « علشان ندمجهم (مصر وسوريا والعراق) في حركة سياسية قومية واحدة لازم ندمج القيادات اولاً ، ونخلق بينهم نوع من التوافق والوحدة العربية . علشان توصل لها عايز مراحل ، عايز تدرّج . يجب اولاً تكوين الجبهة ثم نعمل قيادة سياسية موحدة تقود الدولة . ينبقى قدرنا نمشي مرحلة ثم بعد كده لو نعمل لجنة مركزية للقيادة ، بدل اللجان المركزية في كل بلد ، نبقى حققنا توحيد اكبر » (محاضر محادثات الوحدة الثلاثية ، جلسة ١٩ آذار / مارس عام ١٩٦٣ المسائية) .

بيد ان عبد الناصر رفض ان يتخذ اي خطوات اجرائية لانشاء الحركة العربية الواحدة ، واسس رفضه على منطق يشابه منطق رفض اقامة حزب اشتراكي . فقد تصور عبدالناصر انه اذا أقام هيئة تأسيسية لاقامة الحركة العربية الواحدة « فإن كل من لم يقع عليه الاختيار سيكون ضد الجمهورية العربية المتحدة . فكأننا نساعد القوى الرجعية على تفتيت الجماهير العربية القومية » (في التنظيم والحركة ، ٨ آذار / مارس عام ١٩٦٦) . والواقع ان رفضه لاتخاذ خطوات اجرائية في هذا الصدد كان امتداداً لاحساس العجز الحركي في مجال العلاقات العربية الذي سيطر على تفكير عبدالناصر بعد الانفصال السوري ، اذ أنه اضاف ان عملية انشاء الحركة العربية الواحدة عملية عسيرة ، « ومن يريد ان يعمل فليتفضل » .

ج ـ الاستراتيجية السياسية

٦٤ ـ الخطر الاستراتيجي للسياسة الخارجية يجب ان يتسم بالتوفيق المتبادل .

٦٥ ـ من الضروري استئصال الثورة المضادة في الداخل ، على ان تقتصر المشاركة العامة في الداخل على القضايا اللاسياسية .

٦٦ ـ الاستراتيجية العربية ازاء اسرائيل يجب ان تتسم بطابع دفاعي ـ ردعي .

لم تشهد هذه الفترة تغيراً أساسياً في التصور الناصري للاستراتيجية السياسية سواء على مستوى اتباع استراتيجية مركبة الابعاد وتتفاوت طبقاً لنوعية القضايا والاعداء ، او على مستوى مضمون الاستراتيجية . فقد استمر عبدالناصر في التأكيد على ان الاستراتيجية السياسية العامة لسياسة مصر الخارجية يجب ان تنهض على مبدأ « التوفيق المتبادل » ، بمعنى الاستعداد للتعاون بشرط تبادل السلوك ، واحترام الاستقلال الوطني :

« ان سياستنا هي سياسة الصداقة والمودة مع جميع الدول بما لا يمس استقلالنا ويمس كرامتنا . اننا نصمم على هذا كل التصميم . اننا اعلنا دائماً أننا لا نكن اي عداء لأي شعب من الشعوب » (١٦ ايار / مايو عام ١٩٥٨) .

« ليس هناك مشاكل بيننا وبين الولايات المتحدة الامريكية . ابداً . ولكن قد نختلف على مسائل اخرى تختلف عن تأييد امريكا لاسرائيل ، وموقف امريكا من الكونغو وسياسة القوة ، ولكننا بكل الوسائل نحاول ان تكون علاقاتنا مع امريكا علاقات سليمة . . . في نفس الوقت احنا مع بريطانيا . . . سياستنا ضد القواعد وضد الاستعمار البريطاني في عدن والجنوب المحتل وفي الخليج العربي ، وهي المناطق المعروفة من شبه الجزيرة العربية ولكن هذا لا يمنع ان احنا بكل الوسائل على استعداد لان نقيم علاقات سليمة وعلاقات طيبة مع بريطانيا » (١٢ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٤) .

وبالعكس ، فإن استراتيجيتي الاستئصال السياسي ، واللاتسييس كانتا هما الاستراتيجيتين الاساسيتين لعبد الناصر تجاه المعارضة الداخلية والجماهير بصفة عامة على التوالي . فعبد الناصر لم يسمح اطلاقاً بوجود معارضة « سياسية » فعّالة اياً كان توجهها الايديولوجي . ولذلك ، فقد

رفض دائماً اقامة نظام تعدد الاحزاب السياسية على اساس ان تلك الاحزاب ستكون عميلة للقوى الاجنبية ، كما رفض تشكيل حزب اشتراكي معارض على اساس ان ذلك سيفتت وحدة القوى الاشتراكية . وعقب الانفصال السوري عام ١٩٦١ كثّف من حملته لاستئصال المعارضة البورجوازية عن طريق حرمانها من حقوقها السياسية في اطار ما اسماه باستراتيجية « العزل السياسي » (٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦١) . ولعل ذلك يكشف عن حقيقة اساسية في النسق العقيدي الناصري ، وهي ان المعارضة السياسية هي مرادف للخيانة السياسية ، وان المعارضة السياسية اذا جاءت من الجماهير الناصرية فإنها نتيجة دسائس خارجية ، او تحريض القلة ، او الجهل بالموقف . ولذلك ، نجد ان الاستراتيجية الاساسية لعبد الناصر تجاه جماهيره هي استراتيجية « اللاتسييس » De-Politicization بمعنى قصر المشاركة العامة للجماهير على الانشطة اللاسياسية . فرغم ان عبد الناصر كثيراً ما حثّ الجماهير على المشاركة في « العمل السياسي » ، الا أنه كان يرى ان العمل السياسي هو ذلك العمل الموجه نحو حل المشاكل اليومية للجماهير كمشاكل المواصلات والادارة وغيرها :

« السياسة لم تعد خطباً حماسية ولا كلام . السياسة لم تعد إثارة عواطف ، ولا مناورات للوصول الى الحكم . . . السياسة عمل وانتاج واستهلاك وأجور واسعار وبناء المجتمع » (٩ آذار / مارس عام ١٩٦٥) .

بعبارة اخرى ، فقد عرف عبدالناصر العمل السياسي بشكل يضمن ان المشاركة العامة للجماهير لن تمتد الى القضايا السياسية . ولذلك نجد ان كل التنظيمات السياسية الناصرية لم يكن لها نفوذ « سياسي » يعتد به[(١٨)] .

تراوحت استراتيجية عبدالناصر ازاء القوى العربية المعادية واسرائيل بين هذين النقيضين ، نقيض « التوفيق المتبادل » في السياسة الخارجية العامة ، و« الاستئصال السياسي » في السياسة الداخلية . بصفة عامة ، اتسمت استراتيجية عبدالناصر ازاء القوى العربية المعادية بالتذبذب ، وعدم الاتساق ، والتغير السريع . لقد عقب الوحدة المصرية ـ السورية تبنى عبدالناصر استراتيجية تصفية « الخونة عملاء الاستعمار » في الوطن العربي ، وقصد بذلك بالتحديد نظم نوري السعيد في العراق والاردن (١ آذار / مارس عام ١٩٥٨) ، والملك سعود في المملكة العربية السعودية (٢٠ آذار / مارس عام ١٩٥٨) . وقد بنى عبدالناصر منطق استراتيجيته ازاء تلك النظم على اساس ان النظامين العراقي والاردني قد تواطآ مع الاستعمار في ضياع فلسطين

---

(١٨) امتداداً لهذا المنطق ، رفض عبدالناصر نظام تعدد الاحزاب السياسية ، احد اشكال ممارسة المعارضة المنظمة . وقد اسس وجهة نظره على ان اطلاق حرية تكوين الاحزاب سيدخل البلاد في آتون الحرب الباردة ، إذ ستتدخل القوى الكبرى لايجاد احزاب تساندها في الداخل ، وسيؤدي ذلك بالتالي ، الى تفتيت الوحدة الوطنية (٦ نيسان / ابريل ١٩٥٨ ، و١٨ نيسان / ابريل ١٩٥٩) . كذلك رفض فكرة انشاء نظام حزبين اشتراكيين ، على اساس ان هناك حزباً رجعياً في الدولة بالفعل ، كما ان هذا النظام ، سيقسم القوى الاشتراكية ويضعفها . « مناقشات جمال عبد الناصر مع اعضاء اللجنة التنفيذية في الامانة العامة حول خطة العمل الجديدة للتنظيم السياسي ، » الطليعة (القاهرة) ، العدد ٣ (آذار / مارس ١٩٦٥) .

(١١ آذار / مارس عام ١٩٥٨) ، وان النظام السعودي قد تآمر لمنع الوحدة المصرية ـ السورية (٥ آذار / مارس عام ١٩٥٨) .

ابتداء من آذار / مارس عام ١٩٥٩ ، ومع تبلور النزاع بين عبدالكريم قاسم والقوى الشيوعية المؤيدة ، وبين عبد الناصر ، اصبحت القوى الشيوعية العربية في مقدمة قائمة الاعداء السياسيين في الوطن العربي ، بيد ان النزاع استمر ايضاً مع القوى « الرجعية » الاخرى في العالم العربي ، وتصاعد بالتحديد مع النظام الاردني . وفي هذا السياق اعاد التأكيد على استراتيجية « تصفية القوى الرجعية » وبالذات النظام الاردني « ٢٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٠) .

عقب الانفصال السوري في ايلول / سبتمبر عام ١٩٦١ ومع اتضاح تواطؤ الاردن والسعودية في الانفصال تحول عبدالناصر مرة اخرى الى استراتيجية « اللامهادنة مع الرجعية العربية » و« وحدة الهدف » بدلاً من « وحدة الصف » (١٦ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦١)، ونقصد بهذه الاستراتيجية وحدة القوى الثورية العربية من اجل اسقاط النظم الرجعية في الوطن العربي .

« لا بد ان نقاتل الاستعمار في قصور الرجعية ، وأن نقاتل الرجعية في احضان الاستعمار » (١٦ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦١) .

وقد تجسدت هذه الاستراتيجية في التدخل العسكري لمساعدة الثورة اليمنية في ايلول / سبتمبر عام ١٩٦٢ في وجه المساندة السعودية للملكية . وقد برر عبدالناصر هذا التدخل على انه لردع النظام السعودي الذي يقود الرجعية في الوطن العربي (٢٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٢) .

ظل عبدالناصر يتبنى استراتيجية تصفية القوى الرجعية في الوطن العربي ، حتى ٢٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٣ حين دعى فجأة الى اجتماع لرؤساء وملوك البلدان العربية لمناقشة مشكلة تحويل روافد نهر الاردن ، بعد ان ثبت عجز البلدان العربية المحيطة باسرائيل عن حماية مشروعات التحويل . حل محل استراتيجية « وحدة الهدف » استراتيجية « وحدة العمل » ، وهي صيغة جديدة لاستراتيجية وحدة الصف ، ولكنها تقتصر على التعاون التكتيكي مع النظم العربية لتحقيق اهداف محددة دون أن يمتد هذا التعاون الى تحالف استراتيجي . بيد ان استراتيجية « وحدة العمل » من خلال مؤتمرات القمة سرعان ما فشلت في تحقيق الحد الادنى المطلوب من التنسيق العسكري . وفي ٢٣ تموز / يوليو عام ١٩٦٦ أعلن عبدالناصر بنفسه التخلي عن تلك الاستراتيجية[١٩] . ابتداء من منتصف عام ١٩٦٦ ، وحتى حزيران / يونيو

---

(١٩) برر محمد حسنين هيكل تخلي عبدالناصر عن استراتيجية مؤتمرات القمة العربية ، بأن المخابرات المصرية قد حصلت على معلومات تؤكد ان رئيس الوزراء الاردني قد سرّب كل خطط القيادة العربية الموحدة الى عملاء الولايات المتحدة ، وان ضباط المخابرات العامة المصرية قد حصلوا على نسخ من تلك الوثائق المسربة عن طريق =

عام ١٩٦٧ تبنى استراتيجية وحدة القوى الثورية العربية. قوام هذه الاستراتيجية هو اقامة حوار دائم بين كل القوى الثورية في الوطن العربي بهدف توحيدها مع شن حرب لا هوادة فيها من اجل اسقاط النظم الرجعية في الوطن العربي ، وقد حددها عبدالناصر بالنظم الحاكمة في السعودية والاردن ثم تونس بعد تصريحات بورقيبة الخاصة بالتسوية مع اسرائيل ، (٢٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٦ ، ٢٢ شباط / فبراير عام ١٩٦٧) .

اما فيما يتعلق بالصراع العربي الاسرائيلي ، فقد استمر عبد الناصر في تبني استراتيجية الردع ازاء اسرائيل : وقد فهم عبد الناصر الردع على انه استراتيجية دفاعية بحتة يقصد فيها حث العدو على الامتناع عن شن العدوان . ففي اكثر من مناسبة اكد عبدالناصر انه لا توجد لديه خطة لشن هجوم عسكري على اسرائيل ، وان استراتيجيته هي ردع اسرائيل لمنعها من مهاجمة اي دولة عربية :

« ما عندناش خطة لتحرير فلسطين . خطة مباشرة . لكن عندنا خطة اذا هجمت علينا اسرائيل او هجمت على اي بلد عربي » (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٦٣) .

هل تصور عبدالناصر انه من الممكن في ظل ظروف محددة التخلي عن استراتيجية الردع ، والتحول نحو تبني استراتيجية هجومية ضد اسرائيل .

حدد عبدالناصر شرطين أساسيين ، اذا توافر احدهما ، فإنه يعتبر مرادفاً لاعلان الحرب Casus belli ، ويتطلب التحول نحو الهجوم الاستراتيجي : احتلال اسرائيل الفعلي لأراضٍ عربية جديدة ، وتوافر معلومات مؤكدة ان اسرائيل على وشك امتلاك اسلحة نووية .

من ناحية ، اوضح عبد الناصر انه سيستعمل القوة العسكرية ضد اسرائيل اذا تحركت اسرائيل فعلاً نحو احتلال اراضٍ عربية جديدة . اما الغارات الارهابية الاسرائيلية أو الصدامات عبر الحدود فإنها لا تبرر التخلي عن استراتيجية الردع:[٢٠]

« الجمهورية العربية المتحدة سوف ترد بقوة على اي محاولة من جانب اسرائيل للعدوان على اي جهة عربية . واذا ما فكرت اسرائيل في أن تنتقل الى صعيد الهجوم الذي يستهدف احتلال اراضٍ عربية فسوف تجد امامها قوات الجمهورية العربية المتحدة مستعدة للتحرك قادرة عليه . اريد ان أوضح ان ما حدث في الجبهة

= عملائهم في ايطاليا ، انظر : محمد حسنين هيكل ، « خطط القيادة العربية الموحدة ، ومن الذي سلمها الى الرجل القبيح ، » الاهرام ، ٢٣ / ١٢ / ١٩٦٦ .

(٢٠) يذكر احد السياسيين العرب انه خلال مؤتمر القمة الثاني الذي عقد في الاسكندرية في ايلول / سبتمبر عام ١٩٦٤ ، اخبر عبدالناصر رؤساء البلدان العربية وملوكها ، ان استراتيجيته هي : « ردع اي عدوان اسرائيلي محتمل على منشآت مشروع تحويل روافد نهر الاردن » وقد حدد شرطاً واحداً للتدخل العسكري المصري وهو « توغل اسرائيل واستيلائها على اراضٍ عربية » . فمجرد اندلاع حرب عربية - اسرائيلية ليست سبباً للتخلي عن الردع ، انظر : « مذكرات سياسي عربي مطلع - الجزء ٤١ ، » الاهرام ، ٦ / ٧ / ١٩٧٨ و« مذكرات سياسي عربي مطلع - الجزء ٤٦ ، » الاهرام ، ١٠ / ٨ / ١٩٧٨ .

السورية في الشهر الماضي لم يكن الا عملية عدوان بالنيران اي باطلاق المدفعية ، ولم تجتز اسرائيل خطوط الهدنة ، الامر الذي تستطيع الجبهة السورية أن تجابهه بالمثل » (٧ حزيران / يونيو عام ١٩٦٥) .

أما الظرف الثاني الذي يسمح بالتحول نحو الهجوم فهو توافر معلومات مؤكدة ان اسرائيل على وشك ان تمتلك القنبلة النووية . ذلك ان امتلاك اسرائيل لتلك القنبلة - في تصور عبدالناصر - سيجمد الموقف في المنطقة العربية بشكل ينهي الامل في استعادة الحقوق الفلسطينية[٢١] :

« اذا تأكدنا ان اسرائيل بتعمل القنبلة الذرية يبقى ده معناه بداية الحرب بيننا وبين اسرائيل . لأننا لا نمكن اسرائيل من ان تعمل على انتاج قنبلة ذرية » (٢٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٠) .

« اذا سارت اسرائيل في انتاج القنبلة الذرية ، فأنا اعتقد ان الرد الوحيد هو الحرب الوقائية . يجب ان تقوم الدول العربية في الحال بالقضاء على كل ما يمكن اسرائيل من أن تنتج قنبلة ذرية » (٢٠ شباط / فبراير عام ١٩٦٦) .

تضمنت استراتيجية الردع الناصرية ذاتها ثلاثة ابعاد: عدم السماح لاسرائيل بالتفوق العسكري على العرب ، وتعبئة الموارد البشرية العربية لبناء قوة ردعية عربية ، ومساعدة الفلسطينيين وتأييدهم في نضالهم لاستعادة حقوقهم .

فمن ناحية ، لا بد من ان يكون ميزان القوى العربي الاسرائيلي في صالح العرب واذا اختل هذا الميزان لصالح اسرائيل فإنها لن تتردد عن انتهاز الفرصة للتوسع .

« اذا اسرائيل اخذت سلاح حنجيب سلاح ، اذا جابت طيارات حنجيب طيارات ، ولا يمكن لأي حال من الاحوال ان نقبل ان تتفوق اسرائيل علينا لأن تفوق اسرائيل معناه ان حتكون عندنا مآسي كثيرة مشابهة لمأساة فلسطين » (١ ايار / مايو عام ١٩٦٥) .

فمن ناحية اخرى ، تصور عبدالناصر ان التفوق العربي في الموارد البشرية قادر على مواجهة التكنولوجية الاسرائيلية وتغيير ميزان القوى لصالح العرب . فالتفوق البشري العربي هو العنصر الرئيسي الذي لا تستطيع اسرائيل ان توازنه تحت اي ظرف من الظروف :

« لازم تكون عندنا قوى ذاتية ، لازم نستفيد من قوتنا كعرب . هما اثنين مليون يهودي ، واحنا مائة مليون عربي . . . لازم نتفوق على اسرائيل . ان جبنا مثلاً مائتين دبابة وجابوا هما ٢٠٠ دبابة ، ان جبنا احنا ٣٠٠ دبابة بيجيبوا هما ٣٠٠ دبابة ، يبقى ندور على اللي ما يقدروش يعملوه . نجند ٥ مليون مش هايقدروا يجندوا ٥ مليون » (٨ آذار / مارس عام ١٩٦٥) .

---

(٢١) في اعقاب حرب حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ حدث تغير في هذا الشرط ، اذ اوضح عبد الناصر انه اذا انتجت اسرائيل قنبلة ذرية ، فإننا سننتج القنبلة ايضاً (٢٦ شباط / فبراير ١٩٦٩) .

« عندنا الحق وعندنا القوة البشرية ، حايجي اليوم اللي العرب يجندوا فيه ٢ مليون و٣ مليون ويحرروا فلسطين مهما كانت كمية السلاح اللي حاتديها الدول الغربية لاسرائيل » (١ ايار / مايو عام ١٩٦٥) .

من ناحية ثالثة ، تأسست الاستراتيجية الناصرية على تقديم المساعدة الكاملة للفلسطينيين ، بحيث يتم تحرير فلسطين عن طريق الشعب الفلسطيني ذاته ، وبحيث يكون دور البلدان العربية هو مساندة الاستراتيجية الفلسطينية .

« قلت صراحة لممثلي شعب فلسطين ان المسؤولية تقع عليهم بالطليعة . . . . ونحن هنا علينا أن نعزز قدرتهم بحشد كل امكانياتنا » (٢ تموز / يوليو عام ١٩٦٢) .

باختصار ، فإن استراتيجية عبد الناصر ازاء اسرائيل كانت بالاساس استراتيجية ردع اكثر منها استراتيجية تحرير ، واستراتيجية مساندة للشعب الفلسطيني اكثر منها استراتيجية اخذ زمام المبادرة للقيام بعمل ذاتي . فقد نظر عبدالناصر الى تحرير فلسطين على انه عملية تاريخية ـ تدريجية ستتحقق في المدى الطويل نتيجة تراكم مجموعة من العوامل التي ستجبر اسرائيل في النهاية على التسليم بحقوق الشعب الفلسطيني .

د ـ المخاطرة السياسية

٦٧ ـ من المحظور قبول اي مخاطرات سياسية في الصراع العربي ـ الاسرائيلي .

٦٨ ـ من الممكن قبول المخاطرات السياسية في مجال العمل الداخلي والعمل العربي .

٦٩ ـ من الممكن الاقلال من الآثار السلبية للمخاطرات السياسية في العمل العربي ، عن طريق تأجيل هدف الوحدة العربية ، ومحاولة تحقيق هذا الهدف بطريقة تدريجية .

٧٠ ـ من الممكن الاقلال من الآثار السلبية للمخاطرات السياسية في الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، بتبني استراتيجية ردعية ، تأجيل هدف تحرير فلسطين حتى يستعد العرب .

٧١ ـ من الممكن التخلص من الآثار السلبية للمخاطرات السياسية في العمل الداخلي بتصفية التناقضات الطبقية ، وباقامة نظام الديمقراطية الاشتراكية والقيادة الجماعية والتنظيم السياسي الواحد .

٧٢ ـ اذا واجهت موقف مخاطرة سياسية ينطوي على قيمتين متعارضتين ، اختر القيمة التي تحقق اقل الخسائر الممكنة .

تفاوت مضمون العقائد الناصرية المتعلقة بامكانية قبول المخاطرات السياسية طبقاً لطبيعة المجال الذي تنصرف اليه المخاطرة . فقد اعتبر عبدالناصر انه من الممكن اتباع سياسات تنطوي على قدر من المخاطرة السياسية ، في مجال العلاقات العربية ، ولكننا نجده يرفض تلك السياسات في مجال الصراع العربي ـ الاسرائيلي . فعندما يتعلق الامر بالصراع العربي ـ

جدول رقم (٥ ـ ١١)

التوزيع التكراري لعقائد عبد الناصر المتعلقة بمنهج واستراتيجية تحقيق الاهداف ، للسنوات ١٩٥٧ ـ ١٩٦٧

العقيدة / السنة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	المجموع
٢ ـ المنهج	١٢	١٠	٣٠	١٤	١١	٤٦	٤٣	٣٢	٤٩	٤٠	٨	٢٩٥
التمهيد اولاً (٪)	٢٥	٧٠ (١٠)	٢٣	٢١ (٧)	٢٧ (٩)	٢٤ (٧)	٤٠ (١٢)	١٩ (٩)	١٦ (٨)	١٣ (٣)	٦٣ (١٣)	٢٦
المحاولة والخطأ (٪)	٢٥		٧	٧	٣٦	١٣	٩	١٣	٦	٥		١٠
التدرج (٪)	٥٠	١٠	١٧	١٤	٩	٩	٣٣ (٢)	٦٦ (٣)	١٣ (٤)	١٧	٣٧ (١٢)	١٨
الدفعة القوية (٪)			٣٠	٢١	٥٥	٣٠	٩	٢٥ (٣)	١٦	١٧		٢٠
التعبئة الشاملة (٪)		٢٠	٢٣	٣٦ (١٤)		٢٤	٩	٢٥ (٣)	٤٩	٤٧ (٨)		٧
٣ ـ الاستراتيجية السياسية	١٣	٣٨	٥٥	٢٧	٢٥	٢٨	٣١	٢٩	٣٢	٢٤	١٦	٣١٨
ادر خدك الايسر (٪)			٥				٣					١
استراتيجة غير عقابية (٪)	٢٣	٤٥	٢٢ (٧)	١٥	٤	١٨ (٤)	٣	١٨	٩	١٧	(١٣)	١٨
استراتيجية توفيقية (٪)		٣	٧									٢
استراتيجية ردعية (٪)	٧٧ (٥٦)	٤٢ (١١)	٥١ (٣١)	٧٠ (٤١)	٤٤ (٨)	٢٥	٥٥ (٢٣)	٧٩ (٣١)	٧٥ (٤١)	٥٤	٨١ (٢٨)	٥٦
استراتيجية عدوانية (٪)			١٥	١٥	٥٢ (١٢)	٥٧	٣٩	٣	١٦	٢٩	٦	٢٣

الاسرائيلي ينبغي الا يقامر القائد السياسي بمستقبل بلده . ذلك ان نتائج حسم الصراع العربي - الاسرائيلي تؤثر بشكل حاسم في المستقبل العربي ، الى الحد الذي لايمكن معه الاقدام على اي عمل بدون التأكد التام من احتمالات نجاحه . ولذلك نجده يحذر اعضاء المجلس التشريعي لقطاع غزة من المقامرة مع اسرائيل ، بمعنى الاقدام على عمل بدون استعداد كامل (٢٢ حزيران / يونيو عام ١٩٦٢) .

« ما نقدرش النهاردة نستخدم القوة لأن ظروفنا لا تناسب . . . انا لا استحي ابداً اذا كنت ما اقدرش احارب اني انا آجي اقول لكم ما اقدرش احارب . . . مما اطلع أقامر بالبلد ، مش ممكن » (٢٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٣) .

« اي عمل ارتجالي معناه ان اسرائيل حتكسب ، ولا بد ان يكون العمل مدروس كامل وثوري . ولا بد ان يكون العمل مضمون النجاح . . . » (١٨ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٥) .

ومن هنا ، فقد أكد عبدالناصر لاسرائيل انه لا ينوي ان يشن ضربة وقائية ضدها لأن مثل هذا العمل ينطوي على « خطر اعظم من ان يتحمله اي فرد ، وهو خطر اندلاع حرب عالمية ثالثة » (١٤ حزيران / يونيو عام ١٩٥٧) . وفي ٢٢ حزيران / يونيو عام ١٩٦٢ أماط عبد الناصر اللثام عن قصة خلافه مع اكرم الحوراني ، حول قضية استعمال القوة العسكرية لمنع اسرائيل من تحويل مجرى نهر الاردن ، وأكد انه قد اعترض على وجهة نظر الحوراني ، وبنى اعتراضه على اساس ان مثل هذا العمل ينطوي على مخاطرة كبيرة .

« إذا قمنا بهذه العمليات ، فكيف أضمن أن بن جوريون سيقوم بعمليات شبه عسكرية ولا يقوم بعمليات عسكرية ، فعندما اتخذ قراراً يجب الا أكون مقامراً بمصير بلدي وادخل في نكبة ثانية تشابه نكبة سنة ١٩٤٨ ، وأرى انهم وصلوا الى دمشق » .

بيد ان عبدالناصر كان مستعداً لاتباع سياسات تنطوي على مخاطرات سياسية في مجال العمل العربي والعمل الداخلي ، والمخاطرة هنا لا تعني المقامرة او المغامرة ، ولكنها تعني اتباع سياسات تنطوي على احتمال ضياع بعض الموارد او عدم تحقيق الهدف . وقد أوضح عبدالناصر استعداده لقبول المخاطرات بهذا المعنى في ثلاث مناسبات :

الاولى : تتعلق بسياسات التأميم . ففي عقب قرارات التأميم عام ١٩٦١ أوضح انه كان يعرف ان تأميم الصناعات قد يعني المخاطرة ببث الفوضى في الاقتصاد المصري بأسره ، ولكنه كان عليه ان يقبل تلك المخاطرة من اجل الهدف الاجتماعي الاقصى (٢٢ شباط / فبراير عام ١٩٦٢) .

الثانية : تتعلق بتوقيع اتفاقية الدفاع المشترك مع حكومة الثورة العراقية عام ١٩٥٨ . اذ أكد عبدالناصر في غمار نزاعه مع الحكومة نفسها أنه كان يعلم أنه بتوقيعه تلك الاتفاقية انما يقامر باستقلال الجمهورية العربية المتحدة ، لأنها تنطوي على احتمال المواجهة مع القوى

العظمى ، ولكنه كان عليه أن يقبل تلك المخاطرة من اجل حماية الثورة العراقية (٢١ ايار / مايو عام ١٩٥٩ ، ١٦ شباط / فبراير عام ١٩٦٠) .

الثالثة : هي مناسبة توقيع اتفاقية الاتحاد المصري ـ السوري ـ العراقي عام ١٩٦٣ ، اذ برر عبدالناصر قبوله للاتحاد الضعيف مع سوريا والعراق على اساس أنه كان عليه أن يأخذ « مغامرة محسوبة » من اجل انقاذ قضية الوحدة العربية (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٦٣) .

إذا قرر القائد السياسي ان يتبع سياسات تنطوي على مخاطرة سياسية ، فما هي الوسائل الممكن اتباعها للاقلال من الآثار السلبية المحتملة لتلك السياسات ؟ أجاب عبدالناصر على ذلك ، بأنه من الضروري في تلك الحالة الحد من الاهداف ومحاولة تحقيقها بطريقة تدريجية حذرة ، مع اتباع استراتيجية دفاعية ـ ردعية ازاء العدو . وقد عبّر عبدالناصر عن استراتيجية تلافي الآثار السلبية للمخاطرة لاول مرة عقب الوحدة المصرية ـ السورية في شباط / فبراير عام ١٩٥٨ . اذ عقب اعلان الوحدة ، وبالذات عقب الثورة العراقية في تموز / يوليو من العام نفسه ، عمت العالم العربي موجة ثورية وحدوية عارمة . وقد توقع عبدالناصر من الدول الغربية الكبرى ان تتدخل لتعيد التوازن لمصلحتها ، ومن ثم طالب الجماهير العربية بأن تحد من توقعاتها الثورية الوحدوية حتى تتلافى احتمال تدخل القوى الغربية :

« علينا أن نقيم سدوداً على امانينا نفتح فيها عيوناً من الحكمة ، كما نفعل في خزانات المياه التي نقيمها في وجه فيضانات الانهار العاتية . ذلك حتى ينتظم جريان أمانينا ، والا فلو تركنا الامر لاستحالت هذه الاماني طوفاناً يهدد كياننا » (٢٩ ايلول / سبتمبر عام ١٩٥٨) .

وفي مجال الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، فإن الاستراتيجية الامثل لتلافي الآثار السلبية للمخاطرة هي تأجيل الهدف اذا لم تكن لدى العرب القدرة الكاملة على تنفيذه . وقد عبّر عبدالناصر عن ذلك بمناسبة حديثه عن تحويل روافد مجرى نهر الاردن ، فإذا لم يكن العرب قادرين على تحويل تلك الروافد ، فإنه من الضروري عدم المغامرة وتأجيل عملية التحويل :

« إذا كنت باقرر اني أهجم على اسرائيل ، يبقى اول حاجة باعملها اني ابعث اجيب الـ ٥٠ الف جندي اللي في اليمن .... اذا كنا غير قادرين على التحويل النهاردة بنقول نأجل التحويل لغاية ما نكون قادرين على حمايته ... اولاً بنوفر الدفاع العربي وفي نفس الوقت نستعد لتحقيق هدفنا الاساسي » (٣١ ايار / مايو عام ١٩٦٥) .

بيد أن تأجيل الهدف ، يجب ان يصحبه تطبيق استراتيجية دفاعية ـ ردعية حازمة مع التدرج في تطبيق الهدف بطريقة حذرة . فالاستراتيجية الاساسية لتفادي مخاطر النوايا التوسعية الاسرائيلية هي ردع اسرائيل (٥ آب / اغسطس عام ١٩٥٩ ، ١٠ آب / اغسطس عام ١٩٥٩) . وبالمثل ، فإن الاستراتيجية الامثل لتفادي مخاطر انهيار المحاولات العربية الوحدوية في المستقبل هي محاولة تحقيق التكامل العربي بطريقة تدرجية تمهد أولاً للهدف قبل محاولة تحقيقه . وفي اثناء مباحثات الوحدة المصرية ـ السورية ـ العراقية في آذار /

مارس ـ نيسان / ابريل عام ١٩٦٣ اقترح عبدالناصر مجموعة كاملة من الاجراءات لتلافي تلك المخاطر اهمها تطبيق الوحدة بطريقة تدرجية ، توحيد القيادة السياسية ، ومشاركة كل القوى السياسية في عملية الوحدة[٢٢] .

اما على المستوى الداخلي ، كان عبد الناصر يرى أن احتمال انتكاس الثورة هو اكبر المخاطر التي يتعين تلافيها بكل الوسائل . ومن ثم ، فإنه خلافاً لاستراتيجياته الحذرة والتدرجية في التعامل مع المشكلات الخارجية التي تنطوي على المخاطرة السياسية ، فإن استراتيجياته في التعامل مع المشكلات الداخلية كانت استراتيجيات اكثر ايجابية . وقد حدد عبدالناصر مجموعة من الاستراتيجيات لتلافي مخاطر العمل الداخلي اهمها :

(١) « تجنب اقامة نظام تعدد الاحزاب السياسية لأن الاحزاب السياسية ستؤدي الى دخول مصر ميدان الحرب الباردة من خلال المموليين الاستعماريين والشيوعيين الاجانب لتلك الاحزاب » (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٥٩) .

(٢) « ان سلطة المجالس الشعبية المنتخبة يجب أن تتأكد باستمرار فوق سلطة اجهزة الدولة التنفيذية ، فذلك هو الوضع الطبيعي الذي ينظم سيادة الشعب ، وثم هو الكفيل بأن يظل الشعب دائماً قائد العمل الوطني ، كما أنه الضمان الذي يحمي قوة الاندفاع الثوري من ان تتجمد في تعقيدات الأجهزة الادارية او التنفيذية . . » (ميثاق العمل الوطني) .

(٣) « ان جماعية القيادة امر لا بد من ضمانه في مرحلة الانطلاق الثوري . ان جماعية القيادة ليست عاصياً من جموح الفرد فحسب ، وانما هي تأكيد للديمقراطية على أعلى المستويات ، كما أنها في الوقت ذاته ضمان للاستمرار الدائم المتجدد » (ميثاق العمل الوطني) .

(٤) « ان حرية النقد البناء والنقد الذاتي الشجاع ، ضمانات ضرورية لسلامة البناء الوطني ، لكن ضرورتها أوجب في فترات التغيير المتلاحق خلال العمل الثوري . ان ممارسة الحرية على هذا النحو ليست لازمة فقط لحماية العمل الوطني ، ولكنها لازمة لتوسيع قاعدته وتوفير الضمان للذين يتصدون له » (ميثاق العمل الوطني) .

(٥) « العمل وحده هو الذي يجعل التجربة والخطأ في العمل الوطني تقدماً مأمون العواقب » (ميثاق العمل الوطني) .

(٦) « تصفية التناقضات الطبقية هو الاداة الرئيسية لمنع انتكاسة الثورة » .

« الضمان الوحيد هو الوعي واذابة الفوارق بين الطبقات ، اذابة الفوارق لا تجعل القيادات تنحرف . لِمَ يحصل الانحراف ا الانحراف يبقى دائماً من تطلعات طبقية » (٢٦ ايار / مايو عام ١٩٦٢) .

---

(٢٢) محاضر محادثات الوحدة الثلاثية ، مارس ـ ابريل ١٩٦٣ (القاهرة : مؤسسة الاهرام ، ١٩٦٣) ، « جلسات المناقشة في ١٨ ـ ٢٠ مارس ١٩٦٣ وفي ١٣ ابريل ١٩٦٣ ، » .

اذا كان ذلك كذلك ، فماذا يحدث اذا واجه القائد السياسي موقف مخاطرة سياسية يحتم عليه الاختيار بين قيمتين كلاهما مرغوب ، ان اهمية مشكلة الاختيار في هذه الحالة ، هي ان اختيار قيمة معينة يكون على حساب قيمة اخرى . كما أن نوعية الاختيار ذات اهمية حاسمة في تحديد استراتيجية القائد السياسي ازاء قضية المخاطرة السياسية . وقد واجه عبد الناصر هذا الموقف في ختام مباحثات الوحدة المصرية ـ السورية ـ العراقية في نيسان / ابريل عام ١٩٦٣ . ففي خلال تلك المباحثات طالب عبدالناصر بخلق اتحاد قوي يقوم على وحدة القيادات السياسية ووحدة الهدف العقيدي . بيد ان المحادثات انتهت الى مشروع لا يفي بالحد الادنى الذي طالب به عبدالناصر . وقد كان عبد الناصر متأكداً تماماً بأن المشروع لن يقدر له النجاح ، وانه بقبوله المشروع انما يأخذ « مخاطرة محسوبة » . وقد برر عبد الناصر قبوله للمشروع الذي ينطوي على مخاطرة، بأن الموقف يتضمن قيمتين : الاولى هي قضية الوحدة العربية التي ستوجه اليها ضربة قاسية اذا انتهت المحادثات الى الفشل التام ، والثانية هي قضية الديمقراطية التي سيضحى بها اذا تم قبول المشروع الحالي . وفي نهاية الجلسات قرر عبدالناصر قبول المشروع لأن انهيار المحادثات سيكون بمثابة نكسة للعمل العربي المشترك . بعبارة اخرى ، قرر عبدالناصر اختيار القيمة التي تحقق ادنى الخسائر ،ولو أنها لا تفي بالحد الاقصى المطلوب . (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٦٣) .

هـ ـ توقيت السلوك السياسي

٧٣ ـ توقيت العمل العربي لتحرير فلسطين هو العامل المحدد لنجاح او فشل هذا العمل .

قدمنا عند تحليل عقائد عبدالناصر خلال الفترة الاولى ، ان عبدالناصر كان واعياً بأهمية التوقيت الدقيق لنجاح اي سلوك ، او لتحقيق الاهداف . وقد استمر عبدالناصر خلال الفترة محل البحث في تأكيد اهمية التوقيت السياسي . والواقع أن تأكيد عبدالناصر على اهمية التوقيت ، كان في الاساس محاولة للاقلال من مخاطر السلوك السياسي الفوري . ذلك ان عقيدة التوقيت السياسي سمحت لعبدالناصر باعتناق اهداف قصوى دون أن يكون ملتزماً تماماً بتنفيذ تلك الاهداف . ومن ثم ، فهو يستطيع أن يطالب بتحرير فلسطين طالما أن تنفيذ الهدف ، كما أكد دائماً ، يجب ان ينتظر التوقيت المناسب . فعبدالناصر كان يرى أن تحرير فلسطين يعتمد أساساً على التوقيت المناسب للعمل العسكري العربي ، بمعنى أن يحتفظ العرب بحرية تحديد زمان ومكان العمل العسكري ضد اسرائيل[٢٣] .

(٢٣) يذكر الملك الحسن ، عاهل المغرب ، ان قضية التوقيت المناسب قد سيطرت على مناقشات مؤتمر القمة العربي الثالث المنعقد في المغرب عام ١٩٦٥ . وقد اكد عبد الناصر للقادة العرب انه هو الذي سيحدد مكان وزمان المعركة مع اسرائيل ، بينما رأى الرئيس الجزائري بومدين والرئيس السوري امين الحافظ ، والملك الحسن ان الوقت المناسب قد حان فعلاً . وقد رد عبدالناصر غاضباً ـ طبقاً لرواية الملك الحسن ـ انه هو الذي سيختار التوقيت المناسب ، وأنه آنذاك لن يحتاج الى الجيش السوري ، انظر : الملك الحسن [عاهل المغرب]، « مقابلة صحفية مع الملك الحسن ،» الحوادث ، (٢٧ تموز / يوليو ١٩٧٣) .

جدول رقم (٥-١٢)

التوزيع التكراري لعقائد عبدالناصر
المتعلقة بالمخاطرة السياسية ، للسنوات ١٩٥٧ - ١٩٦٧

السنة / العقيدة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	المجموع
٤ ـ المخاطرة السياسية	١		١	١	١	٦	٨		٥		١	٢٤
المخاطرة ضرورية(٪)						٣٣						٨
المخاطرة ممكنة (٪)			١٠٠	١٠٠	١٠٠		٥٠		٢٠		١٠٠	٣٨
المخاطرة مستبعدة(٪)	١٠٠					٦٧(٥٠)	(٥٠)		٨٠(٤٠)			٥٤
أـ ضبط المخاطرة السياسية	١	٣	٣	١		١٢	١٣	١٠	١٥	٣	٣	٦٤
الحد من الأهداف(٪)		٣٣					٨		٤٠		(٣٣)	١٤
الحد من الوسائل(٪)	١٠٠	٦٧		١٠٠		٢٥(١٧)	٨	١٠	١٣ (٦)	٦٧		٢٠
حساب الوسائل(٪)			(١٠٠)			٧٥(٨)	٨	٢٠(١٠)	١٣ (٦)		(٦٧)	٢٩
حساب وسائل العدو(٪)									٣٤ (٦)			٨
حساب استراتيجية العدو(٪)							٧٧	٧ (٢)		٣٣		٢٩

« أي واحد عايز يحارب لازم هو يحدد وقت المعركة وزمان المعركة . يحدد امتى؟ يحدد لما يكون مستعد ولما يجد الظروف مناسبة » (١٥ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٥) .

« احتمالات المستقبل حرب مع اسرائيل . واحنا اللي نفرض وقتها ، واحنا اللي نفرض مكانها » (٢٢ شباط / فبراير عام ١٩٦٤) .

وقد حدد عبدالناصر مجموعة من الظروف المهيئة للتوقيت المناسب ، اي يمكن انطلاقاً منها تحديد توقيت العمل العسكري لتحرير فلسطين . هذه الظروف بالتحديد هي القضاء على النظم الرجعية العربية ، توفير المقدرة الدفاعية العربية وتحقيق حد ادنى من الوحدة بين الشعوب العربية (٢٢ حزيران / يونيو عام ١٩٦٢) . بدون هذه الظروف فإنه يستحيل الحديث عن اي عمل لتحرير فلسطين .

والواقع أن قضية التوقيت المناسب لتحرير فلسطين كانت هي القضية المحورية التي تستتر خلف الصراع بين عبد الناصر من ناحية وبين النظم المحافظة كالنظامين السعودي والاردني والنظم الثورية المتطرفة كنظام البعث السوري في الستينات . فقد اعتبر عبد الناصر النظم المحافظة انها اشد خطراً من اسرائيل لأنها تسعى « لتوريطنا في معركة مع اسرائيل » (٢٢ آذار/مارس عام١٩٦٦) . كما رفض عبدالناصر مطلب الحكومة الاردنية وحكومة البعث السوري بانهاء وجود قوات الطوارىء الدولية في سيناء وتأييد سوريا في صداماتها المسلحة مع اسرائيل، على اساس ان مثل هذا السلوك يعني اعطاء اسرائيل حق تحديد توقيت المعركة مع العرب . وقد أكد عبدالناصر هذا المعنى صراحة في حديثه الى المؤتمر الوطني لتحرير فلسطين في القاهرة بقوله :

« بيقولوا فيه البوليس الدولي ، والبوليس الدولي بيمنع مصر عن الضرب . طيب نشيل البوليس الدولي ، وبعدين هانعمل ايه . مش لازم اولاً يكون لدينا خطة ، هل اذا حصل عدوان على سوريا ، باهجم انا على اسرائيل . اذن اسرائيل تستطيع ان تحدد الوقت اللي انا اهجم فيه . . . احنا اللي نختار وقت المعركة » (٣١ ايار / مايو عام ١٩٦٥) .

« الحرب حتمية بيننا وبين اسرائيل ، ولكن احنا اللي يجب ان نختار ميعاد الحرب ، وعلشان نتكلم في موضوع بهذا الشكل ، الموضوع خطير ويمس الامة العربية ، ما نقدرش ابداً نحطه في ميدان المزايدات زي ما حاول البعثيون . . . مش معنى اذا هاجمت اسرائيل وضربت مدفع بيحددلي انا ميعاد المعركة اللي ادخل فيها ، انا لازم احدد ميدان المعركة، واحدد وقت المعركة علشان تكون معركة اكسبها » (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٦٥) .

و ـ السلوك السياسي

٧٤ ـ تجنّب السلوك السابق لأوانه .

٧٥ ـ من الافضل ان تؤخر السلوك التصعيدي حتى تكون في مركز القوة .

٧٦ ـ لا تقدم على اي سلوك قبل ان تحسب كل الاحتمالات وتضمن النجاح .

٧٧ ـ تصرف بسرعة وحسم حينما تصل استفزازات العدو حداً لا يمكن احتماله .

٧٨ ـ تصرف بسرعة قبل ان يصبح العدو في مركز القوة .

من المنطقي ان نتوقع زعيماً سياسياً كعبدالناصر ، يعتقد في مركزية توقيت السلوك السياسي وتجنب المخاطرة السياسية ، ان يكون حذراً للغاية في التطبيق التكتيكي للاهداف ، والواقع ان الحال كان كذلك بالنسبة لعبدالناصر . فالقاعدة الذهبية في النظام العقيدي الناصري هي تجنب السلوك السابق لاوانه ، اي السلوك الذي يبادر به شخص غير مستعد لم يقم بحساب النتائج السلبية المتوقعة للسلوك . عبدالناصر كان يؤكد انه لا يمكن المبادرة بأي سلوك مضاد لاسرائيل ما لم يتم ضمان النجاح التام لهذا السلوك :

« اي عمل ارتجالي معناه ان اسرائيل حتكسب ، ولا بد ان يكون العمل مدروس كامل وثوري ، لا بد ان يكون العمل مضمون النجاح ١٠٠ بالمائة » (١٥ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٥) .

وتزداد اهمية تلك القاعدة اذا كان السلوك ذا طابع تصعيدي . فمن الضروري تأخير مثل هذا السلوك حتى يتم حساب كل الاحتمالات ، وحتى يصبح القائد السياسي في مركز قوة ازاء العدو :

« الذي يريد الحرب لا بد ان يستعد لها ، والذي يريد تحقيق هدفه ينبغي الا يقامر بمصير بلده او بمصائر الآخرين ، ولا بد من الاستعداد لكي يحارب ، والذي لا يستعد فهذا خائن في حق وطنه وحق شعبه . » (٢٢ حزيران / يونيو عام ١٩٦٢) .

« أي مغامرة او اي مقامرة بدون استعداد بناء على كلمات وبيانات من اجل الاستهلاك المحلي او من اجل رضا الشعب تكون ضد مصلحة الامة العربية » (٢ تموز / يوليو عام ١٩٦٢) .

« لقد أدت الخطة الخمسية الاولى الى حدوث بعض الثغرات ، ويجب علينا ألا نتقدم نحو الخطة الخمسية الثانية الا بعد ان نزيل كل هذه الثغرات » (الاهرام ، ٢٤ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٦) .

من ناحية اخرى ، فإنه من الضروري الاسراع بالسلوك اذا توافر اي من الشروط الثلاثة التالية :

(١) اذا شعر القائد السياسي ان العدو على وشك ان يحصل على مركز قوة يصعب انتزاعه منه .

أكد عبدالناصر أنه من الضروري شن ضربة عسكرية وقائية ضد اسرائيل «اذا توافرت معلومات بأن اسرائيل على وشك ان تمتلك القنبلة الذرية » (٢٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٠) .

(٢) اذا تصاعدت استفزازات العدو الى حد لا يمكن احتماله :

عبّر عبدالناصر عن هـذا الشرط بمناسبة تعـامله مع حلف بغـداد ، اذ اكد ان الهجـوم المصري على حلف بغداد كان ضرورياً حينما اتضح أن « معركة الاحلاف العسكرية قد تخطت حدود العراق ، وبدأت الدعوة توجه الى باقي الدول العربية كي تنضم في الحلف العسكري الجديد. وكان هـذا خطراً على المنطقة كلها من وجهـة نظرنـا . كذلـك كان خـطراً على سـلامتنا الـوطنية . . فلو ان جميع الدول العـربية استجابت لهذه الدعوة لكان معنى ذلك ان اهتمام هذه الدول جميعاً سـوف يتجه الى خـطر محتمل قـادم ويتغافـل عن خطر محقق رابض في قلب المنطقة العربية نفسها وهي اسرائيل » (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٥٧) .

(٣) اذا ظهرت بوادر اكيدة للحصول على مكاسب

اوضـح عبد النـاصر ان قـرار الاسـراع في التحـول الاشتـراكي في مصـر عقب حـرب السويس جاء نتيجة ظهور ظروف مواتية سمحت باتخاذ هذا الاجراء ، اهمها اظهـار الجماهـير استعدادها للتضحية من اجل تحقيق هذا التحول . (اول ايار / مايو عام ١٩٦٧) .

ز ـ وظيفة القوة العسكرية واستعمالاتها

٧٩ ـ « القيم الروحية قادرة على منح الانسان طاقات لا حدود لها » .

٨٠ ـ تجنب اللجوء الى القوة العسكرية في العلاقات الدولية .

٨١ ـ لا تستعمل القوة العسكرية في العلاقات العربية .

٨٢ ـ القـوة العسكريـة لها وظيفـة كأداة دفـاعية ـ ردعيـة ، كـما أن استعمـالهـا افضـل من الاستسلام لمطالب العدو .

٨٣ ـ لا تكن البادىء باستعمال القوة العسكرية ، وبالذات في التعامل مع اسرائيل ، ما لم تقم الاخيرة بهجوم مبـاشر ، ومـا لم تكن متأكـداً كليـاً أن اسـرائيل عـلى وشك امتـلاك القنبلة الذرية .

٨٤ ـ التفوق العسكري اساس لنجاح الردع .

٨٥ ـ التطبيق التكتيكي للقوة العسكرية يجب ان يتم بشكل مكثف وعلى نطاق واسع .

٨٦ ـ الانسحاب التكتيكي قد يكون ضرورياً حفاظاً على سلامة الجيش وارواح المدنيين .

٨٧ ـ اذا استعملت القوة العسكرية ، فإنها يجب ان تستعمل في اطار الاستعمـال الشامـل لكـل اشكال القوة الاقتصادية والمعنوية .

القوة ـ في التعريف الناصري ـ هي القدرة على تحقيق الاهداف والتأثير في نتائج السلوك السياسي ومن ثم ، فالعنصر الرئيسي في القـوة هو نـوعية المـوارد البشريـة والعقلية ، والقـوة

جدول رقم (٥ ـ ١٣)

التوزيع التكراري لعقائد عبدالناصر المتعلقة بالتوقيت السياسي والسلوك السياسي، للسنوات ١٩٥٧ ـ ١٩٦٧

العقيدة / السنة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	المجموع
٥ ـ التوقيت السياسي :	١			١	١	٣		١	٧	٤	٧	٢٥
أساس (٪)	١٠٠				١٠٠	١٠٠(٦٧)		١٠٠	٨٦ (٥٧)	١٠٠	١٠٠ (٥٧)	٩٢
مستحب (٪)									١٤			٤
غير ضروري (٪)				١٠٠								٤
٦ ـ السلوك السياسي :	٢	١	٣			١	٥		٢	٥	٥	٢٤
تصرف بسرعة(٪)												
تصرف حينما يتفاقم استفزاز العدو(٪)	٥٠								٥٠	٢٠	(٤٠)	٢١
تأخير السلوك التصعيدي (٪)	٥٠					(١٠٠)	(٢٠)					١٣
تجنب السلوك السابق لأوانه (٪)							(٢٠)					٨
لا تستجيب لاستفزاز العدو (٪)			١٠٠				(٦٠)		(٥٠)	٢٠		٢٩
لا تصرف قبل تقدير الموقف (٪)		١٠٠								٢٠		٨
تصرف قبل حصول العدو على مركز قوة(٪)										(٤٠)	٦٠	٢١

ملاحظة عامة : النسب بين قوسين ( ) تشير الى اسرائيل .

العسكرية هي احد العناصر المحددة للشكل العام للقوة. ومن ثم، فإنه من الممكن التأثير في توزيع نتائج الصراع السياسي، بدون اللجوء الى القوة العسكرية على الاطلاق.

والواقع ان النصر السياسي الذي انتزعه عبدالناصر من انقاض الهزيمة العسكرية خلال حرب السويس عام ١٩٥٦، وظهوره عقب تلك الحرب كزعيم العالم العربي، قد ولد لديه القناعة بأن القوة العسكرية ليست عاملاً حاسماً في تحديد قدرة القائد السياسي على تحقيق اهدافه. ومن ثم نجده دائماً يؤكد ان أساس القوة معنوي اولاً ومادي ثانياً، وان القومية العربية هي اساس قوته الحقيقية.

« سنقابل هذه الازمات بنفس القوة وبنفس الايمان، لأن كل فرد منا يؤمن بنفسه، ويؤمن بأخيه، ولأننا نؤمن بالقومية العربية الحقة ونؤمن بالوطن العربي. وهذا هو السلاح الذي نتسلح به اليوم في معركتنا ضد الاستعمار... حاربنا بالقوة الروحية، والمادية. كنا نحارب بالايمان وكنا نحارب بالقوة الروحية، ولكننا في نفس الوقت كنا نسعى الى ان ندعم هذا الوطن... حتى تلتقي القوى المعنوية مع الانتاج ومع التنمية الاقتصادية، ومع القوى المادية » (١٣ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٨).

« قيمة اي بلد في العالم لا تتحدد بمقدار مساحته من الارض ولا بتعداد السكان داخل حدوده، وانما تحقق قيمة اي بلد بمقدار ايمان اثبات حقهم، وعلى استعدادهم للعمل المخلص المتجرد الكفالة، الاحترام لكل القيم التي يؤمنون بها » (١٧ نيسان / ابريل عام ١٩٥٨).

« لا بد ان يحصل البلد على القوة. لذا تركنا الخلاف وراء ظهرنا، وتركنا الاحقاد السابقة التي يبثها الاستعمار بيننا ليسيطر علينا، واتحادنا وتعاوننا وتساندنا... هذا هو سبيلنا الى القوة » (اول آذار / مارس عام ١٩٥٩).

« اذا خيرت بين أن تكون معي القنابل الذرية او القوى المعنوية التي تمتلىء بالايمان والتصميم لأخترت القوى المعنوية التي تتمثل في ارادة هذا الشعب والتي تتمثل ايضاً في ارادة الشعوب الصديقة، لأن الذي يملك القنبلة الذرية لا يستطيع ان يحمي نفسه من الدمار، اما الذي يملك القوى المعنوية فإنه يستطيع أن يمثل ضمير العالم الحي » (١٦ نيسان / ابريل عام ١٩٦٠).

« المساعدة المعنوية ورأي الشعب له تأثير يساوي تأثير القنابل الذرية... ولا ننسى انه حينما تعرضنا للعدوان سنة ١٩٥٦ حيث هذه الشعوب في آسيا وافريقيا وحيث الاحرار في كل العالم من اجل مساندتنا، واستطعنا أن ننتصر بفضل المساعدة المعنوية وبفضل الرأي العام العالمي، فكان هذا هو اكبر دليل على ان قوة الرأي العام العالمي والقوة المعنوية تستطيع ان تغلب هذه الاساطيل » (١٥ شباط / فبراير عام ١٩٦٢).

وفي الباب الثامن من ميثاق العمل الوطني تحدث عبدالناصر عن الطاقات الروحية كاحد الابعاد الاساسية لمفهوم القوة: « إن الطاقات الروحية التي تستمدها الشعوب من مثلها العليا النابعة من اديانها السماوية او من تراثها الحضاري قادرة على صنع المعجزات. ان الطاقات الروحية للشعوب

تستطيع ان تمنح آمالها الكبرى اعظم القوى الدافعة ، كما أنها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة تواجه بها جميع الاحتمالات ، وتقهر بها مختلف المصاعب والعقبات . واذا كانت الاسس المادية لتنظيم التقدم ضرورية ولازمة ، فإن الحوافز الروحية والمعنوية هي وحدها القادرة على منح هذا التقدم انبل المثل العليا » .

القوة اذاً في المفهوم الناصري هي مفهوم مركب يتضمن ابعاداً متعددة ، احد هذه الابعاد هو القوة العسكرية ، بل ان القوة العسكرية قد لا تكون هي البعد الرئيسي في المفهوم الشامل للقوة . ومن ثم ، فالطاقات المعنوية ، والوحدة ، والرأي العام العالمي ، والقوة البشرية ، والموقع الاستراتيجي ، كلها ابعاد أساسية للقوة ، وبدونها يستحيل تصور تحقيق الاهداف الاساسية (١٦ ـ ٢٠ آذار / مارس عام ١٩٥٨) .

بصفة عامة ، اعتقد عبدالناصر انه من الضروري تجنّب استعمال القوة في العلاقات الدولية ، اللهم الا اذا كانت القوة العسكرية هي الملاذ الاخير بعد استنفاد كل الوسائل الاخرى الممكنة . فالقوة العسكرية ـ في نظر عبدالناصر ـ تولد سلسلة من اعمال العنف التي قد يكون من الصعب ضبطها في مراحل لاحقة (١ نيسان / ابريل عام ١٩٥٧) ، كما أنها يمكن ان تؤدي الى نتائج عكسية كما اثبتته تجربة لجوء بريطانيا وفرنسا الى القوة العسكرية في حرب السويس (٢٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٩) .

فإذا كان من الضروري ألا تستعمل القوة الا كملاذ اخير في العلاقات الدولية ، فإنها يجب الّا تستعمل على الاطلاق في العلاقات العربية ، حتى كحل اخير . والواقع ان خطر استعمال القوة في العلاقات العربية ، كان احدى القواعد الاساسية في النظام العقيدي الناصري ، والتي لم يكف عن التأكيد عليها منذ الخلاف المصري ـ العراقي . « فالسلاح العربي يجب الّا يرفع ابداً في وجه الشعب العربي » ، كما قال عبدالناصر في مجال تعليقه على تطورات النزاع المصري ـ السوداني حول الحدود في عام ١٩٥٨ (٢٢ ، ٢٥ شباط / فبراير عام ١٩٥٨) . كما برر عبدالناصر قراره بعدم الرد على الاستفزازات العسكرية لحكومة عبد الكريم قاسم في آذار / مارس عام ١٩٥٩ على اساس ان عملاً انتقامياً من الجمهورية العربية المتحدة سيعني استعمال القوة العسكرية ضد العرب ، وهي قضية محظورة :

« ان قاسم العراق اخرج طائراته وهاجم جمهوريتنا ، وهاجم قرية من جمهوريتنا ، وهدم فيها بعض المنازل . وكنا نستطيع ان نرد الكيل كيلين ، وان نرد العدوان مرتين ، ولكننا لم نفعل ذلك لأن القرى التي قد نضربها انما هي قرى عربية . . . اننا حينما تقبلنا العدوان انما تقبلناه لأننا لا نرضى ابداً أن نعتدي على قرية عربية في العراق وان نقتل ارواحاً عربية في العراق »(٢ آذار / مارس عام ١٩٥٩) .

كذلك أدان عبدالناصر محاولة حكومة عبد الكريم قاسم ضم الكويت الى الاراضي العراقية عام ١٩٦١ ، على اساس ان القوة العسكرية يجب الّا تستعمل على الاطلاق في التعامل بين العرب او لتحقيق الوحدة العربية : « لن يكون سبيلنا الى الوحدة القوة بأي حال من الاحوال ، فنحن شعب عربي واحد نشعر بآمال الوحدة ، ولا يمكن أن تكون القوة سبيلنا الى تحقيق هذه الآمال » (١٧ آب / اغسطس عام ١٩٦١) .

ولـذلك ، فـإن عبدالنـاصر واجـه معضلة حين طـالبته ثـورة اليمن بالتـدخل لحمـايتها عسكرياً . وقد برر عبدالناصر استعماله للقوة المسلحة في اليمن على اسـاس ان الرجعيـة هي التي بدأت باستعمال السلاح .

« منذ الدقيقة الاولى كان هناك قرار خـطير وحاسم لا بـد من مواجهتـه . هذا القـرار يتعلق بمبدأ كنـا نضعه دائماً فوق كل اعتبار وهو ان السـلاح العربي لن يسفـك دماً عـربياً . لكن الخيـار في اليمن لم يكن بأيـدينا لتهديدات الرجعية بسفـك الدمـاء في اليمن . . . كانت الـرجعية مـع ادراكها لـدور ج . ع . م . كقاعـدة للنضال العربي الشعبي وطليعة تقدمه تتوهم ان القاهرة لا تستطيع بسبب الظروف وبسبب هـذا المبدأ ايضـاً أن تقف مع ثورة اليمن بأكـثر من اصدار البيـانات . . . ولقـد كان القـرار الخطير والحـاسم الذي واجهنـاه قاسيـاً لكن كان ضرورة ، والا فإننا نسلم للرجعية بسفك الدماء » (٢٠ ايار / مايو عام ١٩٦٣) .

وحينما تصاعد الصراع الى حد التهديد بمواجهة مع السعودية أعلن أسفه الشديد مقدمـاً لاحتمـال حدوث صـدام عسكري بـين السعوديـين ومصـر ورغبتـه في تفـادي هـذا الصـدام والانسحاب من اليمن اذا لم تستمر السعـودية في مسـاعدة الملكيين » (٢٢ تموز / يـوليو عـام ١٩٦٥) .

برغم شكوكه في جدوى اللجوء الى القوة العسكـرية ، فـإن عبد النـاصر كـان يرى ان القوة العسكرية هي اداة مفيدة لـردع العدو . فبنـاء جيش وطني قوي يـطلب أسـاسـاً لحمايـة الامن القومي، والتحول الاجتماعي . وقد لخّص عبد الناصر وظيفة القـوة العسكريـة بقولـه « ان السياسي لا يستطيع ان يعمل الا اذا كانت هناك قوة تسند هذه السيـاسة » (٢٧ شبـاط / فبرايـر عام ١٩٥٨) .

« حينما أقرأ في بعض الصحف الامريكية الافتتـاحيات المغـرضة التي تتسـاءل ، لماذا بيحـاول جمال عبـد الناصر ان يبني جيشاً كبيراً ، فإن الرد الذي يجول في خـاطري عـلى الفور هـو : انني ابني الجيش حتى لا نتحول نحن ايضاً الى شعب من اللاجئين » (١٠ آب / اغسطس عام ١٩٥٩) .

« القوة المسلحة يجب الا تستخدم الا لرد العـدوان ، وبعد أن تكـون المفاوضـات السلمية قـد اخفقت » (٩ نيسان / ابريل عام ١٩٦٠) .

« القوات المسلحة هي الدرع الواقية للمجتمع الاشتراكي . . . وبفضل القوات المسلحة سنستطيع حماية اهداف الشعب . ويعلم الله متى تكون القوات المسلحة قادرة على حماية موقفنا المستقل » (١٥ تموز / يوليو عام ١٩٦٣) .

« نتمنى الا تحمـل ايدينـا سلاحـاً ، لكن هذا العـالم لا تسيره النيـات الـطيبـة وحـدهـا في قلب المؤمن بـالسلام . ومن هنـا كنا نشعـر ان السلام والتقـدم لا بد لهـما من الحمايـة الـلازمـة والـرادعـة » (٢٧ آب / اغسطس عام ١٩٦٥) .

اذا كان من الجائز استعمال القوة العسكرية كأداة دفاعية ـ ردعية ، فإنـه من الضروري

اللجوء اليها ـ في نظر عبدالناصر ـ اذا كان البديل الوحيد لعدم استخدامها هو الاستسلام لمطالب العدو (٨ ايار / مايو عام ١٩٦١) . وقد حدد عبدالناصر ان مثل هذا الموقف قد ينشأ اذا تأكد ان اسرائيل على وشك ان تمتلك القنبلة الذرية . في مثل هذه الحالة ، فإنه من المحتم شن ضربة وقائية باستعمال القوة العسكرية :

« إذا تأكدنا ان اسرائيل بتعمل القنبلة الذرية يبقى ده معناه بداية الحرب بيننا وبين اسرائيل، لأننا لا نمكن اسرائيل من أن تعمل على انتاج قنبلة ذرية ، لا بد ان نهاجم قاعدة العدوان ولو نجند اربعة مليون » (٢٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٠) .

كقاعدة عامة اعتقد عبدالناصر انه يجب الاّ يكون البادىء باللجوء الى القوة العسكرية ، وبالذات في التعامل مع اسرائيل . فعبد الناصر لم يخف انه ليست لديه خطة عسكرية لتحرير فلسطين ، وانه لن يلجأ الى القوة العسكرية الا اذا هاجمت اسرائيل البلدان العربية[٢٤] .

« ما عندناش خطة لتحرير فلسطين ، خطة مباشرة ، لكن عندنا خطة اذا هجمت علينا اسرائيل او اذا هجمت على اي بلد عربي » (٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٦٣) .

ابتداء من عام ١٩٦٤ ، بدأ يتولد لدى عبدالناصر قناعة قوامها ان الحرب مع اسرائيل محتومة . ومع ذلك ، فإن عبدالناصر لم يتصور ان تلك الحرب ستقع حتماً في جيله ، كما انه لم يتصور انه هو الذي سيكون البادىء بتلك الحرب . وقد اوضح عبدالناصر ذلك في حديثه الى الصحفي الهندي كارانجيا في ٦ شباط / فبراير عام ١٩٦٤ اذ اكد انه « يبدو انه ليس هناك مفر من نشوب حرب ثانية في فلسطين » ولكنه اضاف ان تلك الحرب « ستجىء لمقاومة العدوان وردعه ، كما أتوقع ان تحدث في اي وقت ـ وعلينا ان نعد للاسوأ . . وانا اتوقع هجوماً من جانبهم ضد الدول العربية » . وفي حديث آخر مع محطة تليفزيون كولومبيا البريطانية في ٩ تموز / يوليو عام ١٩٦٥ تحدث مرة اخرى عن الحرب مع اسرائيل وقال : « لكنها قد لا تقع اليوم ، وقد تقع بعد خمس سنوات ، او بعد عشر سنوات ، وعندما احتل الصليبيون جزءاًمن الوطن العربي ، ظل العرب ينتظرون مدة سبعين عاماً » .

---

(٢٤) في صيف عام ١٩٥٩ اجتمع مجلس وزراء الجمهورية العربية المتحدة لمناقشة مشكلة محاولات اسرائيل تحويل مجرى نهر الاردن . وفي الاجتماع ، طالب بعض الوزراء السوريين بالقيام بعمل عسكري لتحطيم منشآت المشروع الاسرائيلي على غرار الحملة العسكرية السورية عام ١٩٥٣ والتي اجهضت المشروع الاسرائيلي آنذاك . وقد رفض عبدالناصر هذا المطلب ، وحذر من أنه لا يوجد ضمان ضد احتمال تحول العمل العسكري المحدود الى حرب شاملة ، ووجه حديثه الى امين النافوري قائلاً انه سيشن هذا الهجوم المحدود اذا اعطاه ضمانا من بن غوريون يؤكد ان اسرائيل ستحتفظ لهذا الهجوم بنطاقه المحدود ، انظر : احمد حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، ج٣ : عبد الناصر والعرب (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٦) ، ص ٦٥ - ٦٦ ، و Mohamed [Hasanayn] Heikal, *The Cairo Documents: The Inside Story of Nasser and His Relationships with World Leaders, Rebels and Statesmen* (New York: Doubleday, 1973), p. 27.

كذلك ، فإنه عندما تحدث عبدالناصر عن استعمال القوة لتحرير فلسطين ، لم يكن يقصد القوة العسكرية وحدها ، وانما القوة بالمعنى الشامل ، اي القوة الاقتصادية والسياسية والعسكرية من اجل اجبار اسرائيل على التسليم بالحقوق العربية . ففي خطاب له في دمشق في ٢٤ شباط / فبراير عام ١٩٦١ اكد انه « بالقوة وحدها نستطيع ان نحرر فلسطين » . ولكنه اضاف موضحاً أن القوة بمفهومه هي « التنمية والتصنيع والزراعة والسدود والتجارة » . في مناسبات اخرى يوضح عبدالناصر ان الحرب مع اسرائيل لا تعني حتماً الصدام المسلح ، ولكنها تعني السباق من اجل التنمية الاقتصادية ، كما أنها تعني رفض الامر الواقع الذي تحاول اسرائيل ان تفرضه في فلسطين :

« لن نستطيع ان نصد الصهيونية الا بالقوة ، والتصنيع والتطوير ، إلا بالعمل المتواصل في جميع الميادين . فهذا هو سبيلنا ، سبيلنا الى القوة . لا بد ان ننتج كل شيء ، ولا بد ان نعتمد على انفسنا حتى لا يتكرر ما حدث سنة ١٩٤٨ » (٣ آذار / مارس عام ١٩٥٩) .

« استعادة فلسطين ، مش بس قوة الجيش ، قوة الاقتصاد والقوة الصناعية والقوة العسكرية ، الانتاج العسكري والانتاج المدني » (٢٢ شباط / فبراير عام ١٩٦٤) .

« فلسطين مش الجيش فقط . فلسطين القوة الذاتية، قوة انتاجية ، قوتنا الاقتصادية . . . كل دي هي المعوقات الاساسية علشان نستطيع ان نسترد فلسطين » (١ ايار / مايو عام ١٩٦٤) .

« طريق الجهاد والنضال مش الحرب بس ، علشان نحارب لازم تكون عندنا القوة الذاتية ، لازم ننتج حاجتنا » (٨ آذار / مارس عام ١٩٦٥) .

ماذا عن المفهوم الناصري للاستعمال التكتيكي للقوة العسكرية ؟

حدد عبدالناصر قواعد أساسية لنجاح التطبيق التكتيكي للقوة العسكرية :

(١) احرص على ضمان التفوق العسكري على العدو (٢٣ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٠ ، ٢٠ شباط / فبراير عام ١٩٦٦) .

(٢) حرص على استعمال القوة العسكرية بشكل مكثف وشامل . فالتطبيق التدريجي والمحدود للقوة العسكرية يعني فشل تحقيق الهدف الذي من اجله استعملت القوة في المقام الاول (١٩ تموز / يوليو عام ١٩٥٨ ، ٨ آب / اغسطس عام ١٩٥٩) .

(٣) إذا تطلب الموقف العسكري الانسحاب ، فإنه يكون من العبث الصمود والهجوم ، لأن ذلك يؤدي بالقوة المسلحة الباقية ويعرِّض حياة المدنيين للخطر ، (٢٢ حزيران / يونيو عام ١٩٦٢) .

(٤) لا تستعمل القوة العسكرية وحدها ، بل استعمل القوة العسكرية في اطار الاستعمال الشامل للقوة . فالقوة العسكرية وحدها لا تكفل تحقيق الاهداف السياسية .

جدول رقم (٥ـ ١٤)

التوزيع التكراري لعقائد عبد الناصر المتعلقة بالقوة العسكرية ، للسنوات ١٩٥٧ ـ ١٩٦٧

العقيدة / السنة	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	المجموع
٧ ـ وظيفة القوة العسكرية	٥	١١	٦	٢	١٢	٤	٦	١٠	٨	٥	٣	٧٢
تجنب استعمال القوة(٪)	٢٠	٤٥	٨٣ (١٧)		٥٨ (٨)			١٠	١٣	٢٠		٢٨
القوة حل اخير (٪)	٤٠(٢٠)			١٠٠ (٥٠)			١٧			٦٠	(٣٣)	١٣
القوة هي الحل الوحيد(٪)					٨			(٢٠)	٧٥ (٥٠)			١٣
القوة احدى الأدوات(٪)	٢٠	٥٥ (٩)			(١٧)	١٠٠ (٢٥)	١٣ (٣٣)	٧٠ (٣٠)	(١٢)	٢٠	٦٧	٤٠
القوة افضل من الاستسلام(٪)	٢٠		١٧		(١٧)							٦
أ ـ استعمال القوة العسكرية(أ)	٢	١	٥		٢	١	١			٢	٤	١٨
على نطاق واسع (٪)	٥٠	١٠٠	٨٠ (٦٠)		٥٠						(٥٠)	٥٠
بالاشتراك مع وسائل اخرى(٪)	٥٠		(٢٠)		(٥٠)	١٠٠	١٠٠			١٠٠	٥٠ (٢٥)	٥٠
ب ـ استعمال القوة العسكرية(ب)	١	١	٦	٢	١	٢	٢	١	٤	٧	٦	٣٣
لا تشن الضربة الاولى(٪)		(١٠٠)	٨٣ (٦٦)	٥٠			١٠٠	(٥٠)			١٠٠ (٦٦)	٤٥
بادر بالضربة الاولى (٪)								(١٠٠)		١٥		٨
التراجع افضل من الحصار(٪)						٥٠				٥٧ (٦)		١٤
التفوق العسكري ضروري(٪)	(١٠٠)		١٧	(٥٠)	١٠٠	٥٠			(١٠٠)	٢٨		٣٣
التفوق العسكري غير ضروري(٪)												
ج ـ مفهوم القوة	٤	٢٧	٤٧	٢٩	٥	٢٠	٩	٢٧	٢٨	٩	—	٢٠٥
متعدد الابعاد (٪)	١٠٠	٩٦	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	٨٩	١٠٠	١٠٠	١٠٠	—	٩٩
قوة عسكرية فقط (٪)		٤					١١					١

وقد سبق ان اشرنا الى تلك القاعدة في التعامل الناصري مع قضية تحرير فلسطين. بيد أن تلك القاعدة تكاد تنطبق على تعامل عبد الناصر مع جميع القضايا السياسية . ففي حديثه بمناسبة عيد الثورة التاسع في ٢٢ تموز / يوليو عام ١٩٦١ أشار الرئيس كنيدي وقد ارسل له رسالة عن قضية فلسطين ، وان بعض مساعديه قد طلبوا منه عدم الرد على كنيدي ، ولكنه اعترض على وجهة النظر تلك مؤكداً انه « من الضروري ان نتحرك على جبهة الكلمة الى نهاية الجبهة ، وهي طلقة المدفع والجيش الوطني القوي » . وفي ٢٠ شباط / فبراير عام ١٩٦٦ وجّه حديثاً الى وفد صحفي عراقي مؤكداً ان : « القوة ليست السبيل لانهاء هذا التمرد (الكردي) ، ولكن مع القوة والعمل العسكري ، يجب ان تقوم السياسة بدورها » .

ومن هنا ، فالقوة العسكرية ـ في التحليل الناصري ـ لا تعني مجرد استعمال السلاح ، ولكنها تنصرف الى التوظيف الشامل للسلاح مع كافة ادوات القوة الاخرى : « الحرب ليست مجرد حرب بنادق او طائرات او دبابات ، وإنما الحرب يجب ان تكون عملاً وتفوقاً واخلاصاً وجهداً لا ينقطع من اجل تطوير الحياة ذاتها . . . ان الحرب في هذه الحياة تصبح حرباً شاملة لا ضد الاستعمار وحده وإنما من اجل القوة الذاتية العلمية والاقتصادية والثقافية والسياسية والعسكرية » (١٥ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٢) .

خاتمـــة

يتضح من التحليل السالف ان النسق العقيدي الناصري خلال هذه الفترة قد اصبح اكثر ثراء في مضمونه ، كما أنه شهد تحولاً راديكالياً في توجهه الاجتماعي والسياسي . وقد اتضح ذلك في تطوير نظريات اجتماعية جديدة حول اصول الصراع الاجتماعي ، والحتمية التاريخية ؛ ودور القائد في تحريك التاريخ . فالمنظور الناصري للسياسة كان بالاساس منظوراً صراعياً ، فقد اعتقد عبدالناصر ان الصراع جزء من نسيج الطبيعة البشرية ، ومن ثم فإنه لا يمكن الغاؤه وإنما تخفيف حدة آثاره السلبية . كذلك ، فقد تصور الصراع كمباراة صفرية تتشابك فيها مصالح واستراتيجيات اللاعبين تشابكاً وثيقاً . بيد ان عبدالناصر كان مهتماً بالاساس بالصراع الطبقي ، باعتباره الشكل الرئيسي للصراع الاجتماعي . وكان يعتقد أنه يمكن ضبط الصراع الطبقي عن طريق اقرار التوازن الاجتماعي ، والقضاء على كل اشكال الظلم الكامنة .

خلافاً لعقائد الفترة الاولى ، فقد طور عبدالناصر نظرية متكاملة حول المنظور الحتمي ـ الدائري ـ التقدمي للتاريخ . وقد دفعه هذا الى الاعتقاد أن دور القائد السياسي في التطور السياسي والتاريخي هو دور محدود . بيد أنه اضاف ان القائد السياسي يستطيع أن يلعب دوراً نشيطاً في التأثير في « التطورات الجارية في مجتمعه » .

بالنسبة للاعداء السياسيين ، فقد تصور عبدالناصر نظاماً ثلاثياً متكاملاً من الاعداء تلعب فيه اسرائيل دور العميل الاستعماري . وكانت صورة اسرائيل في النسق العقيدي

الناصري صورة الدولة التوسعية التي ينبع توسعها من طبيعتها السكانية وعقيدتها الصهيونية ، وصورة العدو الذي لا يتراجع الا اذا واجه سياسة متشددة . بيد ان عبد الناصر اخطأ في حساب منهج اسرائيل في حساب المخاطرة السياسية مما أدى به الى خطأ جسيم في تقدير الموقف في ايار / مايو عام ١٩٦٧ .

ادى تصور عبد الناصر السلبي للعدو ، ومنظوره الصراعي للسياسة ، الى تبنيه استراتيجيات تعظيمية في اختيار الاهداف السياسية . فالقائد السياسي - طبقاً لتصور عبد الناصر - يجب عليه أن يختار اهدافه في ضوء قراءته للمسار العام للتاريخ والطاقات الكامنة فيه .

بيد ان عبد الناصر لم يربط صورته السلبية للعدو واستراتيجيته التعظيمية في اختيار الاهداف ، بمناهج واستراتيجيات تحقيق الاهداف . فعبد الناصر ، اختار ان يضع علاقته بأعدائه الخارجيين في اطار تاريخي شامل . ومن ثم ، فقد تصور ان اهدافه القصوى ستتحقق ، بصرف النظر عن الصعوبات المؤقتة او المشاكل الراهنة ، كما تمسك بالمنهج التدرجي في تحقيق الاهداف والاستراتيجية الردعية في التعامل مع الاعداء . كذلك ، رفض عبد الناصر اتباع اي سياسات تنطوي على مخاطرة سياسية في التعامل مع اعدائه الخارجيين ، وبالذات اسرائيل . فالصراع العربي - الاسرائيلي - بالنسبة لعبد الناصر - هو صراع تاريخي سيتحدد المنتصر فيه في ميدان البناء الاقتصادي وليس في ميدان القوة العسكرية .

الفصل السادس

النسق العقيدي الناصري: سنوات النكسة (١٩٦٧ ـ ١٩٧٠)

لا شك ان الفترة التي تلت العدوان الاسرائيلي في حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ وامتدت حتى وفاة جمال عبدالناصر المفاجئة هي احرج الفترات وأعصفها في تاريخه السياسي . ففي عقب العدوان مباشرة عاش عبد الناصر مرحلة قاسية من الاحساس بالمهانة وعدم تصديق ما حدث . ذلك ان حجم الهزيمة ـ كما قال لصديقه محمد محجوب رئيس وزراء السودان السابق ـ تعدى اكثر توقعاته تشاؤماً[١] .

وبمجرد ان تخطى عبدالناصر فترة الاحساس بمرارة الهزيمة ، بدأ على الفور في صياغة خطة لاستعادة الاراضي المحتلة ، فشرع بسرعة في اعادة بناء القوات المسلحة ، وإعادة بناء المؤسسات السياسية ، وتحسين العلاقات مع البلدان العربية « المحافظة » . وقد تمثل ذلك في استئناف العمليات العسكرية في منطقة قناة السويس حيث تصدت القوات المصرية لقوات اسرائيل عند رأس العش كما أغرقت المدمرة الاسرائيلية ايلات . وفي تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩٦٧ ، أعلن عبدالناصر ان مصر قد استكملت خطوط دفاعها ، كما بدأ في آذار / مارس عام ١٩٦٩ في شن « حرب استنزاف » ضد اسرائيل من اجل منع اسرائيل من تثبيت مواقعها عند خط وقف اطلاق النار . وانتهت حرب الاستنزاف بخطة روجرز للسلام ، والتي قبلها عبد الناصر ، لأنه أساساً كان يحتاج بعض الهدوء على الجبهة لبناء قواعد الصواريخ ، كما أنه وجدها فرصة مناسبة لاختبار النوايا الامريكية .

بمجرد اعلان قبول مبادرة روجرز ، تصاعد الخلاف بين الحكومة الاردنية وقوات المقاومة الفلسطينية الى حرب شاملة في ايلول / سبتمبر عام ١٩٧٠ وعلى الفور دعا عبدالناصر الى مؤتمر قمة عربي في القاهرة لحل هذا الصدام الدموي ، وقد نجح عبد الناصر

---

(١) Mohamed Ahmed Mahgoub, *Democracy on Trial: Reflections on Arab and African Politics* (London: Deutch, 1974).

في دفع الملك حسين وياسر عرفات الى التوقيع على وثيقة تتضمن تسوية مؤقتة للموقف
اليوم الاخير للمؤتمر اصيب عبدالناصر بنوبة قلبية ادت الى وفاته في الساعة الخامسة م
٢٨ ايلول / سبتمبر عام ١٩٧٠ .

نظراً لقلة التعبير عن عقائد « النهج الاجرائي » واستقرار معظمها ، فإننا سندمج كـلاً من الجزئين الفلسفي والادائي في النسق العقيدي الناصري .

اولاً : العقائد الفلسفية

أ ـ العقائد الفلسفية العامة

١ ـ جوهر الحياة السياسية يتحصل في التصادمات والتناقضات الجدلية .

٢ ـ الصراعات السياسية هي جزء لا يتجزأ من الطبيعة البشرية .

٣ ـ يجب حل الصراع الطبقي بطريقة سلمية .

٤ ـ هناك ترابط جدلي بين القضايا المحلية ، الاقليمية والعالمية .

٥ ـ النظامان السياسي والاقتصادي العالميان نظامان صراعيان بالاساس .

٦ ـ الاستعمار والتناقض بين الاستعمار وحركات التحرر الوطنية هما المصدران الر
للصراع العالمي .

٧ ـ الطريق الوحيد لاقرار السلام العالمي هو ازالة كل اشكال الظلم المفروض ع
العالم الثالث والشعب الفلسطيني .

٨ ـ مصر تلعب دورين عالميين رئيسيين هما : عدم الانحياز ، ومساندة حركات التحر

٩ ـ « يعلمنا التاريخ ان الشعوب دائماً تنتصر » .

١٠ ـ لن يتحقق هدف استعادة الارض العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ بين
وضحاها .

١١ ـ استعادة الارض العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ مرهون بالتعبئة الكاملة العربية .

١٢ ـ الوقت لمصلحة العرب .

١٣ ـ « جمال عبد الناصر لا يستطيع أن يفعل كل شيء » .

١٤ ـ القيادة هي عملية قوامها الوساطة الاجتماعية .

بصفة عامة ، اتسمت العقائد الفلسفية المتعلقة بالحياة السياسية بقدر كبير من الثبات خلال هذه الفترة . فجوهر الحياة السياسية ـ في نظر عبدالناصر بعد حزيران / يونيو ١٩٦٧ ـ ما زال هو « الصراع بين ما هو كائن وبين ما يجب ان يكون » (٢٠ نيسان / ابريل عام ١٩٦٨) . كما أن التناقضات الطبقية توجد في كل النظم الاجتماعية بغض النظر عن توجهاتها السياسية .

« بالنسبة لكل دول العالم ، الصراعات بتكون موجودة باستمرار ، والاتجاه الى مراكز القوة بيكون اتجاه قائم » (٢٣ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٧) .

« التناقضات الموجودة في الاتحاد الاشتراكي موجودة بالطبيعة ، لأن هذه التناقضات موجودة في المجتمع » (٣ آذار / مارس عام ١٩٦٨) .

« عند القمة يوجد دائماً صراع على السلطة في كل دولة . هناك دائماً وجهات نظر مختلفة وآراء مختلفة عند القادة في كل مكان . واعتقد انه يوجد صراع على السلطة في كل دولة » (٢٦ شباط / فبراير عام ١٩٦٩) .

كذلك ، استمر عبد الناصر في تفسير الصراع الاجتماعي في ضوء الطبيعة البشرية (٣٠ آذار / مارس ١٩٦٨) ، وفي الدفاع عن الحل السلمي للصراع الاجتماعي (٣ آذار / مارس ١٩٦٨) وعن الطبيعة المزدوجة للصراع (١ ايار / مايو ١٩٦٨) ، وفي رؤية الصراعات على انها تشكل وحدة متشابكة (٢٥ نيسان / ابريل ١٩٦٨) .

وبالمثل ، فقد نظر عبدالناصر الى النظام العالمي ـ خلال هذه الفترة ـ كنظام صراعي بالاساس ترجع طبيعته الصراعية الى التكالب الاستعماري لسحق حركات التحرر الوطني في العالم الثالث . وبرغم هزيمة حزيران / يونيو ، لم يتخل عبدالناصر عن مفاهيمه للدور الاستقلالي ـ التحرري ـ التكاملي الذي تلعبه مصر في النظام الدولي . اذ نجد ان ٤٠ بالمائة من اشاراته الى دور مصر العالمي ، يعرّف هذا الدور بأنه دور استقلالي نشيط في اطار عدم الانحياز ، وفي ٤٠ بالمائة من تلك الاشارات ايضاً يعرّف هذا الدور بأنه دور قيادة عملية التنمية العربية والتكامل العربي ، وفي النسبة الباقية يصف دور مصر بأنه دور مساعدة حركات التحرر الوطني .

استمر عبدالناصر ايضاً في تفاؤله المطلق حول تحقيق اهدافه السياسية في المدى الطويل . وليس ادل على ذلك من أنه في ليلة الهزيمة ، اي في مساء ٩ حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ ، كان عبدالناصر متفائلاً بمستقبل الثورة العربية . ففي خطاب استقالته الذي أذاعه عقب التأكد من الهزيمة قال :

« إن ثقتي غير محدودة بهذا التحالف القائد للعمل الوطني للفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ؛ ان وحدته وتماسكه والتفاعل الخلاق داخل اطار هذه الوحدة قادر على ان يصنع ـ بالعمل وبالعمل الجاد وبالعمل الشاق كما قلت اكثر من مرة ـ معجزات ضخمة في هذا البلد ليكون قوة لنفسه ولأمته العربية ولحركة الثورة الوطنية وللسلام العالمي القائم على العدل » .

كذلك عبّر في اول خطاب القاه عقب الهزيمة عن تفاؤله الشديد حول استعـادة الارض العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ ، رغم انه حذر الجماهير بصراحة من أن تتوقع نتائج حـاسمة في المستقبل القريب (٢٣ تموز / يوليو عام ١٩٦٧) . والواقع ان عبد الناصر لم يتخلَ اطلاقاً عن اعتقاده الجازم بأن اهدافه السياسية ستتحقق لأنها جزء من التيار الـطبيعي للتاريـخ (٢٩ آذار / مارس عام ١٩٦٩) . بيد ان تفاؤله السياسي فقد صفة الاطلاق التي اتسم بها خلال الفترة الثانية واصبح تفاؤلاً مشروطاً بشكل واضح . فالتفاؤل الناصري اصبح مشروطاً بتوفير ظـروف معينة بـدونها لن يتحقق الهدف . ويؤكـد ذلـك ان نسبـة الاشـارات الى مشـروطيـة التفاؤل ارتفعت الى ٧٥ بالمائة بدلاً من ٣٧ بالمائة خلال الفترة الثانية .

من ناحية اخرى ، يبدو ان هزيمة حزيران / يـونيو قـد هزت من اعتقـاد عبدالنـاصر في الانتصار الحتمي للثورة . ويتضح ذلك في انه عقب هزيمة حزيران / يونيو لم يشر عبـدالناصـر الى مفهومه الدائري ـ الحتمي ـ التقدمي للتاريخ . بل انه بدأ يدرك بشكل اكـثر وضوحـاً ان الحتمية التاريخية ليست آلية او واحدية الاتجاه كما كان يتصور قبل ذلك . فمجرد زيادة المـوارد البشرية العربية ليس ضمانة مؤكدة الى أن ميزان القـوى النهائي سيكـون في مصلحة العرب . ولذلك نجد معظم اشاراته الى امكانية التنبؤ السياسي ذات طابع احتمالي لا يرقى الى درجـة اليقين المطلق الذي اتسمت به تلك العقيـدة في الفترتين السـالفتين . بيـد ان ذلك لم يضعف من اعتقاده في ان الوقت بصفة عامة هو الحليف الاول للعرب ، بدون ان يقدم تبريراً منطقيـاً لمثل هذا الاعتقاد .

ويتضح تأثير هزيمة عام ١٩٦٧ على النسق العقيدي النـاصري في تغـير مضمون عقيـدة عبدالناصر المتعلقة بدور القائد السياسي . فقد تخلى عبدالناصـر عن تعريفـه لدوره السيـاسي على انه معلم سياسي ، ويعبر عن مصالح الجماهير ، وعاد الى تعريفه لدوره السيـاسي الذي عبر عنه خلال الفترة الاولى كوسيط سياسي بين القوى الاجتماعية مهمتـه الاساسيـة الموازنـة والتوفيق بين كل التوجهات السياسية .

« فيه ناس كانت بتتصور ان جمال عبدالناصر في مصر بيقول لأي حاجة كن فتكـون ـ وده شيء مستحيل بطبيعة الامور . . . . الحكم ماهـواش اوامر . الحكم هـو عبارة عن تفكـير ومناقشـات واختلافـات ثم اتفاق ثم السير في الطريق . ما فيش واحد في الدنيا مهما بلغ من القوة ومهما بلغ من الشعبية بيقـول للشيء كن فيكون في بلده ويصبح امره لا يرد الا اذا كانوا الناس اللي معاه إمِّعات » (١٥ شباط / فبراير عام ١٩٦٨) .

« القيادة السياسيـة ليست سيفاً بتاراً قاطعـاً ، وإنما عمليـة موازنـة وعملية اختيـار بعد المـوازنة » (٣٠ آذار / مارس عام ١٩٦٨) .

« البيان (بيان ٣٠ آذار / مارس) هو في النهاية عمليـة صياغـة لكل مـا هو ايجـابي في هذه المنـاقشات ، وهذا الحوار . فإذاً الجماهير هي صاحبة هذا البيان . هذا البيان ليس نصاً وضعته وليس اقتراحاً من عندي وانما هو في النهاية خلاصة حوار بدأ من قبل النكسة واشتركت فيه . . . وكان واجبي ان اقوم بتلخيصه وبتخليصه من

اي شائبة فيه وأن أنسق ما فيه وأن أقوم بعملية ملاءمة بينه وبين الظروف بحكم ما أتحمله من المسؤولية ، وده كان دوري الوحيد في البيان » (١٨ نيسان / ابريل عام ١٩٦٨) .

جدول رقم (٦ ـ ١)

التوزيع التكراري للعقائد الفلسفية الناصرية العامة ، للسنوات ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠

السنة / العقيدة	١٩٦٧[١]	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	المجموع
١ ـ طبيعة العالم السياسي	١	١	١	–	٣
صراعي (٪)	١٠٠	١٠٠	١٠٠		١٠٠
انسجامي (٪)					
أ ـ مصادر الصراع		٣	١		٤
الطبيعة البشرية (٪)		٣٣			٢٥
الايديولوجية في الدولة (٪)		٣٣			٢٥
الخصائص السياسية للدولة (٪)		٣٣	١٠٠		٥٠
ج ـ طبيعة الصراع		٤	٢		٦
مباراة صفرية (٪)		١٠٠	٥٠		٨٣
مبارة لاصفرية (٪)			٥٠		١٧
هـ ـ وظيفة الصراع		١			١
وظيفي (٪)					
غير وظيفي (٪)		١٠٠			١٠٠
٣ ـ النظام الدولي		٢	١	٢	٥
صراعي (٪)		١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
انسجامي (٪)					
أ ـ مصادر الصراع الدولي		١	١		٢
القومية (٪)		١٠٠	١٠٠		١٠٠
ب ـ شروط السلام الدولي		٢		٨	١٠
تحقيق العدالة الدولية (٪)		١٠٠		١٠٠	١٠٠
ج ـ هيكل النظام الدولي		٣			٣
قطبية ثنائية مرنة (٪)		١٠٠			١٠٠
د ـ استقرار النظام الدولي		١			١
مستقر (٪)		١٠٠			١٠٠
هـ ـ دور مصر الدولي	١	٦	٢	١	١٠
محرر (٪)					
قائد اقليمي (٪)					
مستقل (٪)		٥٠	٥٠		٤٠
معاد للاستعمار (٪)		١٧		١٠٠	٢٠
تكامل عربي (٪)	١٠٠				١٠

يتبع

تابع الجدول رقم (٦ - ١)

العقيـدة / السنة	١٩٦٧[1]	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	المجموع
تطوير عربي (٪)		٣٣	٥٠		٣٠
٤ - التفاؤل / التشاؤم	٣	١٣	١٢	١٣	٤١
تفاؤل غير محدود (٪)	١٠٠	٥٤	٦٧	٦٩	٦٦
تفاؤل محدود (٪)		٨		٨	١٥
تشاؤم (٪)		٣٨		٢٣	١٩
أ - بالاشارة الى	٣	١٣	١٢	١٣	٤١
اهداف بعيدة المدى (٪)		٨	٣٣	١٥	١٧
سياسات محددة (٪)	١٠٠	٩٢	٦٧	٨٥	٨٣
ب - مشروطية التفاؤل	٢	٧	٦	١	١٦
مشروط (٪)		١٠٠	٦٧	١٠٠	٧٥
غير مشروط (٪)	١٠٠		٣٣		٢٥
ج - الوقت لصالح من؟	٢	٣	٣	٤	٩
لصالح العرب (٪)	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
لصالح الاعداء (٪)					
٥ - التنبؤ السياسي :	٤	١		٣	٨
يمكن التنبؤ (٪)	١٠٠	١٠٠		١٠٠	١٠٠
لا يمكن التنبؤ (٪)					
أ - مجالات التنبؤ	٥	١		٠٣	٩
التطور التاريخي (٪)	٢٠				١٢
النظام الدولي (٪)					
سلوك العدو (٪)	٤٠			٣٣	٣٣
نتائج السياسات (٪)	٢٠	١٠٠			٢٢
احداث محددة (٪)	٢٠			٦٧	٣٣
ب - درجة التنبؤ	٥	١		٣	٩
يقين (٪)	٦٠	١٠٠		٣٣	٥٦
احتمال (٪)	٢٠			٦٧	٣٣
لا يقين (٪)	٢٠				١١
٦ - دور القائد السياسي	١	٤			٥
تدخل سياسي نشيط (٪)	١٠٠				٢٠
الرد الايجابي (٪)					
التدخل كلما كان ممكناً (٪)		٥٠			٤٠
الوساطة الاجتماعية (٪)		٥٠			٤٠

(١) تشمل تكرارات الفترة من ١١ حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ حتى آخر كانون الاول/ ديسمبر عام ١٩٦٧ ، في هذا الجدول والجداول التالية .

اكثر من ذلك ، فإن عبد الناصر اتجه بالتدريج الى نوع من الاحساس بالعجز عن التحكم في الاحداث يصل الى درجة القدرية المفرطة : « كل شيء رهن لظروفه ، منقدرش نقلب الكون في يوم وليلة . منقدرش نحسن احوال كل واحد فجأة » (١ ايار / مايو عام ١٩٦٨) .

« انني اعترف امامكم أنني لا اعرف بعد الطريقة التي استطيع بها أن اضغط على زر امامي فتحدث مرة واحدة كل التغييرات التي نريدها » (٢ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٨) .

ويتضح ذلك بالنظر الى الجدول رقم (٩ - ١) حيث انه في ٨٠ بالمائة من اشاراته الى دور القائد السياسي يعرف دوره على انه دور الوسيط الاجتماعي والمراقب للتيارات الاجتماعية والتاريخية ، ومن المهم ان نعرف أن النسبة المقابلة خلال الفترة الاولى كانت ٢٦ بالمائة فقط (جدول رقم (٤ - ٧) ، ٢ بالمائة خلال الفترة الثانية (جدول رقم (٥ - ٩)) .

ب - العقيدة الفلسفية المتعلقة بالعدو السياسي

١٥ - التوسع هو سبب وجود اسرائيل .

١٦ - التوسع كامن في طبيعة الاهداف التاريخية لاسرائيل وفي نسيج المجتمع الاسرائيلي .

١٧ - هناك رابطة عضوية بين اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية .

١٨ - لا يوجد صقور وحمائم في اسرائيل .

١٩ - ارتفعت اصوات في اسرائيل تحذر من الطريق الخطر الذي تسير فيه المجموعة الحاكمة .

٢٠ - اسرائيل تصورنا للعالم على اننا نريد تدميرها .

٢١ - ستحاول اسرائيل الاستفادة من اي وقف لاطلاق النار او مفاوضات في المستقبل .

٢٢ - لن تنسحب اسرائيل من الاراضي المحتلة الا اذا أجبرت على ذلك بالقوة المسلحة .

٢٣ - اسرائيل تختار اهدافها في ضوء قانون تعظيم المنافع ، وتتبع اهدافها من خلال منهج عقلاني - تدرجي .

٢٤ - استراتيجية اسرائيل مبنية على فرض التسوية من خلال القهر النفسي والعسكري .

شهدت نظرة عبد الناصر العامة للصراع العربي - الاسرائيلي خلال تلك الفترة تغيرات مهمة سواء على مستوى هوية واولوية الاعداء او على مستوى طبيعة التفاعلات السياسية في هذا الصراع . ويتضح اول ابعاد هذا التغيير في ظهور اسرائيل باعتبارها العدو الرئيسي والمباشر ، اذ يوضح الجدول رقم (٦ - ٢) انه في ٧٥ بالمائة من اشاراته الى الاعداء السياسيين طوال تلك الفترة ، كانت اسرائيل يشار اليها باعتبارها العدو الرئيسي ، بينما بلغت تلك النسبة في الفترة السابقة ٣٣ بالمائة فقط (جدول رقم (٥ - ٢) . فقبل حرب حزيران / يونيو ، كان الاستعمار

الغربي يلعب دور العدو الرئيسي والمباشر في التصور الناصري ، بينما كانت اسرائيل والرجعية العربية تلعبان دور العميل. بيد ان الحرب أتت باسرائيل الى مشارف قلب الاراضي المصرية بحيث اصبحت خطراً مباشراً وعاملاً لا يمكن تجاهله من خلال النظرة التاريخية بعيدة المدى .

جدول رقم (٦ ـ ٢)

التوزيع التكراري للاعداء في الادراك الناصري ، للسنوات ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠

السنة / العدو	١٩٦٧[٢]	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	المجموع
اسرائيل (٪)	٧٢,٣	٧٥,٢	٨٢,٢	٧٢	٣١٩
اسرائيل والاستعمار (٪)	٢,١	٥,٣	٢,٢	١,٢	١١
الاستعمار (٪)		١,٨	١,٠	٣,١	٨
الولايات المتحدة (٪)	٨,٦	٥,٣	١٠,٩	١٧,٨	٥٤
الولايات المتحدة وبريطانيا (٪)		٠,٩	١,٠	٠,٦	٣
السعودية (٪)	٢,١				١
الاردن (٪)				١,٢	٢
تونس (٪)			١,٠		١
الرجعية العربية (٪)	٦,٤				٣
العرب (آخرون) (٪)	٢,١				٢
الغرب (آخرون) (٪)	٦,٤	١,٨		١,٢	٧
اعداء داخليون (٪)		٨,٨	١,٠		١٢
آخرون (٪)				٠,٦	١
عدد التكرارات	٤٧	١١٣	١٠١	١٦٣	٤٢٤
العدد الكلي للفقرات	٥٤	١٤٩	١١٥	١٧٩	٤٩٧

تمثَّل التغير العقيدي الثاني بـانتقال البلدان « المحـافظة » العـربية ـ وبـالذات السعـودية والاردن ـ من موقع العداء الى موقع التحالف . ذلـك ان حرب حـزيران / يـونيو التي انتهت باحتلال اراضٍ للبلدان « الثـورية » والبلدان « المحـافظة » عـلى السواء ، جعلت من النـزاع « الثوري ـ الرجعي » العربي غير ذي موضوع . وقبل كل شيء ، فـإن النظام الاردني خـاض الحرب الى جانب مصر ، وليس الى جانب اسرائيل ، كـما أن الدعم المـالي من بعض البلدان « المحافظة » اخذ يشكل حيزاً مهماً من كيان الاقتصاد المصري ، بعد اغلاق قناة السويس . وكما يتضح من الجدول رقم (٧ ـ ٢) ، فإن عبد الناصر ـ بعد حرب حزيران / يونيو ـ نادراً ما نظر الى اي نظام عربي كنظام معادٍ ، بينما قفزت اسرائيل الى مركز الصدارة المطلقة.

لم يقتصر التغير فحسب على طبيعة واولوية الاعداء السياسيين ، ولكنه امتد كذلك الى طبيعة

التفاعلات السياسية بين هؤلاء الاعداء . استمر عبد الناصر ينظر الى اسرائيل كأداة في المخطط الامريكي العالمي للسيطرة على الشرق الاوسط وقلب النظم الثورية العربية : « ان ما نواجهه مباشرة في ميدان القتال ، اي اسرائيل وما يسند اسرائيل مباشرة ، اي حركة الصهيونية العالمية انما هو المظهر والاداة لتنفيذ مخطط نظام السيطرة الاستعمارية العالمية » (١١ نيسان / ابريل عام ١٩٧٠) .

بيد ان العلاقة بين اسرائيل والاستعمار الامريكي ـ في المنظور الناصري ـ اصبحت علاقة عضوية ومتعددة الابعاد ، بحيث اصبح الطرفان كلاً متوحداً يصعب التمييز فيه بين السيد والعميل . وترجع جذور هذه العلاقة العضوية بين اسرائيل والاستعمار الامريكي الى المصالح الامريكية في السيطرة على المنطقة ـ حيث تلعب اسرائيل دوراً مهماً في تحقيق تلك المصالح ـ والى الاصوات الانتخابية اليهودية في المجتمع الامريكي . وفي مقابلة مع الصحفي الهندي كارنجيا في ٨ نيسان / ابريل عام ١٩٧٠ ، اوضح عبد الناصر تصوره لابعاد العلاقة بين اسرائيل والاستعمار الامريكي كالتالي :

« امريكا موجودة في اسرائيل . ان اسرائيل هي قاعدتها الامامية في غرب آسيا . فأي ترابط يمكن أن يكون اعمق من الترابط الامريكي ـ الاسرائيلي ؟ ان واشنطن تردد في كل مرة كلام اسرائيل ، والمذكرات الامريكية لنا تكرر ، كالببغاء ، الكلمات والجمل التي تستخدمها « مائير » و« ديان » » .

إن محصلة هذه التحولات الادراكية في طبيعة الاعداء السياسيين هي تصور جديد للصراع العربي ـ الاسرائيلي كعلاقة ثنائية طرفاها الاساسيان هما مصر وبقية العرب من ناحية ، واسرائيل والولايات المتحدة من جانب آخر .

ومن ناحية اخرى ، ظلت عقائد عبد الناصر المتعلقة باسرائيل ذاتها ثابتة تقريباً . فاستمر عبد الناصر ينظر الى اسرائيل كعدو لدود لا تقف مطامعه التوسعية عند حد ، وكأقلية غريبة تطالب لنفسها بما لا تملكه ، وكمشروع استعماري يتأسس على العنصرية (٢٣ تموز / يوليو ١٩٦٩ ، ١ ايار / مايو ١٩٧٠) .

وفي خطابه في عيد العمال في اول ايار / مايو عام ١٩٧٠ ، اوضح ان اسرائيل تهدف الى التوسع ـ انطلاقاً من مخطط هرتزل « من النيل الى الفرات ، من فرع دمياط ، تدخل الشرقية ومناطق اخرى غرب القنال لغاية ما توصل الى العراق تدخل سوريا وتدخل لبنان وتدخل الاردن وبيدخل الجزء الشمالي من السعودية » .

نظر عبد الناصر الى الاهداف التوسعية الاسرائيلية في الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ كامتداد للاهداف التاريخية للصهيونية التي وضع اسسها تيودور هرتزل . فاسرائيل تنفذ « الخريطة التي قال عنها هرتزل » (١ ايار / مايو ١٩٧٠) كما أنها تنفذ الحلم الديني المسمى « ارض التوراة » .

« سياسة اسرائيل سياسة تقوم على العدوان الدائم ، والتوسع ، وضم الارض واستعمارها . ان مؤسسي اسرائيل انفسهم لم يخفوا ابداً مشروعهم الخاص باسرائيل الكبرى التي تشمل قناة السويس والدلتا والاردن ولبنان

وسوريا والعراق والمنطقة كلها الواقعة بين النيل والفرات . وذلك كله مسجل في خطة وايزمان الموضحة في خريطة هرتزل لاسرائيل الكبرى » . (١٨ نيسان / ابريل عام ١٩٧٠) .

« العدو يريد التوسع . قادة اسرائيل بعد ٦٧ قالوا تصريحات كثيرة . ديان قال ان حدود ٤٨ عملها الجيل بتاعنا ، يعني بتاع ديان . والحدود التي وصلنا اليها سنة ١٩٦٧ هي الحدود التي عملها الجيل اللي عمـا يأخذ المسؤولية في الوقت الحاضر . وعلى الجيل الجديد ان يعمل على ان يستعيد اسرائيل كلها . وقال انه طالما هناك توراة ، فهناك ارض التوراة ، ويقصد بأرض التوراة ملك فلسطين كلها ـ واجزاء من الامة العربية من النيل الى الفرات . هناك من اعلن في اسرائيل ، وزير المواصلات قال : ان حدود اسرائيل هي من النيل الى الفرات ، وان خريطة اسرائيل هي الخريطة التي عملها هرتزل من اكثر من ٧٠ سنة » (٢٣ تموز / يوليو عام ١٩٧٠) .

كذلك استمر عبد الناصر طوال معظم تلك الفترة يؤكد على الطبيعة المتكاملة للنخبة السياسية الاسرائيلية . فالخلافات السياسية بين شتى اجزاء النخبة الاسرائيلية ـ فيما يتعلق بالاراضي العربية ـ هي خلافات ثانوية . فالكل يريد التوسع ، بيد ان البعض يريد قطعة اكبر من الارض ، والبعض الآخر يريد قطعة اقل :

« لا أعتقد ان هناك صقوراً وحمائم (في اسرائيل) فهناك بعض الناس يفضلون الحديث بلغة دبلوماسية مثل ابا ايبان ، فيقولون انه حمامة ، ومع ذلك فقد أعلن في الاسبوع الماضي انه يؤيد استمرار احتلال الاراضي المحتلة . اتقول انت انه حمامة ؟ ليس هناك في الحقيقة اي خلاف بينهم ، ولا اعتقد انه سيكون هناك اي تغيير بين القادة الاسرائيليين . اختلافات في الادوار ولكن ليس بينهم خلافات في النزعات العدوانية » (٢٦ شباط / فبراير عام ١٩٦٩) .

« ليس هناك صقور وحمائم . . . . ان المسؤولين عن مذبحة دير ياسين اعضاء الآن في مجلس وزراء اسرائيل ، والمجتمع الاسرائيلي كله قد تحول الى مجتمع عسكري يفكر بعقلية الارهاب والتوسع ، فكيف اصور لنفسي او اسمح للآخرين ان يصوروا لنا وجود صقور وحمائم » (١٢ ايار / مايو عام ١٩٦٩) .

« هناك بعض الخلافات حتى بين الاسرائيليين انفسهم . فبعضهم يريد قطعة معينة من الارض ، وغيرهم يريد قطعة اكبر ، وغيرهم كذلك يريد ان تضم كل الاراضي المحتلة الى اسرائيل . واظن ان الكثيرين من الاسرائيليين ، والكثيرين من اليهود يريدون ان يضموا كل الاراضي المحتلة » (١٣ شباط / فبراير عام ١٩٧٠) .

بيد أنه ابتداء من اوائل سنة ١٩٧٠ ، بدأ عبدالناصر ينظر الى النخبة الاسرائيلية كنخبة متعددة المجموعات ، حيث تتبنى كل مجموعة سياسة مختلفة ازاء الاراضي المحتلة . فهناك مجموعة « المعتدلين » التي تنادي « بالسلام العادل » ، ومجموعة « المتشددين » التي تطالب بضم كل الاراضي العربية المحتلة :

« الحدود الامنة والمعترف بها التي يطالب بها الزعماء الصهيونيون هي التي تقوم على ضم بعض الاراضي العربية متحدين بذلك القانون الدولي وأبسط قواعد العدالة . والذين يؤيدون السلام العادل في اسرائيل يرزحون

تحت وطأة المؤسسة العسكرية التي تسيطر على الدولة من قمة رأسها الى قاعدتها » (١٨ شباط / فبراير عام ١٩٧٠) .

« إن اصواتا كثيرة ـ حتى في اسرائيل نفسها . بدأت تحذر من الطريق الوعر والخطر الذي تنزلق فيه الجماعة العسكرية الحاكمة في اسرائيل » (اول ايار / مايو عام ١٩٧٠) .

ترجع اهمية هذا التحول في تحليل عبدالناصر لطبيعة النخبة السياسية الاسرائيلية ، الّا انها المرة الاولى التي تصور فيها عبد الناصر وجود معتدلين في المجتمع الاسرائيلي ، كما أنه كان انعكاساً لاستعداده للتسوية السلمية مع اسرائيل وليس مصادفة ان مثل هذا التحول توافق مع نداء السلام الذي وجهه عبدالناصر الى الرئيس الامريكي نيكسون ، ومع قبوله اللاحق لمبادرة روجرز .

باستثناء هذا التحول ، ظلت عقائد عبد الناصر الاخرى المتعلقة باسرائيل ثابتة تقريباً . فقد نظر عبد الناصر الى منهج اسرائيل في اختيار الاهداف كمنهج تعظيمي يمكن التنبؤ به . فعلى المرء ألا يتوقع ان ترضى اسرائيل بالتوسع الحالي ، لأنها ستسعى دائماً الى مزيد من التوسع . وقد اكد عبد الناصر انه يتوقع أن تحاول اسرائيل بعد عشر سنوات ان تضم اراضي عربية جديدة (١٣ شباط / فبراير ١٩٧٠) . كذلك توقع عبد الناصر انه ـ نظراً لعدم توازن القوى العربية ـ الاسرائيلية ـ فإن اسرائيل لن ترد على اي مبادرة سلامية عربية بالمثل ، وأنها ستستغل اي مفاوضات عربية ـ اسرائيلية لانتزاع الاستسلام العربي لمطالبها :

« إذا جلسنا على مائدة للتفاوض على شروط الصلح ، فإن هذا معناه ان نجلس على مائدة التسليم ، وسيكونون هم في المركز الاقوى ، اذ انهم سيكونون في مركز يتيح لهم املاء شروطهم» . (١٩ نيسان / ابريل عام ١٩٦٩) .

« ان وقف العمليات العسكرية من شأنه أن يعطي للعدو المهلة التي يحتاج اليها لمواصلة استعماره للاراضي المحتلة» (١٨ شباط / فبراير عام ١٩٧٠) .

وبالمثل ، فإن اسرائيل لن تتخلى عن صلافتها وتشددها الا اذا تأكدت كلياً ان العرب قادرون على الحاق خسائر جسيمة بها :

« ان الاسرائيليين يأبون تسوية الامور . ولن يدخل في رؤوسهم اي فهم الا يوم يشعرون بأن لدينا قوة مقاتلة فعّالة » (٤ آذار / مارس عام ١٩٦٨) .

وفي تحليله لمناهج واستراتيجيات اسرائيل في تنفيذ اهدافها التوسعية لاحظ عبدالناصر ان اسرائيل تتبع منهجاً تدرجياً ـ عقلانياً (١١ آذار / مارس ١٩٦٨) واستراتيجية قوامها « الارهاب المنتظم » ، « القسر النفسي » و« الردع » (٢٣ تموز / يوليو ١٩٦٩) . اما استراتيجية اسرائيل الاجرائية ، فهي ان تطلب المفاوضات المباشرة مع العرب وتوقيع اتفاقية سلام في ظل التهديد بضم الاراضي العربية المحتلة ، حتى يقبل العرب كل شروطها (٢٩ نيسان / ابريل ١٩٦٨ ، ١٣ شباط / فبراير ١٩٧٠) .

« اكثر من واحد من زعماء اسرائيل وقف وقال علنا نحن نريد ارض العرب ، فكيف نأخذ ارض العرب من العرب؟ هل نقنع العرب بأنهم يتركوا لنا ارضهم بالمنطق والحجة؟ ذلك لا يصلح ، والسبيل الوحيد اذن هو ان نقتل وان نثير الرعب والخوف ، وليس في ذلك ما ينبغي ان نخجل منه او نداريه تحت الشعور بوطأة الضمير» (١ ايار / مايو عام ١٩٧٠) .

جدول رقم (٦ ـ ٣)

التوزيع التكراري لعقائد عبدالناصر المتعلقة بالعدو السياسي ، للسنوات ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠

السنة / العقيدة	١٩٦٧[١]	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	المجموع
٢ ـ طبيعة العدو[١]	٨	٣٦	٣٤	٥٦	١٣٤
تدميرية (٪)	٥٠	(١٤) ٢٨	(٦) ٩	(٤) ١٢	١٨
توسعية (٪)	(١٣)	(٥٥)	(٥٣)	(٦١)	٤٦
عدوانية (٪)	٣٧	(٩) ١٤	٢٦	(٥) ٢٥	٣١
دفاعية (٪)			(٩)	٢	٣
توفيقية (٪)		٣			١
تنمية داخلية (٪)			٣		١
أ ـ مصادر اهداف العدو		٧	٦	١١	٢٤
الايديولوجية (٪)			(١٧)	(٩)	٩
اهداف تاريخية (٪)		(٥٧) ٧٤	(٣٢)	(٦٤)	٥٨
خصائص داخلية (٪)		٢٦	(١٧)	(٢٧)	٢٥
خصائص القيادة (٪)			(١٧)		٤
خارجية			(١٧)		٤
ب ـ عمومية عداء العدو		٤	٣	١	٨
عام / دائم (٪)		١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠
ج ـ احتمال رد العدو					
على المسالمة		٦	٣	٦	١٥
الرد بالمثل (٪)			٣٣		٧
استغلال الموقف في نفس					
المناسبة (٪)		(٥٠) ٦٧		(١٠٠)	٦٧
استغلال الموقف في مناسبة					
اخرى (٪)		٣٣	(٦٧)		٢٦
د ـ احتمال رد العدو على القوة		٣	٦	٥	١٤
التراجع (٪)		(١٠٠)	(٥٠) ٦٧	(٨٠) ١٠٠	٨٦
الرد بالمثل (٪)			٣٣		١٤

يتبع

تابع الجدول رقم (٦ - ٣)

العقيدة / السنة	١٩٦٧[1]	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	المجموع
هـ - صورة العدو عن مصر	١	٢	٤	٨	١٥
تدميرية (٪)	(١٠٠)	(٥٠)	(٢٥)	٥٠ (١٣)	٤٧
توسعية					
عدوانية (٪)		(٥٠)	(٧٥)	٥٠ (٣٧)	٥٣
و - تصور العدو للصراع				١	١
حتمي / مرغوب (٪)				(١٠٠)	١٠٠
س - النموذج السياسي للعدو			٢	٥	٧
كيان واحد (٪)			(١٠٠)	(٢٠)	٤٣
كيان متعدد (٪)				(٨٠)	
ص - الدور الدولي للعدو	٣	٧	٣	٩	٢٢
قائد استعماري (٪)	(٣٣)				٥
عميل استعماري (٪)	(٦٧)	(٧٢)	(٦٧)	(٦٧)	٦٩
عميل صهيوني (٪)		(١٤)		٢٢ (١١)	١٣
تخريب اقليمي (٪)		(١٤)	(٣٣)	(١١)	١٣
ر(١) - مسلك العدو في اختيار الهدف	٢	٤	٥	٥	١٤
الحد الاقصى (٪)	١٠٠ (٥٠)	١٠٠ (٢٥)	١٠٠ (٦٠)	١٠٠ (٢٠)	١٠٠
الحد الادنى (٪)					
ر(٣) - مسلك العدو في اختيار الهدف			٢		٢
مرن (٪)			(١٠٠)		١٠٠
جامد (٪)					
ر(٤) - مسلك العدو في اختيار الهدف		١	٢	٢	٥
يمكن التنبؤ به (٪)		(١٠٠)	(١٠٠)	١٠٠ (٥٠)	١٠٠
لا يمكن التنبؤ به (٪)					
ز - منهج العدو	١	٤	٢	١	٨
التمهيد اولاً (٪)					
المحاولة والخطأ (٪)				(١٠٠)	١٣
التدرج (٪)		٧٥ (٥٠)	٥٠		٥٠
الضربة الخاطفة (٪)	(١٠٠)	(٢٥)			٢٥
التعبئة الشاملة (٪)			(٥٠)		١٢
ط - استراتيجية العدو	١	٥	١٢	٢٤	٤٢
ادر خدك الايسر (٪)		٢٠			٢
ردعية (٪)			(١٧)	٣٨ (٨)	٢٧
عدوانية (٪)		٨٠ (٦٠)	(٨٣)	٦٢ (٥٤)	٧١

(١) النسب بين قوسين ( ) في الجدول والجداول التالية هي نسب الاشارة الى اسرائيل .

ثانياً : العقائد الادائية

أ ـ العقائد الادائية المتعلقة باختيار الهدف

٢٥ ـ هدف مصر الرئيسي هو استعادة الاراضي العربية التي احتلت في حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ ، وتسوية المشكلة الفلسطينية ، إما من خلال دولة ديمقراطية علمانية في فلسطين ، وإمّا من خلال انشاء دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة .

٢٦ ـ على القائد السياسي أن يختار دائماً الهدف الاقصى .

٢٧ ـ على القائد السياسي ألاّ يعدل او يغير او يتخلى عن اهدافه القصوى .

٢٨ ـ من الممكن تعديل او تغيير او التخلي عن وسائل تحقيق الهدف الاقصى .

٢٩ ـ اهداف مصر كلها اهداف متكاملة بالطبيعة ، بيد ان المعركة لها الاولوية المطلقة على كل الاهداف الاخرى .

عقب العدوان الاسرائيلي في حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ ، ركّز عبدالناصر على تحقيق هدفين اساسيين هما : انسحاب اسرائيل من الاراضي التي احتلت . وفي هذا الصدد وجّه جهده الرئيسي لاعادة بناء القوات المسلحة من اجل اكتساب قوة ردعية في مواجهة اسرائيل تجبرها على الجلاء سلمياً او بالقوة اذا فشلت التسوية السلمية . اما الهدف الثاني ، فهو استعادة حقوق الشعب الفلسطيني : فانسحاب اسرائيل من الارض المحتلة ـ كما قال عبد الناصر في حديث الى مجلة لوك في ٤ آذار / مارس عام ١٩٦٨ ـ لن ينهي الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، لأن المشكلة الفلسطينية ذاتها ستظل قائمة[٢] .

في البداية رفض عبدالناصر اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة لأن « مثل هذه الدولة ستكون ضعيفة وتحت سيطرة اسرائيل » (٤ / ٣ / ١٩٦٨) . وبدلاً من تلك الدولة ، طالب بأن « تقوم في فلسطين دولة لا تقوم على اساس من دين واحد ، بل كل الاديان ، امة من اليهود ، والمسلمين ، والمسيحيين » (٢ شباط / فبراير ١٩٦٩) . بيد ان عبدالناصر تخلى بعد ذلك عن اعتراضه المبدئي على انشاء الدولة الفلسطينية واكد ان مثل هذا الاختيار يجب ان يترك للفلسطينيين انفسهم (١٤ حزيران / يونيو ١٩٧٠) . كذلك ابدى عبدالناصر استعداده للتوصل الى تسوية سلمية مع اسرائيل على اساس قرارات الامم المتحدة وبالذات تلك المتعلقة بعودة اللاجئين الفلسطينيين ، واكد انه في اطار هذه التسوية سيسمح لاسرائيل باستعمال قناة السويس ، اذا تخلت عن مطامعها التوسعية (١٩ نيسان / ابريل ١٩٦٩) .

---

(٢) في حديث صحفي في ٢ شباط / فبراير عام ١٩٦٩ اوضح عبد الناصر ان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ قد يكون كافياً لحل مشكلة ازالة آثار العدوان ، ولكنه بالقطع لا يكفي لمعالجة القضية الفلسطينية ذاتها .

مع مضي الوقت ، واتضاح صعوبة اللجوء الى الحل العسكري في المدى القريب ، بدأ عبدالناصر يبدي استعداداً اكبر للتوصل الى تسوية سلمية مع اسرائيل . ففي حديث له في ١٢ ايار / مايو عام ١٩٦٩ ، اظهر استعداده للاعتراف باسرائيل ، « اذا تم التوصل الى حل انساني لمشكلة فلسطين » ففي حديث آخر في ١٢ ايار / مايو عام ١٩٧٠ سئل عبدالناصر عن استعداده لقبول دولة يهودية في فلسطين اجاب ، انه يرفض فقط احتلال تلك الدولة لاراضينا ويرفض اصرارها على استباحة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين(٣) .

من ناحية اخرى ، استمر عبد الناصر في اعتناق عقيدة اختيار الاهداف السياسية من وجهة نظر تعظيمية مع التمسك بتلك الاهداف . فقد اصر على الانسحاب الكامل لاسرائيل من كل الاراضي العربية التي احتلت عام ١٩٦٧ (٢٣ تموز / يوليو ١٩٦٨) . واكد انه لا مكان لأي حل وسط او « جدال او اخذ وعطاء » حول هذا الهدف (٢٣ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٧) . والتسوية السلمية المشرفة - من وجهة نظر عبد الناصر - هي التسوية التي « لا تمكن اسرائيل من أن تأخذ اي بوصة من الارض العربية في اي بلد عربي » (٤ كانون الاول / ديسمبر ١٩٦٨) . والواقع ان رفض عبدالناصر للمفاوضات مع اسرائيل عقب العدوان كان نابعاً من تمسكه بهذا الهدف الاقصى . إذ انه قدر انه في ظل اللاتوازن في القوى بين العرب واسرائيل وان المفاوضات ستعني اضفاء المشروعية على الاحتلال الاسرائيلي لبعض الاراضي العربية ، وان العرب بالتالي سينتهون بأقل من الهدف الاقليمي الاقصى المطلوب (٢٩ نيسان / ابريل ، ٢٠ كانون الثاني / يناير ١٩٦٩) .

بيد ان اختيار اهداف تعظيمية قصوى والاصرار على تلك الاهداف ، لم يكن يعني - بالنسبة لعبد الناصر - الاصرار على مناهج واستراتيجيات ثابتة . فقد اكد ان ادوات استعادة الاراضي المحتلة قد تتعدد او تتغير او تعدل طبقاً للظروف ، ولكن الهدف ذاته لا يتغير :

« ليس هناك طريق مختصر او قصير الى ما نريد . ايضاً ليس هناك طريق واحد لا بديل له نصل به الى الهدف الطريق طويل وشاق . كذلك فإن هناك عدة طرق لا بد ان نسير عليها في نفس الوقت » (٢٣ تموز / يوليو عام ١٩٦٧) .

كذلك لجأ عبدالناصر الى استراتيجية ادماج كل القيم في اطار قيمة سياسية واحدة مما سمح له بتأجيل تطبيق الهدف او باتباع سياسات حذرة دون ان يضطر للاعتراف بأنه تخلى عن

---

(٣) في هذا الوقت قبل عبدالناصر اقتراح الرئيس اليوغوسلافي تيتو بترتيب اجتماع بينه وبين ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي آنئذ . وبناء عليه ، اوفد عبدالناصر مبعوثا خاصا ، هو الاستاذ احمد حمروش ، قابل غولدمان في باريس . وقد أبلغ حمروش غولدمان ان عبدالناصر يطلب لقاءه ،وأنه لا يمانع أن تكون تلك الزيارة علنية . وقد اعترضت غولدا مائير ، رئيسة وزراء اسرائيل على هذا اللقاء . ويقول غولدمان ان مائير لم تكن تريد اي مفاوضات مع عبدالناصر لأنها كانت تفضل استمرار الوضع الراهن ، باعتباره افضل الاختيارات امام اسرائيل . وقد نجحت مائير في استصدار قرار من مجلس الوزراء الاسرائيلي يرفض اللقاء المقترح بين عبد الناصر وغولدمان ، انظر : ناحوم غولدمان ، « حديث صحفي لجولدمان » ، الاهرام ، ٢٧ / ٥ / ١٩٧٨ .

هدفه الاقصى . فعبدالناصر لم ينظر الى التسوية السلمية والمواجهة العسكرية كبديلين ، ولكنه نظر اليهما كقيمتين متكاملتين يجب اختبارهما في آن واحد :

« العمل السياسي استعمال نوع من انواع القوة ، او درجة من درجاتها ، والعمل العسكري تصاعد بالقوة الى اعنف درجاتها . واريد ان اقول ان احدها ليس بديلاً عن الآخر . والخط الفاصل بينهما ليس كالصراط المستقيم ، اي اننا يمكن أن نجرب في العمل السياسي ، وفي نفس الوقت نستعد للعمل العسكري » (٢٣ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٧) .

كذلك ، لم يرعبدالناصران هناك اي تعارض بين قبول وقف اطلاق النار طبقاً لمشروع روجرز ، وبين الاستعداد الشامل للمعركة (٢٤ تموز / يوليو ١٩٧٠) [٤] . وفي خطابه امام مجلس الامة المصري في ٢٤ آذار / مارس عام ١٩٧٠ لخص تصوره للعلاقة بين الاهداف والوسائل كالتالي :

« قد يكون صحيحاً ان لدينا هدفاً محدداً ، ولكن الصحيح ايضاً انه ليس هناك طريق واحد لهذا الهدف المحدد ، وإنما نحن نتحرك عليه على مسالك متعددة ، وبسرعة كبيرة وبمرونة قادرة على الاستجابة للمتغيرات الطارئة » .

بيد ان عبدالناصر اضاف الى عقائده المتعلقة بتكامل القيم عقيدة جديدة ، وهي اعطاء بعض القيم اولوية مطلقة على ما عداها من القيم . وقد تمثل ذلك في الاولوية المطلقة التي اعطاها للمعركة مع اسرائيل على غيرها من الاهداف كالتنمية والاصلاح السياسي ، دون ان يرى في تلك الاولوية تناقضاً في القيم (١٠ كانون الاول / ديسمبر ١٩٦٩) . بعبارة اخرى ، فالقيم الثانوية يجب ان توظف لخدمة القيمة الاساسية ، وهي المعركة . ولذلك عندما واجه عبدالناصر مطالب الاصلاح الداخلي في آذار / مارس عام ١٩٦٨ رد على ذلك بشعار « لا صوت يعلو على صوت المعركة » .

«ليس هناك الآن ، ولا ينبغي ان يكون هناك ، صوت اعلى من صوت المعركة ، ولا نداء اقدس من ندائها . ان اي تفكير او حساب لا يصنع المعركة وضروراتها اولاً وقبل كل شيء ، لا يستحق ان يكون تفكيراً ولا تزيد نتيجته عن الصفر . ان المعركة لها الاولوية على كل ما عداها ، وفي سبيلها وعلى طريق تحقيق النصر فيها يهون كل شيء » .

ولذلك نجد في الجدول رقم (٧-٤) ان ٥٤ بالمائة من اشارات عبدالناصر الى تكامل

---

(٤) في آب / اغسطس عام ١٩٦٧ انعقد بالخرطوم مؤتمر قمة عربي لمناقشة استراتيجية العمل العربي . ويذكر محمد محجوب ، رئيس وزراء السودان آنئذٍ ، ان عبد الناصر أبدى مرونة في تصوره لادوات استعادة الاراضي المحتلة . فقد اقترح عبدالناصر ان يخول المؤتمر الملك حسين بعقد تسوية منفصلة مع اسرائيل ، وان الملك حسين قد رفض هذا الاقتراح ، ويضيف محجوب ان اللاءات الاربع التي جاءت في بيان المؤتمر (لا صلح مع اسرائيل ، لا مفاوضة مع اسرائيل ، لا اعتراف باسرائيل ، لا تصرف في القضية الفلسطينية) قد ضمنت في البيان بناء على اقتراح واصرار محمد محجوب نفسه ، ورغم اعتراض عبد الناصر ، انظر :
Mahgoub, *Democracy on Trial: Reflections on Arab and African Politics*, pp. 142-143.

وتعارض الاهداف تؤكد ان لبعض القيم اولوية مطلقة ، وان معظم تلك الاشارات يتعلق بالصراع العربي ـ الاسرائيلي (المعركة) .

جدول رقم (٦-٤)

التوزيع التكراري لعقائد عبدالناصر المتعلقة
بأسلوب اختيار الاهداف السياسية ، للسنوات ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠

العقيدة / السنة	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	المجموع
١ ـ طبيعة الاهداف السياسية	٨	٣٧	٢٩	٤٩	١٢٣
تدمير الاعداء (٪)		١١			٣
دفاعية (٪)	(١٣)				١
توفيقية (٪)	(١٢)	٤	١٠ (٤)	١٨ (١٠)	١٥
سلامية (٪)		٣	٧ (٤)	٢٥ (١٦)	١٣
تنمية داخلية	٢٥	٢٧	١٧	٢	١٥
استعادة الحقوق (٪)	(٥٠)	٤٦ (٤١)	٦٦ (٥٥)	٥٥ (٤٩)	٥٣
أ ـ اسلوب اختيار الاهداف	٣	٦	١١	١٠	٣٠
اهداف قصوى (٪)	(١٠٠)	٨٣ (٥٧)	١٠٠ (٧٣)	١٠٠ (٩٠)	٩٧
اهداف ممكنة (٪)		١٧			٣
ب ـ تناقض الاهداف	١	٧	١	٤	١٣
الاهداف متكاملة (٪)	(١٠٠)	١٤		١٠٠ (٥٠)	٤٦
اولوية بعض الاهداف(٪)		٨٥ (٥٧)	(١٠٠)		٥٤
ج ـ امكانية تعديل الاهداف والوسائل	١	٣		١١	١١
تعديل الاهداف (٪)					
تعديل الوسائل (٪)	١٠٠	٦٧	ـ	(١٠٠)	٩١
التخلي عن الوسائل (٪)		٣٣			٩

ب ـ العقائد الادائية المتعلقة بتنفيذ الهدف

٣٤ ـ ازالة آثار العدوان تتطلب حركة متعددة على طرق متعددة للعمل .

٣٥ ـ الحركة العملية لاجلاء اسرائيل من الاراضي المحتلة يجب ان تكون حركة تدرجية .

٣٦ ـ الحق بدون القوة ضائع . بناء قوة ردعية ذات مصداقية قد يكون بديلاً عن استعمال القوة .

٣٧ ـ ليست لدينا معركة مع اي نظام عربي ، ولن نرد بالمثل على اي هجوم عربي .

٣٨ ـ اذا حاولت قوى الثورة المضادة ان تستغل الصعوبات الراهنة ، فسنسحقها .

٣٩ ـ تجنب اللجوء الى سياسات تنطوي على المخاطرة في الصراع العربي ـ الاسرائيلي .

٤٠ ـ يجب ان نجهز قواتنا المسلحة للحرب وننتظر حتى نحدد الوقت والمكان المناسبين .

٤١ ـ تجنب العمل السابق لأوانه ولا تتصرف قبل حساب كل الاحتمالات .

٤٢ ـ لا تقدم على عمل ذي طبيعة تصعيدية الا من موقع القوة .

٤٣ ـ لا تستجب لاستفزازات العدو .

٤٤ ـ للقوة مستويات متعددة تتراوح ما بين قوة العمل السياسي وقوة العمل العسكري .

٤٥ ـ ما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة .

٤٦ ـ يجب اللجوء الى القوة العسكرية اذا فشلت الوسائل السلمية في تحقيق الاهداف .

٤٧ ـ عند استعمال القوة العسكرية ، فإنها يجب ان تستعمل بالتنسيق مع القوة السياسية .

٤٨ ـ عند استعمال القوة العسكرية ، فإنها يجب ان تستعمل بشكل تدريجي من خلال استنزاف منظم لقوة العدو .

قدمنا في تحليلنا للتصور الناصري للصراع العربي ـ الاسرائيلي ، ان هذا التصور كان ينطلق من المنظور التاريخي للسياسة ، معتبراً بذلك ان هذا الصراع هو عملية تدرجية اساسها بناء القاعدة التكنولوجية العربية المتكاملة ، بدون اشتراط اللجوء الى القوة العسكرية. والواقع ان احتلال سيناء وبقية الاراضي العربية لم يغير من هذا التطور تغييراً أساسياً ، فقد استمر عبد الناصر يؤكد على التدرجية كمنهج رئيسي لاجبار اسرائيل على الانسحاب من تلك الاراضي ، وذلك من خلال مجموعة من الخطوات المتتالية التي تبدأ من مجرد الصمود الى الدفاع السلبي الى الدفاع الايجابي ثم الانتقال الى تحرير سيناء.

والانتقال من خطوة الى الاخرى، في نظر عبد الناصر ، يجب ان يتم بعد دراسة متأنية وبشكل تدريجي (٢ كانون الثاني / يناير ١٩٦٨) . كذلك لم يتخل عبد الناصر عن استراتيجية الردع كاداة رئيسية للتعامل مع اسرائيل . وقد بنى عبد الناصر استراتيجيته على اساس تطوير قوة عسكرية مصرية ضخمة لكي تكون عنصر ضغط سياسي على اسرائيل والولايات المتحدة من اجل التوصل الى تسوية سلمية ، وذلك كله انطلاقاً من افتراض ان الغرور الاسرائيلي لن يتوقف الا اذا ادركت اسرائيل أنها ازاء قوة عسكرية فعّالة :

« إن العدو لن يتنازل عن مطالبه الا اذا فرضنا عليه هذا التنازل وارغمناه عليه . . . ان البشر لا يتركون مطمعاً امسكوا به ـ حتى وان ادركوا انه ليس حقاً لهم ـ الا اذا احسوا أن هناك وازعاً معنوياً او رادعاً مادياً يأخذ منهم ما ليس حقاً لهم . ولا ينبغي ان نتوقع من العدو الاسرائيلي وازعاً معنوياً ، فلا الاخلاق لها حرمة لديه ولا القانون . واذن فالردع هو الوسيلة الوحيدة التي تحمي من المطامع » (٣٠ آذار / مارس عام ١٩٦٩) .

« علمتنا تجارب الماضي ان قوتنا وحدها هي القادرة على اقناع العدو بعدم جدوى محاولته اجبارنا على الاستسلام غير المشروط » (١٨ نيسان / ابريل عام ١٩٧٠) .

« لا بد ان ندرك ان العدو لن يتراجع الا اذا ارغمناه على التراجع بالقتال . بل انه لا امل في اي حل سياسي الا اذا ادرك العدو انه في مقدورنا ارغامه على التراجع بالقتال » (٢٠ كانون الثاني / يناير عام ١٩٦٩) .

ومن ثم ، فإن الحل النهائي لمشكلة الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية سيأتي نتيجة التطبيق المرن للردع العسكري والضغط السياسي .

من الناحية الاجرائية ، دارت استراتيجية عبد الناصر ازاء اسرائيل حول تنشيط العمليات العسكرية المحدودة ضد اسرائيل من اجل تحريك الموقف ، ومنع تحول خطوط وقف اطلاق النار الى خطوط هدنة ، ولجعل الاحتلال الاسرائيلي عملية باهظة الثمن لاسرائيل(٥) .

اذا كان احتلال اسرائيل للاراضي العربية عام ١٩٦٧ لم يغير كثيراً من المنظور التاريخي التدرجي الردعي الناصري للصراع العربي ـ الاسرائيلي ، فإنه ايضاً لم يغير ـ إن لم يكن قد عزز ـ من عزوفه عن تحمل مخاطرة سياسية لاستعادة الارض المحتلة . ففي خطابه امام وفود المحامين العرب اكد في ١٠ نيسان / ابريل عام ١٩٦٨ ان المعركة مع اسرائيل تنطوي على مخاطر غير هينة . وفي حديثه الى مجلة التايم في ٢ ايار / مايو عام ١٩٦٩ ، وفي خطابه امام مؤتمر قمة دول المواجهة في ١٠ ايلول / سبتمبر عام ١٩٦٩ اكد ان العرب لا يستطيعون ان يتحملوا أي مخاطرات غير محسوبة في صراعهم مع اسرائيل ، لأنهم ببساطة لا يستطيعون ان يخسروا معركة اخرى(٦) . وقد تجلى رفض عبدالناصر لاتباع اي سياسات تنطوي على المخاطرة امام مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في ايلول / سبتمبر عام ١٩٧٠ لتسوية الحرب الاهلية الاردنية . فقد طالبت اليمن الديمقراطية وليبيا بارسال قوات الى الاردن لمساعدة الفلسطينيين . بيد ان عبد الناصر رفض هذا المطلب ، واكد ان اي تدخل عسكري عربي ينطوي على مخاطرة شديدة ، اذ قد تتدخل اسرائيل والولايات المتحدة :

« احنا اتعلمنا الحساب بعد سنة ١٩٦٧ اللي ورطونا اليمنيين سنة ١٩٦٢ والسوريين سنة ١٩٦٧ . وهذا اللي

---

(٥) من ناحية اخرى تخلى عبدالناصر عن استراتيجيته القهرية ازاء النظم العربية المحافظة ، وتبنى بدلاً منها استراتيجية توفيقية . فنظراً للاولوية المطلقة التي اعطاها للحركة ، اكد عبدالناصر انه يعتبر الخلافات العربية بمثابة خلافات ثانوية وانه لن يرد بالمثل على اي انتقاد عربي لسياسته . فأعلن في خطابه في ٢٣ تموز / يوليو عام ١٩٦٧ امتعاضه من الانتقاد السعودي لسياسته ، ولكنه اكد انه لن يرد بالمثل على هذا الانتقاد . بيد ان عبد الناصر لم يتخل عن نظرته المتشككة في المعارضة الداخلية وفي استراتيجيته القهرية ازاءها . فقد استمر في الدفاع عن اعتقال المعارضين السياسيين حتى بدون وجود اتهامات قانونية ضدهم ، وهدد بسحق « الثورة المضادة » اذا حاولت انتهاز الازمة الراهنة .وقد لخص هذا التصور في حديث له في ١٠ آذار / مارس عام ١٩٦٨ بقوله « ان تحرك العناصر المضادة للثورة لا بد ان يقع بكل عنف ، فإن اهداف هذه العناصر هي نفس الاهداف التي يسعى اليها العدو » .

(٦) ولذلك ، فإن اشارته في اول حديث عام له عقب العدوان في ٢٣ تموز / يوليو عام ١٩٦٧ الى ان « الشعوب ترضى على نفسها بالجمود وتقبل بالتخلف لأنها لا تستطيع ان تتحرك ، ولا تقبل المخاطرة » ، تظل اشارة استثنائية وحيدة لم يكررها عبد الناصر بعد ذلك .

جعلني أمس اقول انني غير مستعد لارسال جيوش . . . لقد دخلنا الحرب سنة ١٩٦٧ علشان سوريا ، موش علشان مصر . عندنا قتلى ١٩ الف جندي ، ٥٠٠ ضابط . لا نستطيع ان نقامر ونخلي اسرائيل تقوم بعملية عبور »[٧] .

استمراراً لاستبعاد امكانية تحمل مخاطرة سياسية ، عاد عبدالناصر الى التأكيد على اهمية التوقيت الدقيق ، والحذر الشديد في السلوك الدولي . ويندرج تحت ذلك ، عدم الدخول في مواجهة مع اسرائيل قبل ان يتوفر الاستعداد الكامل ، وعدم السماح لاسرائيل باستفزازه ، حتى ولو كان هذا الاستفزاز يتضمن ضرباً للاهداف المدنية ، (٢٩ نيسان / ابريل ١٩٦٨ ، ١٠ آذار / مارس ١٩٦٨ ، ١٢ ايار / مايو ١٩٧٠) .

إن التغير الوحيد الذي طرأ على عقائد عبدالناصر المتعلقة بتنفيذ الاهداف ، كان مجال وظيفة القوة العسكرية . فخلافاً لعقيدته في الفترة السابقة على العدوان، بدأ عبدالناصر يعطي للقوة العسكرية دوراً اكبر في حل مشكلة ازالة آثار العدوان . كان عبد الناصر مقتنعاً أنه لا بد من حدوث مواجهة عسكرية مع اسرائيل ، لأن اسرائيل لن ترضخ للضغط الدبلوماسي وحده .

« سير الحوادث يؤكد ان المعركة سوف تجيء حتماً . لماذا؟ الاتصالات اللي بيقوم بها يارنغ لم توصلنا الى نتيجة حتى الآن » (٢٩ نيسان / ابريل عام ١٩٦٨)

بيد انه في مناسبات اخرى تحدث عبدالناصر بشكل يؤكد ان القوة العسكرية لن توظف عملياً الا اذا فشلت الحلول السياسية ، مما يوحي بأن المعركة قد لا تكون حتمية :

« علينا واجب هو تحرير ارضنا ، فإذا لم يتيسر تحريرها بطريقة سلمية ، فلا بد لنا من أن نحارب » (٤ آذار / مارس عام ١٩٦٨) .

« لسنا دعاة حرب للحرب . اذا استطعنا ان احنا نأخذ حقنا بالعمل السياسي زي ما حصل سنة ١٩٥٧ كان بها ، واذا لم نتمكن فليس علينا الا ان نكافح في سبيل الحصول على حقنا وتحرير ارضينا » (٢٣ تموز / يوليو عام ١٩٦٨) .

« العدو لن يتراجع الا اذا أرغمناه على التراجع بالقتال . . . لقد قبلنا قرار مجلس الامن سنة ١٩٦٧ برغم اسباب القصور فيه عن اعتقاد بأنه اذا كانت هناك وسيلة سياسية لازالة آثار العدوان ، فإن هذه الوسيلة يجب ان تأخذ حقها كاملاً » (٢٠ كانون الثاني /يناير عام ١٩٦٩) .

والواقع ان فهم هذا التناقض الظاهر بين التأكيد على حتمية استعمال القوة العسكرية وبين

---

(٧) موسى صبري ، وثائق حرب اكتوبر ، (القاهرة: المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٥) ، ص١٦٩ و ١٨٥ .

الاستعداد لقبول الحل السياسي ، يكمن في فهم مفهوم عبدالناصر لمفهوم القوة عموماً والقوة العسكرية خصوصاً . فقد اكد عبدالناصر ان استعادة الاراضي المحتلة لن يتحقق من خلال المفاوضات ، لأن مثل تلك المفاوضات ستؤدي الى الاستسلام ، ولكنه سيتحقق فقط من خلال توظيف القوة . والقوة - في مفهوم عبد الناصر كما اوضحنا في تحليل عقائد الفترة السابقة على العدوان - هي متواصَل يتراوح ما بين استعمال الضغط السياسي الى استعمال القوة العسكرية . وما بين هذه النقيضين ؛ هناك مجموعة كاملة من الخيارات التي يشكل كل منها جانباً من جوانب القوة :

« القوة درجات تبدأ من قوة العمل السياسي وتتصاعد حتى تصل الى قوة العمل العسكري . العمل السياسي استعمال نوع من انواع القوة او درجة من درجاتها ، والعمل العسكري تصاعد بالقوة الى اعنف درجاتها . واريد ان اقول ان احدهما ليس بديلاً عن الآخر . والخط الفاصل بينهما ليس كالصراط المستقيم » (٢٣ كانون الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٧) .

ومن ثم ، فإن التفرقة بين حل سياسي خالص او حل عسكري خالص هي - من وجهة نظر عبد الناصر - تفرقة مصطنعة (٢٣ تموز / يوليو ١٩٦٧) .فالقوة العسكرية يجب ان تستعمل جنباً الى جنب مع أساليب العمل السياسي الدولي ، من اجل تحقيق الهدف النهائي . وفي لحظة من لحظات هذه العملية المتعددة الابعاد ، فإن القوة العسكرية يجب ان تستعمل ، بعد استنفاد الوسائل السياسية ، ومن اجل تحجيم غطرسة العدو .

شهدت عقائد عبد الناصر عن القوة العسكرية تغيراً ثانياً وهو ضرورة اخذ زمام المبادرة في اي مواجهة عسكرية قادمة مع اسرائيل (١٣ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٦٧) .

حدد عبد الناصر شرطين اساسيين يجب ان يتوفرا قبل اتخاذ المبادرة بشأن المعركة العسكرية توفر التكافؤ الجوي مع العدو (٢٥ حزيران / يونيو ١٩٧٠) ، والتأكد الكامل من تحقيق الانتصار العسكري (٢٤ تموز / يوليو ١٩٧٠) .

واخيراً ، فقد حدد عبد الناصر تصوراً للاستراتيجية العسكرية أساسه استعمال القوة العسكرية بشكل تدريجي قوامه عملية استنزاف عسكري طويلة المدى لقدرات العدو ، بحيث ينتهي هذا الاستنزاف الى المعركة الحاسمة مع العدو (٢٣ تموز / يوليو ١٩٦٩) . كذلك فالقوات المسلحة النظامية هي المنفذ الوحيد للقوة العسكرية . فعبد الناصر لم يثق اطلاقاً في جدوى حرب المقاومة الشعبية او حرب العصابات ، وبالذات في سيناء (١٤ ايلول / سبتمبر ١٩٦٨) . وقد كان تأييده للمقاومة الفلسطينية راجعاً بالاساس الى انها مصدر ازعاج للعدو واستنزاف لقدراته ، وليس لاعتقاده بقدرتها على استعادة الارض المحتلة .

جدول رقم (٦ ـ ٥)

التوزيع التكراري لعقائد عبدالناصر المتعلقة بتنفيذ الاهداف ، للسنوات ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠

السنة / العقيدة	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	المجموع
٢ ـ المنهج :	٧	٢٩	١١	١٤	٦١
التمهيد اولاً (٪)	(٨٦)	٤١ (٣١)	(٩)	٥٧ (١٤)	٤٤
التدرج (٪)		١٤ (١٠)	١٨ (٩)	٧	١٢
التعبئة الشاملة (٪)	١٤	٤٥	٧٣ (٤٥)	٥٦ (٣٦)	٤٤
٣ ـ الاستراتيجية السياسية	٣	١٣	٧	١١	٣٤
استراتيجية غير عقابية(٪)			١٤		٣
استراتيجية توفيقية (٪)		٨		٩	٦
استراتيجية ردعية (٪)	(١٠٠)	٥٩ (٣٩)	(٨٦)	(٩١)	٧٦
استراتيجية عدوانية (٪)		٣٨ (٨)			١٥
٤ ـ المخاطرة السياسية :	٤	١	٣	٨	١٦
المخاطرة ضرورية (٪)	٥٠				١٨
المخاطرة ممكنة(٪)	(٥٠)				١٨
المخاطرة مستبعدة(٪)		(١٠٠)	(١٠٠)	(١٠٠)	٦٤
ب ـ ضبط المخاطرة السياسية :		١	٣	١٠	١٤
الحد من الاهداف (٪)				٣٠	٢١
الحد من الوسائل (٪)			٣٣	٢٠	٢٠
حساب الوسائل (٪)		(١٠٠)	(٦٧)		١٤
حساب وسائل العدو (٪)				(٥٠)	٣٥
٥ ـ التوقيت السياسي :	٢	٣	١	١	٧
أساسي (٪)	(١٠٠)	(٦٧)	(١٠٠)	١٠٠	٨٦
مستحب (٪)		(٣٣)			١٤
٦ ـ السلوك السياسي :	٦	٦	٣	٦	٢١
تصرف بسرعة (٪)				(٣٣)	٩
تأخير السلوك التصعيدي(٪)	(٣٣)		(٦٧)	(٥٠)	٣٣
تجنب السلوك السابق لأوانه (٪)	(٥٠)	(٣٣)	(٣٣)		٢٩
لا تستجب لاستفزاز العدو(٪)	(١٧)	(٥٠)			١٩
لا تتصرف قبل تقدير الموقف(٪)		(١٧)		١٧	١٠
٧ ـ وظيفة القوة العسكرية :	٤	٩	١١	٢٤	٤٨
تجنب استعمال القوة(٪)	٥٠ (٢٥)			٢١	١٥
القوة حل اخير(٪)	(٢٥)	(٢٢)	(٣٦)	٤٢ (٣٣)	٣٦

تابع جدول رقم (٦ ـ ٥)

العقيـدة / السنة	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	المجموع
القوة هي الحل الوحيد(٪)	(٢٥)	(٣٣)	(٥٥)	(١٧)	٢٩
القوة احدى الادوات(٪)		٤٥ (٣٣)	(٩)	(١٢)	١٦
القوة افضل من الاستسلام(٪)				(٨)	٤
أ ـ استعمال القوة العسكرية (أ):	٤	١	٣	١	٩
على نطاق واسع (٪)	(٢٥)			(١٠٠)	٢٢
تدريجياً (٪)			(٣٣)		١١
بالاشتراك مع وسائل اخرى(٪)	(٧٥)	(١٠٠)	١٧ (٣٣)		٦٧
ب ـ استعمال القوة العسكرية (ب):	٥	١	١	٥	١٢
لا تشن الضربة الاولى (٪)	(٦٠)				٢٥
بادر بالضربة الاولى (٪)	(٢٠)		(١٠٠)	(٤٠)	٣٣
التراجع افضل من الحصار (٪)	(٢٠)				٨
التفوق العسكري ضروري (٪)		(١٠٠)		٦٠ (٤٠)	٣٤
ج ـ مفهوم القوة	٢	٥		١	٨
متعدد الابعاد (٪)	(١٠٠)	٨٠		١٠٠	٨٧
قوة عسكرية فقط (٪)		٢٠			١٣

ثالثاً : تقويم عام للنسق العقيدي الناصري

إن جوهر المفهوم الناصري للسياسة هو في النظر الى الصراع كظاهرة دائمة وحتمية في الحياة السياسية . فقد اعتقد عبدالناصر ان البشر قد خلقوا ومعهم خصائص عدوانية معينة هي مصدر الصراع بين الاشخاص . كذلك ، فقد خلق البشر وهم احرار ومتساوون . بيد ان ظهور النظام الطبقي ـ متمثلاً في عدم التكافؤ بين الطبقات والاستغلال الطبقي ـ قد انهى تلك المساواة الطبيعية ، واحل محلها نظاماً من الصراع الطبقي . وقد نظر عبد الناصر الى النظام الطبقي باعتباره نظاماً مركباً ينطوي على نظامين فرعيين : نظام رأسي يحدد جوهر النظام الطبقي ، وهو بطبيعته نظام صراعي ، ونظام افقي توافقي بالاساس ، ولكنه ايضاً ينطوي على بعض التناقضات . بالاضافة الى ذلك ، نظر عبد الناصر الى التوازن الاجتماعي والقضاء على اشكال اللاتكافؤ الطبقي باعتبارهما الاداتين الاساسيتين لحل الصراع الاجتماعي الرأسي . اما الصراع على المستوى الافقي ، فإنه يمكن حله عن طريق الاتصال والتفاهم والتوفيق بين المصالح الاجتماعية لفئات الشعب العامل . كذلك ، فإنه برغم نظرته الواقعية الى الصراع الاجتماعي ، وخلافاً للمقولات الماركسية ، كان يعتقد ان الصراع الاجتماعي ظاهرة غير صحية يجب تفاديها وحصرها في اضيق نطاق . ومن ثم ، فالصراع الاجتماعي شر لا بد منه ، وليس اداة للتغيير الاجتماعي . واخيراً ، فقد كان عبد الناصر

ينظر الى الصراعين الاجتماعي والاقليمي (اي الصراعات التي يعد عبدالناصر طرفاً مباشراً فيها) على انهما صراعان صفريان - اي انه ليس هناك احتمال للحلول الوسط فيهما - اما الصراع العالمي فهو أساساً مباراة لاصفرية بحكم توازن الرعب النووي .

وعلى المستوى العالمي ، فإن الخصائص الاساسية للنظام العالمي تدور حول الصراع ، وعدم الاستقرار ، وافتقاد نقطة للتوازن . وتنبع هذه الخصائص أساساً من سياسة القوة ، وسياسة الاستعمار الجديد ، والتناقض بين حركات التحرر الوطني وتلك السياسات ، والهوة المتزايدة بين الدول النامية والدول المتقدمة . وفي هذا الاطار قدم عبد الناصر مجموعة من الادوات لحل الصراع العالمي تدور حول التفاوض والاتصال الدولي ، نزع السلاح ، تصفية الاستعمار ، وتضييق الهوة بين الدول النامية والدول المتقدمة .

كان عبد الناصر على يقين دائم بأن اهدافه الاساسية ستتحقق في المدى الطويل ، لأنها ببساطة الاهداف الصحيحة . فالسياسات المحددة قد تنجح وقد تفشل ، ولكن الأثر التراكمي النهائي هو بالتأكيد اثر ايجابي . فقد كان عبد الناصر يرى ان الوقت يعمل لصالحه ، وان نمو الموارد البشرية العربية سيحسم المعارك السياسية والاقتصادية لصالح العرب في النهاية .

بالاضافة الى ذلك ، فقد تضمن الجانب الفلسفي من النسق العقيدي الناصري نظريتين هامتين : النظرية الاولى تدور حول امكانية التنبؤ في السياسة والتاريخ . وقوام هذه النظرية ان التاريخ هو بالاساس عملية حتمية - دائرية - تقدمية . ويقصد بذلك ان التاريخ ينطوي على مجموعة من الانماط والقوانين الاساسية التي تنبع من مجموعة من الظروف الموضوعية؛ والتي تتكرر بشكل ينطوي على نوع من الارتقاء نحو اشكال اكثر تقدمية من التنظيم الاجتماعي والسياسي . وانطلاقاً من تلك النظرية ، استطاع عبدالناصر ان يتنبأ بالانتصار النهائي للعرب في الصراع العربي - الاسرائيلي ، وبانهيار النظم الرجعية فيالوطن العربي . اما النظرية الثانية ، فإنها تتعلق بدور القائد السياسي في ضبط العملية الاجتماعية التاريخية . قوام هذه النظرية ان الدور الرئيسي للقائد السياسي يقتصر على استجلاء المسار الطبيعي للاحداث التاريخية . بيد ان القائد السياسي يستطيع ان يؤثر في الاحداث السياسية والاجتماعية المباشرة في مجتمعه ، وذلك بالتنسيق والتعاون مع القوى السياسية والاجتماعية الرئيسية في هذا المجتمع . كذلك يستطيع القائد السياسي ان يلعب دوراً في التثقيف السياسي للجماهير وفي تجميع مصالحها .

من ناحية اخرى ، فإن جوهر الجانب الادائي من النسق العقيدي الناصري يكمن في طبيعة اهدافه ، وتعظيم الاهداف مع الحذر عند تطبيق تلك الاهداف. وفي هذا الجانب كان عبدالناصر ملتزماً باهداف محددة هي التنمية الاقتصادية ، وتوحيد العرب وخلق شخصية عربية دولية متكاملة ، واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني . وقد حاول منذ سنواته الاولى في السلطة ان يخلق جواً من الهدوء في العلاقات العربية - الاسرائيلية يمكن من خلاله انجاز نوع

من التسوية السلمية . ولم يغير التواطؤ الاسرائيلي مع بريطانيا وفرنسا عام ١٩٥٦ من هذا التوجه الرئيسي . فقد حرص عبدالناصر دائماً على تسوية الصراع العربي - الاسرائيلي من خلال قنوات الشرعية الدولية . وفي الوقت نفسه ، فإنه نظر الى الصراع من خلال مفهومه التاريخي للسياسة . فقد اعتقد ان الصلف الاسرائيلي هو نتيجة للتفكك والضعف العربيين . ومن ثم ، فإن اسرائيل ستضطر الى قبول التسوية من خلال البناء التدريجي للقوة العربية المتكاملة . وقد كان عبد الناصر مدركاً الى ان هذه العملية قد لا تتم في جيله ، ولكنها بالقطع ستحدث في الامد الطويل انطلاقاً من الطبيعة الحتمية - الدائرية - التقدمية للتاريخ ، وطبيعة التوازن السكاني بين العرب واسرائيل . ومن ثم ، فإنه كان يعتقد ان التنفيذ الاجرائي للهدف قد لا يكون احدى المسؤوليات الاساسية لجيله .

في الواقع ان تحليلنا السابق للنسق العقيدي الناصري ، كما جاء في الوثائق الناصرية ، يتفق الى حد كبير مع التحليلات الاساسية للفكر الناصري كما جاءت في العديد من الدراسات الاخرى عن عبدالناصر . ولكنه في الوقت نفسه يختلف بصفة أساسية عن بعض التحليلات الاخرى ، ومنها تلك التحليلات التي تشير الى ان عبدالناصر كان يهدف الى تدمير اسرائيل . وفي هذا الصدد سنشير الى ثلاث دراسات محددة ، وسنحاول ان نوضح دقة المقولات التي انتهت اليها تلك الدراسات في ضوء تحليلنا للنظام العقيدي الناصري ، وهذه الدراسات هي دراسات والتر لاكير ، وعليم راجا ، ويوشفاط هاركابي . ففي كتيب صغير بعنوان مصر عبد الناصر يقول لاكير :

« الهدف الحالي للسياسة المصرية ، فيما يتعلق باسرائيل هو بوضوح، « ميونخ » شرق- اوسطية . هذه الحقيقة تستتر ببراعة في المقابلات الصحفية للكولونيل عبدالناصر مع الصحفيين الاجانب ، والتي يحرص فيها على التأكيد بأنه يمكن لاسرائيل ان تحصل على السلام اذا قدمت تنازلات اقليمية غير محددة . اما في مناقشاتهم الخاصة ، فإن قادة المجموعة العسكرية يؤكدون بوضوح انهم ينظرون الى تلك التنازلات باعتبارها الخطوة الاولى نحو التدمير الكامل لاسرائيل. فهي اذن عملية على مرحلتين على غرار العملية الهتلرية لتدمير تشيكوسلوفاكيا »(٨) .

كذلك ففي رسالته لنيل درجة الماجستير المقدمة الى جامعة شيكاغو عام ١٩٥٩ والتي تقع في احدى وثلاثين صفحة ، انتهى عليم راجا الى ان الهدف الرئيسي لعبد الناصر كان تدمير اسرائيل : « رغبته ببساطة هي القاء اسرائيل في البحر ، وازالة دولة من العالم العربي يرى انها عميلة للاستعمار . وهو يرى ان اعلان بلفور وكل التصرفات التالية التي اسهمت في انشاء اسرائيل (كقرار التقسيم سنة ١٩٤٧) ، هي امثلة للخدع الاستعمارية التي تستعمل ازاء الشعوب الضعيفة والمقسمة (كالعرب) . وانطلاقاً من هذا المفهوم الجامد ، فإن المنهج المفضل لعبد الناصر هو تدمير اسرائيل »(٩) .

---

(٨) Walter Laqueur, *Nasser's Egypt* (London: Weidenfeld and Nicolson, 1956), p. 23.

(٩) Elim Raga, «An Analysis of Nasser's Policy toward Israel,» (M. A. thesis, University of Chicago, 1959), pp. 7-8.

اما هاركابي ، فإنه في كتابه الاتجاهات العربية ازاء اسرائيل ، ينتهي الى ان هدف عبدالناصر الرئيسي هو ما يسميه Politicide اي « ازالة الخطأ الكامن في وجود اسرائيل »[١٠] . ويعترف هاركابي انه في مناقشاته الخاصة مع الاجانب ، كان عبد الناصر يعترف ان اسرائيل حقيقة واقعية ، وان حل الصراع يجب ان يترك للاجيال القادمة[١١]. بيد ان هاركابي يصف هذه النفحة الاسلامية لدى عبدالناصر بأنها مجرد محاولة للتأثير على ضيوفه الاجانب ، وأن الاقوال المعلنة لعبدالناصر تعبر فعلاً عن حقيقة اهدافه ازاء اسرائيل .

تتفق التحليلات الثلاثة السالفة على ان الهدف الرئيسي لعبدالناصر في مجال الصراع العربي ـ الاسرائيلي كان هو تدمير اسرائيل ، وان عبد الناصر كان يعبر عن هدفه ازاء اسرائيل بشكل مختلف طبقاً لنوعية المستمعين . فبينما يرى لاكير ان عبدالناصر كان يعبر عن اهدافه الحقيقية في احاديثه مع الاجانب ، فإن هاركابي يرى بأنه لا يجب اخذ اهدافه المعبر عنها أمام الصحفيين الاجانب بجدية ، فالاقوال العلنية العدوانية لعبد الناصر ، هي المعبر عن اهدافه الحقيقية .

إذا تأملنا هذه التحليلات ، فإننا نجد أنها تفتقر الى التوثيق العلمي السليم ، ولا تلتزم بقواعد التحليل العلمي المعروفة . فوالتر لاكير مثلاً لا يحدد من هم الاجانب الذين اكد لهم عبدالناصر سراً أنه يعتزم تطبيق خطة على مرحلتين لتدمير اسرائيل . بل ان لدينا وثيقة غربية هامة تثبت عكس ما يقوله لاكير ، وهي مذكرات ليستر بيرسون رئيس وزراء كندا السابق . ففي تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٥ قابل بيرسون ـ بصفته وزيراً لخارجية دولته ـ جمال عبد الناصر في القاهرة . ويروي بيرسون ان عبد الناصر قد عبر له في هذه المقابلة الخاصة عن استعداده للاعتراف بوجود اسرائيل اذا تم حل مشكلتي اللاجئين الفلسطينيين والحدود[١٢] .

وكذلك ، فالدليل الوحيد الذي يقدمه عليم راجا على ان عبد الناصر كان يهدف الى تدمير اسرائيل هو العبارة التي وردت في كتاب فلسفة الثورة ، والتي تنص على ان اسرائيل عميل للاستعمار . من هذه العبارة وحدها يقفز راجا الى استنتاج مؤداه ان عبد الناصر كان يريد القاء اسرائيل في البحر ، وهي جملة لم يقلها عبدالناصر اطلاقاً[١٣] . كذلك ، فإن

(١٠) Y[ehoshafat] Harkabi, *Arab Attitudes to Israel* (Jerusalem: Israel Universities Press, 1972), p. 8.

(١١) المصدر نفسه ، ص ٣٨٩ .

(١٢) Lester Pearson, *Mike, the Memoires of the Right Honorable Lester Pearson* (Toronto: Toronto University Press, 1972), pp. 221-222.

(١٣) يذكر الاستاذ محمد حسنين هيكل انه في عام ١٩٦٦ وبينما كان تيتو يتحدث مع عبد الناصر عن القضية الفلسطينية ، قال تيتو في سياق حديثه « ان قضيتكم لا يساعد عليها ان تطلقوا شعاراً كشعار القاء اليهود في البحر » . وقد رد عبدالناصر بأنه لم يستعمل هذا الشعار ابداً كما أنه ليس متحمساً له . فرد تيتو بدهشة قائلاً : « الغريب انني ظننتك صاحب هذا الشعار » . وعلى اثر تلك المحادثة جرى تحقيق واسع شاركت فيه كل اجهزة رئاسة الجمهورية ووزارة الخارجية والارشاد القومي ، واسفر التحقيق ان مسؤولاً مصرياً او غير مسؤول لم يطلق هذا الشعار ، بل ان احداً من المسؤولين العرب لم يطلقه ، وقد ارسل عبد الناصر نتيجة التحقيق الى تيتو . وقد علم كريستوفر ماهيو الوزير =

هـاركابي يصـر على تفسـير كل جملة تفـوه بها عبـدالناصـر عن اسرائيـل على انها تعني تـدمـير اسرائيل. فإذا تحدث عبد الناصـر عن هدف تحقيق السـلام المبني على العـدل ، فإن هـاركابي يفهم هـذا الهدف عـلى انه يعني « السـلام بدون اسـرائيل » ، كـأن تحقيق العـدل يعني ازالـة اسـرائيل في مفهـوم هاركـابي[١٤] . كذلـك اذا تحدث عبـدالناصـر عن تطبيق قـرارات الامم المتحدة المتعلقة بفلسطين ، فإن هاركابي يفسر هذا الحديث على انـه « قد يتضمن ان حق اسـرائيل في الوجود لم يعد قائماً »[١٥] . واذا تناول عبدالناصر موضوع ازالة آثـار عدوان عـام ١٩٦٧ ، فإن ذلك يعني بالنسبة لهاركابي « المعنى المحتمل الاوسع وهو تدمير اسرائيل »[١٦] .

= البريطاني السابق بتلك القصة ، وكتب على اثر ذلك مقالاً اعلن فيه عن استعداده لدفع خمسة آلاف جنيه استرليني لاي شخص يستطيع نسبة شعار القاء اليهود في البحر الى اي مسؤ ول عربي . وقد خسر احد الصحفيين الاسرائيليين قضية رفعها ضد ماهيـو يطالبه فيها بالمبلغ لعجزه عن اثبات نسب الشعار ، انظر : محمد حسنين هيكل ، حديث المبادرة (بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ١٩٨٠) ، ص ٨٤ ـ ٨٥ .

(١٤) Harkabi, *Arab Attitudes to Israel*, p. 106.

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠ ـ ٢١ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٣ . أكثر من ذلك ، فإن هاركابي يذكر ان عبد الناصر كان متفهماً للجرائم النازية ضد اليهود وانه كان يبررها ، ويسوق على ذلك الفقرة التالية من خطاب لعبد الناصر في ٨ آذار / مارس عام ١٩٦٥ : « بيقولوا ان اليهود في الحرب العالمية الثانية قاسوا من المانيا ، طيب اليهود بس اللي قاسوا في المانيا ؟ اليوجوسلاف قاسوا من المانيا ، والفرنسيين قاسوا من المانيا ،» ، ولنتأمل الفقرة كاملة كما جاءت في : جمال عبد الناصر ، مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ، ٥ج (القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د. ت.]) ، ج ٥ : يوليو ١٩٦٤ ـ يونيو ١٩٦٦ ، ص ٢١١ : « اسرائيل في العشر سنين اللي فاتت اخذت من المانيا الغربية ٣٧٠٠ مليون دولار . يعني في اليوم اكثر من مليون دولار معونة ، بقشيش لاسرائيل . ليه المانيا بتدي اسرائيل من دون الدنيا كلها هذه الاموال؟ بيقولوا ان اليهود في الحرب العالمية الثانية قاسوا في المانيا . طيب اليهود بس اللي قاسوا في المـانيا ؟ اليوجوسلاف قاسوا من المانيا ، والفرنسيين قاسوا من المانيا . اذن فيه محاولات وفيه ضغط لتقوية اسرائيل اقتصادياً » . من الواضح اذن ان عبد الناصر في هذه الفقرة لم يكن يبرر الجرائم النازية ضد اليهود ، ولكنه كان ينتقد السياسة الالمانية ازاء القضية الفلسطينية والتي تقوم على مد اسرائيل بالمساعدات الاقتصادية والعسكرية ، وكان يشير الى قصر تلك المساعدات على اسرائيل دون غيرها من الشعوب التي قاست من النازية دليلاً على سوء نية الحكومة الالمانية . ولنتأمل ايضاً الفقرة التالية التي يقتبسها هاركابي من خطاب لعبد الناصر في ٨ شباط / فبراير عام ١٩٦٠ ويستعملها دليلا على ان عبد الناصر كان يرفض اي تسوية سلمية مع اسرائيل : « التسوية لن تكون نهاية طريق العدوان ، بل ستكون بداية لخطوات عدوانية جديدة لتحقيق حلم اسرائيل المجنون في وطن يمتد من النيل الى الفرات » . فلنقرأ جيداً الفقرة كما جاءت في : جمـال عبد النـاصر ، وثـائق عبد النـاصر : خـطب ، احاديث ، تصـريحات ، ٣ج (القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٣) ، ج ٣ ، ص ١ ـ ٢ : « نحن نعلم ان اسرائيل تحاول الآن ان تجد تسوية . ولكن التسوية التي تريدها اسرائيل هي على حساب حقوق عرب فلسطين . ثم ان هذه التسوية ، ونحن واثقون من ذلك بل ان اسرائيل لا تخفيه ، لن تكون نهاية طريق العدوان ، بل ستكون بداية لخطوات عدوانية جديدة لتحقيق حلم اسرائيل المجنون في وطن يمتد من النيل الى الفرات » . وأضاف عبد الناصر : « هناك الطريق الثالث (بين طريق الحرب وطريق الاستسلام) . وهو الطريق الى المنطق والحق وطبيعة الاشياء ، وذلك هو طريق ميثاق الامم المتحدة وقراراتها . ذلك هو الطريق الواحد المفتوح » . ومن ثـم ، فإن عبد الناصر لم يرفض اي شكل من اشكال التسوية مع اسرائيل ، ولكنه رفض فقط التسوية التي تقوم على الاعتراف بضياع الحقوق الفلسطينية ، كما اقترح تسوية تقوم على اساس تنفيذ قرارات الامم المتحدة .

ويذهب هاركابي الى ابعد من ذلك اذ ينسب الى عبدالناصر اقوالاً وعقائد لم تصدر عنه على الاطلاق . وسنحاول ان نعطي بعض الامثلة على ذلك . فهاركابي مثلاً يقتبس من خطاب عبدالناصر في الامم المتحدة في ٢٧ ايلول / سبتمبر عام ١٩٦٠ الفقرة التالية :[١٧]

« الحل الوحيد في فلسطين ، كما هو الحل في الكونغو ان تعود الامور الى سيرتها الاولى ! وان نرجع الى النقطة التي بدأ الخطأ عندها ، اي الغاء وجود اسرائيل » .

إذا راجعنا اصل الفقرة في وثائق عبد الناصر باللغة العربية ، المجلد الثالث (ص ٢٣٦) والى السجل الرسمي لوثائق الجمعية العامة للامم المتحدة ، فإننا لا نجد اي اشارة الى الكلمات الاربعة الاخيرة ، والتي اضافها هاركابي من مخيلته . كذلك يسوق هاركابي ، كدليل على ان كراهية عبدالناصر للصهيونية تنبع من اعتبارات دينية ، هي جملة قالها عبد الناصر لمجلة التايم الامريكية عدد ١٦ ايار / مايو عام ١٩٦٩ مؤداها انه اعتاد على ان يقرأ الانجيل ليفهم سلوك اسرائيل[١٨] . وقد رجعنا الى نص الحديث الصحفي لعبدالناصر مع مجلة التايم كما هو منشور في مجلة التايم ذاتها ، وفي وثائق عبدالناصر ، المجلد الثاني الذي نشرته جريدة الاهرام (ص ١٤٩ - ١٥٤) فلم نجد اي اشارة الى الجملة التي اقتبسها هاركابي . بالعكس ، فإن عبد الناصر ، في هذا الحديث الصحفي بالذات ، اشار الى استعداده لقبول وجود اسرائيل اذا كان هناك حل انساني لمشكلة الشرق الاوسط .

ولا يتوقف هاركابي عند هذا الحد ، بل انه يصل الى حد اختراع وثائق ناصرية من عندياته . فهاركابي يؤكد ان عبد الناصر كان معادياً للسامية ، ويدلل على ذلك بعبارة « الاساليب التجارية لكوهين» التي قالها عبد الناصر في خطاب في ٧ ايار / مايو عام ١٩٦٩ . ولسوء الحظ ، فإن هاركابي لا يذكر مصدر هذا الخطاب ، ولم ينتبه الى ان الوثائق الناصرية لا تتضمن اي وثيقة تحمل هذا التاريخ . وبعكس ما يقوله هاركابي ، فإن عبدالناصر في خطابه في عيد العمال في اول ايار/ مايو عام ١٩٦٩ تحدث عن التعايش التاريخي بين المسلمين والمسيحيين واليهود في فلسطين[١٩] .

وإذا حاولنا أن نقوم ادعاءات لاكير وراجا وهاركابي في ضوء النتائج الاحصائية التي توصلنا اليها من خلال تحليل المضمون ، فإننا يمكن أن نستنتج بسهولة البعد الواحدي للتحليلات التي قدمها الدارسون الثلاثة . اذا تأملنا الجدول رقم (٦-٦) ، والذي يوضح طبيعة اهداف عبد الناصر ازاء الاعداء المختلفين ، فإننا نجد ان العبارات التي تتضمن تعبيراً عن الرغبة في التخلص من اسرائيل كانت تمثل ٦ بالمائة فقط من كل العبارات التي تتضمن اهدافاً ازاء اسرائيل ، وان ٥٩ بالمائة من العبارات كانت تشير الى الرغبة في استعادة حقوق شعب فلسطين . اكثر من ذلك ، فإن نسبة العبارات التي تتضمن تعبيراً عن الرغبة في

(١٧) Harkabi, *Arab Attitudes to Israel*, p. 4.

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٢٠٤ .

(١٩) عبد الناصر ، وثائق عبد الناصر : خطب ، احاديث ، تصريحات ، ج٢ ، ص ١٤٢ .

التخلص من اسـرائيل هي اقـل نسبة من نسب العبـارات التي تتضمن رغبته في التخلص من كل الاعداء الآخرين . فالنسبة المشابهة تصل الى ٤٩ بالمائة ، ٨٤ بالمائة ، ٣٠ بالمائـة بالنسبـة للرجعية العربية ، والقوى المعادية في الداخل ، والقوى الغربية الاستعمارية على التوالي .

جدول رقم (٦ ـ ٦)

تبويب لاهداف عبدالناصر ازاء مختلف الاعداء

الهـدف / العدو	تدميري	عدواني	دفاعي	توفيقي	سلامي	استعادة الحقوق	المجموع
اسرائيل	٢١	٢	٥٤	٢٦	٢١	١٧٩	٣٠٣
الرجعية العربية	٤٢	١	٧	٢١	٧	٨	٨٦
الاستعمار الغربي	٤١	١	٢٤	٣٩	٣٥	١٨	١٥٨
الشرق				٢			٢
اعداء داخليون	٤٨	٤	٤	١			٥٧
المجموع	١٥٢	٨	٨٩	٨٩	٦٣	٢٠٥	٦٠٦

كذلك ، فإن قول لاكير وهاركابي أن عبد الناصر اعتاد أن يعبر عن اهداف مختلفة امـام الانماط المختلفة من المستمعـين ، لا يصمد امـام الاختبار العلمي . فقـد رأينا من اختبـارات الصدق الواردة في الفصل الثالث ان عقائد عبدالناصر لم تتغير بتغـير المستمعين . فـإذا قصرنـا بالتحليل على اهداف عبدالناصر تجاه اسرائيل ، فإننا نصل ايضاً الى النتيجة نفسها . ويـوضح الجدول رقم (٦ ـ ٧) تبويباً لاهداف عبـدالناصـر ازاء اسرائيـل كما عبـر عنها امـام الاشكال المختلفة للمستمعين ، وطبقاً لوسيلة الاتصال ، ومنها يتضح ثبات التعبير عن الاهداف . .

جدول رقم (٦ ـ ٧)

تبويب لاهداف عبد الناصر ازاء اسرائيل
طبقاً للجمهور ووسيلة الاتصال

الجمهـور	محلي	اجنبي	
اهداف تدميرية	١٦	٦	٢٢
اهداف توفيقية	١٨٠	٩٦	٢٧٦
	١٩٦	١٠٢	

Phi = ٠,٠٥
P = ٠,٢٣

وسيلة الاتصال	علنية	خاصة	
اهداف تدميرية	٢١	٢	٢٣
اهداف توفيقية	٢٧٦	٤	٢٨٠
	٢٩٧	٦	

Phi = ٠,١٧
P = ٠,١٤

الوظيفة الردعية فقط . والواقع ان هذه القيود الاساسية كانت مرتبطة بمنظوره التاريخي للسياسة بصفة عامة ، وللصراع العربي ـ الاسرائيلي بصفة خاصة . فقد تصور عبدالناصر الصراع العربي ـ الاسرائيلي كعملية تاريخية ، طويلة ومتعددة المراحل . والفائز في هذا الصراع لن يتحدد على ارض المعركة ولكنه يتحدد من خلال عملية المنافسة العربية ـ الاسرائيلية على بناء القاعدة الاجتماعية ـ الاقتصادية . فإذا استطاع العرب ان يتفوقوا على اسرائيل في هذه المنافسة ، فإنهم سيستطيعون أن يحدثوا تغيراً كيفياً في توزيع القوى الاقليمي ، مما يجبر اسرائيل على التسليم بحقوق الشعب الفلسطيني . وقدانعكست هذه الرؤية التاريخية في اصرار عبدالناصر على تنفيذ الهدف من خلال جدول اولويات . فتنفيذ الهدف العربي في استعادة حقوق الشعب الفلسطيني يجب ان ينتظر حتى يتم تصفية النفوذ الاستعماري والقوى الرجعية في الوطن العربي ، وحتى يتم بناء قاعدة اقتصادية عربية واحدة ، وحتى يتم تحقيق التكامل العربي . هذه العملية ، في تصور عبدالناصر ، هي بطبيعتها عملية طويلة وبطيئة وتدرجية ، ولكنها ستنتهي حتماً بحكم الامكانات البشرية العربية الى التفوق على اسرائيل واستعادة الحقوق دون معركة عسكرية . ومن ثم ، فقد كان عبد الناصر واضحاً أنه لا يمتلك خطة اجرائية لتحرير فلسطين او لاستعمال القوة العسكرية . فتحرير فلسطين يجب ان يترك للتطور التاريخي التدرجي . وفي الوقت نفسه ، فإنه يجب على العرب أن يتبعوا استراتيجية اجرائية ردعية لمنع المزيد من التوسع الاسرائيلي . فالدفاع الناجح ـ في نظر عبدالناصر ـ مرادف كلياً للنصر العسكري[20] .

والواقع ان عدم الوعي بهذه القيود الاساسية في النظام العقيدي الناصري ، وعدم القدرة على فهم العلاقة بين اختيار الهدف وتنفيذ الهدف عند عبدالناصر قد يكون مسؤولاً الى حد كبير عن بعض النتائج غير الدقيقة التي توصل اليها بعض الباحثين . ومرة اخرى نعود الى هاركابي في كتابه **الاستراتيجيات العربية والردود الاسرائيلية**[21] . فهاركابي يؤكد ان استراتيجية عبدالناصر كانت تتحصل في محو اسرائيل من الوجود من خلال معركة عسكرية شاملة . ويطبق هاركابي قواعد « الاتساق المنطقي » لكي يستخلص من اهداف عبدالناصر السياسية انه قد رفض كلياً الاستراتيجية التدرجية وفضّل عليها الحرب الحاسمة القصيرة . والمشكلة الاساسية في تحليل هاركابي انه لم يدرس استراتيجية عبدالناصر ذاتها ، ولكنه افترض وجود اتساق منطقي بين الهدف والاستراتيجية ، واستنتج من الهدف التعظيمي الاقصى ومن الصورة الناصرية السلبية لاسرائيل ، الانعكاسات المنطقية لهذا الهدف وهذه الصورة بالنسبة للاستراتيجية . فطالما ان الهدف ذو طبيعة حاسمة وشاملة ، فلا بد حتماً من أن تكون الاستراتيجية كذلك . ولو حاول

---

(٢٠) بسبب هذه القيود التي وضعها عبد الناصر على عملية تنفيذ الاهداف ، فإن بعض اعداء عبد الناصر في الوطن العربي ـ وبالذات حزب البعث ـ كانوا يتهمونه بالتخاذل تجاه اسرائيل ، وأنه يتبع سياسة « الحياد الايجابي » فقط بين العرب واسرائيل ، وانه يمهد لتصفية قضية فلسطين من خلال تسوية اقليمية مع اسرائيل ، انظر : احمد حروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو** ، ج ٣ : عبد الناصر والعرب (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٦) ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

(٢١) Y[ehoshafat] Harkabi, *Arab Strategies and Israel's Response* (New York: Free Press, 1977).

هاركابي ان يتعمق قليلاً في ادب علم النفس الاجتماعي لوجد ان هناك فارقاً بين « الاتساق المنطقي » ، و« الاتساق السيكولوجي » فليس حتماً أن يتحقق الاتساق المنطقي بين شتى اجزاء النسق العقيدي بحيث تتمشى سلبية الاستراتيجية مع سلبية الصورة او سلبية الهدف، وإنما قد ينظر الفرد الى تلك العقائد غير المتسقة منطقياً على انها متسقة سيكولوجياً على نحو ما سنوضحه عند تحليل الاتساق في النسق العقيدي الناصري . فالصورة السلبية لاسرائيل لم تكن حتماً استراتيجية عدوانية شاملة . فعبدالناصر ، رغم تصوره لاسرائيل كعميل استعماري ذي طبيعة توسعية ، تبنى منهجاً تاريخياً ـ تدريجياً ، ورفض اللجوء الى المخاطرة السياسية او الى القـوة العسكريـة . وعبدالناصر ـ خلافاً لما يتصور هاركابي ـ لم يتصور حرباً الى النهاية مع اسرائيل. بل انه اكد انه يجب ان يمتنع العرب عن المبادأة باستعمال القوة العسكرية ضد اسرائيل ، وحدد ظرفين محددين اذا توافر احدهما ، فإنه سيبادر باللجوء الى القوة العسكرية ، وهما احتلال اسرائيل لاراضٍ عربية جديدة ، او توافر معلومات اكيدة ان اسرائيل على وشك ان تمتلك القنبلة الذرية . ما لم يتوافر احد هذين الطرفين ، فإن القوة العسكرية تظل اداة ردعية بالاساس . ويتضح ذلك اذا تأملنا الجدول رقم (٦ ـ ٨) ، الذي يبوب عقيدة عبد الناصر عن وظيفة القوة العسكرية ازاء الاعداء المختلفين .

جدول رقم (٦-٨)

تبويب لعقيدة عبد الناصر عن وظيفة القوة
العسكرية ازاء مختلف الاعداء

العدو / القوة العسكرية	مستبعدة	حل اخير	اداة مفيدة	اداة وحيدة	المجموع
اسرائيل	٧	١٨	٢٩	٢٠	٧٤
الرجعية العربية	٤	٣	٥	—	١٢
الغرب	٧	١٣	٩	٣	٣٢
اعداء داخليون	٤	٤	١	١	١٠
المجموع	٢٢	٣٨	٥٤	٢٤	١٢٨

Cramer's V = ٠,٢٢
P = ٠,٠٢

فالجدول يوضح انه في ٣٤ بالمائة من اشاراته الى وظيفة القوة العسكرية تجاه اسرائيل ، أكد عبدالناصر على ضرورة تجنب اللجوء الى القوة العسكرية ، وفي ٣٩ بالمائة منها اشار الى ان القوة العسكرية اداة مفيدة للردع . والواقع ان نسبة الـ ٢٧ بالمائة من الاشارات والتي تؤكد على ان القوة العسكرية هي الاداة الوحيدة للتعامل مع اسرائيل ، قد جاءت عقب العدوان الاسرائيلي عـام ١٩٦٧ في سياق تأكيده على ضرورة استعمال القوة العسكرية كأداة لتحرير الاراضي التي احتلت عام ١٩٦٧ .

وباختصار ، فإن فهم طبيعة العلاقة بين المنظور الناصري الصراعي والتاريخي للسياسة ، ومسلكه التعظيمي في اختيار الاهداف ، ومسلكه الحذر والتدريجي في تطبيق الاهداف ، اساس لفهم اسلوب الحساب السياسي لدى عبدالناصر بطريقة موضوعية . فمنظوره الصراعي للسياسة ادى به الى تبني صورة سلبية كلياً لاعدائه السياسيين واختيار اهداف تعظيمية قصوى والاصرار على تلك الاهداف ، طالما انها تتلاءم مع التيار التاريخي . بيد ان مثل هذه العقائد وضعت في اطار منظوره الحتمي - التقدمي - الدائري للتاريخ ، والذي انتج آثاراً حاسمة بالنسبة لاستراتيجية تحقيق الهدف . اذ انه قد أمده باحساس من اليقين المطلق في صحة اهدافه وبأنها ستتحقق في المدى الطويل ، ومن ثم دفعه الى تبني منهج تدرجي للتغيير واستراتيجية حذرة للعمل السياسي .

الفصل السابع

التحليل الهيكلي للنسق العقيدي الناصري

يتميز النسق العقيدي بسمة اساسية ، وهي ان العناصر (العقائد) المكونة له تشكل نسيجاً متشابكاً من العلاقات والتفاعلات النمطية التي تسمح لنا باطلاق صفة النسق على تلك العقائد . يترتب على ذلك ان النسق العقيدي ـ شأنه شأن اي نسق ـ يتضمن بالضرورة بنياناً مترابطاً من العلاقات ونمطاً معيناً من ترتيب العقائد ، هو الذي يشكل جوهر فكرة الترابط داخل النسق ، كما أنه يسمح لنا بفهم سلوك القائد السياسي انطلاقاً من هذا النسق .

في هذا الفصل سنتناول النسق العقيدي الناصري من ثلاث زوايا : التمايز البنائي ، الترابط الهيكلي ، ووظائف النسق العقيدي[1] .

---

(١) من الواضح ان التحليل الهيكلي للنسق العقيدي ، لا يمكن اجراؤه بصورة مبسطة تمكننا من تحليل الهيكل الرئيسي للنسق من خلال تحليل كل العقائد الاساسية والعقائد الفرعية المتضمنة في نظام الترميز المقدم . لذلك حاولنا استخلاص مجموعة محدودة من العقائد الخمس والخمسين الواردة في نظام الترميز . وكان معيار الاختيار يتلخص في التالي : اولاً : ان العقائد المختارة يجب ان تمثل كل مجموعات العقائد ، بمعنى ان تختار عقيدة من مجموعة العقائد المتعلقة بالعالم السياسي ، واخرى من العقائد المتعلقة بالعدو ، وهكذا . ثانياً : ان العقائد المختارة ، يجب ان تكون قابلة للتحويل الى متغيرات فاصلية (Interval) ؛ بحيث يمكن استعمال التحليل الارتباطي وتحليل العوامل .
ثالثاً : ان العقائد المختارة يجب ان تكون قريبة الى اكبر حد ممكن من العقائد التي استعملها ناثان لايتس والكسندر جورج وغيرهما في تحليل « النهج الاجرائي » بحيث يمكن مقارنة النسق العقيدي الناصري بنتائج تحليلات انساق عقيدية اخرى .

طبقاً لتلك المعايير ، فإننا استخلصنا اثنتي عشرة عقيدة نصفها عقائد فلسفية ، والنصف الآخر عقائد ادائية :

اولاً : العقائد الفلسفية

١ ـ طبيعة العالم السياسي	(١) صراعي	(٢) منسجم
٢ ـ طبيعة العدو	(١) عدواني	(٢) مسالم
٣ ـ النظام الدولي	(١) صراعي	(٢) منسجم
٤ ـ التفاؤل السياسي	(١) متفائل	(٢) متشائم
٥ ـ تنبؤية الحياة السياسية	(١) ممكنة	(٢) متقلبة
٦ ـ دور القائد السياسي	(١) ايجابي	(٢) سلبي

اولاً : الخصائص الهيكلية للنسق العقيدي الناصري

أ ـ ثراء النسق العقيدي الناصري

يقصد بثراء النسق العقيدي احتواؤه على نسبة عالية من الفئات العقيدية المكونة للنسق العقيدي الكلي ،والواردة في نظام الترميز المقترح . ويتضمن الاخير ٢٥١ فئة عقيدية قوامها ١٦٨ فئة عقيدية فلسفية ، ٨٣ فئة عقيدية اداتية ، فإذا حسبنا عدد الفئات العقيدية التي تضمنها النسق العقيدي الناصري ، فإننا نجد انه لم يضم سوى ٧٢ بالمائة من كل الفئات العقيدية الواردة في نظام الترميز .

بيد ان نمط ثراء النسق العقيدي الناصري لم يستمر على الوتيرة نفسها طوال فترات حياته السياسية . فقد بلغ ثراءالنسقالعقيدي الناصري اقصاه في الفترة الثانية من حياته السياسية ، اي الفترة الواقعة بين نهاية حرب السويس وحرب حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ ، وهي الفترة التي تمثل ازدهار القيادة الناصرية ، ومحاولتها تقديم نسق عقيدي متكامل للتعامل مع العالم السياسي . في هذه الفترة بلغت نسبة ثراء النسق العقيدي الناصري ٧٢ بالمائة ، وهي نسبة تزيد بكثير عن النسبة المقابلة في المرحلة الاولى ، وهي المرحلة التالية لثورة سنة ١٩٥٢ ، وبلغت فيها نسبة الثراء العقيدي ٥٣ بالمائة فقط . بيد أننا نلاحظ تدهوراً واضحاً في نسبة ثراء النسق العقيدي الناصري عقب هزيمة حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ ، اذ بلغت النسبة ٤٧ بالمائة فقط ، وهي نسبة تقل حتى عن نسبة الثراء العقيدي في المرحلة التكوينية . والواقع ان السبب الرئيسي لتغير نسبة الثراء العقيدي الكلي يرجع الى تغير واضح في احد مكونات النسق العقيدي ، وهو العقائد الفلسفية . فقد تراوحت نسبة الثراء العقيدي الفلسفي بين ٤٩ بالمائة في المرحلة الاولى ، ٧٧ بالمائة في المرحلة الثانية ، ٤١ بالمائة في المرحلة الثالثة ، فيما ظلت نسبة الثراء العقيدي الاداتي ثابتة تقريباً ، اذ بلغت ٦١ بالمائة في المرحلة الاولى ، ٦٤ بالمائة في المرحلة الثانية ، ٥٨ بالمائة في المرحلة الثالثة (الجدول رقم (٧ ـ ١)) . ولذلك فإننا نجد ان نسبة التغير في ثراء العقائد الاداتية اقل نسبياً من نسبة التغير في ثراء العقائد الفلسفية . فمتوسط التغير في ثراء العقائد الاداتية يبلغ ٤ بالمائة بينما يبلغ متوسط التغير في العقائد الفلسفية ٢٤ بالمائة . والواقع ان هذه النتيجة متوقعة الى حد كبير ، إذ من المنطقي ان يقل التعبير الفلسفي عن العقائد في المراحل التكوينية من حياة القائد السياسي ، وفي فترات الازمات ، ولكنه في كل الحالات عليه أن يعبر عن مجموعة من العقائد الاداتية اللازمة

= ثانياً : العقائد الاداتية

١ ـ اختيار الهدف	(١) الحد الاقصى	(٢) الحد الادنى
٢ ـ المسالك	(١) اسلوب كاسح	(٢) التدرج
٣ ـ الاستراتيجيات	(١) عدواني	(٢) توفيقي
٤ ـ المخاطرة السياسية	(١) مخاطرة	(٢) لا مخاطرة
٥ ـ التكتيك	(١) سريع	(٢) بطيء
٦ ـ القوة العسكرية	(١) تستعمل	(٢) لا تستعمل

للتعامل اليومي المباشر مع العالم السياسي . ولذلك فإنه يمكن أن ننتهي الى فرضية مبدئية قوامها ان درجة ثراء النسق العقيدي تتأثر بدور القائد السياسي في النظام السياسي ، وبالاطار السياسي العام المحيط به ، فكلما ازداد دور القائد السياسي في النظام السياسي ، وازدادت فاعلية دوره الاقليمي والدولي ، ازدادت درجة ثراء نسقه العقيدي ، كذلك يمكن أن نستنتج ان مستوى ثراء الاجزاء الفلسفية من النسق العقيدي اكثر حساسية للتغيرات في دور القائد ونشاطه من الاجزاء الادائية .

ومن ناحية اخرى ، فإذا قارنا درجة ثراء الاجزاء الفلسفية بالاجزاء الادائية في النسق العقيدي الناصري ، لوجدنا ان الاخيرة كانت في المتوسط اكثر ثراء من الناحية العقيدية ، اذ يبلغ متوسط ثراء الاجزاء الفلسفية ٥٦ بالمائة ، بينما يبلغ متوسط ثراء الاجزاء الادائية ٦١ بالمائة . وقد انطبق هذا النمط بالذات في المرحلة الاولى والمرحلة الاخيرة من حياة عبد الناصر ، بينما شهدت المرحلة الثانية اتجاهاً اكبر في التعبير عن العقائد الفلسفية يفوق العقائد الادائية . بيد ان ضعف الفارق في نسبة الثراء (٥ بالمائة فقط) لا يمكننا من تأكيد الفرض القائل « ان النسق العقيدي للقائد السياسي التنفيذي يكون عادة اكثر ثراء في اجزائه الادائية عن اجزائه الفلسفية » ، بعبارة اخرى ، فإنه رغم ان عبد الناصر كان قائداً سياسياً تنفيذياً ، فإنه قد اهتم بقضايا النظرية والفلسفة على قدم المساواة مع اهتمامه بالقضايا الادائية .

ب ـ تمايز النسق العقيدي الناصري

يقصد بالتمايز العقيدي نمط توزيع فئات العقائد في النسق العقيدي الكلي . فقد يوجد نسقان عقيديان متشابهان في العدد الكلي للعقائد والفئات العقيدية (الثراء) ، ولكن توزيع تلك العقائد قد يكون مختلفاً . بذلك فإن درجة تمايز النسق العقيدي قد تكون عالية اذا كانت فئات العقائد المعبر عنها موزعة توزيعاً يشابه التوزيع المثالي لتلك الفئات في نظام الترميز . وعلى سبيل المثال ، فإننا نجد ان هناك ٢٧ فئة عقيدية تتعلق بطبيعة العالم السياسي ، ٦٨ فئة عقيدية تتعلق بطبيعة العدو السياسي ، ٥ فئات تتعلق بالمسالك السياسية ، فإذا عبر القائد السياسي في نسقه العقيدي عن تلك الفئات بشكل يقترب من هذا النمط ، قلنا ان هناك تمايزاً في النسق العقيدي بمعنى انه يتجه الى التعبير عن كل العقائد والفئات العقيدية بشكل متوازن ، اما اذا اتجه الى التعبير عن مجموعة من العقائد والفئات دون الاخرى ، قلنا ان النسق العقيدي يتسم بعدم التمايز .

ولقياس درجة التمايز في النسق العقيدي الناصري ، قمنا باستعمال « معامل التشتت» Coef-ficeint of Dispersion وهو يتراوح ما بين الواحد الصحيح(اقصى التشتت اي التمايز)، والصفر(ادنى التشتت). وقد حسبنا معامل التشتت بالنسبة للفترات الثلاث في حياة عبدالناصر، وعلى المستوى الفلسفي والمستوى الادائي،والمستوى الكلي،كما هو واضح فيالجدول رقم (٧ ـ ١) . من هذا الجدول يتضح ان النسق العقيدي الناصري كان يتسم بدرجة عالية من التمايز في توزيع العقائد ، اذ كان متوسط معامل التشتت في كل الفترات الثلاث ٠,٩٢ من ناحية اخرى ، فإن درجة التمايز زادت من ٠,٩١ في المرحلة الاولى الى ٠,٩٩ في المرحلة الثانية ، ولكنها انخفضت الى ٠,٨٦ في المرحلة الثالثة . وهنا يظهر مرة اخرى اثر هزيمة حزيران / يونيو عام

١٩٦٧ على النسق العقيدي الناصري ، اذ ان عبد الناصر اتجه بعدها الى التركيز بشكل واضح على العقائد المتعلقة بالعدو واستعمال القوة العسكرية ، على حساب العقائد والفئات العقيدية الاخرى .

جدول رقم (٧ - ١)

مقاييس ثراء وتمايز النسق العقيدي الناصري

العقيدة	العدد الاقصى من فئات العقائد	العدد الفعلي لفئات العقائد		
		المرحلة الاولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة
العقائد الفلسفية				
طبيعة العالم السياسي	٢٧	٩	١٩	٨
العدو	٦٨	٣٢	٥٢	٣٥
النظام الدولي	٤٤	٢٠	٣١	٨
التفاؤل السياسي	١٠	١٠	٩	٦
التنبؤ السياسي	١١	٦	٩	٨
دور القائد السياسي	٨	٥	٨	٣
المجموع	١٦٨	٨٢	١٢٨	٦٩
معامل الثراء (٪)		٤٩	٧٧	٤١
معامل التشتت		٠,٩١	٠,٩٩	٠,٨٢
العقائد الادائية				
الاهداف السياسية	٢٧	١٣	٢١	١٢
المسالك	٥	٥	٥	٣
الاستراتيجيات	٥	٣	٥	٤
المخاطر	١٤	٩	١١	٨
التوقيت	٣	١	٣	٢
التكتيك	٨	٦	٧	٥
القوة العسكرية	٢١	١٣	١٣	١٤
المجموع	٨٣	٥٠	٥٣	٤٨
معامل الثراء (٪)		٢١	١٤	٥٨
معامل التشتت		٠,٩٥	٠,٩٨	٠,٨٢
المجموع الكلي	٢٥١	١٣٢	١٨١	١١٧
معامل الثراء الكلي(٪)		٥٣	٧٣	٤٧
معامل التشتت الكلي		٠,٩١	٠,٩٩	٠,٨٦

من ناحية ثالثة ، فإننا نلاحظ ان هناك تماثلاً نسبياً بين تمايز النسق العقيدي الفلسفي ، والنسق العقيدي الادائي . واخيراً ، فإن هناك علاقة طردية بين درجة تمايز النسق العقيدي ، وبين دور القائد في النظام السياسي ، والاطار الاقليمي والعالمي لحياته السياسية . فالصعود

السياسي لدور القائد يرتبط ايجابياً بزيادة تمايز نسقه العقيدي (وثرائه)، والهبوط السياسي لهذا الدور يرتبط ايجابياً بنقصان هذا التمايز (والثراء) .

ج ـ مركزية عقائد النسق العقيدي الناصري

قدمنا ان منطق « النهج الاجرائي » يتحصل في محاولة التوصل الى مجموعة محدودة من العقائد التي تشكل جوهر النسق العقيدي لصانع القرار ، بافتراض ان معرفة تلك العقائد هي اداة تمكن الباحث من فهم الخيارات المحتملة لصانع القرار والتنبؤ بها . من هنا تنبع اهمية دراسة المركزية النسبية لشتى العقائد لمحاولة التوصل الى معرفة العقائد المركزية والعقائد الهامشية ، اي العقائد التي تقع في قلب النسق العقيدي ، وتلك التي تقع على هامشه . وهذا يثير امامنا مشكلة تعريف المركزية والهامشية . وقد سبق ان أشرنا الى تلك المشكلة في الباب الاول من هذا الكتاب .
وقد أشرنا الى ان العقائد المركزية هي اكثر العقائد من حيث تكرارية التعبير اللفظي عنها . من الناحية الاجرائية ، فإننا نعرف العقيدة بأنهامركزية اذا كان عدد مرات التعبير اللفظي عنها يفوق وسيط تكرارات التعبير اللفظي عن كل العقائد الاخرى . وبالعكس ، فإننا نعرف العقيدة الهامشية على انها تلك العقيدة التي قل عدد مرات التعبير اللفظي عنها عن وسيط تكرارات التعبير اللفظي عن كل العقائد الاخرى .

يوضح التحليل التكراري المبين في الجدول رقم (٧ ـ ٢)، وجود عدة انماط مهمة تتعلق بمركزية وهامشية عقائد النسق العقيدي الناصري :

١ ـ لا يوجد فارق كبير بين العقائد الفلسفية والعقائد الاداتية من حيث المركزية، بمعنى اننا لا نستطيع القول ان العقائد الفلسية كانت اكثر او اقل مركزية من العقائد الاداتية . فالعقائد المركزية الست في النسق العقيدي الناصري تضمنت ثلاث عقائد فلسفية ، وثلاث عقائد اداتية . والواقع ان النمط المتمثل في توازن مركزية العقائد الفلسفية والاداتية كان اكثر وضوحاً في المرحلة الثانية من حياة عبد الناصر السياسية ، (١٩٥٧ ـ ١٩٦٧) ، بيد انه في المرحلة التكوينية ، ومرحلة الكسوف القيادي الناصري بعد حرب حزيران / يونيو كان من الواضح ان العقائد الاداتية احتلت موقعاً مركزياً في النسق العقيدي الناصري ، بينما تراجعت العقائد الفلسفية لتحتل المركز الثاني في المركزية .

٢ ـ إن النسق العقيدي الناصري قد احتوى مجموعة محددة من العقائد المركزية ظلت كذلك طوال الحياة السياسية لعبد الناصر ، وعلى الاقل عام ١٩٦٧ . فنلاحظ من الجدول رقم (٧ ـ ٢) ، الذي يقدم تحليلاً تكرارياً للعقائد الاثنتي عشرة المختارة على مدى الفترات الزمنية الثلاث من حياة عبد الناصر ، ان العقائد المركزية في النسق العقيدي الكلي (اي طوال الحياة السياسية لعبد الناصر) ، كانت ايضاً هي ذاتها اكثر العقائد مركزية في الفترتين الاولى والثانية ، والى حد ما

في الفترة الثالثة . اكثر من ذلك ، فإن العقائد المركزية لم تستمر فقط في مركزيتها ، ولكن ايضاً من القوة النسبية لهذه المركزية ، اذ نلاحظ ان معامل سبيدمان الترتيبي بين تكرارات العقائد الكلية ، وتكرارات عقائد المرحلة الاولى ، والثانية ، والثالثة يبلغ ٠,٩٦ ، ٠,٩١ ، ٠,٦٥ على التوالي ، مما يؤكد ثبات المركزية النسبية للعقائد على الاقل حتى عام ١٩٦٧ .

٣ ـ ويمكن تبين وجود مجموعة مركزية من العقائد، وثبات مركزية وقوة مركزية تلك العقائد ، من مقارنة الفترات الثلاث ببعضها البعض . في هذه الحالة نجد ان معامل سبيرمان الترتيبي بين الفترة الاولى والفترة الثانية ٠,٨٩ ، وبين الفترة الثانية والثالثة ٠,٧٠ ، وبين الفترة الاولى والثالثة ٠,٦٣ ، مما يعني ثبات الترتيب التكراري وقوته على الاقل حتى عام ١٩٦٧ .

بصفة عامة ، فإننا نلاحظ ان العقائد السياسية المتعلقة بطبيعة العدو ، الاستراتيجيات السياسية ، التفاؤل السياسي ، المسالك السياسية ، اختيار الاهداف ، وتنبؤية الحياة السياسية ، هي اكثر العقائد مركزية في النسق العقيدي الناصري على التوالي . وتأتي العقيدة المتعلقة بطبيعة العدو واهدافه كأكثر العقائد مركزية على الاطلاق بتكرار يبلغ ٩٤٢ فقرة ، وهو تكرار يبلغ ضعف تكرار العقيدة المركزية التالية . وقد ظلت العقيدة المتعلقة بطبيعة العدو تحتل المركز الاول من حيث التكرار ، طوال حياة عبد الناصر السياسية ، ما عدا المرحلة الاولى التي احتلت فيها المركز الثاني بفارق بسيط للغاية عن العقيدة المركزية الاولى .

كذلك فإننا نلاحظ ان تغير قوة مركزية العقائد كان واضحاً بالذات بعد حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧ . فالعقيدة المتعلقة بتنبئية الحياة السياسية ، كانت تحتل موقعاً مركزياً في المرحلة الثانية ، ولكنها تراجعت لتحتل اكثر المواقع هامشية في المرحلة الثالثة (بعد عام ١٩٦٧) . كذلك فإن العقيدة المتعلقة بدور القائد السياسي في التطور الاجتماعي ـ التاريخي تراجعت من الترتيب الثامن الى الترتيب الحادي عشر . وفي الوقت نفسه ، فإن العقيدة المتعلقة بالقوة العسكرية تقدمت من الموقع الهامشي الى الموقع المركزي ، كما ازدادت قوة تكرارية عقائد ادائية اخرى كالمخاطرة السياسية والتكتيك السياسي .

والواقع ان مثل هذا التغير يمكن تفسيره على ضوء الموقف العسكري بعد عام ١٩٦٧ ، اذ انه من الطبيعي ان يزداد اهتمام عبد الناصر بقضايا استعمال القوة العسكرية والتكتيك السياسي في ضوء استعداده للمعركة ، وان يقل اهتمامه بالقضايا الفلسفية الاخرى . بيد ان مثل هذا التغير يثير نقطة منهجية مهمة ، وهي ان مركزية عقائد النسق العقيدي تتغير في اوقات الازمات . وبالتالي ، فإنه من المهم في تحليل القوة التفسيرية والتنبؤية للنسق العقيدي الاخذ بالاعتبار احتمال وجود تغيير هيكلي في مركزية اجزاء النسق . وعلى سبيل المثال ، فإنه يصعب ، والحال كذلك ، استعمال النسق العقيدي الناصري في الفترة السابقة على ازمة حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ لفهم سلوكياته وخياراته السياسية في الفترة التالية للأزمة .

جدول رقم (٧ ـ ٢)

العقائد المركزية والهامشية في النسق العقيدي الناصري

المرحلة / العقيدة	الفترة الاولى		الفترة الثانية		الفترة الثالثة		مجموع الفترات الثلاث	
	التكرار	الترتيب	التكرار	الترتيب	التكرار	الترتيب	التكرار	الترتيب
أ ـ العقائد الفلسفية								
طبيعة العالم السياسي	٩	١١	٥٥	٩	٦	٩	٧٠	١٠
طبيعة العدو	١٣٣	(٢)	٦٧٥	(١)	١٣٤	(١)	٩٤٢	(١)
النظام الدولي	١٢	٩	١٣٤	١٢	٥	١٠	١٥١	٨
التفاؤل السياسي	٨٧	(٣)	٣٢٢	(٢)	٤١	(٤)	٤٥٠	(٣)
تنبؤية الحياة السياسية	٢٢	٧	١٧٧	(٥)	٩	١٢	٢٠٨	(٦)
دور القائد السياسي	١٩	٨	٦٩	٨	٥	١١	٩٢	٩
ب ـ العقائد الادائية								
اختيار الاهداف	٤٢	(٦)	١٦١	(٦)	٣٠	(٦)	٢٣٣	(٥)
المسالك	٧٠	(٤)	٢٩٥	(٤)	٦١	(٢)	٤٢٦	(٤)
الاستراتيجيات	١٣٩	(١)	٣١٨	(٣)	٣٤	(٥)	٤٩١	(٢)
المخاطرة السياسية	٧	١٢	٢٤	١٠	١٦	٨	٤٧	١٢
التكتيك السياسي	١٠	١٠	٢٤	١١	٢١	٧	٥٥	١١
القوة العسكرية	٥١	(٥)	٧٢	٧	٤٨	(٣)	١٧١	٧

ملاحظة عامة : البيانات بين قوسين (   ) هي للعقائد المركزية .

د ـ الاستقرار والتغير في النسق العقيدي الناصري

يجب ان نتذكر ان الاستقرار ليس مرادفاً بالضرورة للمركزية . المقصود بالمركزية هو كثافة تكرارية الاشارة الى العقائد بصرف النظر عن توجهات تلك العقائد . فالاستراتيجية السياسية مثلاً قد تحتل موقعاً مركزياً في النسق العقيدي العام للقائد السياسي ، ولكن طبيعة تلك الاستراتيجية ونوعها قد يختلف من وقت لآخر . الاستقرار العقيدي اذاً يعني الثبات الزمني النسبي لمفهوم القائد السياسي لطبيعة العقيدة . وعلى سبيل المثال ، فإننا لا نريد ان نعرف ما اذا كانت العقيدة المتعلقة بطبيعة العالم السياسي مركزية او هامشية ، ولكن اذا كان المفهوم الصراعي للعالم السياسي الذي تبناه القائد في المرحلة الاولى قد استمر في المراحل اللاحقة ام تغير الى مفهوم آخر .

ولتحليل الاستقرار والتغير في النسق العقيدي الناصري ، لجأنا الى معامل التغاير Coefficient of Variation . ولتطبيق هذا المعامل بدأنا بتحويل المتغيرات الاثنتي عشرة (العقائد) الى متغيرات فاصلية Interval ، ثم حسبنا نسبة التعبير عن الفئة العقيدية الاكثر تكراراً وهو يمثل مقياساً لتوجه القائد السياسي بالنسبة لتلك العقيدة في هذه السنة . على

سبيل المثال ، ففي عام ١٩٥٤ تحدث عبد الناصر عن طبيعة العالم السياسي في ست اشارات ، ٨٣ بالمائة من هذه الاشارات تدل على مفهوم صراعي للعالم السياسي ، ١٧ بالمائة تدل على مفهوم مختلط وتعاوني ، وبذلك اعتبرنا نسبة ٨٣ بالمائة هي المقياس الفاصلي لتوجه عبد الناصر بالنسبة لتلك العقيدة . علما بأنه في عام ١٩٦٦ ، كانت هناك خمس اشارات كلها تعبر عن نظرة صراعية للعالم السياسي ، وبذلك اعتبرنا نسبة ١٠٠ بالمائة هي مقياس التوجه لتلك السنة بالنسبة لتلك العقيدة ، وهكذا . ثم قمنا بحساب الانحراف المعياري لقيم تلك النسب على مدى الثمانية عشر عاماً محل الدراسة . اما الخطوة التالية فهي حساب معامل التغاير ، وهو ببساطة الانحراف المعياري لقيم كل عقيدة على مدى الثماني عشرة سنة مقسوماً على المتوسط . وتراوح معامل التغاير بين الصفر ، وهو ما يعني ان العقيدة كانت مستقرة تماماً ، الواحد الصحيح ، وهو ما يعني ان عبد الناصر قد غير توجهه بالنسبة لتلك العقيدة من النقيض الى النقيض[٢] .

يتضمن الجدول رقم (٧ ـ ٣) نتائج التحليل الاستقراري والتغيري لعقائد عبد الناصر . يتضح من هذا الجدول ان هناك مجموعة اساسية من العقائد كانت شبه مستقرة ، وهي بالتحديد العقائد المتعلقة بطبيعة العدو ، الطبيعة الصراعية للعالم السياسي ، النظام الدولي ، تنبؤية الحياة السياسية ، التفاؤل السياسي ، واختيار الاهداف . الواقع ان هذه النتيجة متوقعة الى حد كبير ، اذا نظرنا الى التحليل الوصفي الوارد في الفصول الثلاثة السابقة . فعبد الناصر لم يغير اطلاقاً اقتناعه الاساسي بالطبيعة التوسعية لاسرائيل ، اذ أنه اعتبر التوسع جزءاً لا يتجزأ من هوية الكيان الاسرائيلي ذاته ، ومن الايديولوجية الصهيونية ، وهي صفة لم يكن من المحتمل ان تتغير ، في نظر عبد الناصر ، الا اذا تخلت اسرائيل عن عقيدتها الصهيونية . وقد كان رد عبد الناصر على مثل هذا التصور التوسعي لاسرائيل ، ان يؤكد وأن يثابر في تأكيد ضرورة اتباع اهداف قصوى ازاء اسرائيل . فقد كان احد الابعاد الرئيسية للنسق العقيدي الناصري هو عدم الاقتراب من عملية اختيار الاهداف (بالذات ازاء اسرائيل) . عن طريق التحديد المسبق للاهداف « الممكن » تحقيقها ، ولكن باختيار الاهداف « القصوى» المتسقة مع النمط الثابت من الحتمية التاريخية ، على ان تتغير اساليب تحقيق تلك الاهداف طبقاً للظروف . كذلك فعبد الناصر ، لم يغير قط ولم يتخل قط عن اقتناعه بأن اهدافه السياسية ستتحقق إن عاجلاً او آجلاً ، حتى هدف الوحدة العربية الذي كان يستبعد احتمال تحقيقه في المدى القريب، كان يؤكد احتمال تحقيقه في المدى البعيد . كذلك لم يغير عبدالناصر مفهومه لوجود نمط محدد في الحياة السياسية ، وبالتالي تأكده من

---

(٢) نظراً لأن مواقع القائد السياسي بالنسبة للعقائد تتفاوت بتفاوت القضايا التي تتمحور حولها تلك العقائد، فإن مجرد اجراء تلك العمليات دون الأخذ بالاعتبار ان تفاوت القيم قد يكون راجعاً الى تفاوت القضايا وليس الى « عدم الاتساق » ، قد يؤدي الى نتائج مضللة . وهذا الامر يتضح بالنسبة للعقائد الاداتية بالذات التي ترتبط بطبيعتها بقضايا جارية ، ويختلف باختلاف تلك القضايا . ولهذا فقد قررنا اجراء تحليل اتساق العقائد الاداتية على تلك العقائد المتعلقة بقضية واحدة وهي الصراع العربي ـ الاسرائيلي .

تحقيق الاهداف ، وكذلك ثابر عبدالناصر في نظرته الصراعية للعالم السياسي والنظام الدولي على السواء .

من ناحية اخرى ، فإن الاهداف المتعلقة بالقوة العسكرية ، دور القائد السياسي في الحركة الاجتماعية ـ التاريخية ، والمخاطرة السياسية ، كانت اقل العقائد استقراراً في النظام العقيدي الناصري . فقد تحول عبدالناصر من اعتبار القوة العسكرية اداة ينبغي تجنبها في الصراع العربي ـ الاسرائيلي وذلك خلال المرحلة الاولى، الى الاعتقاد بأن القوة العسكرية هي اساساً اداة رئيسية لردع العدو ، وذلك في المرحلة الثانية ، الى عقيدة قوامها ان القوة العسكرية لا بد من ان تستغل في مرحلة ما من مراحل الصراع ، بالتوافق مع الاساليب السياسية ، من اجل طرد الاحتلال الاسرائيلي من الاراضي التي احتلت عام ١٩٦٧ ، وذلك في الفترة التالية لمعارك عام ١٩٦٧ . وبالمثل فإن العقائد المتعلقة بقبول ورفض المخاطرة السياسية ، تغيرت من قبول مخاطر محدودة خلال المرحلة الاولى ، الى خطر قبول السياسات التي تتضمن مخاطر كبيرة، وذلك حتى بعد احتلال سيناء عام ١٩٦٧ . واخيراً فقد تغير مفهوم عبد الناصر لدور القائد السياسي ، من مفهوم قوامه ان القائد السياسي هو مجرد سمسار اجتماعي ـ اقتصادي بين القوى الاجتماعية ، الى دور اكثر ايجابية خلال المرحلة الثانية ، ثم تراجعه الى المفهوم السلبي بعد حرب عام ١٩٦٧ .

بتأمل الجدول رقم (٧ ـ ٣) يمكننا أن نستخلص ثلاث نتائج رئيسية :

١ ـ ان النسق العقيدي الناصري قد اظهر قدراً كبيراً من الاستقرار . ذلك ان متوسط معامل التغاير (الاستقرار) هو ١٣٩, ٠ ، مما يظهر ان عبد الناصر كان مثابراً في التعبير عن نفس مفاهيم معظم العقائد طوال سني حياته .

٢ ـ ان العقائد الفلسفية كانت اكثر استقراراً من العقائد الادائية ، فمتوسط معامل التغاير للعقائد الفلسفية يبلغ ١١٢, ٠ ، بينما أن متوسط معامل التغاير للعقائد الادائية يبلغ ١٧١, ٠ والواقع ان هذه النتيجة منطقية الى حد كبير ، فالعقائد الادائية بطبيعتها تقبل التعامل مع قضايا ادائية تتغير باستمرار كما أنها تفرض على القائد التغير . فمثلاً نجد ان تغير مفهوم عبد الناصر للقوة العسكرية كان نتيجة لحرب عام ١٩٦٧ .

٣ ـ اما النتيجة الاخيرة فإنها تتعلق بالعلاقة بين المركزية والاستقرار ، وهي العلاقة التي فضلنا أن نتركها للاختبار التجريبي ، لا الافتراض المسبق . هل من الصحيح ، كما رأى بعض الباحثين ، ان مركزية العقائد يمكن أن تكتشف عن طريق تحليل استقرار العقائد؟ مرة اخرى بتأمل الجدول رقم (٧ـ٣) نجد ان اربعاً من العقائد الست المركزية ، ظهرت ايضاً بين العقائد الست المستقرة ، وهي بالتحديد : طبيعة العدو ، التفاؤل السياسي ، تنبئية الحياة السياسية ، اختيار الاهداف . وهذا يعني ان العقائد المركزية كانت بصفة عامة اكثر استقراراً من العقائد الهامشية ، فمتوسط استقرار العقائد المركزية يبلغ ١٠٥, ٠ ، بينما نجد ان مستوى استقرار العقائد الهامشية ١٧٩, ٠ ، مما يعني ان هناك علاقة طردية بين استقرار عقائد النسق

العقيدي ، وبين مركزية تلك العقائد ، بيد أن ذلك لا يعني انه في ظل ظروف الازمات السياسية والضغط النفسي ، امكانية تساوي العقائد المركزية والهامشية في قابليتها للتغير الجذري ، طبقاً لمتطلبات الموقف الجديد . وهذا ما حدث في حالة عبد الناصر بعد عام ١٩٦٧ . فعبد الناصر لم يعبر تقريباً عن تنبئية الحياة السياسية بعد عام ١٩٦٧ ، وتغير موقعه بالنسبة لدور القائد السياسي ، ودور القوة العسكرية ، وقبول او رفض المخاطرة السياسية بعد عام ١٩٦٧ . كذلك كانت هناك مؤشرات محدودة عبر عنها في الشهور القليلة السابقة لوفاته عن احتمال تغير رؤيته لنمط اتخاذ القرار الاسرائيلي من مجتمع صقور واحدي الاتجاه ، الى مجتمع متعدد الاتجاهات يضم الصقور والحمائم ايضاً .

جدول رقم (٧ -٣)

الاستقرار والتغير في النسق العقيدي الناصري

المقياس / العقيدة	مقياس الاستقرار[1]	الاستقرار والتغير	المركزية والهامشية
اولاً ـ العقائد الفلسفية			
طبيعة العالم السياسي	٠,٠٨٦	مستقرة	هامشية
طبيعة العدو	٠,٠٣٥	مستقرة	مركزية
النظام الدولي	٠,٠٩٠	مستقرة	هامشية
التفاؤل السياسي	٠,١٣٠	مستقرة	مركزية
تنبؤية الحياة السياسية	٠,٠٦٩	مسترة	مركزية
دور القائد السياسي	٠,٢٦٢	متغيرة	هامشية
ثانياً ـ العقائد الادائية			
اختيار الاهداف	٠,١١٧	مستقرة	مركزية
المسالك	٠,١٣٦	متغيرة	مركزية
الاستراتيجيات	٠,١٤٠	متغيرة	مركزية
المخاطرة	٠,٢٦٦	متغيرة	هامشية
التكتيك السياسي	٠,١٥١	متغيرة	هامشية
القوة العسكرية	٠,٢١٧	متغيرة	هامشية

متوسط معاملات العقائد الفلسفية = ٠,١١٢

متوسط معاملات العقائد الادائية = ٠,١٧١

متوسط معاملات العقائد المركزية = ٠,١٠٥

متوسط معاملات العقائد الهامشية = ٠,١٧٩

---

(١) رتبت العقائد تصاعدياً في الخانة الاولى من الجدول طبقاً لقوة معامل التغاير ، ثم حددنا وسيط كل القيم بحيث امكن في الخانة الثانية وصف العقائد على انها مستقرة ام متغيرة ، فالعقائد التي تقع قيمها اقل من الوسيط اعتبرت مستقرة ، وبالعكس فتلك التي تقع قيمها اعلى من الوسيط اعتبرت غير مستقرة .

ثانياً : الترابط الهيكلي للنسق العقيدي الناصري

قدمنا ان احدى الخصائص الرئيسية « للنهج الاجرائي » ، بوصفه نسقاً عقيدياً ، هو الترابط بين شتى اجزائه الفلسفية والادائية ، كما أن البحث عن وجود روابط عقيدية ، يعتبر حيوياً للغاية اذا اردنا أن نفهم « النهج الاجرائي » لصانع القرار ، وإذا أردنا أن تكون لدينا القدرة على التنبؤ بطبيعة العقائد الاخرى التي يعتنقها صانع القرار السياسي ، اذا عرفنا مبدئياً انه يعتنق مجموعة محددة من العقائد .

وكما أشرنا ايضاً في تحليل الخصائص العامة للنهج الاجرائي ، فإن الترابط بين الاجزاء العقيدية للنهج يمكن ان يأخذ احد شكلين : الشكل الاول ، هو الترابط السكوني Static interdependence ، ويقصد به انه اذا اعتنق الفرد عقيدة محددة فإنه عادة يعتنق مجموعة اخرى من العقائد المرتبطة بها . اما الشكل الثاني ، فهو الترابط الدينامي Dynamic interdependence ، ويقصد به ان تغير عقيدة واحدة (او مجموعة من العقائد) ينتج عنه سلسلة من التغيرات في العقائد الاخرى . وفي الاجزاء التالية ستتولى تحليل الترابط السكوني والترابط الدينامي عن طريق اللجوء الى التحليل الشرطي ، والتحليل الارتباطي ، ثم تحليل العوامل . ولكن قبل ان نفعل ذلك ، فإننا سنقوم بتحليل خصيصة اخرى من خصائص النسق العقيدي ولصيقة بالترابط هي « اتساق » اجزاء النظام .

أ ـ اتساق النسق العقيدي الناصري

الخطوة الاولى في تحليل الاتساق هي بناء سلم تدرجي Scale لعقائد النسق العقيدي طبقاً لبعد واحد هو التشدد ـ التوسط hawkishness-dovishness ، وبذلك فإننا نتوقع القائد الذي يتخذ موقعاً« متشدداً » بالنسبة لعقيدة معينة ، ان يتخذ ايضاً موقعاً متشدداً مماثلاً

١ ـ نسق عقيدي « متسق » في تشدده	٢ ـ نسق عقيدي « متسق » في توسطه
صراعية العالم السياسي	انسجام العالم السياسي
اعداء عدوانيون	اعداء توفيقيون
صراعية النظام الدولي	انسجام النظام الدولي
متفائل	متشائم
التنبؤية السياسية	عدم التنبؤ السياسي
دور ايجابي للقائد	سلبية دور القائد
اهداف سياسية قصوى	اهداف سياسية ممكنة
مسلك البليتز كريغ	مسالك تدرجية
استراتيجيات عدوانية	استراتيجيات توفيقية
قبول المخاطرة السياسية	رفض المخاطرة السياسية
تكتيك سياسي سريع	تكتيك سياسي بطيء
استعمال القوة العسكرية	تجنب استعمال القوة العسكرية

(متسقاً) بالنسبة لباقي العقائد . من الناحية الاجرائية ، حولنا كل عقيدة الى متغير فاصلي Interval يتضمن نقطتين : الاولى هي النقطة المتشددة ، الثانية ، وهي النقطة التوسطية ، طبقاً للنمط السابق :

جدول رقم (٧ ـ ٤)

مقاييس اتساق النسق العقيدي الناصري

المرحلة / العقيدة	المرحلة الاولى	المرحلة الثانية	المرحلة الثالثة	معنى القيم
أولاً ـ العقائد الفلسفية				
طبيعة العالم السياسي	١,١١١	١,٠٢٤	١,١٠٠	(١) صراعي
طبيعة العدو	١,٠٠٠	١,٠٢٤	١,٠٣٥	(١) عدواني
طبيعة النظام الدولي	١,٠٠٠	١,٠٤٦	١,٠٠٠	(١) صراعي
التفاؤل السياسي	١,٠٢٣	١,٠٨٤	١,١٥١	(١) متفائل
تنبؤية الحياة السياسية	١,٠٠٠	١,٠١٧	١,٠٠٠	(١) امكانية التنبؤ
دور القائد السياسي	١,٤٢١	١,٢٠٦	١,٦٦٧	(١) نشيط
ثانياً ـ العقائد الادائية				
اختيار الاهداف	١,٠٧١	١,١٣٦	١,٠٢٣	(١) الحد الاقصى
المسالك السياسية	١,٧٤٣	١,٥١٢	١,٦٠٩	(١) الدفعة القوية
الاستراتيجيات	١,١٥٨	١,٢١٢	١,١٠٠	(١) عدوانية
المخاطرة السياسية	١,٤٢٩	١,٤٦٥	١,٥٨٣	(١) قبول المخاطرة
التكتيك السياسي	١,٩٠٠	١,٧٨٩	١,٨٠٨	(١) سريع
القوة العسكرية	١,٤٣١	١,٥٢١	١,٤٩٠	(١) مفيدة
متوسط قيم الاتساق	١,١٦٧	١,٢٠٣	١,٢٢٣	
متوسط قيم العقائد الفلسفية	١,٠٩٣	١,٠٦٧	١,١٥٩	
متوسط قيم العقائد الادائية	١,٢٤١	١,٣٣٩	١,٢٩٦	
متوسط قيم العقائد المركزية	١,٢٠٢	١,١٦٠	١,١٩٨	
متوسط قيم العقائد الهامشية	١,١٣٢	١,٢٤٦	١,٢٥٧	

وبذلك كلما اقتربت انماط اجابات القائد من النمط الاول او من النمط الثاني ، كان ذلك يعني اتساق النسق العقيدي سواء في تشدده او توسطه . ويتحدد اقتراب القائد السياسي طبقاً للاجراء التالي :

١ ـ تحديد موقع القائد السياسي بالنسبة لكل عقيدة في كل مرحلة من المراحل الثلاث ، وذلك بضرب مجموع الاشارات التي تعبر عن الفئة الاولى في العقيدة ، وضرب الاشارات التي تعبر عن الفئة االثانية وقسمة المجموع على عدد الاشارات الكلية .

٢ ـ تضاف قيم العقائد الاثنتي عشرة ، ويقسم المجموع على عدد العقائد ، ويعتبر الرقم الناتج هو الرقم المعبر عن مدى اتساق او عدم اتساق النسق العقيدي في تلك المرحلة . كلما اقترب الرقم الناتج من الرقم ١ او الرقم ٢ ، كان هناك اتساق بين عقائد النسق العقيدي في تلك الفترة . وبالعكس ، كلما اقترب الناتج من الرقم ١,٥ ، كان هذا مؤشراً بأنَّ القائد السياسي ينحو الى اتخاذ موقع معين بالنسبة لمجموعة من العقائد ، ومواقع اخرى بالنسبة للعقائد الاخرى . بعبارة اخرى ، فإن الانحراف البسيط عن الرقمين ١ ، ٢ هو مقياس لعدم الاتساق .

يوضح الجدول رقم (٧ـ٤) متوسط الاتساق ـ عدم اتساق كل عقيدة في المراحل الثلاث من حياة عبدالناصر ، والمتوسط العام لكل العقائد في المراحل الثلاث ايضاً[٣] وتشير النتائج الى ان النسق العقيدي الناصري قد اتسم بقدر واضح من الاتساق . فقد كان متوسط قيمة الاتساق في كل مرحلة حوالى ١,٢ ، وهو ما يقترب من النسق العقيدي المتسق والمتشدد .

الواقع ان وجود ٠,٢ درجة من عدم الاتساق في النسق العقيدي الناصري يرجع الى وجود درجة من عدم التوافق بين الصورة السلبية (المتشددة) عن الاعداء السياسيين لدى عبدالناصر ، وبين تبنيه لاتباع مسالك سياسية تدرجية ، رفض المخاطرة السياسية ، بطء التكتيك السياسي ، وتجنب استعمال القوة العسكرية . بعبارة اخرى ، فإن الصورة السلبية للعدو ، والاستراتيجيات القصوى في اختيار الاهداف ، لم يقابلها بالضرورة عقائد على الدرجة نفسها من التشدد فيما يتعلق بالمخاطرة والمسالك السياسية والقوة العسكرية . . . فنحن نعرف ان عبد الناصر حذّر دائماً من اتباع سياسات تتضمن مخاطرة كبيرة ضد اسرائيل او اللجوء الى القوة العسكرية في الصراع العربي ـ الاسرائيلي

تثير النتيجة الاخيرة قضية نظرية مهمة ، وهي ان تحليل الاتساق الذي قدمناه قد اقتصر على تحليل الاتساق المنطقي بين عقائد النسق العقيدي الناصري . والواقع ان نظرية المعرفة تؤكد لنا ان الروابط الاتساقية بين العقائد قد لا تخضع لنمط منطقي معين . فالمنطق الداخلي الذي يميز نسقاً عقيدياً قد يكون « منطقاً نفسياً » ، اكثر منه منطقاً بحتاً . فالفرد قد يفهم العقائد التي ينتمي اليها على انها مجموعة متسقة من العقائد ، وذلك في ضوء قيمة عليا ينتمي اليها الفرد تتعلق بالانسان او المجتمع . وهذا يفسر لنا عدم الاتساق المحدود في النسق العقيدي الناصري . فمن الناحية السيكولوجية ، فهم عبد الناصر ان مواقعه التوسطية بالنسبة للعقائد المتعلقة بالمخاطرة ، والتكتيك ، والقوة العسكرية هي في الاساس آليات وظيفتها خلق توازن في نسقه العقيدي . هذا التوازن قوامه ازالة احتمال القيام بسلوك فوري (تكتيك سريع) ، او احتمال اللجوء الى القوة

---

(٣) نظراً للاسباب الواردة اعلاه، فإن تحليل الاتساق المعرفي قد تركز على تلك العقائد المتعلقة بالصراع العربي ـ الاسرائيلي وحدها .

العسكرية ، وهما الاحتمالان « المنطقيان » اللذان يترتبان على الصورة السلبية (المتشددة) للعدو .

فإن الموقع « المتوسطي » بالنسبة لمجموعة من العقائد كان اداة موازنة للموقع « المتشدد » بالنسبة لمجموعة اخرى . وبهذا المعنى ، فإن جميع اجزاء النسق العقيدي الناصري كانت « متسقة » ، رغم انها قد تبدو غير متسقة من وجهة نظر المنطق البحت[٤] .

هناك ايضاً بعض النتائج التي يمكن أن تستخلص من الجدول رقم (٧ ـ ٤) :

ـ ان العقائد الفلسفية كانت اكثر « اتساقاً » من العقائد الادائية ، فمتوسط اتساق العقائد الفلسفية يبلغ ١,١١ بينما يبلغ متوسط اتساق العقائد الادائية ١,٢٩ .

ـ ان العقائد المركزية في النسق العقيدي الناصري كانت متساوية في درجة الاتساق مع العقائد الهامشية ، اذ نجد ان متوسط اتساق العقائد المركزية يبلغ ١,١٩ ، بينما ان متوسط اتساق العقائد الهامشية يبلغ ١,٢١ .

ـ ان العقائد المستقرة في النسق العقيدي الناصري ، كما اتضحت من تحليل الاستقرار والتغير ، كانت اكثر « اتساقاً » من العقائد المتغيرة ، فمتوسط اتساق العقائد المستقرة يبلغ ١,٠٥ ، بينما نجد ان متوسط استقرار العقائد المتغيرة ، يبلغ ١,٥٠ .

توضح لنا هذه النتائج ان هناك علاقة قوية بين استقرار اجزاء النسق العقيدي ، وبين اتساق تلك الاجزاء ، فكلما ازداد استقرار النسق العقيدي الناصري ، ازدادت درجة اتساقه الداخلي . بالنسبة لعبد الناصر ، فقد أظهر نسقه العقيدي درجة عالية من الاستقرار ودرجة عالية من الاتساق .

ب ـ الترابط السكوني بين اجزاء النسق العقيدي الناصري

قدمنا أن الترابط السكوني بين اجزاء النسق العقيدي يعني ان وجود نمط معين من الارتباط بين العقائد قوامه التواجد الآني للعقائد ، بمعنى ان وجود عقيدة او مجموعة معينة من العقائد يصاحبه عادة وجود عقيدة او مجموعة اخرى من العقائد . لتحليل هذا الشكل من اشكال الترابط ، لجأنا الى الاسلوب المعروف باسم « التحليل الشرطي » Contingency analysis[٥] . وهو اسلوب يمكن الباحث من استنباط نتائج عن بنيان النسق العقيدي من واقع نمط الوجود الآني

(٤) يجب ان نتذكر ان هذه هي المشكلة ذاتها التي واجهها هاركابي حين حاول ان يحلل اتساق عقائد عبدالناصر من وجهة نظر المنطق البحت ، متجاهلاً ان الاتساق قد يكون اتساقاً « منطقياً ـ نفسياً » .

(٥) نظراً لطبيعة هذا الاختبار ، فقد اجرينا التحليل على عينة طبقية عشوائية من وثائق عبدالناصر . وتمثل هذه العينة ١٠ بالمائة من وثائق عبدالناصر التي استعملت فعلاً في تحليل المضمون والترميز . كذلك فإنه نظراً لأن الوثائق تتراوح في طولها في عدد الفقرات الواردة فيها ، كما أن مقارنة وثائق مختلفة الطول قد يؤثر في نتائج التحليل ، فقد اخترنا العينة من بين الوثائق التي تحتوي خمسين فقرة فأكثر .

للعقائد المكونة لهذا النسق ، وهو مبني على افتراض نظري قوامه انه اذا كان الوجود الآني للعقائد يتعدى المصادفة البحتة ، فإن ذلك يعتبر مؤشراً لوجود علاقات بين العقائد ، وبالمثل ، فإذا كان الوجود الآني للعقائد يرجع الى المصادفة وحدها ، فإن ذلك يعتبر مؤشراً لأن العقائد لم تكن مرتبطة ببعضها البعض في تفكير صانع القرار . وفي الحالة الاولى ، فإن ارتباط عقيدتين يعني ان وجود اي منهما يعني وجود العقيدة الاخرى ، بمعنى ان وجود العقيدة المتعلقة بطبيعة العدو مثلاً يؤدي الى وجود العقيدة المتعلقة بالاستراتيجية في ذهن القائد السياسي(٦) . ان مثل هذا التحليل يمكننا من معرفة الوجود الآني للعقائد ، دون ان نعرف توجه العلاقة الارتباطية ، اي ما اذا كانت العقيدتان مرتبطتين ايجابياً ام سلبياً ، فنحن نعرف مثلاً ان التفكير في العدو يرتبط دائماً بالاستراتيجية المناسبة إزاء هذا العدو ، ولكننا لا نعرف اي نوع من التفكير في العدو يثير اي نوع من الاستراتيجيات . بيد ان مثل هذا التحليل الاخير سيتضح لنا من القسم اللاحق عن الارتباط الدينامي بين اجزاء النسق العقيدي الناصري(٧) .

---

(٦) C. Osgood, «The Representational Model and Relevant Research Methods,» paper presented at: Work Conference on Content Analysis, Monticell, Ill., 1955, *Trends in Content Analysis: Papers of the Work Conference on Content Analysis, Monticell, Ill., 1955,* ed. Ithiel de Sola Pool (Urbana, Ill.: University of Illinois Press, 1959), pp. 59-65.

(٧) يجدر بنا أن نشير الى خطوات التحليل الشرطي المستعمل في هذا الجزء :

أ ـ يبدأ التحليل الشرطي باختيار وحدات التحليل ، وهي في هذه الحالة العينة الطبقية العشوائية المكونة من ٨٠ وثيقة والتي تمثل ١٠ بالمائة من الوثائق المرمزة سنوياً .

ب ـ الخطوة الثانية هي تحديد فئات الترميز ، وهي في حالتنا العقائد الفلسفية والادائية الواردة في عقائد « النهج العملي » .

ج ـ تكوين جدول رقمي من البيانات الخام هو الخطوة الثالثة . قوام هذا الجدول هو الارقام التكرارية لوجود كل عقيدة في كل من الوثائق المختارة في العينة .

د ـ الهدف من هذا الجدول هو تحديد ما اذا كانت كل عقيدة قد وجدت في كل وثيقة بمحض المصادفة ام بما يتعداها ، ويتحدد ذلك بمعرفة ما اذا كان تكرار العقيدة في الوثيقة يقل ام يزيد عن متوسط تكراراتها في كل الوثائق ، وذلك بقسمة التكرارات الكلية للعقيدة في كل الوثائق على عدد الوثائق مما يعطينا متوسط تكرار العقيدة ، ثم حساب ما اذا كان تكرار العقيدة في كل وثيقة يقل ام يزيد عن هذا المتوسط . فاذا كان تكرار العقيدة في الوثيقة يقل عن متوسط التكرار ، فإننا نستبدل بتكرارها علامة الناقص ، واذا كان تكرار العقيدة يزيد عن متوسط التكرار فإننا نستبدل بتكرارها علاقة الزائد .

هـ ـ يمكن اذاً تحديد التواجد المتوقع (اي تلك التي يمكن أن تعزى الى المصادفة وحدها) ، لكل زوجين من العقائد عن طريق ضرب نسب تواجد كل عقيدتين في الوثائق المختارة في العينة . فمثلاً اذا كانت العقيدة (أ) قد وردت في ٤٠ بالمائة من الوثائق ، بينما العقيدة (ب) وردت في ٢٠ بالمائة منها ، فإنه من المتوقع ان تتواجد العقيدتان آنياً بمحض المصادفة وحدها في ٨ بالمائة من الوثائق فقط .

و ـ في نفس الوقت ، فإننا نحدد نسبة تواجدها الآني الفعلي (اي كما وردت فعلاً في وثائق العينة) ، وهي عبارة عن مجموع الوثائق التي تواجدت العقيدتان فيها (علامة الزائد) مقسوماً على مجموع الوثائق فإذا كانت هذه النسبة الاخيرة ، اكبر من النسبة المتوقعة بحكم المصادفة ، قلنا ان تواجدهما يتعدى المصادفة =

يتضمن الجدول رقم (٧ـ٥) معاملات الارتباطات الشرطية بين عقائد عبدالناصر ، ويتضح من هذا الجدول ان المتوسط العام للمعاملات الشرطية في النسق العقيدي الناصري يبلغ ٠,٥١ ، كما ان ٦٣ بالمائة من المعاملات يعادل او يزيد عن ٠,٥، وهي النسبة التي تشير الى وجود ارتباطات تتعدى المصادفة البحتة . وتشير هذه النتائج الى ان « تماسك » اجزاء النسق العقيدي الناصري العام تماسكاً متوسطاً . وتشير هذه النتائج الاولية الى وجود نمط معين من الارتباط ين شتى اجزاء النسق العقيدي الناصري ، بمعنى ان التعبير عن العقائد في الوثائق لم يخضع للمصادفة العشوائية ، ولكنه كان تعبيراً عن « نسق » محدد من العقائد قوامه ارتباط التعبير عن مجموعة من العقائد بالتعبير عن مجموعة اخرى ملازمة بالاضافة الى تلك النتيجة ، يمكن أن نستخلص ثلاث نتائج مهمة من الجدول رقم (٧ ـ٥) النتيجة الاولى ، هي ان العقائد الناصرية لم تكن متساوية في درجة ترابطها السكوني ، فإذا حسبنا عدد المرات التي يرتبط فيها وجود عقيدة بباقي العقائد من واقع الجدول رقم (٧ ـ ٥) ، وكما هو مبيّن في الجدول رقم (٧ـ٦) ، لوجدنا ان العقيدتين المتعلقتين بالمسالك السياسية وبالاستراتيجيات ، كانتا اكثر عقائد عبد الناصر ترابطاً مع باقي العقائد ، بمعنى ان وجودهما يعني وجود تسع عقائد اخرى في تفكير عبد الناصر . فالتعبير عن الاستراتيجية السياسية مثلاً كان يعني التعبير عن كل العقائد الاخرى (عدا تلك المتعلقة بالنظام الدولي ودور القائد السياسي) ، بينما نجد ان التعبير عن عقيدة دور القائد السياسي يرتبط فقط بالتعبير عن عقيدة واحدة هي المسلك السياسي .

النتيجة الثانية تتعلق بالتماسك الداخلي للمجموعة الفلسفية من العقائد في مواجهة المجموعة الادائية . يتضح من مقارنة المجموعتين ان التماسك الداخلي للمجموعة الفلسفية يصل الى ٠,٤٢ ، بينما يصل التماسك الداخلي للمجموعة الادائية الى ٠,٥٤ ، بمعنى ان المجموعة الادائية كانت اكثر تماسكاً من المجموعة الفلسفية .

ويكشف عن نمط معين ، اما اذا كانت هذه النسبة اقل من النسبة المتوقعة ، قلنا ان تواجدهما هو محض مصادفة .

ز ـ اذا ثبت ان نسبة التواجد الفعلي تتخطى المصادفة وحدها فإننا لا نكتفي بذلك ، وإنما نجري اختباراً لأهمية هذا التواجد وهو في هذه الحالة :

$$\frac{\text{٢ × عدد الوثائق التي تتواجد العقيدة (أ) والعقيدة (ب) فيها}}{\text{عدد الوثائق التي تتواجد فيها العقيدة (أ) + عدد الوثائق التي تتواجد فيها العقيدة (ب)}}$$

فإذا كان التواجد الآني غير ذي اهمية معنوية ، فإن النسبة ستكون صفراً ، واذا كان التواجد الآني ذا اهمية معنوية ، فإن النسبة ستقترب من الواحد الصحيح . وقد قررنا ان نعتبر كل النسب التي تزيد عن ٠,٥ نسباً تعبر عن اهمية معنوية ، اي ان العقيدتين تتواجدان آنياً تعبيراً عن نمط حقيقي لا يرجع الى محض المصادفة .

جدول رقم (٧ ـ ٥)

العلاقات الشرطية في النسق العقيدي الناصري

	السياسة	العدو	النظام الدولي	التفاؤل	التنبؤ	دور القائد	اختيار الهدف	المسالك	الاستراتيجيات	المخاطرة	التكتيك
السياسة											
العدو	٠,٥٣										
النظام الدولي	٠,٢٦										
التفاؤل	●	٠,٥٩	٠,٥٥								
التنبؤ	٠,٤٠	٠,٥٦	٠,٣٥	●							
دور القائد	٠,٣٥	●	٠,٢٦	٠,٣٤	٠,٣٥						
اختيار الهدف	٠,٣٦	٠,٥٩	٠,٣٤	٠,٥٩	●	●					
المسالك	٠,٥٠	٠,٦٢	٠,٣٣	٠,٦٧	٠,٥١	٠,٥٢					
الاستراتيجيات	٠,٥٦	٠,٦١	●	٠,٥٠	٠,٥٥	٠,٤١	٠,٥٣	٠,٥٢			
المخاطرة	٠,٥٥	٠,٦٣	●	٠,٦٤	٠,٤٠	٠,٣٨	٠,٥٣	٠,٥٣	٠,٥٨		
التكتيك	٠,٥٣	٠,٥٠	٠,٢٧	٠,٤٠	٠,٢٨	٠,٣٦	٠,٥٣	٠,٣٥	٠,٥٤	٠,٥٢	
القوة العسكرية	٠,٥٧	٠,٥٤	●	٠,٦٨	●	٠,٢٦	٠,٧١	٠,٦٣	٠,٥٣	٠,٥٤	٠,٤٠

ملاحظة عامة : تشير العلامة «●» الى التواجد بحكم المصادفة البحتة .

اما النتيجة الثالثة التي يمكن أن تستقى من الجدول رقم (٧ـ٥) ومن الجدول رقم (٧ـ٦) فهي ان العقائد الادائية لم تظهر فقط تماسكاً داخلياً بين اجزائها يفوق تماسك العقائد الفلسفية ، ولكنها ايضاً كانت اكثر ترابطاً وتماسكاً مع باقي اجزاء النسق العقيدي النـاصري عن العقـائد الفلسفية . فالعقائد الادائية كانت مترابطة بمعنى الوجود الآني مـع اي عقيدة اخرى في النسق العقيدي الناصري ، اما العقائد الفلسفية فقد كانت مترابطة مع ٢٦ عقيدة اخرى فقط . وهذا يوضح لنا ان العقائد الادائية اظهرت تماسكاً داخلياً بين شتى اجزائها ، كما أظهرت ترابطاً خارجياً مع شتى العقائد الاخرى في النسق العقيدي الناصري ، يفوق ما اظهرته العقائد الفلسفية .

إن اهمية التحليل الشرطي لا تتوقف فقط عند مجرد معرفة ان هناك انماطاً من الارتباطات بين عقائد القائد السياسي ، ولكنه يمكننا أيضاً من معرفة ماهية تلك الانماط ، وكيف تؤثر في بعضها البعض . بتحليل العلاقات الشرطية الارتباطية الواردة في الجـدول رقم (٧ـ٥) ، وباستعمـال الاسلوب المعروف باسم « تحليل المجاميـع » Cluster Analysis تمكننا من التـوصل الى نتيجـة مؤداها ان النسق العقيدي الناصري كان يتمحور حول ثلاث مجموعات من العقائد التي يمكن تشبيه كل منهابالعنقود،ونقصد هنا بالعنقود مجموعة من العقائد تحدث سوياً وآنياً بدرجة معينة من القوة . بترتيب واعادة ترتيب المعاملات الواردة في الجدول رقم (٧ـ٥) ، توصلنا الى ثلاثة عناقيد اساسية من العقائد وهي مبينة في الشكل رقم (٧ ـ ١) .

جدول رقم (٧ -٦)

عقائد النسق العقيدي الناصري مرتبة
حسب علاقاتها الشرطية ببعضها البعض

العقيــدة	عدد علاقاتها الشرطية
١ ـ المسالك	٩
٢ ـ الاستراتيجيات	٩
٣ ـ العدو	٨
٤ ـ اختيار الهدف	٨
٥ ـ المخاطرة	٨
٦ ـ التفاؤل	٧
٧ ـ القوة العسكرية	٧
٨ ـ العالم السياسي	٦
٩ ـ التكتيك	٥
١٠ ـ التنبؤ السياسي	٣
١١ ـ النظام الدولي	١
١٢ ـ دور القائد السياسي	١

شكل رقم (٧ـ١)

المجموعات العنقودية في
النسق العقيدي الناصري

	السياسة	العدو (أ)	التفاؤل	التنبؤ (ب)	اختيار الهدف	المسالك (ج)	الاستراتيجيات	المخاطرة
اختيار الهدف		٠,٥٩	٠,٥٩					
المسالك	٠,٥٠	٠,٦٢	٠,٦٧	٠,٥١	٠,٥٢			
الاستراتيجيات	٠,٥٦	٠,٦١	٠,٥٠	٠,٥٥	٠,٥٣			
المخاطرة	٠,٥٦	٠,٦٣	٠,٦٤		٠,٥٣	٠,٥٣	٠,٥٨	
التكتيك	٠,٥٣	٠,٥٠			٠,٥٣		٠,٥٤	٠,٥٢
القوة العسكرية	٠,٥٧	٠,٥٤	٠,٦٨		٠,٧١	٠,٥٠	٠,٦٣	٠,٥٤

المجموعة العنقودية من العقائد ، وهي المسماة المجموعة أ في الشكل رقم (٧ ـ١) تضم العقائد الفلسفية المتعلقة بطبيعة العالم السياسي ، صورة العدو ، والتفاؤ ل السياسي متشابكة مع العقائد الادائية الست بدرجة عالية من القوة الارتباطية ، بيد ان هناك استثناءين يردان على هذا

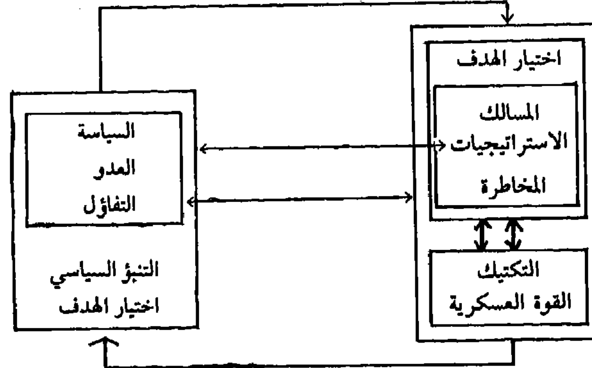
النسيج العنقودي من العقائد ، وهما عدم ارتباط العقيدة الفلسفية الاولى (العالم السياسي) بالعقيدة الادائية الاولى (اختيار الهدف) واستقلال عقيدة التفاؤل السياسي عن عقيدة التكتيك السياسي .

المجموعة العنقودية الثانية المسماة ب في الشكل رقم (٧-١) ، تضم ثلاث عقائد ادائية (المسالك السياسية ، الاستراتيجيات ، والمخاطرة السياسية) متشابكة مع العقائد الفلسفية الست (عدا عقيدة النظام الدولي) واختيار الهدف . هذه المجموعة العقيدية توضح ان تعبير عبد الناصر عن رؤية معينة للعالم السياسي وللعدو ، وتفضيله لمسلك محدد لاختيار الاهداف كان غالباً ما يرتبط بالتعبير عن مسالك واستراتيجيات محددة لتحقيق تلك الاهداف .

اما المجموعة العنقودية الثالثة المسماة (المجموعة حـ) في الشكل رقم (٧-١) فهي مجموعة ادائية بحتة ، وتعبر مرة اخرى عن التلاحم الوثيق بين اجزاء المجموعة الادائية من العقائد . وتوضح تلك المجموعة ان هناك نمطاً من الوجود الآني بين المسالك السياسية والاستراتيجيات من ناحية ، وبين قبول المخاطرة السياسية ، وتحديد التكتيك السياسي ، والميل الى استعمال القوة العسكرية ، بعبارة اخرى ان تحديد مسالك واستراتيجيات في تفكير عبدالناصر ، كان يتبعه عادة تحديد تكتيكات سياسية محددة لتنفيذ تلك المسالك والاستراتيجيات .

هذه المجموعات العنقودية الثلاث تشير الى ان هناك ثلاث مجموعات من العقائد متماسكة داخلياً ، بمعنى وجودها الآني بطريقة نمطية ونظامية . ويتضح ذلك اذا نظرنا الى قوة التماسك الداخلي لكل مجموعة ، فالمجموعة الاولى متماسكة بنسبة ٠,٥٩ ، والمجموعة الثانية متماسكة بنسبة ٠,٥٨ ، والمجموعة الثالثة متماسكة بمعدل ٠,٥٥ [٨] . ويمكن تصوير هذا النمط المتماسك من العقائد في الشكل رقم (٧-٢) ، والذي يوضح مرة اخرى ان هناك نسيجاً متشابكاً من العلاقات الجدلية داخل النسق العقيدي الناصري ، وان عبدالناصر كان يعبر عن مجموعات متماسكة من العقائد .

شكل رقم (٧-٢)
تصوير للعلاقات الشرطية الدائرية
بين عقائد النسق العقيدي الناصري



(٨) الارقام الواردة بالنسبة لكل مجموعة هي متوسطات معاملات الارتباطات الشرطية لعقائد كل منها .

واخيراً لنا أن نتساءل عن العلاقة والارتباط الواضح بين عقائد النسق العقيدي الناصري ، وبين مركزية واستقرار تلك العقائد . والواقع ان مقارنة العقائد المركزية الست الواردة في الجدول رقم (٧-٢) ، والعقائد التي اظهرت قدراً اكبر من الترابط الشرطي والواردة في الجدول رقم (٧-٦) ، توضح لنا ان خمساً من العقائد المركزية ، تظهر ايضاً بين العقائد الست الاكثر ترابطاً . فالعقائد المتعلقة بالعدو ، التفاؤل السياسي ، اختيار الهدف ، المسالك والاستراتيجيات كانت من اكثر العقائد الناصرية مركزية (مقاسة بالتكرارية) ، ومن اكثر العقائد الناصرية ترابطاً (مقاسة بالتحليل الشرطي) . وتتجلى لنا العلاقة بين مركزية العقائد وترابطها ، اذا حاولنا قياس الارتباط بين مركزية العقائد وترابطها . وبتطبيق مقياس سبيرمان الترتيبي على العقائد مرتبة حسب مركزيتها ، وعلى العقائد نفسها مرتبة حسب ترابطها ، لوجدنا ان معامل الارتباط يصل الى ٧١, ٠ ، مما يشير الى ان العقائد الاكثر مركزية ، هي ايضاً العقائد الاكثر ترابطاً[٩] .

من ناحية اخرى ، فإن مقارنة العقائد الست الاكثر استقراراً والمبينة في الجدول رقم (٧ -٣) ، بالعقائد الست الاكثر ترابطاً والواردة في الجدول رقم (٧-٦) ، توضح ان ثلاث عقائد فقط كانت من بين اكثر العقائد استقراراً واكثرها ترابطاً ، وهي العقائد المتعلقة بصورة العدو ، التفاؤل السياسي ، واختيار الهدف ، بينما ان العقائد المتعلقة بالعالم السياسي ، النظام الدولي ، وتنبئية الحياة السياسية كانت مستقرة ، ولكنها غير مترابطة شرطياً ، ويتضح ذلك مرة اخرى من تطبيق معامل سبيرمان الترتيبي على العقائد مرتبة حسب درجة استقرارها ، والعقائد ذاتها مرتبة حسب درجة ترابطها ، اذ نجد ان المعامل يصل الى ٠٦, ٠ ، وهو ما يشير الى عدم وجود علاقة بين استقرار ومرونة العقائد ، وترابطها الجدلي مع العقائد الاخرى .

ج - الترابط الدينامي بين اجزاء النسق العقيدي الناصري

خلصنا في المبحث السابق الى ان تعبير عبدالناصر عن عقائده السياسية اتخذ شكل التعبير عن مجاميع من العقائد ، وبهذا الشكل فإن عقائد عبدالناصر كانت مترابطة . بيد ان الترابط العقيدي قد يأخذ شكلاً دينامياً ، بمعنى ان العقائد تتغير في الوقت نفسه ، اي ان التغير في مفهوم عقيدة معينة ، يؤدي الى تغير مماثل في مفهوم بعض العقائد الاخرى . بهذا المعنى يصبح النسق العقيدي كتلة دينامية من العقائد ، بحيث ان التغير في جزء من اجزائه ينتج آثاراً طردية وعكسية متفاوتة في اجزاء النسق الأخرى . ولاختبار أشكال الترابط الدينامي في النسق العقيدي الناصري ، لجأنا الى التحليل الارتباطي ، وهو يسمح لنا بمعرفة ارتباط التغير في عقيدة بالتغير في عقيدة اخرى بحيث ان ازدياد قوة معامل الارتباط بين اي عقيدتين يصبح مؤشراً لقوة الترابط بينهما .

ويوضح الجدول رقم (٧-٧) معاملات الارتباط بين كل زوجين من عقائد عبد الناصر .

---

(٩) هذه النتيجة تؤيد الفرضية الواردة في ادب تحليل المضمون والتي تقول ان تكرار الاشارة الى الرموز هو مؤشر صادق لعمق الارتباط بتلك الرموز .

من هذا الجدول ، يمكن استخلاص بعض النتائج العامة عن نمط الترابط الـديناميي في النسق العقيدي الناصري .

جدول رقم (٧ ـ ٧)

معاملات الارتباط بين العقائد الناصرية

	العالم السياسي	العدو	النظام الدولي	التفاؤل السياسي	تنبؤية السياسة	دور القائد	اختيار الهدف	المسالك	الاستراتيجيات	المخاطرة	التكتيك
طبيعة العدو	٠,٠٩										
النظام الدولي	٠,٢٢	-٠,١٠									
التفاؤل السياسي	٠,٤٧	٠,٣٢	-٠,٠٥								
تنبؤية السياسة	-٠,٢٧	٠,١٩	-٠,٠١	٠,٠٢							
دور القائد	٠,٥٥	٠,٣٢	-٠,١٨	٠,٤٦	٠,٢١						
اختيار الهدف	٠,٤٩	٠,١٠	٠,١٥	٠,٢١	٠,٣٨	٠,٥٦					
المسالك	-٠,٢٥	-٠,٥٠	-٠,٢٩	-٠,٢٦	٠,٤١	٠,٠٩	٠,١٨				
الاستراتيجيات	-٠,٢٠	-٠,١٠	-٠,٠٨	-٠,٠٣	٠,٠٥	-٠,٢٢	-٠,١٧	-٠,١٤			
المخاطرة	٠,١٩	٠,٣٢	-٠,٣٣	-٠,٣٧	-٠,٢١	-٠,٠٣	٠,١٠	-٠,٠٥	-٠,٠٥		
التكتيك	-٠,٢٥	٠,٢٦	٠,١٦	٠,١٢	٠,١٨	٠,١٩	-٠,١١	٠,١٤	-٠,٣٤	٠,٠٤	
القوة العسكرية	-٠,٣٦	٠,٢	-٠,٠٥	-٠,٠٨	٠,٢٠	-٠,٠٥	-٠,٢٥	٠,١٦	٠,٠٣	٠,٠٦	-٠,١٠

١ ـ ان مفهوم عبد الناصر للعالم السياسي كان مرتبطاً بشكل دينامي مع بعض العقائد الناصرية الاخرى . فالمفهوم الصراعي للعالم السياسي لدى عبد الناصر ، ارتبط ايجابياً بتزايد قوة التفاؤ ل السياسي بامكانية تحقيق الاهداف السياسية بعيدة المدى ، وبتزايد قوة المفهوم الايجابي النشيط لدور القائد السياسي في الحركة التاريخية الاجتماعية ، وبتزايد قـوة الاقتناع لـدى عبدالنـاصر بضرورة اختيار اهداف قصوى للحركة السياسية . ومن ناحية اخرى ، فإن المفهوم الصراعي كان مرتبطاً بشكل دينامي سلبي مع عقائد اخرى . فتزايد قـوة المفهوم النـاصري الصـراعي للعالم السياسي ، ارتبط دائماً بتناقص قوة الاقتناع بضرورة اللجوء الى مسلك الدفعة القوية في تحقيق الاهداف ، وتناقص قوة الاقتناع بجدوى اللجوء الى القوة العسكرية . فقد اتضح لنا من التحليل الوصفي للعقائد الناصرية ، ان النظرة الصراعية الناصرية للحياة السياسية كان يصاحبها نظرة تفاؤلية باحتمال تحقيق الاهداف السياسية ، واعتقاد ان القائد السياسي يستطيع القيام بدور فعّال في الحركة الاجتماعية الاقتصادية لمجتمعه ، كما أن عليه أن يختار اهدافاً قصوى بينما عليه ان يسلك مسالك تدرجية لتحقيق تلك الاهداف . وفي الوقت نفسه فإن نظرته شبه التوافقية للحياة السياسية العربية ارتبطت بتوجه واقعي قوامه الاعتقاد بعدم احتمال تحقيق هدف الوحدة الدستورية العربية في المستقبل القريب ، وعدم قدرته الذاتية على ضبط الحركة السياسية العربية وتوجيهها في المسار المطلوب ، وضرورة التركيز على اختيار اهداف ممكنة التحقيق في العلاقات العـربية . بيـد ان

المفهوم التوافقي الناصري للسياسة العربية لم يرتبط بترجيح كفة القوة العسكرية او اسلوب البليتز في التعامل مع العرب.

٢ ـ ارتبط المفهوم الناصري للعدو السياسي ارتباطاً جدلياً ببعض العقائد السياسية الناصرية . فمن ناحية ، نجد ان تزايد كثافة المنظور العدائي لطبيعة العدو ارتبط ايجابياً بقوة التفاؤ ل السياسي باحتمال تحقيق الاهداف السياسية ازاء هذا العدو . ومن ناحية اخرى ، فإن تزايد كثافة النظرة العدائية للعدو ، ارتبطت بتناقص التركيز على اسلوب البليتز ، وعلى جدوى اللجوء الى القوة العسكرية في مواجهة هذا العدو . والواقع ان هذه النتيجة الاخيرة مهمة للغاية ، فرغم الصورة الناصرية السلبية لاسرائيل باعتبارها دولة توسعية في المقام الاول ، فإن عبدالناصر كان شديد الحذر في التعامل مع اسرائيل ، .وأكد مراراً على اتباع الاسلوب التدرجي واستبعاد القوة العسكرية .

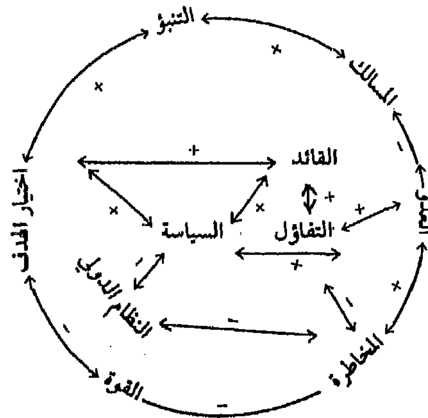
٣ ـ ارتبطت كثافة وقوة النظرة التفاؤ لية الى احتمالات تحقيق الاهداف السياسية ، ايجابياً ، بكثافة وقوة الاعتقاد بقدرة عبدالناصر على توجيه التطورات الاجتماعية ـ الاقتصادية في المجتمع المصري ، وسلبياً بالتأكيد على اتباع سياسات تتضمن قدراً كبيراً من المخاطرة السياسية .

الواقع ان هذا النمط من الارتباط الديناميي كان واضحاً ومستمراً في النسق العقيدي الناصري . فعبد الناصر لم يكن متفائلاً ازاء احتمالات تحقيق الوحدة الدستورية العربية ، كما لم يكن متأكداً من قدرته الذاتية على توجيه التطورات السياسية في الوطن العربي، وفي الوقت نفسه فإن المجال العربي هو المجال الوحيد الذي سمح فيه عبدالناصر باتباع سياسات خارجية تتضمن قدراً من المخاطرة السياسية ، بينما نجد ان نظرته التفاؤ لية ازاء الصراع العربي ـ الاسرائيلي ارتبطت بحذر بالغ في اتباع سياسات تتضمن اي قدر من المخاطرة السياسيةُ .

هذه العلاقات الدينامية يمكن تصويرها شكلياً في الشكل التالي :

شكل رقم (٧ ـ ٣)

تصوير للعلاقات الدينامية بين العقائد الناصرية



توضح لنا مجموعة الانماط التفاعلية والعلاقات الارتباطية بين اجزاء النسق العقيدي الناصري ، ان اطلاق وصف « نسق » على عقائد عبدالناصر ، لم يكن من قبيل المجاز ، وانما كان تعبيراً عن مجموعة التفاعلات الارتباطية بين مجموعة العقائد التي انتمى اليها عبد الناصر . نلاحظ تلك النتيجة بشكل اوضح اذا حاولنا التوصل من خلال التحليل الارتباطي الى مجموعة الابعاد الاساسية والانماط البنائية التي تحدد جوهر النسق العقيدي الناصري ، وهو موضوع المبحث التالي .

د ـ المحاور الهيكلية للنسق العقيدي الناصري

يقصد بالمحاور الهيكلية نمط ترتيب العلاقات بين الابعاد والخصائص الرئيسية التي تشكل في مجموعها جوهر الظاهرة محل التحليل . وفي حالة النسق العقيدي الناصري ، فإنها تعني كيف تتمحور العقائد مع بعضها البعض ـ بشكل دينامي ـ في اطار مجموعة محدودة من المحاور ، التي يمكن من خلالها التعرف على ماهية النسق العقيدي ، والعلاقات الارتباطية داخل كل محور . الاسلوب المثالي للتوصل الى تلك المحاور ، هو الاسلوب المعروف « بتحليل العوامل » Factor Analysis . وقد قمنا بتطبيق هذا البرنامج على المعاملات الارتباطية بين كل زوجين من العقائد الاثنتي عشرة ، مما انتهى بنا الى خمسة محاور رئيسية موضحة في الجدول رقم (٧ ـ ٨) .

يوضح هذا الجدول ، انه يمكن استخلاص خمسة محاور (عوامل) رئيسية من الاثنتي عشرة عقيدة محل التحليل، كل محور من هذه المحاور يعرف جزءاً من التباين والخصائص الكلية للنسق العقيدي ، بحيث ان المحاور كلها تعرّف النظام الكلي وتحدد جوهره[١٠] .

١ ـ المحور الفلسفي

هذا المحور هو اهم المحاور في النسق العقيدي الناصري اذ انه وحده يتضمن ثلث التباين في هذا النظام . يرتبط بهذا المحور بشكل ايجابي مجموعة العقائد المتعلقة بطبيعة العالم السياسي ، التفاؤل السياسي ، دور القائد في الحركة التاريخية ـ الاجتماعية بالاضافة الى مسلك اختيار الهدف .

٢ ـ محور العدو

يلي المحور الفلسفي في الاهمية ، محور العدو لأنه يتضمن فقط ٢٣ بالمائة من التباين في النسق العقيدي الناصري ، ولكنه يكشف عن نمط شديد الاهمية ، أشرنا اليه آنفاً في التحليل الوصفي ويتأكد في هذا المحور بالتحليل الاحصائي ، وهو ان هذا المحور يرتبط به بشكل ايجابي وقوي بالعقيدة المتعلقة بطبيعة العدو السياسي ، ولكنه يرتبط به بشكل سلبي وقوي ايضاً بالعقيدة

(١٠) في هذه الحالة يقال ان كل عقيدة لها قوة تحميل (Loading) معينة على كل محور. ويُرمز الى قوة التحميل بعامل معين ، وكلما ازدادت قيمة المعامل ، ازدادت قوة التحميل ، بمعنى ان العقيدة تسهم بمقدارقيمة المعامل في تعريف خصائص هذا المحور . وقد يكون هذا التحميل سلبياً ، بمعنى انه يرتبط سلبياً مع باقي العقائد ذات التحميل الايجابي .

المتعلقة بالمسالك السياسية . معنى ذلك ان المفهوم الناصري السلبي للعدو السياسي (اسرائيل) ، كان يقترن دائماً بالتحذير من انتهاج مسالك قوامها التنفيذ الفوري للاهداف السياسية إزاء هذا العدو .

٣ ـ المحور الادائي / الفلسفي

هذا المحور ، وإن كان يمثل ١٩,٤ بالمائة فقط من التباين في النسق العقيدي الناصري ، الا انه يكشف عن نمط معين مؤداه ان ايمان عبد الناصر بتنبؤ ية الحياة السياسية ، بمعنى وجود حتمية تاريخية معينة ستنتهي حتماً الى تحقيق الاهداف السياسية التقدمية ، ادى به الى الايمان بضرورة اختيار اهداف قصوى للحركة السياسية تتسق مع الحتمية التاريخية ، حتى وإن كان تحقيقها في المدى المتوسط قد يبدو بعيد المنال . ويتضح ذلك من التحميل الايجابي القوي بين هذا المحور ، وبين العقيدتين المتعلقتين بالتنبؤ السياسي ، واختيار الهدف .

٤ ـ محور الاستراتيجية السياسية

يكشف التحميل السلبي القوي بين هذا المحور وعقيدة الاستراتيجية السياسية ، والتحميل الايجابي القوي بين هذا المحور وعقيدة التكتيك السياسي ، ان اعتقاد عبدالناصر بضرورة اتباع استراتيجية ردعية ازاء اسرائيل او استراتيجية عدائية تجاه باقي الاعداء السياسيين في المنطقة العربية لم يكن يعني اتباع تكتيكات حركة سريعة من شأنها تطبيق تلك الاستراتيجية . ويؤكد هذا المحور مرة اخرى النمط الذي كشفه محور العدو .

٥ ـ المحور الدولي

يكشف هذا المحور عن رفض عبدالناصر اتباع سياسات تتضمن قدراً من المخاطرة السياسية ، عندما يواجه بعلاقة صراعية . ذلك ان التحميل الايجابي القوي لعقيدة المخاطرة السياسية ، والتحميل السلبي القوي لعقيدة طبيعة النظام الدولي (صراعية / توافقية) على هذا المحور . إن ادراك عبد الناصر لوجود علاقة صراعية (كالصراع العربي / الاسرائيلي) ، كان يثير لديه عقيدة مخاوف اتباع سياسات تتضمن مخاطرة سياسية . وان كان هذا المحور هو اقل المحاور الخمسة اهمية ، اذ انه يمثل ٩,٧ بالمائة فقط من التباين الكلي في النسق العقيدي الناصري .

هذه المحاور الخمسة يمكن تلخيصها كما يلي :

المحور الاول : (السياسة + التفاؤ ل + دور القائد + اختيار الهدف) – القوة العسكرية

المحور الثاني : (صورة العدو + التفاؤ ل السياسي) – المسالك

المحور الثالث : (التنبؤ + اختيار الهدف + المسالك)

المحور الرابع : (التكتيك) – الاستراتيجية

المحور الخامس : (النظام الدولي) – المخاطرة .

جدول رقم (٧ ـ ٨)

تحليل العوامل في النسق العقيدي الناصري

العقيـدة	العامـل				
	أ	ب	ج	د	هـ
طبيعة العالم السياسي	(٠,٩٤٦)	٠,٠١٤	٠,٢١٧-	٠,٠٩٩-	٠,٠٥٥-
طبيعة العدو	٠,٠٣٦	(٠,٧٦٩)	٠,١٧٣	٠,٢٠١-	٠,١٦٩
النظام الدولي	٠,١٠٤	٠,٠٩٤	٠,٠١٠-	٠,٠٦٤	(٠,٧٢١-)
التفاؤل السياسي	(٠,٤٨٢)	(٠,٣٨٢)	٠,٠٠٤	٠,١٠٠	٠,٢٨٣
تنبؤية الحياة السياسية	٠,٠٨٦-	٠,٠٢٩	(٠,٨٢٤)	٠,٠٧٩	٠,٠٩٧
دور القائد السياسي	(٠,٦٤٣)	٠,٠١٧	٠,٢٥٩	٠,٢٨٠	٠,١٩٤
اختيار الهدف	(٠,٦٦٤)	٠,٠٥٦-	(٠,٥٤٢)	٠,٢٨٩-	٠,١١١-
المسالك	٠,١٢١-	(٠,٧٤٢-)	(٠,٤٠٧)	٠,٢٢٣-	٠,٢٤٣
الاستراتيجيات	٠,٣١٥-	٠,٠٦٥	٠,٠٧٤	(٠,٤٥٠-)	٠,٠٢٩
المخاطرة	٠,١٣٤	٠,٢٩٨	٠,١١٢	٠,٠٢١-	(٠,٤٧٠)
التكتيك	٠,١١٨-	٠,١٥٧	٠,١١٥	(٠,٧٣٢)	٠,٠٥٠-
ألقوة العسكرية	(٠,٣٩٠-)	٠,١٣٣-	٠,١١٩-	٠,٠٥١-	٠,٠٨١
اهمية المحور (٪)	٣٤,٤١	٢٣,٤	١٩,٤١	١٣,١١	٩,٧١

المعاملات الموضوعة بين قوسين هي المعاملات ذات قوة تحميل قوية .

من هذه المحاور يمكن استخلاص نموذج مبسط للنسق العقيدي الناصري . هذا النموذج يتكون من مجموعة محددة من العقائد المترابطة والتي اظهرت قـدراً كبيراً من المركزية والاستقرار ، والتي تحدد جوهر الفكر العقيدي الناصري .

والواقع ان المحور الاول يشكل جوهر التوجه الفلسفي لعبد الناصر ، والذي يتحصل في التحليل الصراعي للسياسة ، النظرة التفاؤليـة للاهـداف السياسيـة ، الدور الايجـابي للقائـد السياسي ، واختيار الأهداف السياسية القصوى . اما المحاور الثاني والرابع والخامس ، فـإنها تستخلص جوهر التوجه الادائي لعبدالناصر ، فهي تشير الى ان الصـورة السلبية للعـدو لدى عبدالناصر ، واعتناقه استراتيجية ردعية ، وتحليله الصراعي للسياسة الاقليمية ، كل ذلك كان غالباً ما يربط بأدوات وقائية لازالة احتمال اتباع سلوك مغامر كنتيجة منطقيـة لتلك العقائـد ، وبالذات المسالك التدريجية ، التكتيك والسلوك المؤجل ، وتفادي السياسات التي تتضمن مخاطرة سياسية كبيرة . والاهم من ذلك كله ، وفي كل المحاور ، فإن الوزن النسبي لمحور صورة العدو في البناء الهيكلي للنسق العقيدي الناصري كان اقل من الوزن النسبي للمحور الفلسفي وجوهـره عقيدتا اختيار الهدف والقوة العسكرية مرتبطين عكسياً . فمن الواضح من الجدول رقم (٧ ـ ٨) ان وزن محور العدو كان حوالى ٢٣ بالمائة ، بينما كان وزن المحور الفلسفي حوالى ٣٤ بالمائة .

والواقع ان هذه النتيجة تؤكد ان اعطاء وزن كبير لصورة العدو السلبية لدى عبدالناصر ،

كما هو الحال في كثير من الكتابات الغربية ، يؤدي الى تشويه التوجه الرئيسي للنسق العقيدي الناصري ، ذلك التوجه الذي يتحصل في المركز الرئيسي الذي تحتله استراتيجية اختيار الهدف السياسي ، والاجراءات الوقائية الموضوعة على تحقيق الاهداف السياسية بوضعها في اطار المفهوم التاريخي ـ الصراعي للعالم السياسي . اكثر من ذلك ، فإن تحميلات العوامل تشير الى ان العناصر الرئيسية المكونة للنسق العقيدي الناصري تكمن في نظرته الصراعية للسياسة المحلية والعالمية ، ويقينه الثابت في تحقيق الاهداف نظراً لاتساقها مع تيار الحتمية التاريخية ، واختياره اهداف قصوى ، وفي نظرته العدائية ـ السلبية لاعدائه . هذه المجموعة المحدودة من العقائد المركزية والمستقرة والمترابطة ذاتياً ، كانت مرتبطة بمجموعة من العقائد الادائية المخصصة لموازنة المجموعة الاولى من العقائد وقوامها التدرجية والمحاولة والخطأ كالمسلك الرئيسي لتحقيق الهدف ، الردع كالاستراتيجية الامثل لضبط سلوك العدو ، وتفادي الربط بين الهدف الاقصى والسلوك المغامر .

ثالثاً : الانساق العقيدية الفرعية الناصرية

ما قدمناه حتى الآن هو نموذج مبسط للنسق العقيدي الناصري يتضمن مجموعة محدودة وأساسية من العقائد بعلاقاتها الدينامية الايجابية والسلبية . بيد ان هذا التحليل لا يكشف عن حقيقة اخرى ، وهي ان النسق العقيدي الناصري الكلي ، باعتباره نظاماً في المقام الاول ، قد تضمن مجموعة من الانساق العقيدية الفرعية التي يتضمن كل منها مجموعة من العقائد المتمحورة حول قضية معينة ، او التي يتفاوت توجه كل منها طبقاً للقضايا التي يتناولها عبد الناصر . بيد ان هذه الانساق الفرعية لا تشكل ـ كما أوضحنا ـ أنساقاً مستقلة ، ولكنها تشكل نسقاً واحداً بعلاقاته المتداخلة .

يمكن التمييز بين خمسة انساق عقيدية فرعية في داخل النسق العقيدي الناصري العام : نسق « العدو الداخلي » ، نسق «التنمية الاقتصادية ـ السياسية » ، النسق العقيدي « العربي » ، النسق العقيدي « العربي ـ الاسرائيلي »، ونسق « السياسة الخارجية العامة » . تفاوتت هذه الانساق الفرعية الخمسة من حيث درجة البساطة والتركيب ، ومن حيث درجة التشدد والتوسط التي يتميز بها كل من تلك الانساق . فنسق العدو الداخلي كان يتعلق أساساً بالتعامل مع الاعداء السياسيين في الداخل ، وكان هذا النسق نسقاً شديداً في بساطته وفي تشدده . فلم يتضمن هذا النسق الفرعي سوى عقيدتين كما هو واضح من الجدول رقم (٧ ـ ٩) ، تتحصلان فيما يمكن ان نسميه العلاقة الصفرية مع العدو ، اي علاقة المنتصر والمهزوم . والعقيدة الاولى هي مفهوم للعدو السياسي باعتباره عدواً يهدف الى تحطيم النظام الثوري الناصري ، ولا مجال للمساومة معه ، اما العقيدة الثانية فتتعلق بكيفية التعامل مع العدو ، وذلك من خلال استراتيجية التصفية الكاملة . فعبدالناصر نظر دائماً الى المعارضة السياسية الداخلية باعتبارها مرادفاً للعداء الكامل للنظام الثوري او العمالة لقوة خارجية معادية ، ولم يضع في اعتباره احتمال وجود معارضة « سياسية » موالية للنظام . ومن ثم ، فإن عبد الناصر لم ير مجالاً للتعايش مع المعارضة السياسية الداخلية ، وكانت استراتيجيته دائماً هي سحق المعارضة السياسية .

جدول رقم (٧ - ٩)
الانساق العقيدية الفرعية الناصرية

النسق / العقيدة	« العدو الداخلي »	التنمية « السياسية والاقتصادية »	« السياسة الخارجية العامة »	« النسق العربي »	« العربي ـ الاسرائيلي »
العدو السياسي	المعارضة الداخلية هدامة			الرجعية العربية عميلة للاستعمار	اسرائيل دولة توسعية
النظام الدولي			صراعية النظام الدولي	صراع بين التقدمية والرجعية	صراع اقليمي بين العرب واسرائيل
التفاؤل السياسي		النجاح يكمن في الاهداف		الوحدة العربية ستتحقق في المدى الطويل فقط	فلسطين ستتحرر
التنبؤ السياسي		الحتمية التاريخية التقدمية		النمط الحتمي التقدمي الدائري في التاريخ العربي	التاريخ العربي ينبيء بأن فلسطين ستتحرر
دور القائد السياسي		القائد يمكنه التأثير في التنمية بالتعاون مع الجماهير		عبد الناصر لا يمكنه التأثير في الحركة السياسية العربية	
اختيار الهدف		اهداف قصوى فقط	اهداف قصوى فقط	الاهداف الممكنة بدون التخلي عن الاهداف القصوى	الاهداف القصوى مع تعديل الاساليب وليس الاهداف
المسالك		ولكن مع تعديل الاساليب التدرجية والتجربة والخطأ		تمهيد الطريق للوحدة العربية	تمهيد الطريق لتحرير فلسطين ببناء القوة الاقتصادية العربية
الاستراتيجيات	تصفية المعارضة الداخلية		التوفيق المتبادل	ردع وتصفية الرجعية العربية	ردع اسرائيل
المخاطرة السياسية			حتمية المخاطرة السياسية	امكانية المخاطرة السياسية	خطر المخاطرة السياسية
التوقيت السياسي				توقيت الوحدة العربية ليس اساسيا	توقيت تحرير فلسطين اساسي
التكتيك السياسي		تجنب العمل السابق لأوانه			تفادي الاستفزاز الاسرائيلي والعمل السابق لأوانه
القوة العسكرية		تفادي اللجوء الى القوة العسكرية		تفادي اللجوء الى القوة العسكرية	القوة العسكرية اداة ردع بشرط الا نبادر باستعمالها

اما نسق السياسة الخارجية العامة ، فقد اشترك مع نسق العدو الداخلي في بساطة تركيبه ، اذ انه يتضمن فقط ثلاث عقائد ، ولكنه يختلف عنه جذرياً في توجهه العقيدي . فبعكس نسق العدو الداخلي ، فإن نسق السياسة الخارجية العامة اتسم بتوسطه النسبي . فالاستراتيجية الرئيسية للتعامل السياسي مع العالم السياسي الخارجي (ما عدا الاعداء المباشرين) كانت تقوم على التوفيق والتفاوض . بيد انه نظراً لابتعاد نسق السياسة الخارجية عن مجال التطبيق المباشر ، فإن هذا النسق كان بمثابة القناة الرئيسية التي استطاع من خلالها عبد الناصر التعبير عن اهداف قصوى وعن استعداد لتقبل المخاطرة السياسية ، وهو استعداد لم يكن عبد الناصر مستعداً لتقبله في نسق الصراع العربي ـ الاسرائيلي .

بالمقارنة بنسقي العدو الداخلي ، والسياسة الخارجية العامة ، فإن النسق العقيدي العربي ، والنسق العقيدي العربي ـ الاسرائيلي لعبد الناصر كانا اكثر تعقداً وثراء ، ولكنهما لم يكونا بالضرورة اكثر تشدداً . والواقع ان العقائد الاساسية التي تميز بين هذين النسقين هي تلك المتعلقة باختيار الهدف ، والمخاطرة السياسية ، والقوة العسكرية . ففي النسق العقيدي العربي كان عبد الناصر مستعداً لقبول الاهداف « الممكنة » ، وبالذات فيما يتعلق بهدف تحقيق الوحدة العربية . فقد كان عبد الناصر مستعداً لقبول هدف التعاون الاقتصادي والسياسي العربي ، بدلاً من هدف الوحدة الدستورية وهو الهدف الذي اعتقد عبد الناصر انه سيتحقق فقط في الامد الطويل . ولم يكن ذلك يعني بالنسبة لعبدالناصر تخلياً عن هدف الوحدة الدستورية الشاملة ، ولكنه كان بمثابة اعتراف واقعي بالتناقضات العربية . بيد ان عبد الناصر لم يكن مستعداً الا لقبول الهدف الاقصى في تعامله مع اسرائيل ، وهو الهدف الذي حدده في الاستعادة الكاملة لحقوق الشعب الفلسطيني كما جاءت في قرارات الامم المتحدة .من ناحية اخرى ، فإن عبدالناصر ، رغم تبنيه الهدف الاقصى في تعامله مع الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، فإنه لم يكن مستعداً لقبول المخاطرة السياسية ازاء الصراع نفسه ، بينما كان مستعداً لقبول تلك المخاطرة في معاملاته العربية ، رغم تبنيه الهدف الممكن في تلك المعاملات .

يرتبط بالحظر الموضوع على انتهاج سياسات تتضمن مخاطرة سياسية ، ازاء الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، حظر مماثل على المبادأة باستعمال القوة العسكرية ، او انتهاج سلوك سابق لأوانه ، او اساءة حساب اهمية عنصر التوقيت في الصراع . اما في النسق العربي للمعاملات ، فإنه بصرف النظر عن الحظر الموضوع على استعمال القوة العسكرية ، فإن عبد الناصر ، كان مستعداً لاتباع استراتيجيات اكثر حزماً وتشدداً ازاء « النظم الرجعية العربية » ، ولكنه لم يكن قادراً على تحديد حدود وابعاد السلوك والتكتيك الواجب اتباعه ازاء تلك النظم . يضاف الى ذلك ان عبد الناصر ازال من حساباته السياسية العربية اهمية عنصر التوقيت ، وبالذات فيما يتعلق بموضوع الوحدة ، وطالما ان تلك الوحدة ستتحقق ان عاجلاً او آجلاً ، طبقاً للنمط الحتمي الذي يميز التاريخ العربي وبصرف النظر عن العقبات الحالية ، فإن تحديد توقيت معين لتلك الوحدة يصبح امراً غير ذي موضوع .

اما النسق العقيدي الفرعي الاخير ، فهو النسق المتعلق بالتنمية الاقتصادية والسياسية ،

وهو النسق الذي كان يشكل جوهر الرؤ ية السياسية والاقتصادية الناصرية . فقد انـطلق هذا النسق من عقيدة مبناها الايمان بحتمية تحقيق اهداف التنمية الاقتصادية والسياسية ، حيث ان التطور السياسي التاريخي يسير وفقاً لنمط معين من الحتمية التقدمية ،التي ستنتهي بانتصار التيار التقدمي الاشتراكي العربي ، ومن ثم كان تفاؤ له الشديد باحتمال تحقيق اهداف التنمية حيث انها تتوافق مع النمط التاريخي . يرتبط بهذا النسق الفرعي ، وكنتيجة منطقية لهذه الرؤ ية ، رؤ ية معينة لدور القائد السياسي في عملية التنمية باعتباره دوراً إيجابياً ، ولكنه لا ينتج ثماره الا من خلال تفاعله مع القيادات السياسية المحلية ، ومع الجماهير . بعبارة اخرى ، ان القائد السياسي وحده لا يستطيع تحريك عملية التنمية ، بالاضافة الى ذلك ، فإن النموذج التنموي انبنى على عقيدة اساسية مبناها السعي لتحقيق اهداف طموحة (قصوى) مثل مضاعفة الدخل القومي في عشر سنوات او انجاز ما حققته اوروبا على مدى ثلاثمائة سنة في خلال ثلاثين سنة فقط . ولكن في اطار تحقيق تلك الاهداف ، كان عبد الناصر شديد الواقعية . فقد كان على استعداد لتغيير وسائل تحقيق الاهداف القصوى، ويرفض التمسك بتكتيكات معينة اذا ثبت انها ليست افضل الطرق لتحقيق الاهداف . ومن ثم ، تبنى عبدالناصر منهج التدرج والتجربة والخطأ كالمسلك الرئيسي لتحقيق الهدف ، وذلك بحكم رفضه التمسك المسبق بنظرية ثابتة .

القسم الثالث

قرارات السياسة الخارجية في الفترة الناصرية

مقدمـــة

موضوع هذا الباب هو تحليل بعض القرارات الاساسية التي اتخذها جمال عبدالناصر في مجال السياسة الخارجية ، وذلك بهدف تبين مدى تأثير نسقه العقيدي على مضمون واسلوب اتخاذ تلك القرارات . وقد اخترنا بالتحديد ثلاثة قرارات : قرار تأميم الشركة العالمية لقناةالسويس في تموز / يوليو عام ١٩٥٦ ، قرار عدم استعمال القوة العسكرية لاخماد الانفصال السوري في ايلول / سبتمبر عام ١٩٦١ ، قرارات ازمة ايار - حزيران / مايو - يونيو عام ١٩٦٧ . وقد اخترنا هذه القرارات من بين سلسلة قرارات السياسة الخارجية التي اتخذها عبد الناصر لثلاثة اسباب رئيسية . فهذه القرارات ، من الناحية النظرية ، هي قرارات ازمة ، ومن ثم فإنه من المفترض - طبقاً للاطار النظري الذي اتينا عليه في الباب الاول - ان يكون النسق العقيدي لعبدالناصر قد لعب دوراً مهماً في اتخاذ تلك القرارات . من ناحية ثانية ، فهذه القرارات تمثل نماذج اساسية لسياسة عبدالناصر العربية ، والعربية - الاسرائيلية ، والعالمية . ومن ثم فإنها تمثل المسار العام للسياسة الخارجية لجمال عبدالناصر . اما السبب الثالث ، فإنه يتعلق بتوافر المعلومات عن كيفية اتخاذ تلك القرارت . فعبر العشر سنوات الاخيرة نشر كثير من معاصري عبدالناصر ورفاقه مذكراتهم وتحليلاتهم للفترة الناصرية ، مما أتاح لنا قدرالا بأس به من المعلومات تسمح بالتحليل العلمي لتلك القرارات[1] .

---

(١) تجدر الاشارة الى الدراسة التي قدمها : احمد يوسف ، « الدور المصري في اليمن ، ١٩٦٢ - ١٩٦٧ ، » (اطروحة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٨) ، وتضمنت تحليلاً لقرار التدخل في اليمن عام ١٩٦٢ ، والدراسة التي قدمها : احمد فارس عبد المنعم ، « القرار المصري بعقد صفقة الاسلحة التشيكية عام ١٩٥٥ : دراسة في السياسة الخارجية المصرية ، » (رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٠) .

وقبل ان نبدأ في تحليل القرارات ، فإننا سنلقي نظرة عامة على هيكل وعملية اتخاذ القرار السياسي في الحقبة الناصرية ، اي ماهية المؤسسات التي يتم في اطارها اتخاذ القرار ، والقواعد التي يتم بمقتضاها اتخاذه .

الفصل الثامن

اتخاذ قرارات السياسة الخارجية في الفترة الناصرية

ينطوي تحليل اتخاذ القرار على دراسة الهياكل التي يتخذ في اطارها القرارات ، وعلى تحليل العمليات التي يتم من خلالها اتخاذ تلك القرارات. يقصد بهياكل اتخاذ القرار نمط ترتيب العلاقات والادوار بين الافراد المسؤولين عن نظام اتخاذ القرار ، وبالذات نظام السلطة الرسمي وغير الرسمي داخل الوحدة المسؤولة عن اتخاذ القرار . وفي هذا الصدد تتراوح هياكل اتخاذ القرار ما بين وحدة صغيرة يسودها صانع قرار سلطوي واحد ، الى وحدة اكثر اتساعاً تتميز بالتركيب والتعقيد وتعدد المستويات . اما عملية اتخاذ القرار ، فإنها تنصرف الى مجموعة الاجراءات ، والقواعد او الاساليب ، التي يستعملها المشاركون في هيكل اتخاذ القرار لحل مشكلة معينة ، بما في ذلك الاسس الرسمية وغير الرسمية التي يتم بمقتضاها تقويم الاختيارات المتاحة ، والتوفيق بين الآراء المختلفة داخل مجموعة اتخاذ القرار .

والواقع ان تحليل هيكل وعملية اتخاذ القرار ذو اهمية بالغة بالنسبة لماهية القرار النهائي . ذلك ان هيكل وعملية اتخاذ القرار بذاتها عاملان مؤثران في القرار، وليسا مجرد اطار لاتخاذ القرار . وعلى سبيل المثال ، فإن هيكل اتخاذ القرار السلطوي المحدود عادة ما ينتج قرارات سريعة واكثر جرأة . فما هي اذاً خصائص هيكل اتخاذ القرار في الفترة الناصرية ، وماذا كان نمط عملية اتخاذ قرار السياسة الخارجية ؟

اولاً : المركزية ووحدة السلطة

تميز نظام اتخاذ القرار في مصر بدرجة كبيرة من المركزية الاقليمية والوظيفية . فعلى المستوى الاقليمي ، لا تتمتع الوحدات الاقليمية (المحافظات) بدور ذي شأن في عملية اتخاذ القرار

القومي[1] . فالسلطة المركزية في القاهرة هي مستودع كل السلطات ، وهي التي تستطيع ان تنشيء تلك الوحدات ، وان تحدد سلطاتها وطرق تحويلها بالطريقة التي ترتئيها . ورئيس الجمهورية هو الذي يعين المحافظين ورؤ ساء المجالس التنفيذية المحلية ويقيلهم من مناصبهم . وذلك بعكس الحال في النظم الاتحادية ، كالنظام اليوغوسلافي او النظام الامريكي الذي تلعب فيه الوحدات الاقليمية دوراً « دستورياً » في صنع القرار القومي .

بالاضافة الى طبيعته المركزية الاقليمية ، فإن النظام السياسي المصري ، في الفترة الناصرية ، تأسس على مبدأي « دمج السلطات » ، وغلبة دور رئيس الجمهورية على دور السلطة التشريعية[2]. فبصفته رئيساً للجمهورية ، تمتع عبدالناصر بسلطات تنفيذية واسعة كرسم السياسات العامة الرئيسية وتعيين كبار رجال السلطة التنفيذية ، بالاضافة الى بعض السلطات التشريعية كاقتراح مشروعات القوانين والاعتراض على القوانين التي وافق عليها « مجلس الامة » ، بل واصدار القوانين اذا لم يكن المجلس منعقداً . وبعبارة اخرى ، فإن عبدالناصر كان هو محور الحياة السياسية والدستورية ابان الحقبة الناصرية[3] . وقد عبّر عبدالناصر عن حقيقة دوره في نظام اتخاذ القرار في تلك الفترة بقوله في ٢٤ ايلول / سبتمبر عام ١٩٦٢ :

« القرارات الخطيرة التي اتخذت (في الفترة الماضية) كانت من اخطر القرارات بالنسبة لمستقبل هذا الوطن . ولكن انا اتخذت هذه القرارات ، وانا معتمد على الله وعلى ايمان هذا الشعب ، وعلى ان هذه القرارات تحقق الامل واماني الشعب » .

ثانياً : هيكل اتخاذ القرار

على قمة هيكل اتخاذ القرار ، كان عبد الناصر نفسه ومعه مجموعة محدودة من المساعدين تمتع معظمهم بتلك المكانة بحكم عضويتهم في الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار . واذا استعملنا لغة علم السياسة الخارجية ، فإن هذه المجموعة يمكن أن توصف بمجموعة « القائد المسيطر » ، ويقصد بها هيكل لاتخاذ القرار يتألف من مجموعة صغيرة من الافراد يسيطر عليها قائد سلطوي واحد يتصرف بمفرده او بدون تشاور حقيقي مع باقي افراد المجموعة ، كما أنه قادر على اتخاذ اي

---

(١) والواقع ان هذه الخصيصة هي من المميزات الاساسية لنظام اتخاذ القرار في مصر منذ العصور الفرعونية . فمصر كانت ، وما زالت ، دولة موحدة تتمتع السلطة المركزية فيها باختصاصات هائلة .

(٢) من الجدير بالذكر ان عبد الناصر كان يرفض مبدأ الفصل بين السلطات ، محتجاً بأن هذا الفصل لم يثبت صحته في الخبرة العملية لمختلف النظم السياسية . ففي حديثه الى اعضاء المؤتمر الوطني للقوى الشعبية في ٤ تموز / يوليو عام ١٩٦٢ قال : « « الكلام اللي بيقول ان الحكومة تبعد عن السلطة التشريعية ، فصل السلطات ، كلام قديم . لكن هل هذا الكلام مطبق ؟ هل السلطة التنفيذية مفصولة عن السلطة التشريعية في اي بلد من البلاد ؟ . . . اذن عملية ان الحكومة تنفصل عن السلطة التشريعية ، والسلطة التشريعية تنفصل عن الاتحاد الاشتراكي ، ليس له اصل ابداً في اي عمل سياسي في العالم » .

(٣) طارق البشري ، الديمقراطية والناصرية (القاهرة : دار الثقافة الجديدة ، ١٩٧٥) ، ص ٢٤ - ٢٦ .

قرار حتى بدون موافقة اي او كل افراد المجموعة . وبحكم التعريف ، فإن افراد المجموعة يشاركون القائد السلطوي معظم آرائه في السياسة الخارجية ؛ كما أنهم يتلقون المعلومات عن طريقه ، وبالتالي ، فإن معظمهم يتجه الى تأكيد تفضيلات القائد او ما يعتقد انه تفضيلات القائد . والواقع ان هذا الوصف ينطبق على هيكل اتخاذ القرار الناصري ، اللهم الا باستثناء حالة المشير عبد الحكيم عامر الذي استطاع ـ من خلال قاعدته في القوات المسلحة ـ ان يمارس دوراً شبه مستقل في عملية اتخاذ القرار الداخلي ، وان لم يمارس الدور نفسه في عملية اتخاذ القرار الخارجي .

بيد ان هذه المجموعة لم تنتظم في شكل هيكل رسمي او دستوري محدد ، باستثناء فترة « مجلس قيادة الثورة » (١٩٥٢ ـ ١٩٥٦) وفترة « مجلس الرئاسة » (١٩٦٢ ـ ١٩٦٤) .

بعد قيام ثورة تموز / يوليو عام ١٩٥٢ تركزت سلطة اتخاذ القرار في يد « مجلس قيادة الثورة » ، وتأكدت تلك السلطة بالاعلان الدستوري الصادر في ١٠ شباط / فبراير عام ١٩٥٣ . وكان المجلس مكوناً من اللواء محمد نجيب وعبدالناصر ومجموعة الضباط اعضاء الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار . وقد ترأس محمد نجيب المجلس من آب / اغسطس حتى نيسان / ابريل عام ١٩٥٤ . بيد ان دور محمد نجيب في المجلس كان دوراً رمزياً اكثر منه حقيقياً . والواضح ان المجلس ، كان جهازاً ديمقراطياً لاتخاذ القرار . فرغم الدور القيادي الذي لعبه عبدالناصر في المجلس ، الا انه كان يستعرض وجهات النظر كافة ، ولا يصدر القرار الا بعد مناقشة مستفيضة للآراء المختلفة . ويؤكد بعض اعضاء المجلس ان عبدالناصر ـ كرئيس لوفد المفاوضة مع بريطانيا حول الجلاء ـ كان يرجع الى المجلس في كل خطوة يخطوها ، كما أن المجلس ناقش اتفاقية الجلاء قبل توقيعها وأقرها[٤] .

في عام ١٩٥٦ انتخب عبدالناصر رئيساً للجمهورية ، وانتهت بذلك اعمال مجلس قيادة الثورة . ومنذ ذلك الوقت وحتى عام ١٩٦٢ لم يكن هناك هيكل حقيقي لاتخاذ القرار . فكان هناك مجلس الوزراء برئاسة عبدالناصر حتى عام ١٩٥٨ حين تكونت الجمهورية العربية المتحدة . بيد ان السلطة الحقيقية لم تكن في يد مجلس الوزراء ، وإنما في يد المجموعة التي أشرنا اليها آنفاً .

وفي ٢٧ ايلول / سبتمبر عام ١٩٦٢ ، صدر اعلان دستوري ينظم سلطات الدولة العليا ، تضمن انشاء « مجلس للرئاسة » ، اعلن تشكيله في اليوم نفسه . وقد تكوّن المجلس من احد عشر عضواً برئاسة عبدالناصر ، سبعة منهم من اعضاء الهيئة التأسيسية للضباط الاحرار ، اثنان من رجال الصف الثاني من الضباط الاحرار ، واثنان من المدنيين المعروفين بالولاء للثورة . ومن الجدير بالذكر ان عبدالناصر هو الذي اختارهم لعضوية المجلس ، اذ ان قرار تشكيل المجلس لم

---

(٤) انظر : احمد حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، ج٢ : مجتمع جمال عبد الناصر (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٥) ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ، وكذلك شهادات بعض اعضاء المجلس كما جاءت في : احمد فارس عبدالمنعم ، « القرار المصري بعقد صفقة الاسلحة التشيكية عام ١٩٥٥ : دراسة في السياسة الخارجية المصرية ، » (رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٠) ، ص ٣٠٣ - ٣٠٦ .

يحدد طريقة اختيار اعضائه . والواقع ان سلطات المجلس الدستورية مثلت نقلاً حقيقياً لسلطات رئيس الجمهورية اليه . وبالفعل ، ففي خلال الثلاثة اشهر الاولى من تشكيله ، مارس المجلس اختصاصات واسعة ، منها على سبيل المثال مناقشة موضوع التدخل العسكري المصري في اليمن باستفاضة واتخاذ قرارات فيه . بيد ان حماس عبدالناصر ما لبث ان فتر اذ تباعدت دورات انعقاد المجلس واصبحت معظم قراراته تتم بالتحرير . ففي الستة اشهر الاولى من تشكيله انعقد المجلس ست عشرة مرة ، وفي الاثنتي عشرة سنة التالية لم ينعقد سوى ثلاث مرات (٥) . وفي آذار / مارس عام ١٩٦٤ انتهت تجربة مجلس الرئاسة رسمياً .

وإلى جانب المجموعة المحدودة من كبار رجال الضباط الاحرار السابقين ، كانت هناك « اللجنة الاستشارية » ، وهي جهاز غير رسمي مهمته دراسة الموضوعات التي يأمر الرئيس بدراستها او الموضوعات المهمة التي تفرض نفسها ، ثم ترفع ما تراه من توصيات او بدائل الى عبدالناصر (٦) .

ثالثاً : دور مؤسسات الدولة

لم تلعب السلطة التشريعية (مجلس الامة) دوراً يذكر في اتخاذ القرار ، وبالذات اتخاذ قرار السياسة الخارجية . والواقع ان الوظيفة الاساسية لمجلس الامة ـ بجانب اضفاء الطابع الرسمي على مشروعات القوانين ـ كانت تتحصل في نقل المطالب الشعبية الى الرئيس من ناحية ، وفي شرح السياسات التي تبناها الرئيس الى الجماهير . بصفة عامة ، كان مجلس الامة اكثر فاعلية في ميدان السياسة الداخلية عنها في ميدان السياسة الخارجية . فقد نجحت في بعض الاحيان في تعديل وايقاف بعض مشروعات القوانين ، كما حدث بالنسبة لسياسة التعليم العالي . بيد ان المجلس لم يلعب في ميدان السياسة الخارجية الا دوراً رمزياً قوامه اضفاء صفة الشرعية على قرارات الرئاسة والتعظيم من شأنها . وعلى سبيل المثال ، فإن اقصى دور لعبه المجلس في موضوع التدخل المصري في اليمن كان الاستماع الى تقرير من المشير عبدالحكيم عامر في جلسة سرية (٧) . وفي بعض الحالات ، فوّض مجلس الامة كامل سلطاته للرئيس، وذلك كما حدث ابان ازمة ايار ـ حزيران (مايو ـ يونيو) عام ١٩٦٧ حين انتقل المجلس بكامل هيئته الى منزل عبدالناصر وتنازل عن حقه الدستوري في اصدار القوانين فيما عرف باسم « قانون التفويض » (٨) .

---

(٥) احمد يوسف ، « الدور المصري في اليمن ، ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧ ، » (اطروحة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٨) ، ص ١٢٠ .

(٦) امين هويدي ، مع عبد الناصر (بيروت : دار الوحدة ، ١٩٨٠) ، ص ١٦ ـ ١٧ .

(٧) Richard Hrair Dekmejian, «The U.A.R. National Assembly: A Pioneering Experiment,» *Middle Eastern Studies,* vol. 4 (1967/1968), p. 365.

(٨) هويدي ، المصدر نفسه ، ص ٩٠ . للدلالة على الوزن الحقيقي للمجلس في عملية اتخاذ القرار يذكر الاستاذ امين هويدي انه عقب نكسة ١٩٦٧ تعاطف بعض النواب مع المشير عامر في خلافه مع عبدالناصر ، وقد =

وبالمثل لم تلعب اجهزة السلطة التنفيذية الاخرى دوراً يذكر في مجال اتخاذ قرار السياسة الخارجية . فمجلس الوزراء لم يكن جهازاً مستقلاً لرسم السياسات ، وانما وظيفته الاساسية تنفيذ سياسات الرئيس . ولمدة سبع سنوات من حكمه جمع عبدالناصر بين رئاسة الدولة ورئاسة مجلس الوزراء . بالاضافة الى ذلك فإن مسائل السياسة الخارجية والدفاع كانت مستثناة من اعمال مجلس الوزراء ، كما قال عبدالناصر في احد اجتماعات محادثات الوحدة الثلاثية(٩) ، وكان عبد الناصر يتولى « اخطار » المجلس بقرارات السياسة الخارجية(١٠) . كذلك ، اقتصر دور وزارة الخارجية على رصد الاحداث العالمية ، وتقديم التوصيات « الفنية » الى الرئيس ، وتنفيذ السياسات والقرارات التي اتخذها الرئيس(١١) .

اما بالنسبة للنظام الحزبي، فقد انشأ عبدالناصر ثلاثة تنظيمات سياسية متعاقبة : هيئة التحرير في عام ١٩٥٣ ، الاتحاد القومي عام ١٩٥٧ ، الاتحاد الاشتراكي العربي عام ١٩٦٢ . رغم انه كان من المتصور ان تلعب هذه التنظيمات (باستثناء هيئة التحرير) دوراً رئيسياً في رسم السياسات يفوق دور السلطة التنفيذية ويتعداه ، الا انها كانت ، من الناحية الفعلية ، تنظيمات تابعة للسلطة الرئاسية. ويصف ايليا حريق ،التنظيمات السياسية الناصرية بأنها كانت تنظيمات معاونة Collaboration movements ، وظيفتها الرئيسية هي التعرف على انصار النظام وتنظيمهم ، مع خلق حلقة وصل رسمية بين الرئيس وبين انصاره في الاقاليم(١٢) . كذلك ،

= اقترح انور السادات ، رئيس مجلس الامة آنذاك ، تجميد عضويتهم ، وعزلهم ، كما اقترح اعتقالهم ووضعهم تحت الحراسة ، المصدر نفسه ، ص٩٤ .

(٩) محاضر محادثات الوحدة الثلاثية ، مارس - ابريل ١٩٦٣ (القاهرة : مؤسسة الاهرام ، ١٩٦٣) ، ص ٢٣٧ . كذلك يتضح من استعراض امين هويدي للموضوعات التي كان مجلس الوزراء يناقشها ان معظمها موضوعات اقتصادية ، وان المجلس كان يقتصر على « الاستماع » الى بيانات من وزيري الخاوجية والحربية « الا ان الموضوعات العسكرية الحساسة كخطط العمليات المقبلة ، او المشاكل التفصيلية للتسليح ، او التصنيع الحربي ، فكانت تستعرض بشكل سريع » ، انظر : هويدي ، مع عبد الناصر ، ص ٣٧ .

(١٠) يذكر سيد مرعي في مذكراته ان عبدالناصر اخطر مجلس الوزراء بتوقيع اتفاقية الوحدة المصرية - السورية توقيعها فعلاً (الاهرام ، ٢٠ / ٨ / ١٩٧٨) ،كما ان عبد الناصر ابلغ مجلس الوزراء بقرار تأميم شركة قناة السويس قبل ساعة واحدة من اعلانه رسمياً ، ولم يستشر المجلس ابان ازمة ايار / مايو - حزيران / يونيو ١٩٦٧ في اي من مراحل الازمة .

(١١) يذكر حسين ذو الفقار صبري ، نائب وزير الخارجية في الفترة الناصرية ، ان رئاسة الجمهورية لم تكن تعتبر وزارة الخارجية مصدراً رئيساً للمعلومات ، بل كانت تعتمد على المعلومات الآتية نتيجة للاتصالات الشخصية . كما ان قرارات السياسة الخارجية كانت تصدر من الرئاسة دون استشارة وزارة الخارجية . وكثيراً ما كانت الرئاسة تتخاطب مباشرة مع الدول الاخرى دون « إخطار » وزارة الخارجية (روز اليوسف (القاهرة)، (١٦ ايار / مايو ١٩٧٧) ، ص ٣١ - ٣٤) . كذلك يذكر منير حافظ - احد سكرتيري عبد الناصر - ان البرقيات الرمزية الآتية من السفارات كانت تبلغ مباشرة الى سكرتارية الرئيس للمعلومات ، وتعرض على الرئيس ، ثم تخطر الخارجية بعد ذلك بالتعليمات التي اصدرها الرئيس ، انظر : منير حافظ ، « التاريخ السري لحكم جمال عبدالناصر : حواديت السفارات المصرية ، » روز اليوسف (١٩حزيران / يونيو ١٩٧٦) .

(١٢) Ilya Harik, «The Single Party as a Subordinate Movement: The Case of Egypt,» *World Politics*, vol. 26, no. 1 (October 1973), p. 79.

نشأت علاقة تداخلية قوية بين قمة التنظيم السياسية ، وقمة السلطة التنفيذية . فكل اعضاء اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي كانوا إما وزراء او ضباطاً سابقين ، وكان عبد الناصر يرأس كلاً من التنظيم السياسي والسلطة التنفيذية . كذلك ، كان التنظيم السياسي يعتبر مستودعاً لكبار رجال السلطة التنفيذية الذين تركوها ، واكثر منه مصدراً للتجنيد السياسي او صنع السياسات(١٣) . وقد حرص عبدالناصر ، ومعه المؤسسة العسكرية ، على الا يلعب التنظيم السياسي دوراً سياسياً مستقلاً ، وعلى ان يقتصر دوره على « حل المشاكل اليومية للجماهير » وعلى سبيل المثال ، حينما حاول علي صبري - بوصفه اميناً عاماً للاتحاد الاشتراكي العربي عامي ١٩٦٥ - ١٩٦٦ ان يحول الاتحاد الى قوة سياسية مؤثرة ، تدخلت السلطة الرئاسية والمؤسسة العسكرية لاجهاض المحاولة(١٤) .

رابعاً : عبد الناصر والمؤسسة العسكرية

كانت المؤسسة العسكرية هي المؤسسة الوحيدة التي لعبت دوراً نشيطاً في عملية اتخاذ القرار في الحقبة الناصرية ، وكان هذا الدور على حساب دور عبدالناصر نفسه في بعض الاحيان . وقد بدأ هذا الدور في اعقاب العدوان الثلاثي مباشرة حين حاول عبدالناصر اعفاء عبد الحكيم عامر من مهامه كقائد عام للقوات المسلحة بسبب فشله في ادارة المعركة . بيد ان قادة القوات المسلحة تضامنوا مع عامر مما اضطر عبدالناصر الى التراجع . بل ان عبدالناصر بدأ يعتمد اعتماداً أساسياً على القوات المسلحة كمصدر لتجنيد العناصر اللازمة للحكم . فاحتل العسكريون المراكز الوزارية الكبرى ، والمواقع القيادية في التنظيم السياسي ، والمؤسسات العامة ، ووزارة الخارجية .

كذلك ، تم تعيين عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة ونائباً لرئيس الجمهورية . وكان الهدف الرئيسي من تعيينه هو ضمان ولاء القوات المسلحة للسلطة السياسية . بيد ان عامر نجح في ان ينشىء لنفسه شبكة مستقلة من الانصار الذين يدينون له بالولاء شخصياً . وسرعان ما تعاظم تأثير هذه الشبكة وامتد ليؤثر على سلطة عبد الناصر ذاتها ، وبالذات بعد ان تحالفت مجموعة عامر مع مجموعة المخابرات العامة بقيادة صلاح نصر .

ازداد نفوذ تحالف العسكريين والمخابرات بعد الانفصال السوري عام ١٩٦١ ، رغم مسؤولية هذا التحالف عن الفشل في رصد الانقلاب قبل وقوعه . وتأكد هذا النفوذ بعد ان فشل عبدالناصر في تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦١ في ان يقيل عبد الحكيم عامر من منصبه

---

(١٣) Richard Hrair Dekmejian, *Egypt Under Nasir: A Study in Political Dynamics* (Albany, New York: State University of New York Press, 1971), pp. 192-193.

(١٤) Harik, Ibid., pp. 93-98.

العسكري ، بعد ان هدد عامر وكبار قادة القوات المسلحة بالاستقالة . ومن ثم ، بدأ يتضح لعبدالناصر ان هناك مركز قوة مستقلاً داخل القوات المسلحة يستطيع ان يفرض آراءه على السلطة السياسية .

وتأكد نفوذ المجموعة العسكرية عقب ازمة اخرى نشأت في « مجلس الرئاسة » في تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٣ . ففي هذا الشهر ، اصدر المجلس قراراً يعطيه صلاحية اصدار كل الترقيات العسكرية ابتداء من رتبة المقدم . بيد ان عامر رفض القرار وقدم استقالته ، واختفى وسط اشاعات قوية بتضامن قادة القوات المسلحة معه . كذلك قام انصار عامر بطبع وتوزيع خطاب استقالته الذي تضمن تنديداً بالحكم الديكتاتوري لعبدالناصر والمطالبة بالديمقراطية . وازاء ذلك ، ولمنع حدوث مواجهة مع القوات المسلحة ، تراجع المجلس عن القرار . بل ان المجلس ذاته انتهت اعماله في آذار / مارس عام ١٩٦٤ ، وعيّن عامر نائباً اول لرئيس الجمهورية مؤكداً بذلك اولويته على كل نواب عبدالناصر .

ومنذ ذلك الوقت ، وحتى حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ ، انتقلت السلطة الحقيقية الى يد المجموعة العسكرية بقيادة عامر ومساعده شمس بدران ، بالتعاون الوثيق مع المخابرات العامة . وتأكدت سلطة تلك المجموعة عندما دفعت عبدالناصر الى اصدار « قانون الاحكام العسكرية» عام ١٩٦٦ . وقد اعطى هذا القانون للقضاء العسكري اختصاصات واسعة على كل العلاقات الاجتماعية التي يكون العسكريون الحاليون او السابقون طرفاً فيها . ونتيجة لذلك استشرى نفوذ المؤسسة العسكرية الى درجة الحد من سلطات عبدالناصر في اتخاذ القرار الداخلي(١٥) . وقد اعترف عبدالناصر في خطابه في ٢٣ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٦٧ ـ بعد ان تمت تصفية تلك المجموعة ـ بأن المؤسسة العسكرية كانت تتحدى سلطاته وتعرقل قدرته على اتخاذ القرار .

ادى تدخل المؤسسة العسكرية في عملية اتخاذ القرار السياسي ، الى دخولها في صراعات مع القوى والمؤسسات السياسية في الدولة كافة ،بما في ذلك مؤسسة الرئاسة . ويؤكد صلاح نصر ان المؤسسة العسكرية والمخابرات العامة عطلتا في بعض الاحيان اوامر عبدالناصر ورفضتا بعض طلباته . ويضيف ان الصراع بين عبدالناصر وعامر قد شل من فاعلية جهاز اتخاذ القرار على مستوياته كافة(١٦) .

---

(١٥) يذكر البغدادي في مذكراته ان عبد الناصر اشتكى من ازدواج السلطة في الدولة بين القوات المسلحة والسلطة السياسية ، انظر : عبد اللطيف البغدادي ، مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، ٢ج (القاهرة : المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٧) ، ج ٢ ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ . كما يذكر انور السادات ان عبد الناصر اشتكى له من ان عامر ومجموعته العسكرية يصدرون القرارات وينفذونها بدون مراعاة للسلطات السياسية الرسمية ، انور السادات ، المصدر السابق، ص ٢١٥ ـ ٢٢٣ . بل ويضيف الى ذلك الفريق الحديدي ، مدير المخابرات الحربية آنذاك ، ان عامر هدد عبدالناصر صراحة بنفيه الى يوغوسلافيا ، وظل يؤكد له انه الوحيد في القوات المسلحة الذي يعمل على حمايته ، وان عبد الناصر كان يتوقع هذا النفي ، انظر : حمدي لطفي ، « هزيمة يونيو : حقائق عسكرية حجبوها ١٥ سنة ،» الوادي (حزيران / يونيو ١٩٨٢) ، ص ٢٨ .

(١٦) حسنين كروم ، صلاح نصر : الاسطورة والمأساة (القاهرة : مكتبة كمال الدين ، ١٩٧٦)، ص ٦٤ و ١١٨ ـ ١٢١ .

لم يتقبل بقية زملاء عامر وعبدالناصر من كبار الضباط الاحرار النفوذ المتزايد لعامر الذي شل من قدرتهم على التأثير الفعّال في عملية اتخاذ القرار . ولذلك ، استقال كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادي عامي ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ على التوالي احتجاجاً على سياسات التأميم ، والدور المتزايد لمجموعة عبد الحكيم عامر . وفي عام ١٩٦٦ ، استقال حسن ابراهيم ، احتجاجاً على تقلص سلطاته في عملية اتخاذ القرار .

من ناحية ثالثة ، نشأ صراع آخر بين المؤسسة العسكرية برئاسة عامر وبين التنظيم السياسي برئاسة علي صبري . فالمؤسسة العسكرية حاولت دائماً أن تثبت ان القوات المسلحة هي المؤسسة الوحيدة في مصر القادرة على حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية ، حتى انها تدخلت في ادارة بعض المشروعات الاقتصادية الباقية . اما التنظيم السياسي فقد دافع عن تسييس المجتمع من خلال مبادرات الاتحاد الاشتراكي العربي ، وحاول ان يمد تلك المبادرات الى القوات المسلحة ذاتها ، وهو الامر الذي قاومته المؤسسة العسكرية بشدة .

ادت كل هذه الصراعات الى اضعاف جهاز اتخاذ القرار السياسي ، وسيطرة روح الصراعات الشخصية والمؤسسية عليه ، وتعطيل عمل بعض اجهزة اتخاذ القرار الحيوية . وعلى سبيل المثال ، يؤكد الفريق اول محمد فوزي ، رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة في تلك الفترة ، ان « مجلس الدفاع الوطني » - اعلى سلطة سياسية - عسكرية في الدولة - لم يجتمع اطلاقاً في الفترة السابقة على حرب حزيران / يونيو[١٧] .

خامساً : نظام الاتصال داخل جهاز اتخاذ القرار

بالاضافة الى هذه الصراعات ، لم تكن هناك خطوط اتصال فعّالة بين اعضاء جهاز اتخاذ القرار ، وبالذات بين عبد الناصر والمؤسسة العسكرية والمخابرات ، سواء على مستوى نقل المعلومات الى الرئيس ، او مستوى تنفيذ قراراته . فأجهزة المخابرات لجأت الى اخفاء المعلومات غير السارة عن الرئيس[١٨] ، ومن امثلة ذلك المعلومات التي توافرت للمخابرات ومكتب المشير قبل الانفصال السوري عن توقيت الانقلاب . وفي بعض الاحيان ، بلغ نظام الاتصال من الضعف الى حد عدم القدرة على توصيل بعض المعلومات الاساسية . ويذكر الفريق الحديدي ، ان ، خلافاً للاعتقاد الشائع ، فإن الهجوم الاسرائيلي صباح ٥ حزيران / يونيو لم يبدأ بالضربة

(١٧) محمد فوزي ، « شهادة على حرب يونيو ، » الاخبار (القاهرة) ، ١٥ / ٦ / ١٩٧٧ .

(١٨) شهادة محمود الجبار ، مدير مكتب عبد الناصر ، كما جاءت في : ضياء الدين بيبرس ، الاسرار الشخصية لجمال عبد الناصر (القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٧٧) ، ص ٢٠ و ٣٤ . وستتضح هذه الصفة لجهاز اتخاذ القرار عندما ندرس القرار السوري عام ١٩٦١ .

الجوية ، وإنما بهجوم بري على موقع ام بسيس في الساعة السابعة والنصف صباحاً ، وان قيادة الموقع أرسلت برقية رمزية الى القيادة العامة في القاهرة تنبئها بالهجوم ، بيد ان البرقية لم تقرأ او ترسل الى الرئيس(١٩) . بالاضافة الى اخفاء المعلومات وتعطيلها ، فإن جهاز اتخاذ القرار فشل في بعض الاحيان في تنفيذ القرارات ، او نقلها لهؤلاء الذين سيقع عليهم عبء تنفيذها . ومن ذلك ان قرار عبد الناصر في القيادة العامة في ٢ حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ بالالتزام بالدفاع ، وتوقع ضربة جوية اسرائيلية في ٥ حزيران / يونيو ، لم ينفذ اطلاقاً(٢٠) .

سادساً : عبد الناصر : صانع قرار السياسة الخارجية

رغم كل هذه الضوابط على سلطة عبدالناصر في اتخاذ القرار ، الا ان عبد الناصر تمتع بسلطات شبه مطلقة في مجال اتخاذ قرار السياسة الخارجية . فنادراً ما تدخلت النخبة العسكرية في مناقشة او اتخاذ قرارات السياسة الخارجية . ويرجع ذلك الى سببين اساسيين اولهما: نقص الخبرة في الشؤون الخارجية ، كما ان السياسة الخارجية لم تكن مصدراً للمنافع المادية كما هو الحال في السياسة الداخلية(٢١) . ومن ثم فضلت النخبة العسكرية ان تركز على تقوية سلطاتها الداخلية تاركة لعبد الناصر اليد المطلقة في السياسة الخارجية . ومن ثم ، فإن « السياسة الخارجية كانت الى حد كبير امتداداً لشخصية عبدالناصر »(٢٢) .

وقد أدى ذلك الى نوع من الازدواجية في جهاز اتخاذ القرار . فهناك جهاز لاتخاذ القرار الداخلي تسيطر عليه النخبة العسكرية ، وآخر لاتخاذ القرار الخارجي يلعب فيه عبدالناصر الدور الرئيسي دون منازع .

سابعاً : عملية اتخاذ قرار السياسة الخارجية

اتسمت عملية اتخاذ قرار السياسة الخارجية في الفترة الناصرية بثلاث خصائص مهمة :

---

(١٩) صلاح الدين الحديدي ، شاهد على حرب ٦٧ (القاهرة : دار الشروق ، ١٩٧٤) ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ١٧٢ .

(٢١) Raymond William Baker, *Egypt's Uncertain Revolution under Nasser and Sadat* (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1978), p. 91.

(٢٢) Ralf Magnus, «The Foreign Policy of the Arab Republic of Egypt,» in: James N. Rosenau, Kenneth W. Thompson and Gavin Boyd, eds., *World Politics: An Introduction* (New York: Free Press, 1976), p. 229.

أ ـ الطابع غير الرسمي لعملية اتخاذ القرارات

فلم تكن هناك قواعد واضحة لاتخاذ القرار سواء على مستوى قمة جهاز اتخاذ القرار ، او مستوى الاجهزة المساعدة(٢٣) . وقد ترك ذلك لعبد الناصر مجالاً واسعاً لتحديد ابعاد وقواعد عملية اتخاذ القرار بنفسه .

ب ـ سيطرة نموذج الاختيار الرئاسي

الاختيار الرئاسي هو نموذج لاتخاذ القرار يحتفظ بمقتضاه صانع القرار الرئيسي بالمبادرة في اقتراح موضوعات المناقشة ، وتحديد مجموعة من البدائل امام اعضاء جهاز اتخاذ القرار لكي يدلوا بآرائهم فيها . وقد سيطر هذا النموذج على عملية اتخاذ القرار على مستوى قمة جهاز اتخاذ القرار ، وبالذات داخل المجموعة غير الرسمية التي تحدثنا عنها آنفاً . وقد عبّر عبدالناصر عن سيطرة هذا النموذج حينما قال في احد احاديثه الصحفية انه لا يفضل ان يترك لاجهزة اتخاذ القرار واللجان حرية اقتراح البدائل ، ولكنه يفضل ان يضع امامها بدائل محددة لكي تعقب عليها (٢ ايار / مايو عام ١٩٦٢) .

بيد ان « اللجنة الاستشارية » ـ بوصفها لجنة فنية بالاساس ـ كانت تقدم الى عبدالناصر توصيات وبدائل لابداء الرأي فيها(٢٤) . وهي البدائل التي كان عبد الناصر يأخذها الى جهاز اتخاذ القرار الرئيسي .

ج ـ عملية « التعزيز الايجابي » للبدائل الناصرية

يقصد بالتعزيز الايجابي Positive reinforcement ـ في هذا الصدد ـ ان اعضاء جهاز اتخاذ القرار يتجهون الى تأكيد البدائل التي يقدمها القائد ، او ما يتصورون انها البدائل التي يفضلها ، كما ان افراد المجموعة حين يعترضون على بعض بدائل القائد ، فإنهم يفعلون ذلك بشكل غير مباشر من خلال تقديم معلومات قد تؤثر على رأي القائد . ولكن بمجرد ان يرفض القائد اراءهم ، فإنهم يتوقفون على الفور عن ابداء اي وجهة نظر اخرى . وقد سيطر هذا النموذج على عمليات صنع كثير من قرارات السياسة الخارجية ، ومنها قرار اغلاق خليج العقبة في ايار / مايو عام ١٩٦٧ . فعبد الناصر طرح البديل في بداية المناقشات ووافق كل اعضاء مجموعة اتخاذ القرار ، ما عدا رئيس الوزراء الذي قدم معلومات عن اثر القرار على الاقتصاد المصري ، بيد انه لم

---

(٢٣) A[deed] I. Dawisha, *Egypt in the Arab World: The Elements of Foreign Policy* (London: Macmillan, 1976), pp. 121 - 123.

(٢٤) هويدي ، مع عبد الناصر ، ص ١٦ ـ ١٧ .

يثابر في تأكيد وجهة نظره . وفي بعض الاحيان ، كان اعضاء مجموعة اتخاذ القرار يرفضون ابداء وجهة نظر او تقديم بدائل مكتفين بالاحالة الى ما يراه عبد الناصر . وفي هذا الصدد يروي الاستاذ هيكل ان عبدالناصر طلب من الدكتور محمود فوزي وزير الخارجية آنئذٍ ان يبدي رأيه فيما اذا كان من الافضل ان يسافر الى الاتحاد السوفياتي للتشاور حول عملية الثورة العراقية التي قامت في ١٤ تموز / يوليو عام ١٩٥٨ او يواصل رحلته الى القاهرة ـ وكان عبدالناصر في طريقه من بريوني الى القاهرة عن طريق البحر . وبعد فترة تفكير قال الدكتور فوزي انه لا يستطيع ان يرجح اياً من البديلين « وأرى امانة ان القرار يجب ان يكون لك وحدك ، وان تطيع فيه شعورك الداخلي الذي تستمده من قوة احساسك بثقة الناس فيك »[٢٥] .

(٢٥) محمد حسنين هيكل ، « الوحدة على مستوى القمة والعذاب ، » الاهرام ، ٢٢ / ١ / ١٩٦٥ .

الفصل التاسع
قرار تأميم شركة قناة السويس عام ١٩٥٦

من المؤكد ان الازمة الدولية التي اندلعت في منطقة الوطن العربي في صيف عام ١٩٥٦ ، كانت منعطفاً رئيسياً في مراكز القوى العالمية في المنطقة ، وفي توجهات السياسة الخارجية المصرية في الفترة اللاحقة . ذلك انه نتيجة للازمة وما تلاها من نتائج ، شهد الوطن العربي تطوراً ثورياً هائلاً استمر على مدار الخمسة عشر عاماً التالية. وقد بدأت الازمة في ١٩ تموز / يوليو عام ١٩٥٦باعلان الولايات المتحدة الامريكية قرارها بسحب عرض تمويل مشروع السد العالي في مصر . وفي اقل من اسبوع رد على القرار الامريكي بقرار تأميم الشركة العالمية لقناة السويس في ٢٦ تموز / يوليو عام ١٩٥٦ .

اولاً : مقدمات الازمة

ترجع جذور ازمة صيف عام ١٩٥٦ الى مشروع السد العالي ، وقد كان المشروع مطروحاً قبل الثورة ، وفكر جمال عبدالناصر في تبني المشروع كجزء من خطة التنمية الاقتصادية . وقد تبنى عبدالناصر المشروع نظراً لمزاياه الاقتصادية العديدة ، ومنها انه يوفر كميات المياه التي تهدر في البحر المتوسط سنوياً ، ويوسع من نطاق الري الدائم في صعيد مصر ، ويمكن مصر من زراعة حوالى مليون وربع مليون فدان جديدة ، بالاضافة الى الطاقة الكهربائية التي تتولد نتيجة للمشروع . وقد قدرت تكاليف المشروع آنئذٍ بحوالى ١,٤ مليار دولار ، يجب توفير ثلثها على الاقل بالعملة الاجنبية[١] .

ولمواجهة مشكلة تدبير العملة الاجنبية المطلوبة ، استطلع عبد الناصر في البداية رأي

---

(١) Robert Henry Stephens, *Nasser: A Political Biography* (London: Allen Lane; Penguin, 1971), p. 170.

الولايات المتحدة وبريطانيا ، والبنك الدولي للانشاء والتعمير . وبعد ان قام البنك الدولي بعمل دراسة جدوى اقتصادية للمشروع ، وافق البنك على تمويل نصف المبلغ المطلوب من العملة الاجنبية ، كما وافقت الولايات المتحدة وبريطانيا على تمويل النصف الآخر(٢) . وفي ١٧ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٥ اعلنت بريطانيا والولايات المتحدة انهما سيسهمان في تمويل المرحلة الاولى من المشروع . بيد ان الدولتين وضعتا شروطاً لهذا التمويل كرفض مصر لأي مساعدة من الدول الشيوعية ، كما رفضتا الالتزام بالاسهام في تمويل المرحلة الثانية من المشروع . واضاف البنك الدولي شرطاً آخر يتعلق بادارة مالية الحكومة المصرية سواء بالنسبة للميزانية او ميزان المدفوعات .

رغم تشككه العميق في مغزى هذه الشروط ، فقد قرر عبدالناصر ان يقبل العرض الغربي من حيث المبدأ . ومن ثم ، توصل الى اتفاق مع يوجين بلاك ، مدير البنك الدولي ، في ٦ شباط / فبراير عام ١٩٥٦ حول حجم التمويل وشروط البنك . بيد ان اتفاق عبدالناصر ـ يوجين بلاك كان مشروطاً بالتوصل الى اتفاق مماثل مع بريطانيا والولايات المتحدة .

على الفور بدأت المفاوضات مع الدولتين للتوصل الى اتفاق نهائي لتمويل المشروع . فاشترطت الدولتان على مصر ان تنهي كل معاملاتها العسكرية مع الاتحاد السوفياتي ، وان تقبل التسوية السلمية مع اسرائيل ، كما أصرتا على تمويل المشروع لمدة عام واحد يجدد سنوياً . ورغم تلميحاته للغرب بأن الاتحاد السوفياتي على استعداد لتمويل المشروع ، فإن بريطانيا والولايات المتحدة رفضتا تعديل موقفهما ، بل واصرتا على عدم الالتزام بتمويل المشروع حتى انتهائه . ومن ثم فقد احس عبدالناصر ان قبول العرض الامريكي ـ البريطاني سيؤدي الى اعطاء الدولتين قوة ضغط هائلة عليه كلما حان موعد تجديد التمويل كل عام(٣) .

ومن ناحية اخرى ، تصاعد الخلاف السياسي بين عبدالناصر وبين كل من انتوني ايدن وجون فوستر دلاس . فعندما قام الملك حسين بطرد الجنرال غلوب قائد الفيلق الاردني ، شك ايدن في ان عبدالناصر هو الذي دبر هذا العمل . كذلك ، امتعض دلاس لاعتراف عبدالناصر بجمهورية الصين الشعبية في ايار / مايو عام ١٩٥٦ . ومن ثم قررت الدولتان سحب العرض الذي قدمتاه لتمويل السد العالي . وقد بنت بريطانيا والولايات المتحدة قرارها على أساس ان سحب العرض سيوقع الاتحاد السوفياتي في ورطة لأنه لن يقدر ـ في تقديرهما ـ على تمويل مشروع بهذه الضخامة ، كما أن سحب العرض سيكون درساً قاسياً للدول الحيادية

---

(٢) Anthony Nutting, *Nasser* (New York: Dutton, 1972), p. 130.

(٣) Mohamed [Hasanayn;] Heikal, *The Cairo Documents: The Inside Story of Nasser and His Relationships with World Leaders, Rebels and Statesmen* (New York:Doubleday, 1972), pp. 62-63.

التي تحاول ان تلعب على الصراع بين العملاقين ، واخيراً ، فإنه سيكون ضربة للعناصر الوطنية في الوطن العربي التي تحاول ان تتحدى النفوذ الغربي .

خلال هذه الفترة سرب احد الوزراء العراقيين لعبد الناصر محاضر اجتماع وزراء خارجية دول حلف بغداد الذي انعقد في طهران ، وتبين له من هذه المحاضر ان الولايات المتحدة وبريطانيا قررتا عدم تمويل المشروع ، حتى لو قبل كل شروطهما[٤] . ومن ثم ، فقد اصدر تعليماته الى احمد حسين السفير المصري في واشنطن بمقابلة دلاس وابلاغه انه قد قرر قبول الشروط الانكلو- امريكية . ويتضح من مناقشات عبدالناصر مع السفير ان عبد الناصر كان يعرف ان دلاس لن يفي بوعده ، حتى لو قبل كل شروطه .

في ١٧ تموز / يوليو عام ١٩٥٦ ، عاد السفير احمد حسين الى واشنطن ، وأعلن للصحافة ان مصر تنوي ان تقبل العرض الانكلو- امريكي ، كما طلب مقابلة عاجلة مع جون فوستر دلاس ، لابلاغه بقرار عبدالناصر. وفي اجتماع قصير بمقر وزارة الخارجية الامريكية في ١٩ تموز / يوليو ، سلم دلاس الى السفير احمد حسين مذكرة تعلن فيها الولايات المتحدة سحب العرض الامريكي . وفي اللحظة التي سلمت فيها المذكرة الى السفير المصري ، كانت نسخ منها توزع على الصحافة العالمية . وقد أسست المذكرة سحب العرض على ضعف الاقتصاد المصري ، وعدم قدرته على الوفاء بالتزامات التمويل . وبعد قليل اعلنت بريطانيا بدورها سحب عرضها .

تلقى عبدالناصر نبأ سحب العرض الامريكي اثناء سفره بالطائرة من بريوني الى القاهرة عقب المؤتمر الثلاثي الذي عقده مع تيتو ونهرو . كان اكثر ما أثار عبدالناصر في البيان الامريكي هو الاشارة الى ضعف الاقتصاد المصري ، مما اعتبره عبد الناصر ماساً بكرامة مصر ، وكما أعلن بعد عشر سنوات في خطابه في ٢٦ تموز / يوليو عام ١٩٦٦ - ان هذه الاشارة هي التي دفعته الى اتخاذ قرار برد الاهانة الامريكية .

قبل ان نتقدم لتحليل القرار الذي تلى سحب العرض البريطاني- الامريكي ، فإنه من الضروري ان نتوقف لكي نسترجع خصائص « النهج الاجرائي » لعبد الناصر في تلك الفترة.

ثانياً : « النهج الاجرائي » الناصري

يوضح استقراء النهج الاجرائي الناصري من خلال الاثني عشر شهراً السابقة على اتخاذ قرار تأميم شركة قناة السويس (٢٥ تموز / يوليو عام ١٩٥٥ - ٢٥ تموز / يوليو عام ١٩٥٦) ، ان خمس عقائد أساسية قد احتلت موقعاً مركزياً في هذا النهج : (١) عقيدته

(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٤

حول القوى الغربية الكبرى كالعدو الرئيسي لحركة التحرر العربي ، وتوقعاته لاحتمال ردود افعالها لسياسات التشدد والملاينة (العقائد ٨ ، ٩ ، ١٠ من عقائد المرحلة الاولى) . وقد أدت به هذه الصور والتوقعات الى الاعتقاد بأن الصمود والصلابة هما افضل استراتيجية للتعامل مع القوى الاستعمارية الغربية ؛ (٢) مفهومه لدور مصر في النظام الدولي كدولة مستقلة وتصميمه على مقاومة كل اشكال السيطرة الاستعمارية (العقيدة ١٥) ؛ (٣) عقيدته حول استراتيجية اختيار الاهداف . فاعتقاده في اختيار الاهداف القصوى دفعه الى اختيار البديل الذي يحقق اقصى منفعة ممكنة طالما أن درجة المخاطرة السياسية متساوية في كل الاحوال (العقيدتان : ٢٢ ، ٢٣) ؛ (٤) استعداده لتحمل بعض المخاطر المحدودة في سبيل صيانة وتدعيم مركز مصر الاستقلالي (العقيدة ٢٧) ؛ (٥) عقيدته حول ضرورة تجنّب استعمال القوة العسكرية ، وبالذات في التعامل مع اسرائيل (العقيدة ٣٣) .

عبّر عبدالناصر عن هذه العقائد في الخطب التي ادلى بها قبل اعلان قرار التأميم مباشرة . ففي خطابه في ١٩ ايار / مايو عام ١٩٥٦ ، انتقد عبدالناصر الشروط التي وضعتها بريطانيا والولايات المتحدة لتمويل السد العالي ، وعبّر عن اعتقاده أن الهدف من وضع هذه الشروط هو القضاء على استقلال مصر . وأضاف عبدالناصر انه لن يتسامح مع اي محاولة من القوى الغربية لوضع الاقتصاد المصري تحت وصايتها . وفي خطاب آخر القاه في ١٩ حزيران / يونيو عام ١٩٥٦ اكد مرة اخرى تصميمه على مقاومة الضغوط الغربية وحذر انه مستعد ان يقبل المساعدة من اي دولة تقدم تلك المساعدة بدون شروط ، مشيراً بذلك الى العرض السوفياتي . وفي الخطاب نفسه ، طالب بتكثيف النضال الوطني من أجل حماية الاستقلال مؤكداً ان نضال الشعوب هو عملية دائمة تستمر عبر الحياة كلها . وفي خطاب القاه قبل اعلان القرار بثمان واربعين ساعة ، عبر عبدالناصر عن غضبه للاشارة في البيان الامريكي الى ضعف الاقتصاد المصري ، واكد ان الولايات المتحدة وبريطانيا تحاولان النيل من السيادة المصرية ، وانه لن يسمح بذلك على الاطلاق . واستمر عبدالناصر مؤكداً تصميمه على بناء السد العالي ومواصلة التنمية الاقتصادية ، واختتم خطابه مؤكداً ان رده الذي سيعلن في ٢٦ تموز / يوليو سيحقق هدفين اساسيين : الاعتماد عل الذات في بناء السد العالي، وإفشال المخطط الامريكي ـ البريطاني للسيطرة على مصر سياسياً واقتصادياً .

ثالثاً : البدائل المتاحة

عندما علم عبدالناصر بقرار الولايات المتحدة بالنكوص عن وعدها ، كانت هناك امامه سبعة بدائل اساسية متاحة ، وهي بالتحديد[٥] :

---

(٥) محمد حسنين هيكل ، « كيف اجتمعت بريطانيا واسرائيل على طريق التواطؤ ثم العدوان ، » الاهرام ، ١٧ / ١٠ / ١٩٦٦ ؛
= James Dougherty, «The Aswan Decision in Perspective,» *Political Science Quarterly*, vol. 74, no. 1 (March

أ ـ القاء المسؤولية على اسرائيل ، والاستعداد للحرب .

ب ـ قطع العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا والولايات المتحدة .

ج ـ تأميم شركة قناة السويس تأميماً كاملاً .

د ـ تأميم ٥٠ بالمائة من دخل شركة قناة السويس.

هـ ـ البحث عن البديل السوفياتي .

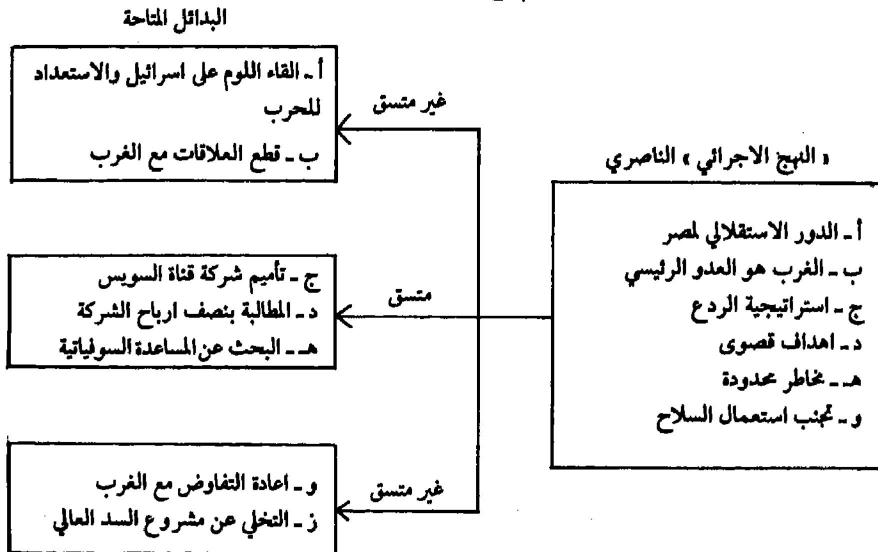
و ـ اعادة التفاوض مع بريطانيا والولايات المتحدة .

ز ـ التخلي عن مشروع السد العالي .

كما يتضح من الشكل رقم (٩ ـ ١) ، فإن كلاً من البديل « أ ، ب » لم يكن ليحقق لعبد الناصر اي مكسب بالنسبة لتمويل مشروع السد العالي ، بالاضافة الى ان البديل « أ» كان يتناقض مع العقيدة «و» المتعلقة بعدم استخدام القوة العسكرية ضد اسرائيل . كذلك فإن البديل «و» لم يكن من الممكن أن تكون له اي مصداقية بالنسبة لعقائد عبدالناصر لسببين :

شكل رقم (٩ ـ١)

اتساق البدائل المتاحة قبل قرار التأميم مع العقائد الناصرية



1959), pp. 21-45, and Michael C. Shupe et al., «Nationalization of the Suez Canal: A Hypergame Analysis,» = *Journal of Conflict Resolution*, vol. 24, no. 3 (September 1980), pp. 477-494.

١ ـ أنه كان متناقضاً مع عقيدة عبد الناصر وان استراتيجية « ادر خدك الايسر » من شأنها أن تزيد من عدوانية العدو . وفي حديث صحفي في ١٤ حزيران / يونيو عام ١٩٥٧ ، اكد عبد الناصر انه اتخذ قرار التأميم لأنه « لو قبل هذه الصفعة لتتابعت الصفعات » .

٢ ـ إن الطريقة التي أعلنت بها الولايات المتحدة وبريطانيا سحبهما لعروض التمويل، جعلت من المستحيل على عبد الناصر ان يفكر في البديل ما لم يكن مستعداً للتنازل عن العقيدة « أ » او المساومة عليها على الاقل . من ناحية اخرى ، فإن البديل «س» لم تكن له اي مصداقية لأن عبدالناصر كان ملتزماً التزاماً كاملاً ببناء السد العالي كجزء من برنامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، الذي هو بدوره اساس جوهري لمشروعية نظامه .

من ثم ، فإن عبد الناصر وجد نفسه في الواقع امام ثلاثة بدائل كلها متسقة مع عقائده : التأميم الكامل لشركة القناة ، التأميم الجزئي للشركة ، البحث عن التمويل السوفياتي . والواقع ان قراره النهائي كان مزيجاً من هذه البدائل الثلاثة . فقد قرر عبد الناصر ان يؤمم شركة قناة السويس ، وفي الوقت نفسه فتح باب التفاوض مع الاتحاد السوفياتي .

رابعاً : عبد الناصر وقناة السويس

الواقع ان قرار تأميم شركة قناة السويس لم يكن مجرد رد فعل لسحب عرض تمويل السد العالي . فيؤكد عبداللطيف البغدادي ، نائب عبدالناصر ، ان فكرة التأميم كانت في ذهن جمال عبد الناصر منذ أن قامت الثورة[٦] ، كما ان عبد الناصر كان قد اعلن في ١٧ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٤ انه ينوي عدم تمديد امتياز الشركة بعد انتهاء فترة الامتياز عام ١٩٦٨ . ففي هذا الخطاب تحدث عبدالناصر عن قناة السويس كأحد « الاسباب الرئيسية التي دفعت بالاستعمار الى احتلال بلادنا » . كما أعلن « بداية الفترة التي تمهد لتسلم مصر مرفق قناة السويس بعد انتهاء مدة الامتياز والقيام على ادارته واستقلاله » ، واكد انه يبدأ من الآن فترة التمهيد لتسلم مرفق القناة بعد انتهاء فترة الامتياز :

« واذا كنا نبدأ هذه الفترة من الآن ، فلكي نتقي الوقوع من جديد في اخطاء الماضي عندما كانت المشاكل تفاجئنا ونحن عاجزين ، واتباعاً لمنطق التبصر والحكمة ، وهما يقتضيان بالتمهيد ليوم انتهاء الامتياز باجراء الدراسات اللازمة واعداد العدة لمواجهة المشاكل الدقيقة التي تلازم ادارة هذا المرفق» .

بيد ان تفكير عبدالناصر في القناة بدأ قبل هذا الاعلان الرسمي . اذ انه في تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٥٢ ، دعا الدكتور مصطفى الحفناوي ، احد المتخصصين في شؤون قناة

---

(٦) عبد اللطيف البغدادي ، مذكرات عبد اللطيف البغدادي، ٢ج (القاهرة : المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٧) ، ج١ ، ص ٣١٨ .

السويس ، لالقاء محاضرة في الموسم الثقافي للقوات المسلحة عن قناة السويس . كما انشأ « مكتب قناة السويس » كجهاز تابع لمجلس الوزراء تكون مهمته اعداد الدراسات عن القناة ، كما صدرت تعليمات الى ادارة التعبئة العامة للقوات المسلحة ـ بتوصية من عبدالناصر ـ للاهتمام بشؤون القناة ، والى المخابرات المصرية بالحصول على معلومات تثبت تدخل شركة القناة في الشؤون الداخلية لمصر مستغلة الاموال التي تتدفق عليها من عوائد المرور . وقد تبين من تلك المعلومات ان الدخل الحقيقي للشركة يفوق الدخل الذي كانت تخطر به الحكومة المصرية(٧) .

في ذلك الوقت كانت الحكومة المصرية تحصل على ٧ بالمائة من ارباح الشركة ، وعندما طلب عبدالناصر من الشركة زيادة نصيب مصر من الارباح في عام ١٩٥٥ ، اشترطت الشركة تمديد امتيازها لما بعد عام ١٩٦٨ كشرط رئيسي لبدء المفاوضات حول هذا الموضوع . بيد ان عبد الناصر رفض هذا الشرط ، ولم يتوصل لاكثر من الحصول على موافقة الشركة على توظيف عدد اكبر من المرشدين المصريين ، وعلى ان تستثمر في مصر حتى نهاية عام ١٩٦٣ ما يوازي ٤٤,٨ مليون دولار . وفي مقابل ذلك اصدرت الحكومة المصرية قانوناً يعفي الشركة من بعض قيود تحويل العملة الاجنبية ومن بعض الضرائب . والواقع ان هذه المفاوضات كانت حاسمة في اقناع عبد الناصر في ضرورة انهاء امتياز الشركة في خلال فترة تتراوح ما بين عام وثلاثة اعوام(٨) .

عندما بدأت المفاوضات مع بريطانيا والولايات المتحدة لتمويل مشروع السد العالي في التعثر ، بدأت فكرة التأميم تظهر في تفكير عبدالناصر . ولهذا ، فإنه في ايار / مايو عام ١٩٥٦ ، استدعى فؤاد هلال ، ضابط المخابرات المصرية المسؤول عن منطقة القناة ، وطلب منه ان يقدم له تقدير الموقف حول النتائج الممكن ان تترتب على تأميم شركة القناة ، كما طلب من ثروة عكاشة ، نائب رئيس المخابرات ، ان يعد بعض الدراسات عن تأميم الشركة(٩) .

خامساً : عملية اتخاذ قرار التأميم

من هذا العرض يتضح ان عبد الناصر كان يفكر في موضوع تأميم شركة قناة السويس ، قبل اعلان القرار بعام ونصف عام على الاقل . ولم يكن النكوص الامريكي والبريطاني عن تمويل مشروع السد العالي ، والطريقة المهينة التي اعلن بها هذا النكوص ، سوى الحافز الذي دفع بعبد الناصر الى اختيار هذا البديل نهائياً ، كما قال عبد الناصر نفسه في حديث صحفي في ١٢ آب / اغسطس عام ١٩٥٦ .

---

(٧) احمد حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، ج ٢ : مجتمع جمال عبد الناصر (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٥) ، ص ٨٨ ـ ٨٩ .

(٨) Kenneth Love, *Suez, the Twice Fought War: A History* (London: Longman, 1970), pp. 159-160.

(٩) حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، ج٢ : مجتمع جمال عبد الناصر ، ص ٨٩ .

أ ـ حسابات عبد الناصر

في الفترة ما بين ١٩ تموز / يوليو و ٢١ تموز / يوليو عام ١٩٥٦ توصل عبد الناصر الى مجموعة من المسلمات التي يجب ان يتأسس عليها اي قرار : (١) لا بد من بناء السد العالي ؛ (٢) قناة السويس يجب ان تلعب دورها في تمويل مشروع السد ؛ (٣) انه من غير المنطقي تأميم نصف ارباح الشركة لأن مخاطر التأميم الجزئي تتساوى تقريباً مع مخاطر التأميم الكامل ؛ (٤) الرد المصري على الاهانة الامريكية ـ البريطانية يجب ان يكون مساوياً لها ، حاداً ومهيناً ايضاً ؛ (٥) ان اعادة فتح باب التفاوض مع الغرب حول تمويل مشروع السد سيعني ان مصر قد قبلت الاهانة الامريكية ـ البريطانية ، كما أنه سيؤدي الى مزيد من الصفعات[١٠] .

استناداً الى هذه المنطلقات ، بدأ عبد الناصر في حساب المخاطر التي يمكن أن تترتب على تأميم شركة القناة . بدأ عبدالناصر بحساب احتمالات التدخل البريطاني العاجل ، فطلب من المخابرات المصرية الحصول على معلومات عن توزيع القوات البريطانية في منطقة الشرق الاوسط ، وقد حصلت المخابرات المصرية ـ من خلال صلاتها بمنظمة ايوكا القبرصية ـ على معلومات تفيد بوجود لواءين مشاة وثلاث كتائب مظليين بريطانيين في قبرص ، كلها منشغلة بقمع حركة ايوكا ، بالاضافة الى سربين جويين . كذلك ، حصلت المخابرات المصرية على معلومات عن توزيع القوات البحرية والبرية البريطانية في مالطة وعدن ، واكدت ان الفرقة المدرعة العاشرة مقسمة بين ليبيا والاردن ، وان حكومتي الدولتين لن تسمحا باستعمال الفرقة ضد مصر . وما عدا ذلك ، فإن اقرب قوات بريطانية في المنطقة موجودة في بريطانيا ذاتها[١١] . وقد اكدت هذه المعلومات لعبد الناصر ان احتمال التدخل البريطاني العاجل محدود الى حد كبير .

اما الخطوة التالية فكانت حساب احتمال ردود افعال الدول الغربية لقرار التأميم . فقام عبد الناصر بكتابة « تقدير موقف من وجهة النظر الغربية في حالة تأميم شركة قناة السويس » . وفي هذا التقدير حاول عبد الناصر ان يجيب عن اربعة اسئلة : ماذا سيفعل ايدن ؟ ماذا سيفعل موليه ؟ ماذا سيفعل دلاس ؟ وهل تستغل اسرائيل الفرصة ؟ حاول عبدالناصر ان يضع نفسه في مركز ايدن ، وان يتنبأ باحتمالات ردوده على قرار التأميم من خلال تقدير منهج ايدن في حساب المخاطرة السياسية . فأكد ان ايدن قد يحاول استعمال القوة العسكرية ضد مصر ، ولكنه قد لا يستطيع تعبئة العدد الكافي من القوات قبل مرور شهرين . وفي هذه الحالة ، فإن ايدن سيواجه خيارين : الاول ، ان يجرد حملة عسكرية سريعة على مصر ، والثاني ، ان ينتظر حتى يعبىء قواته . في الحالة الاولى ، فإنه سيكون من الممكن هزيمة القوات الغازية ، اما اذا

---

(١٠) هيكل ، « كيف اجتمعت بريطانيا واسرائيل على طريق التواطؤ ثم العدوان ، » .

(١١) Love, *Suez, the Twice Fought War: A History*, pp. 334-335.

انتظر ، فإنه سيكون من المستحيل عليه شن الحملة العسكرية لأن الدبلوماسية المصرية سيمكنها في خلال هذه الفترة تعبئة الرأي العام العالمي ضد مشروع الغزو . ومن المهم ان عبد الناصر قد استبعد فرنسا والولايات المتحدة من حساباته . فقد قدر ان فرنسا مشغولة بقمع الثورة الجزائرية ، وان الولايات المتحدة لن تشترك في اي عمل عسكري ضد مصر ، اللهم الا من خلال الضغط الاقتصادي . كذلك فقد استبعد عبدالناصر احتمال التواطؤ البريطاني ـ الاسرائيلي ، وبنى استبعاده لهذا الاحتمال على ان ايدن لن يجرؤ على تحطيم مكانة بريطانيا التقليدية في العالم العربي من خلال التعاون مع اسرائيل في عمل عسكري ضد مصر[١٢] . وقد كان عبد الناصر مقتنعاً بهذا التقدير الى حد انه عندما اخطره خالد محيي الدين في ايلول / سبتمبر عام ١٩٥٦ بأن بريطانيا وفرنسا تخططان لغزو مصر بالتواطؤ مع اسرائيل ، رفض تصديق هذه المعلومات بدعوى انها معلومات مسربة اليه لدفعه الى القيام بعمل طائش ضد اسرائيل[١٣] .

اما الخطوة الاخيرة في حساب قرار التأميم ، فكانت استكشاف مدى استعداد الاتحاد السوفياتي لتمويل مشروع السد العالي ، في ضوء القرار الامريكي ـ البريطاني . ورغم ان السوفيات لم يعلموا بقرار التأميم ، الا انهم ابدوا استعدادهم لتمويل المشروع ، من حيث المبدأ[١٤] .

بيد ان عبدالناصر ، وجد ان قرار التأميم ينطوي على مخاطرة وحيدة ، وهي احتمال تجميد ارصدة مصر في المؤسسات المالية الغربية . ولهذا ، طلب من الدكتور القيسوني ، وزير المالية المصري آنئذٍ ، تحويل اكبر قدر ممكن من الارصدة المصرية من البنوك البريطانية والامريكية والفرنسية الى البنوك السويسرية .

يتضح من ذلك ان قرار التأميم كان متوافقاً مع بعض العقائد الاساسية في النسق العقيدي لعبدالناصر . فهو من ناحية يمثل رداً قوياً على الاهانة البريطانية الامريكية ، كما أنه من ناحية ثانية خطوة لتأكيد الدور الاقتصادي الاستقلالي العالمي لمصر ، كما انه اخيراً قرار ينطوي على مخاطرة محدودة :

« بدا القرار مأمون العواقب الى درجة كافية ، ليس فقط بالنسبة لتأميم شركة القناة والانتفاع بأرباحها في بناء السد ولكن للقيام بانقلاب سياسي درامي يرد الاهانة التي وجهها اليه دلاس ووزارة الخارجية البريطانية »[١٥] .

---

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣٦ ـ ٣٣٧ ، وهيكل ، المصدر نفسه .
(١٣) البغدادي ، مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، ج١ ، ص ٣٢٧ .
(١٤) المصدر نفسه ، ص ٣٢٧ .
(١٥) Love, *Suez, the Twice Fought War: A History*, pp. 336-337.

ب ـ مشاورات عبد الناصر

ابتداء من ٢١ تموز / يوليو عام ١٩٥٦ ، بدأ عبدالناصر يتوصل الى قناعة كافية بأن قرار التأميم ينطوي على مخاطرة محدودة . ومن ثم ، قرر ان يؤمم شركة قناة السويس . وفي ٢٣ تموز / يوليو ، التقى بثلاثة من كبار معاونيه هم : اللواء عبد الحكيم عامر ، وزكريا محيي الدين ، وعبد اللطيف البغدادي واخطرهم بأنه « ينوي » ان يؤمم شركة القناة ولم يخطرهم بأنه قد اتخذ القرار فعلاً ، وانه قد بدأ في تنفيذه . وقد وافق زكريا محيي الدين والبغدادي مع عبد الناصر على ان احتمال التدخل البريطاني لا يتعدى ٤٠ بالمائة وان التأميم هو « مخاطرة محسوبة »[١٦] . بيد ان عبد الحكيم عامر ، القائد العام للقوات المسلحة آنئذٍ ، قدم اقتراحاً بديلاً وهو المطالبة بالحصول على ٥٠ بالمائة من ارباح الشركة . وقد رفض عبدالناصر هذا الاقتراح ، وبنى رفضه على ثلاثة اسباب :

١ ـ ان شركة القناة ستطلب مقابل ذلك تمديد امتيازها الى ما بعد عام ١٩٦٨، وهو ما لن يقبله عبدالناصر .

٢ ـ ان المخاطر الناشئة عن اجبار الشركة على دفع ٥٠ بالمائة من ارباحها لمصر تتساوى تقريباً مع مخاطر التأميم الكامل .

٣ ـ ان الحصول على ٥٠ بالمائة من ارباح الشركة لن يكون كافياً لبناء مشروع السد العالي[١٧] .

كذلك ، استشار عبدالناصر الدكتور مصطفى الحفناوي ، احد كبار الخبراء في شؤون قناة السويس واحد كبار المطالبين بتأميم الشركة ، ولكن الدكتور الحفناوي اعترض على التأميم مؤكداً انه في الظروف الراهنة سيعني كارثة محققة، وانه ينطوي على مخاطرة كبيرة بدفع بريطانيا وفرنسا الى غزو مصر عسكرياً[١٨] .

اما بالنسبة لانور السادات ، فإن عبد الناصر لم يستشره او يخطره بالقرار قبل اعلانه . وعندما عاد عبدالناصر من الاسكندرية بعد اعلان القرار ابلغه السادات باعتراضه على القرار

---

(١٦) حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، ج٢ : مجتمع جمال عبد الناصر ، ص ٩١ .

(١٧) البغدادي ، مذكرات عبد اللطيف البغدادي، ج١ ، ص ٣٢٨ . ويذكر صلاح نصر ، نائب رئيس المخابرات العامة آنذاك ، ان عبد الناصر ابلغ عامر بقرار التأميم وهما في القطار في طريقهما الى الاسكندرية يوم ٢٥ تموز / يوليو عام ١٩٥٦ ، وان عامر قد احتج على عدم استشارته قبل اتخاذ القرار لمعرفة « ما اذا كانت القوات المسلحة قادرة على حماية هذا القرار » ، انظر : حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، ج ٤ : شهود ثورة يوليو (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٧) ، ص ١٨٨ .

(١٨) حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، ج٢ : مجتمع جمال عبد الناصر ، ص ٩٣ .

قائلاً : « لو سألتني كنت حاأقول حاسب ، لأن هذه الخطوة معناهـا الحرب ، واحنـا مش جاهـزين . دا احنا لسه واخدين السلاح من روسيا »[١٩] .

من الـواضح اذاً ان العنصـر الرئيسي في اتخـاذ القرار او رفضـه كان تقـدير احتمـالات المخاطرة السيـاسية ومنهـج حساب تلك المخـاطرة . فعبـدالناصـر كان مستعـداً لقبول مخـاطر محدودة ، وقد بدا له القرار كبديل محدود المخاطر . اما السادات فلم يكن مستعداً لقبول تلك المخاطر ، وبدا له القرار كبديل ينطوي على مخاطر جسيمة .

سادساً : عبد الناصر واستراتيجية حساب نتائـج المخاطـرة

إذا كان عبد النـاصر قـد قرر ان يؤمم شـركة قنـاة السويس كبـديل محـدود المخاطـر ، فكيف تعامل مع تلك المخاطر؟ بمعنى كيف حاول ان يحد من نتائجها السلبية بالنسبة لعلاقات مصر الدولية ؟

سبق ان أوضحنا أن استراتيجية عبد النـاصر في الحـد من المخاطـر الناشئـة عن العمل السياسي هي الحد من الادوات والموارد المستعملة في مثل هذا العمل ، مـع التمسك بـالقرار الاساسي . إن مدلول هذه الاستراتيجية ـ في هذا السياق ـ هو عدم التراجع عن قـرار التأميم مـع تقـديم تنـازلات للطرف الآخـر يهـدف الى منعـه من اللجـوء الى العمـل الـذي يتصـور عبدالناصر انه مصدر المخاطرة .

وتطبيقاً لهذه الاستـراتيجية ، بـدأ عبدالنـاصر ، فـور اعلان قـرار التأميم ، في تقـديم سلسلة من التنازلات للغرب بهدف منعه من اللجوء الى القوة العسكرية . اعلن عبـدالناصـر انه ينوي ضمان حريـة الملاحـة في القناة واقتـرح عقد مؤتمـر دولي تحضره الـدول الموقعـه على اتفاقية القسطنطينية لعام ١٨٨٨ لتعديل الاتفاقية . كـذلك لم يصـر عبدالنـاصر على ان تقوم الادارة المصرية الجديدة بتحصيل رسوم عبور السفن للقناة ، اذ انـه سمح للسفن البـريطانيـة والفرنسية بالعبور حتى بعد ان رفضت بريطانيا وفـرنسا دفـع رسوم العبـور للادارة المصـرية . ومن ناحية اخرى ، اكد عبدالناصر ان الحكومة المصرية ستعوض المساهمين في شركة القنـاة ، وابدى استعداده للدخول في اتفاق تعـاقدي مـع الدول المنتفعـة بالقنـاة حول رسـوم العبور . بالاضافة الى ذلك ، قبـل مقترحـات سلوين لويـد ، وزير خـارجية بـريطانيـا ، حول تسـوية

---

(١٩) انـور السـادات ، البحث عن الـذات : قصـة حيـاتي (القـاهـرة : المكتب المصـري الحـديث ، ١٩٧٧) ، ص ١٨٨ .

الازمة الناشئة عن تأميم شركة القناة . واخيراً ، اوقف عبد الناصر كل الاعمال الفدائية ضد اسرائيل منعاً لتصعيد الموقف[٢٠] .

بيد ان الحكومتين البريطانية والفرنسية رفضتا كل الاقتراحات والتنازلات التي قدمها عبد الناصر : فالمشكلة الرئيسية بالنسبة لهما كانت من يحكم قناة السويس ، عبد الناصر ام الغرب . ومن ثم بدأت الحكومتان تخططان سراً لشن حملة عسكرية على مصر بالتعاون مع اسرائيل، في الوقت الذي كان عبد الناصر يتصور فيه ان استراتيجيته قد نجحت فعلاً في منع الغزو البريطاني ـ الفرنسي . لذلك ، رفض ان يصدق انباء الغزو البريطاني ـ الفرنسي بالتواطؤ مع اسرائيل ـ خلافاً لحساباته السابقة ـ الا بعد ان حدث الغزو فعلاً ، ورأى بعينيه الطائرات البريطانية تقصف مطارات القاهرة .

سابعاً : نتائج التحليل

يتضح من التحليل السابق لقرار تأميم شركة قناة السويس ان القرار كان وارداً في تفكير عبد الناصر قبل اعلانه بفترة طويلة ، وان تحدي بريطانيا والولايات المتحدة السافر لمشروعية نظام عبد الناصر في ١٩ تموز / يوليو ، كان هو الحافز الذي دفعه الى اتخاذ القرار . كذلك ، فالقرار بدا متوافقاً مع الحافز ومع العقائد الاساسية لعبد الناصر ، وقد اوضحت مقارنة عقائد عبدالناصر والسادات حول المشكلة نفسها ان عقيدتها عن حساب المخاطرة السياسية كانت حاسمة في اختيار البديل. واخيراً ، فإن المعلومات التي اتيحت لعبدالناصر عن الاطراف الاخرى ، جاءت متسقة الى حد كبير في عقيدته حول امكانية قبول مخاطرة محدودة .

---

(٢٠) Stephens, *Nasser: A Political Biography*, pp. 207-213, and Nutting, *Nasser*, pp. 148-151.

الفصل العاشر

القرار السوري عام ١٩٦١

ربما كان يوم ٢٨ ايلول / سبتمبر عام ١٩٦١ هو اطول يوم في التاريخ السياسي لجمال عبد الناصر . فأزمة العشرين ساعة التي بدأت في السادسة من صباح ذلك اليوم وانتهت عند منتصف الليل ، لم تلحق فقط ضربة قاصمة بحركة التحرر العربي ظهرت آثارها في حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ ، ولكنها ايضاً اثرت تأثيراً سلبياً على صحة عبد الناصر بشكل لم يبرأ منه حتى وفاته عام ١٩٧٠ .

بدأت الازمة في السادسة من صباح ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١ حينما قامت مجموعة من الضباط السوريين بانقلاب عسكري لفصل سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة . وخلال هذه الازمة اتخذ عبدالناصر قراراً حاسماً بعدم استخدام القوة العسكرية لاخماد الانقلاب السوري وترك الامر للسوريين ليقرروا مصيرهم بأنفسهم .

اولاً : مقدمات الازمة

كان عبدالناصر اول رئيس دولة مصري يعترف بهوية مصر العربية ويؤكدها في دستور الدولة . وقد أسهم التأييد العربي لمصر ابان العدوان الثلاثي في تعزيز اقتناعه بأن التعاون الوثيق مع البلدان العربية مسألة حيوية بالنسبة لأمن مصر . كذلك فقد تصور عبد الناصر ان الهدف العربي النهائي هو توحيد العرب . بيد انه تصور ايضاً ان هذا التوحيد سيتحقق فقط من خلال عملية تدرجية ـ وظيفية طويلة تنتهي بالوحدة السياسية .

ومن ثم ، فقد رفض عبدالناصر المطلب الذي تقدم به بعض الساسة السوريين ابتداء من عام ١٩٥٥ ، لتوحيد سورية ومصر . كانت وجهة نظر عبدالناصر انه من الافضل البدء

بالتعاون الاقتصادي والثقافي والعسكري من خلال الاتفاقات الثنائية ، او من خلال جامعة الدول العربية ، كخطوة تمهيدية نحو الوحدة[١] .

ابتداء من اواخر عام ١٩٥٧ ، بدأ الموقف السياسي في سوريا يتدهور بسرعة ، نتيجة تفاقم الصراع بين الاحزاب السياسية السورية ، والتدخل الاجنبي في شؤون سوريا . فحزب البعث كان يدافع عن العروبة والاشتراكية ، بينما كان حزب الشعب يطالب بالوحدة مع العراق بتأييد من الغرب ، والحزب الشيوعي السوري ينادي بتوثيق العلاقات مع الاتحاد السوفياتي ، في الوقت الذي كان فيه الرئيس السوري شكري القوتلي يحاول توثيق علاقاته مع السعودية . ولم تستطع اي من تلك القوى السياسية ان تحصل على اغلبية برلمانية تمكنها من تنفيذ سياساتها ، مما ادى الى حالة من الفوضى السياسية . بالاضافة الى ذلك ، اكتشفت المخابرات السورية مؤامرة امريكية هدفها اقامة حكومة موالية للغرب في سوريا[٢] .

ونتيجة لهذه التهديدات ، ولظهور عبد الناصر كقائد لحركة التحرر العربي ، جدد قادة حزب البعث اقتراحهم لعبدالناصر بادماج سوريا ومصر تحت قيادته . بيد ان عبدالناصر اوضح لهم ان مثل هذه الوحدة تحتاج الى فترة تمهيدية لا تقل عن خمس سنوات .

في شباط / فبراير عام ١٩٥٨ ، حضر الى القاهرة وفد عسكري مكون من حوالى ٢٠ ضابطاً سورياً دون اخطار حكومتهم ، وذلك في محاولة اخيرة لاقناع عبد الناصر بقبول الوحدة . وقد اوضح الضباط لعبد الناصر ان سوريا على حافة الفوضى السياسية ، وان الحل الوحيد لانقاذها هو الوحدة مع مصر . وامام هذا الضغط قدم عبد الناصر مطلبين مقابل قبول الوحدة هما حل الاحزاب السياسية السورية وابعاد الجيش عن السياسة . قبل الضباط السوريون ، وبعدهم كل القوى الوطنية السورية ، المطلبين ، ومن ثم اصبح الطريق مفتوحاً لتوحيد مصر وسوريا . وفي ٢٢ شباط / فبراير عام ١٩٥٨ وقعت في القاهرة اتفاقية تكوين الجمهورية العربية المتحدة كدولة موحدة ، وانتخب عبدالناصر ـ بما يشبه الاجماع ـ رئيساً للدولة الجديدة .

قد لا يكون من المبالغة ان نقول ان الوحدة المصرية ـ السورية بدأت في الانهيار بمجرد اعلانها . فكل جيران سوريا ، والقوى الكبرى لم تتقبل فكرة الوحدة بين مصر وسوريا ، ورأت فيها امتداداً غير مقبول لنفوذ عبدالناصر ، حتى ان النظام السعودي حاول منع اعلان الوحدة عن طريق رشوة بعض الضباط السوريين لتدبير انقلاب مضاد . اضف الى ذلك ، ان بعض سياسات عبد الناصر في سوريا ادت الى نفور كثير من القوى السياسية من قضية الوحدة . ومن تلك السياسات نذكر بالتحديد حل الاحزاب السياسية وادماجها في تنظيم

---

(١) Anthony Nutting, *Nasser* (New York: Dutton, 1972), pp. 204-205.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١١ .

فضفاض باسم « الاتحاد القومي » ، والاصلاح الزراعي والتأميم اللذان اضرا بمصالح البورجوازية السورية . كما أن ممارسات عبد الحكيم عامر ومجموعته العسكرية في سوريا ادت الى شعور كثير من الضباط السوريين بالغربة . وازدادت الامور سوءاً حينما عين عبدالناصر عبد الحميد السراج ، اقوى رجاله في سوريا ، نائباً له في القاهرة . وبذلك فقد عبدالناصر آخر قوة سياسية مؤيدة له في سوريا .

من هنا ، كان المناخ العام في سوريا مهيأً لحدوث انقلاب عسكري . وسرعان ما استغل النظامان السعودي والاردني الفرصة بدفع ٣٧ ضابطاً من ضباط الجيش الاول السوري الى شن انقلاب عسكري في ٢٨ ايلول / سبتمبر عام ١٩٦١ هدفه فك الوحدة المصرية ـ السورية[٣] .

قبل تحليل القرار الذي اتخذه عبدالناصر في مواجهة هذا الموقف ، سنستعرض عقائد « النهج الاجرائي » الناصري ذات العلاقة بعملية اتخاذ القرار .

ثانياً : « النهج الاجرائي » الناصري

يمكن تحديد اربع مجموعات من العقائد السياسية اثرت في قرار عبدالناصر بعدم استعمال القوة لاخماد الانقلاب العسكري السوري ، وهي بالتحديد :

١ ـ تقديره لاحتمالات ردود العدو على سياسات التساهل والتشدد . فعبدالناصر كان يعتقد ان العدو لن يتراجع الا اذا ووجه بسياسة صلبة متشددة ، كما انه سيحاول استغلال الموقف للحصول على مزايا جديدة اذا ووجه بسياسة متساهلة . ومن ثم، فعبدالناصر كان يصر على رفض التفاوض مع العدو الا من موقع القوة (عقائد ٢٥ / ٢٦ من عقائد الفترة الثانية) .

٢ ـ رفضه للمساومة حول ما يعتبره الهدف الاقصى ، فعبدالناصر كان يرفض ما يسميه « انصاف الحلول » ، وبالذات اذا تعلقت تلك الحلول بالاهداف القومية الاساسية . وكان يبني منطقه على اساس ان قبول « انصاف الحلول هو بداية الطريق نحو التراجع الكامل » (عقائد ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ من عقائد الفترة الثانية) .

---

(٣) قامت السعودية بتمويل الانقلاب بينما اشرفت المخابرات الاردنية على عملية التنسيق . فعندما قابل عبدالناصر الملك سعود في القاهرة في كانون الثاني / يناير عام ١٩٦٤ اثناء مؤتمر القمة العربي الاول ، سأله عبد الناصر : « هل صحيح انك دفعت في مؤامرة الانفصال سبعة ملايين جنيه » ورد الملك قائلاً : « طال عمرك ١٢ مليون وليس سبعة ملايين » ، انظر : فؤاد مطر ، بصراحة عن عبد الناصر : حوار مع محمد حسنين هيكل ، ط ٢ (بيروت : دار القضايا ، ١٩٧٥) ، ص ١٥٠ .

٣ ـ منهجه لتحقيق التكامل العربي . ان احدى العقائد الاساسية في الوثائق الناصرية ـ وبالذات في الفترة السابقة على الانقلاب مباشرة ـ كانت التأكيد على ان التكامل العربي هو عملية اختيارية تتطلب « اجماع » القوى السياسية لأي بلد عربي يطلب الوحدة . (العقيدة ٦٢ من عقائد الفترة الثانية) .

٤ ـ اعتقاده في ضرورة تجنب استعمال القوة العسكرية في العلاقات العربية . فقد اصر عبدالناصر على ان الوحدة العربية يجب ان تتحقق بالطرق السلمية ، وعدم اللجوء الى القوة العسكرية في التعامل مع البلدان العربية (عقيدة ٨١ من عقائد الفترة الثانية) .

ثالثاً : البدائل المتاحة

الواقع ان اندلاع ونجاح الانقلاب الانفصالي السوري يمثل حالة نموذجية للدور الذي لعبه النسق العقيدي لجمال عبدالناصر في تجاهل المعلومات المؤكدة عن الانقلاب التي جاءت قبل قيامه ، كما أنه مثال لانهيار خطوط الاتصال بين شتى اجزاء جهاز اتخاذ القرار في الفترة الناصرية .

تلقى عبدالناصر ونائبه المشير عامر قبل الانقلاب ، معلومات مؤكدة ان هناك علامات تشير الى احتمال حدوث انقلاب في سوريا . بيد ان عبد الناصر كان واثقاً من تأييد الشعب السوري الى الحد الذي دفعه الى رفض تلك المعلومات[٤] . كذلك فقد تلقى امين شاكر ، مدير مكتب عبدالناصر سابقاً ، معلومات عن احتمال حدوث انقلاب . وقام امين شاكر بنقل المعلومات الى عامر في دمشق ، الذي رفض تلك المعلومات وطرده من مكتبه . ازاء ذلك قام امين شاكر بنقل المعلومات الى عبد الناصر نفسه ، بيد ان عبد الناصر بدوره لم يصدق تلك المعلومات[٥] .

كذلك تلقى عبد الحكيم عامر معلومات من ثلاثة مصادر مختلفة عن احتمال وتوقيت الانقلاب . فقد اطلعه احمد كامل في كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٥٩ ، قائد وحدة الدفاع الجوي في حلب آنئذٍ على معلومات عن احتمال حدوث تحرك عسكري مضاد في سوريا . ولكن المشير عامر رد عليه بأن تلك المعلومات هي نتيجة ارهاق نفسي ، ونقله كملحق عسكري في باكستان[٦] . كذلك فقد تلقى مدير مكتب المشير معلومات من مدير المباحث

(٤) Nutting, *Nasser*, p. 265.

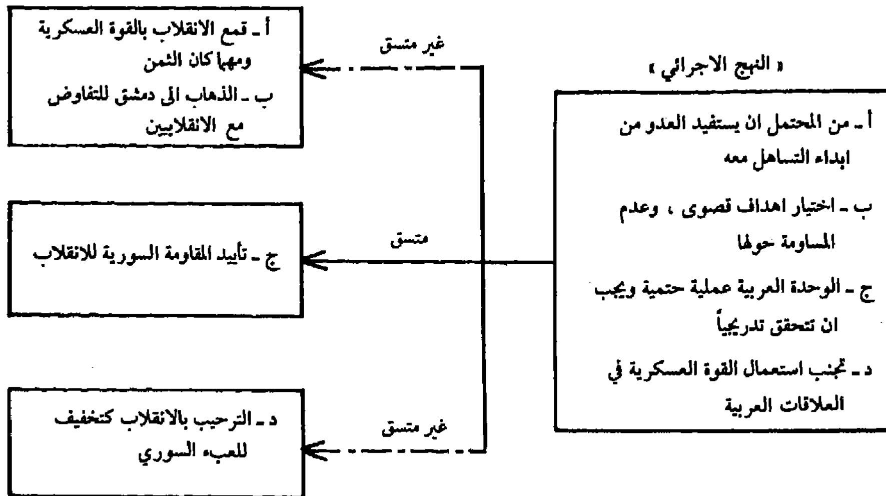
(٥) احمد حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، ج٣ : عبد الناصر والعرب (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٦) ، ص٨٠ .

(٦) حمروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ، ج٤ : شهود ثورة يوليو (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٧) ، ص ٦٦ ـ ٦٧ .

الجنائية العسكرية (تلقاها بدوره من ضابط سوري بعثي) عن ان انقلاباً عسكرياً قد يحدث في المستقبل القريب . بيد ان مدير مكتب المشير سخر من تلك المعلومات مؤكداً ان احداً لا يستطيع ان يتحرك في سوريا ضد عبد الناصر . واخيراً ، جاءت معلومات من العقيد الحمزاوي ، مدير مكتب الاتصال المصري في دمشق، تفيد بأن هناك خطة لتحرك بعض الوحدات من معسكر قطنة للقبض على عامر وفك الوحدة المصرية ـ السورية(٧) . بيد ان المشير عامر رفض مقابلة العقيد الحمزاوي اصلاً(٨) . رغم كل هذه المعلومات ، فإن عبد الناصر صدم صدمة نفسية عنيفة حينما علم بحدوث الانقلاب . وقد بلغ من عمق الصدمة ان مصوره الخاص يؤكد أنه شاهد الدموع(٩) في عيني عبدالناصر في ذلك اليوم ، كما وان سكرتيره الخاص عبّر عن قلقه الشديد لعلامات القلق النفسي الشديد التي سيطرت على عبد الناصر في ذلك اليوم(١٠) . وقد ادى كل ذلك ، الى اصابة عبدالناصر بمرض السكر خلال تلك الازمة(١١) .

شكل رقم (١٠ ـ ١)

اتساق البدائل المتاحة قبل قرار الانفصال السوري مع العقائد الناصرية



---

(٧) بلغت دقة تلك المعلومات حداً يجعلها صورة طبق الاصل من خطة الانقلاب .

(٨) حروش ، قصة ثورة ٢٣ يوليو ،ج٣ : عبدالناصر والعرب ، ص ٨٠ ـ ٨١ .

(٩) حسن دياب في : النصر (القاهرة) ، (تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٠) .

(١٠) ضياء الدين بيبرس ، الاسرار الشخصية لجمال عبدالناصر (القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٧٧) ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

(١١) مطر ، بصراحة عن عبد الناصر : حوار مع محمد حسنين هيكل ، ص ٢٠١ .

في كل هذه الظروف ، فإننا نتوقع ان يزداد اعتماد عبدالناصر على عقائده السياسية كأدوات مساعدة في عملية اتخاذ القرار . لكي نختبر هذا الفرض ، فإننا سنستعرض البدائل التي كانت متاحة لعبدالناصر عندما علم بوقوع الانقلاب .

كانت هناك خمسة بدائل متاحة امام عبد الناصر (كما هو واضح في الشكل رقم (١٠ ـ ١) .

أ ـ قمع الانقلاب بالقوة العسكرية ، ومهما كان الثمن .

ب ـ الذهاب الى دمشق لاقناع الانقلابيين بالتراجع عن خططهم ، والتوصل الى حل وسط معهم .

ج ـ تأييد المقاومة السورية للانقلاب ، دون استعمال القوة العسكرية .

د ـ الترحيب بالانقلاب كتخفيف للعبء السوري على ج . ع . م .

من المؤكد ان البديل «أ» كان متناقضاً مع العقيدة «د» عن خطر استعمال القوة العسكرية في العلاقات العربية . فالقيام بأي عملية عسكرية لقمع الانقلاب كانت ستعني بالضرورة استعمال القوة العسكرية ، وذلك بالنظر الى التأييد السريع الذي حظي به الانقلاب من بعض الوحدات العسكرية الرئيسية في الجيش الاول . كذلك ، فإن البديل «ب» ، لم تكن له مصداقيته لأن بيانات الانفصاليين انشأت منذ اللحظة الاولى علاقة عداء سافر مع عبدالناصر . في هذا الاطار ، قدر عبدالناصر ان الانفصاليين سيستغلون اي بادرة للتفاهم معهم ، من اجل تدعيم مواقعهم ، كما أنه لم يكن مستعداً لقبول حلول وسط معهم . وبالمثل فإن البديل لم يكن متسقاً مع ولائه الكامل لقضية الوحدة العربية . فلو كان عبدالناصر قد قبل الانقلاب السوري بدون تحدي مشروعيته لكان ذلك قد وجه ضربة قوية لمصداقيته لدى العرب . ومن ثم ، وجد عبدالناصر امام بديل واحد وهو محاولة تحدي الانقلابيين بدون استعمال القوة العسكرية فعلياً . ومن الواضح ان هذا البديل كان متسقاً الى حد كبير مع عقائد « النهج الاجرائي » الناصري .

رابعاً : عملية اتخاذ القرار

وصلت اول انباء الانقلاب الانفصالي الى عبدالناصر في الساعة السادسة من صباح ٢٨ ايلول / سبتمبر عام ١٩٦١ . فقد اتصل به عبدالقادر حاتم ، وزير الارشاد القومي آنئذٍ ، تليفونياً من مطار القاهرة ، وأخبره انه يخشى ان يكون انقلاب قد وقع في سوريا . فقد كان عبد القادر حاتم في طريقه الى دمشق وعلم ان مطار دمشق قد اغلق وان طائرة الصباح التي تحمل الصحف المصرية الى سوريا قد عادت الى مطار القاهرة . على الفور ادار عبدالناصر

مفتـاح الراديـو ليستمع من اذاعـة دمشق الى البيان الاول في السـابعة صبـاحـاً معلنـاً التمـرد ضده :

« في الوقت الذي انبعثت فيه الموسيقى العسكرية التقليـدية في مثـل هذه المنـاسبات من الـراديو ، جلس عبد الناصر لعدة دقائق كرجل اصابته صدمة ، مسحوق بـالضربـة المفاجئـة ، الى حد عـدم القدرة عـلى الرد او الاحساس بالاهانة والغضب اللذان تليا هذه الضربة »[١٢] .

بمجرد ان استعاد عبد النـاصـر جأشـه ، توجـه فوراً الى دار الاذاعـة حيث أُعطي خـطاً مباشراً مكّنه من ان يستمع الى راديو دمشق بوضوح ، ويتأكد من انباء الانقلاب . وبعد ذلك قام بنفسه بابلاغ الشعب المصري بأنباء الانقلاب ، واكد له انه ينوي ان يحـافظ على الـوحدة الاقليمية للجمهورية العربية المتحدة ، كما عبر عن قلقه لاحتمال اراقة الدماء ، وانه سيحاول ان يتفاداه .

وبعـد ان انتهى عبد النـاصر من اذاعـة بيانـه ، توجـه الى مقر القيـادة العامـة للقوات المسلحة حيث امر بـوضع الـطيران والاسـطول وقوات الصـاعقة والمـظلات في حالـة استعداد كامل . كذلك امر اللواء علي عـلي عامـر ، رئيس هيئة اركـان حرب القـوات المسلحة ، بـأن يجهز لارسال وحدات من المظليين الى مطار الضمير قرب دمشق ، على الا يرسل القوات فعلاً إلا بعد ان يتلقى تعليمات منه شخصياً . بعد فترة قصيرة ، علم عبدالناصر ان الانفصـاليين قد استولوا على مطار الضمير ، ومن ثم غير موقع اسقاط المظليين الى مطار اللاذقية .

كان تقدير عبدالناصر انه اذا تم تأمين مطار اللاذقية ، واسقاط بعض وحدات المـظليين فيه ، فإنه سيذهب بنفسه الى سوريا لمواجهة الانفصاليين . وقد بنى هذا التقديـر على أسـاس ان وجوده في سوريا سيشعل المقاومة ضد حفنة الضباط الانفصاليـين الذين شنـوا الانقلاب . ولم يكن المقصود من العملية استعمال القوة العسكرية ضد الانفصاليـين ، ولكن كان الهـدف منها رفع الروح المعنوية للقوى الشعبية وللعناصر العسكرية الموالية لدولة الوحـدة . وقد كتب عبداللطيف البغدادي في مذكراته مؤكداً هذا الاستنتاج بقوله :

« كان الهدف اساساً من ارسال قوات عسكرية مصرية الى سـوريا هـو معنوي ونفسـاني ، وليس بغرض الدخول في معركة عسكرية مع القوات العسكرية الا اذا اضطررنا الى ذلك . وكان الاعتقاد ان وصول قواتنا الى اللاذقية ثم التقدم منها نحو حلب ثم دمشق سيشجع كل الوحدات السـوريـة المناهضـة للانقـلاب والمترددة منهـا ايضـاً الى التحرك والتصـدي للانفصـاليين . وان الشعب السـوري ـ مع وجـود تلك القـوة المصـريـة ـ سيشعـر بالطمأنينة وربما يدفعه هذا الى التحرك »[١٣] .

---

(١٢) Nutting, *Nasser*, p. 267.

(١٣) عبـداللطيف البغـدادي ، مـذكـرات عبـد اللطيف البغـدادي، ٢ج (القـاهـرة : المكتب المصـري الحديث ، ١٩٧٧) ، ج٢ ، ص ١١٦ .

كذلك يؤكد هيكل ان القوات المصرية التي ارسلت الى اللاذقية كانت تحمل اوامر بعدم البدء باطلاق النار ، وان تقتصر مهمتها على مساعدة المقاومة السورية ضد الانفصاليين[١٤] .

في حوالى الثانية عشرة ظهراً ، اتصل عبدالناصر بالادميرال كاظم زيتونة ، قائد القاعدة البحرية في اللاذقية ، وامره بأن يتولى تأمين مطار اللاذقية ويعطي التمام بذلك . وبالفعل اتصل كاظم زيتونة بعبدالناصر بعد قليل واخطره ان المطار جاهز لاستقبال قوات المظليين . في هذه اللحظة فقط، اصدر عبد الناصر الاوامر بارسال قوات المظليين الى سوريا وتحريك ثلاث مدمرات الى ميناء اللاذقية[١٥] .

ومما عجل باتخاذ القرار حالة الغموض الشديد التي نتجت عن اصدار الانفصاليين بيانهم التاسع في الساعة الواحدة ظهراً . فقد جاء في البيان « ان المشير عبد الحكيم عامر قد تفهم امور الجيش على حقيقتها ، واتخذ الاجراءات المناسبة لحلها ، وقد عادت الامور العسكرية الى مجراها الطبيعي » . وما جاء في البيان كان يتناقض مع بيانات الانفصاليين الاولى . وقد اعتقد عبدالناصر ان هذا البيان ربما يعبر عن ضعف مركز الانفصاليين ، وربما يشكل خدعة يريد منها الانفصاليون ان يكسبوا الوقت لكي يدعموا مواقعهم . . وبناء عليه ، اتصل عبد الناصر بعبد الحكيم عامر في دمشق وطلب منه الا يساوم مع الانفصاليين ، وقال له : « اذا كانوا جادين حقاً ، اطلب منهم ان يعودوا اولاً الى ثكناتهم ، وإلا فلن تعود تملك معهم شيئاً . اي بيان ستصدره الآن سيخدمهم ، لا تدعهم يكررون معك ما فعلناه نحن مع الملك فاروق . لا تخف ولا تساوم ، ونحن الآن نحرك قواتنا »[١٦] .

في السابعة مساء ، اذاع عبدالناصر بياناً اكد فيه انه لن يقبل المساومة او انصاف الحلول مع الانفصاليين ، لأن « النضال عندما تدخل اليه المساومات يفقد كل قداسة فيه ، ولا يمكن ان نساوم على عروبتنا » . كان الغرض من البيان تقوية الروح المعنوية للقوات الموالية لدولة الوحدة خاصة بعد ان علم عبدالناصر ان المشير عبد الحكيم عامر قد غادر دمشق فعلاً في طريقه الى القاهرة في الساعة الخامسة والنصف مساء .

بيد ان الامور ازدادت تدهوراً في سوريا ، بما لم يسمح بتنفيذ الخطة التي رسمها عبد الناصر . ففي العاشرة مساء اعلن راديو حلب ان القوات المدرعة واللجنة التنفيذية للاتحاد القومي في المدينة قد انضموا الى الانفصاليين . وبعد قليل اوقفت القاعدة البحرية في اللاذقية كل اتصالاتها مع القاهرة . وعند منتصف الليل اعلنت اللاذقية تأييدها للانقلاب .

---

(١٤) مطر ، بصراحة عن عبد الناصر : حوار مع محمد حسنين هيكل ، ص ١٤٦ .

(١٥) البغدادي ، المصدر نفسه ، ص ١١٦ .

(١٦) بييرس، الاسرار الشخصية لجمال عبد الناصر ، ص ٦٥ .

والواقع ان بيان اللاذقية ادى الى تغيير الصورة العامة للموقف كلية . فمنذ هذه اللحظة ، يجب على قوات المظليين ـ التي كانت في طريقها فعلاً الى مطار اللاذقية ـ ان تحارب لكي تهبط في المطار ، اذاً فالقوة العسكرية ستستعمل ، اذا كان الهدف هو القضاء على الانقلاب ، وهو ما يتناقض تماماً مع ما نعرفه عن « النهج الاجرائي » الناصري . وبالفعل ، اصدر عبدالناصر اوامره بايقاف العملية بأسرها . فصدرت الاوامر للقوات التي نزلت في مطار اللاذقية فعلاً بأن تسلم نفسها لقائد قاعدة اللاذقية ، وان تتفادى اطلاق النار الا للدفاع عن النفس ، كذلك صدرت التعليمات للمدمرات الثلاث بالعودة الى الاسكندرية ولقوات المظليين التي لم تهبط بعد في اللاذقية بالعودة الى القاهرة .

بعد ان اعطى عبدالناصر هذه الاوامر الى اللواء علي عامر ، جلس في مكتبه ، في حالة شديدة من الاضطراب النفسي ، يستمع الى الشتائم والاهانات التي توجه اليه شخصياً من راديو حلب . وقد بلغ من فداحة تلك الاهانات ان كمال الدين حسين لم يتحمل سماعها ، وتصرف بمفرده آمراً اللواء محمد صدقي محمود قائد القوات الجوية ، بأن يقصف محطة اذاعة حلب بالقنابل . وحينما علم عبدالناصر بتلك الاوامر سارع بالغائها . ويروي محمود الجبار ، مدير مكتب الرئيس ، ان الحوار التالي دار بين جمال عبدالناصر وكمال الدين حسين :

« حسين : هل انت موافق على ان تستمر هذه الوقاحة والشتائم من تلك المحطة ؟

عبد الناصر : وهل ترى انت ان تقطع الى الابد ما بيننا وبين الشعب السوري؟ ان اذاعة حلب تقع وسط المساكن . هل تريد دماً بيننا وبين السوريين ؟ »[(١٧)] .

في الثانية من صباح ٢٩ ايلول / سبتمبر عام ١٩٦١ ، عقد عبدالناصر اجتماعاً خاصاً مع الوزراء السوريين . وفي هذا الاجتماع طالب الوزراء باستعمال القوة العسكرية لاخماد الانقلاب بأي ثمن . بيد ان عبد الناصر رفض هذا المطلب ، واكد لهم ان العملية ستبدو كما لو كانت غزواً عسكرياً لسوريا ، كما أنها ستولد روح الكراهية لدى السوريين .

في السادسة من مساء ٢٩ ايلول / سبتمبر عام ١٩٦١ القى عبدالناصر خطاباً جماهيرياً ، اوضح فيه ان الهدف من العملية العسكرية كان هو رفع الروح المعنوية للقوات السورية الموالية للوحدة ، وانه قد الغى العملية بعد ان ايقن ان الدم العربي سيراق اذا استمرت العملية . وذكر عبد الناصر الجماهير بأنه في عام ١٩٥٨ كان يرى ضرورة عدم اتمام الوحدة الا بعد فترة تمهيدية لا تقل عن خمس سنوات .

---

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٧١ . وفي تفصيلات الحجج التي ساقها عبدالناصر لتبرير قرار الغاء العملية العسكرية ، انظر : محمد حسنين هيكل ، ما الذي جرى في سوريا؟ (القاهرة : الدار القومية ، ١٩٦٢) ، ص ٨ ـ ١١ ، وصلاح نصر ، عبد الناصر وتجربة الوحدة (بيروت : [د.ن.]، ١٩٧٧) ، ص ٢٦٥ ـ ٢٧٠ .

وفي ٥ تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦١ ، اعلن رسمياً قراره بـأن يدع سـوريا تختـار طريقها بنفسها .

ما هي النتائج التي يمكن استخلاصها من هذا التحليل :

اولاً : إن الانقلاب الانفصالي بما صاحبه من تضارب في المعلومات او اضطراب نفسي قد خلق موقفاً جعل من العقائد السياسية الاداة الوحيدة لاتخاذ القرار .

ثانياً : انه خلال ازمة العشرين ساعة ، تصرف عبدالناصر بشكـل يتوافق مـع عقائـده السياسية كما حددها « النهج الاجـرائي » ، وبالـذات عقائـده المتعلقة بـالتعامـل مع العـدو ، وبمنهج تحقيق الوحدة العربية المبني على الاجماع والاختيار ، وتفادي استعمال القوة العسكرية في العلاقات العربية . الواقع ان وجود هذه العقائد في النسق العقيدي الناصـري ، جعل من المستحيـل على عبـدالناصـر ان يتصور امكـانية استعمـال القوة العسكـريـة لسحق الانقـلاب الانفصالي.

الفصل الحادي عشر

قرارات الازمة العربية - الاسرائيلية عام ١٩٦٧

ربما كانت الازمة العربية ـ الاسرائيلية التي نشبت في الاسبوع الثالث من ايار / مايو عام ١٩٦٧ ، أعنف الازمات الدولية التي شهدتها مصر الناصرية ، سواء بالنسبة لمسار الازمة او بالنظر الى نتائجها على الصراع العربي ـ الاسرائيلي . فما بدأ في ١٤ ايار / مايو كمحاولة محدودة لردع هجوم اسرائيلي على سوريا ، تطور الى حرب شاملة هزت القيادة الناصرية على المستويات كافة . وخلال هذه الازمة ـ التي بدأت في ١٤ ايار / مايو وانتهت في حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ ـ اتخذ عبدالناصر اربعة قرارات :

القرار الاول : تعبئة القوات المصرية في سيناء في ١٣ ايار / مايو .

القرار الثاني : سحب قوات الطوارىء الدولية من منطقة الحدود مع اسرائيل ١٦ ايار / مايو .

القرار الثالث: اغلاق خليج العقبة امام السفن الاسرائيلية والتي تحمل بضائع استراتيجية لاسرائيل في ٢٢ ايار / مايو .

القرار الرابع : عدم البدء بالضربة العسكرية الاولى في ٢٥ ايار / مايو .

اولاً : مقدمات الازمة

قد لا يكون من المبالغة ان نذكر ان بذور الازمة العربية ـ الاسرائيلية التي نشبت في ايار / حزيران (مايو ـ يونيو) عام ١٩٦٧ قد زرعت فور الانفصال السوري . فقد شن الانفصاليون ، بالتعاون مع اكرم حوراني ـ نائب عبد الناصر اثناء الوحدة ـ حملة على عبدالناصر متهمين اياه بالتواطؤ مع الولايات المتحدة للتوصل الى تسوية سلمية مع اسرائيل .

تصاعد الخلاف بين سوريا ومصر الى حد انعقاد دورة خاصة لمجلس جامعة الدول العربية في شتورا لمناقشة الخلاف . وفي هذه الدورة شنت سوريا والاردن هجوماً على عبدالناصر ونددتا بوجود قوات الطوارىء الدولية في سيناء ، في الوقت الذي يتحدث فيه عبدالناصر عن تحرير فلسطين .

تصاعدت الحملة السورية بعد فشل محاولة الوحدة الثلاثية بين سوريا والعراق تحت حكم حزب البعث وبين مصر عام ١٩٦٣ ، وازداد هذا التصاعد بعد وصول امين الحافظ الى السلطة في سوريا . ورد عبدالناصر بدوره متهماً الاردن والسعودية بالتواطؤ مع اسرائيل ، ونظام البعث السوري حينئذٍ، بالفشل في صياغة استراتيجية لتحرير فلسطين .

ولكي يخفف من حدة هذه الحملات المتبادلة ، دعا عبدالناصر في كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٦٣ الى عقد مؤتمر قمة عربي لدراسة قضية منع اسرائيل من تحويل مياه نهر الاردن . وبالفعل عقدت ثلاثة مؤتمرات قمة في القاهرة والاسكندرية والدار البيضاء . وفي هذه المؤتمرات اوضح عبد الناصر انه لن يهاجم اسرائيل الا اذا تحركت اسرائيل لاحتلال اراضٍ عربية جديدة . بيد ان استمرار الخلاف مع حكومة البعث السورية حول قضية التحرير العاجل لفلسطين ، ومع الحكومتين الاردنية والسعودية حول مشكلتي اليمن ، ودور الاردن في عمليات تحويل مياه نهر الاردن ، كل ذلك ادى الى تخلي عبدالناصر عن مؤتمرات القمة . ومن ثم عادت « الحرب العربية الباردة» كأعنف ما تكون من جديد .

في ٢٣ شباط / فبراير عام ١٩٦٦ ، وصلت الى السلطة في سوريا حكومة بعثية جديدة برئاسة نورالدين الاتاسي . وتبنت الحكومة الراديكالية الجديدة شعار حرب التحرير الشعبية كما ساندت العمليات الفدائية التي شنتها منظمة « فتح » الفلسطينية ضد اسرائيل . وقد ادى ذلك ، الى جانب انتهاكات اسرائيل للمنطقة المنزوعة السلاح على الحدود السورية ، الى تصاعد الاشتباكات المسلحة بين سوريا واسرائيل .

بالاضافة الى ذلك ، تلقى عبد الناصر معلومات عن طريق السفير المصري في بروكسل تؤكد ان مندوب الولايات المتحدة في احد الاجتماعات السرية لحلف الاطلنطي ، قد اكد ان بلاده قد يئست من احتمالات التفاهم مع عبدالناصر ، وانها تعمل بالتعاون مع اسرائيل وتركيا لاسقاطه[1] . وقد جاءت هذه المعلومات في الوقت نفسه الذي اذيعت فيه الانباء عن صفقة الطائرات الامريكية لاسرائيل . ومن ثم ، بدأ عبدالناصر يشك في وجود مؤامرة امريكية ـ اسرائيلية لاسقاطه على غرار المؤامرة البريطانية ـ الفرنسية ـ الاسرائيلية عام ١٩٥٦ .

وفي تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٦٦ ، وقع عبدالناصر اتفاق دفاع مشترك مع حكومة البعث السورية . وقد قدر عبدالناصر ان الاتفاق سيمكنه من التأثير على ممارسات الحكومة

(١) Anthony Nutting, *Nasser* (New York: Dutton, 1972), p. 390.

السورية ، حتى لا ينفجر الموقف على الحدود المصرية ـ السورية . ولكنه كان واضحاً في ان الاتفاق لا يعني انه سيتدخل تلقائياً في اي صدام سوري ـ اسرائيلي[٢] .

ولم تكد تمضي تسعة ايام على توقيع الاتفاق ، حتى قامت اسرائيل بشن هجوم على قرية السموع في الضفة الغربية ، انتقاماً من غارة فدائية داخل اسرائيل . وقد بادر النظام الاردني باتهام عبدالناصر بالتخاذل امام اسرائيل سواء بعدم مساعدة الاردن او بترك اسرائيل تستعمل خليج العقبة . وتجددت هذه الاتهامات في اعقاب المعركة الجوية بين سوريا واسرائيل في نيسان / ابريل عام ١٩٦٧[٣].

وابتداء من اوائل ايار / مايو ، بدأ قادة اسرائيل في التهديد بشن هجوم شامل على سوريا لاسقاط النظام الحاكم في دمشق . ازاء ذلك قدمت سوريا مذكرة الى الامم المتحدة تلفت فيها نظرها الى التهديدات الاسرائيلية . وفي تلك الاثناء وصلت لعبدالناصر معلومات من مصادر متعددة بوجود حشود اسرائيلية على الحدود الاسرائيلية . أول هذه المصادر هي المخابرات السورية التي ابلغته في ٨ ايار / مايو بأن ١٩ كتيبة اسرائيلية تحتشد على الحدود السورية ، وان سورية تتوقع هجوماً اسرائيلياً ما بين ١٦ ـ ٢٢ ايار / مايو . كذلك اخبر الرئيس السوفياتي بودغورني انور السادات ـ رئيس مجلس الامة آنئذٍ ـ الذي كان في زيارة لموسكو ، ان اسرائيل تحشد قواتها على الحدود السورية . وكان رد عبدالناصر على وصول تلك المعلومات المصحوبة بتصريحات اسرائيلية هو قرار التعبئة في سيناء في ١٣ ايار / مايو .

بيد انه قبل ان نحلل عملية اتخاذ القرار ، فإننا سنلقي نظرة سريعة على عقائد النهج الاجرائي الناصري قبل اندلاع الازمة .

ثانياً : « النهج الاجرائي » الناصري

يمكن تحديد ست مجموعات من العقائد السياسية التي أثرت في عملية اتخاذ القرار اثناء ازمة ايار ـ حزيران / مايو ـ يونيو عام ١٩٦٧ .

---

(٢) في هذا الوقت ، لم يكن عبدالناصر يتوقع اي صدام عسكري مع اسرائيل في المستقبل القريب . ففي عام ١٩٦٦ ، تحول كثير من المصانع الحربية المصرية الى الانتاج المدني ، كما تم تخفيض الميزانية العسكرية والغاء بعض المشروعات العسكرية الحيوية ، انظر : صلاح الدين الحديدي ، شاهد على حرب ٦٧ (القاهرة : دار الشروق ، ١٩٧٤) ، ص ٣١ ، وانور السادات ، « مقابلة صحفية مع انور السادات ،» الحوادث ، (٦ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٧) . ويذكر الفريق مرتجى ان عبد الناصر اخطره عام ١٩٦٣ ـ اثناء زيارته لليمن ـ انه لا ينوي دخول اي مواجهة عسكرية مع اسرائيل طالما ظلت بعض قواته في اليمن ، انظر : روز اليوسف (القاهرة) ، ١٠ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٧ .

(٣) في تفصيل الوقائع التي سبقت الازمة ، انظر : صلاح العقاد ، مأساة يونيو ١٩٦٧ : حقائق وتحليل (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٥) ، ص ١٥٤ ـ ١٨١ ، و٢٠٢ ـ ٢٢٩ .

١ ـ تصور عبدالناصر للعداء الامريكي ، وللعلاقة العضوية بين الولايات المتحدة واسرائيل . وقد ازداد هذا التصور رسوخاً في فترة الشهور الستة السابقة للازمة ، حيث رأى عبدالناصر ان الولايات المتحدة تقوّم الثورة المضادة في العالم ضد حركات التحرر ، ورأى نفسه مستهدفاً بمؤامرة امريكية ـ اسرائيلية تلعب فيها اسرائيل دوراً مركزياً (العقائد ١١ ، ١٩ ـ ٣٠ من عقائد المرحلة الثانية) .

٢ ـ تقديره للمنهج الاسرائيلي في حساب المخاطرة السياسية . فرغم صورته السلبية عن اسرائيل ، فإن عبد الناصر كان يعتقد ان اسرائيل غير قادرة على المخاطرة ، كما أنها لن تقدم على مخاطرة سياسية مع العرب الا اذا ضمنت التأييد الكامل لدولة اخرى ، وضمنت عدم المواجهة المباشرة مع العرب (العقيدتان ٢٧ ، ٢٨ من عقائد المرحلة الثانية) .

٣ ـ منهجه في تحقيق الاهداف العربية ازاء اسرائيل ، فقد اعتقد عبد الناصر ان تحرير فلسطين لن يتحقق الا بعد بناء وطن عربي متحرر وموحد ، وبعد ازالة الاستعمار والرجعية من المنطقة العربية . كما تصور ان بناء الوطن العربي بهذا الشكل هو عملية تدريجية ، تاريخية طويلة ، (العقيدة ٦١ من عقائد المرحلة الثانية) .

٤ ـ استراتيجيته الدفاعية ـ الردعية ازاء اسرائيل . فقد تصور عبد الناصر ان اسرائيل لن تتراجع الا اذا واجهت موقفاً عربياً صلباً ، ومن ثم تبنى استراتيجية دفاعية ـ ردعية ، هدفها الرئيسي منع اسرائيل من التوسع الاقليمي (العقائد ٢٥ ، ٢٦ ، ٦٦ من عقائد المرحلة الثانية) .

٥ ـ منهجه في حساب وضبط المخاطرة السياسية . فعبدالناصر كان يرفض قبول مخاطرات سياسية في ميدان الصراع العربي ـ الاسرائيلي (العقيدتان ٦٧ ، ٧٠ من عقائد المرحلة الثانية) .

٦ ـ تصوره حول ضرورة تجنب المبادرة باستعمال القوة العسكرية في الصراع العربي ـ الاسرائيلي (العقائد ٨٢ ـ ٨٦ من عقائد المرحلة الثانية) .

وقد عبّر عبدالناصر عن معظم هذه العقائد في ثلاث وثائق مهمة في الفترة السابقة على الازمة . الوثيقة الاولى هي خطابه في عيد الوحدة ، في ٢٢ شباط / فبراير عام ١٩٦٧ ، وفيه اعاد تأكيد منهجه التدرجي ـ التاريخي لتحرير فلسطين واستراتيجيته الردعية ازاء اسرائيل . اما الوثيقة الثانية ، فهي خطابه في عيد العمال في اول ايار / مايو . في هذا الخطاب اكد عبدالناصر ان القوى الاستعمارية واسرائيل لن يغفروا له ثوريته ودفاعه عن حركات التحرر الوطني ، وأنهم يشنون حرباً لا هوادة فيها على نظامه الثوري . وكان عبد الناصر واضحاً في اصراره على ردع التهديدات الاسرائيلية لسوريا . في الوثيقة الثانية ، وهي رسالة الى اتحاد الطلبة العرب في بريطانيا في ١٤ ايار / مايو ، اكد ان « الثورة العربية » تواجه مؤامرة استعمارية تنفذها اسرائيل والرجعية العربية .

ثالثاً : عملية اتخاذ القرار

اذا كان عبدالناصر قد تلقى معلومات سورية ـ سوفياتية عن وجود حشود اسرائيلية على الحدود السورية، فإنه تلقى ايضاً معلومات اخرى تنفي وجود هذه الحشود . فقد اخبره الفريق اول محمد فوزي ـ رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة آنئذٍ ـ بعد ان قام بزيارة سريعة لسوريا ، انه لا توجد حشود اسرائيلية . وفي الوقت نفسه ، فإن تصريحات القادة الاسرائيليين ، والانتقادات العربية (الاردنية ـ السعودية بالذات) لعبدالناصر ، دفعته الى محاولة اتخاذ قرار يردع من خلاله التهديد الاسرائيلي .

في هذا الموقف ، كان عبد الناصر امام بديلين : الاول ، هو ترك اسرائيل تنفذ تهديداتها للنظام السوري الحليف ، والثاني ، هو القيام بعمل محدود من شأنه تخفيف الضغط الاسرائيلي على سوريا ، واسكات الانتقادات العربية المتكررة . ومن المؤكد ان البديل الاول كان متناقضاً مع عقيدته عن ضرورة ردع اسرائيل وعن انتهاز اسرائيل لفرصة التراخي العربي لكي تحصل على مزايا جديدة . بالاضافة الى ذلك ، فإن هذا البديل كان من شأنه جلب سخرية النظم العربية المحافظة من احتماء عبدالناصر بقوات الطوارىء في الوقت الذي تهدد فيه اسرائيل حلفاءه . وبالنظر الى تناقض المعلومات التي تلقاها عبدالناصر ، والى تجربة الصدام الجوي بين سوريا واسرائيل في ٧ نيسان / ابريل ، قرر عبدالناصر ان يأخذ خطوة ردعية محدودة. وفي ١٣ ايار / مايو قرر ان يعبىء القوات المصرية في سيناء . وقد بنى عبدالناصر تفكيره على اساس ان « ارسال الحشود الى سيناء لم يكن يمثل مخاطرة كبيرة ، لأن المقصود منها ممارسة الضغط على اسرائيل ، وعلى افتراض ان مجرد جمع الحشود سيخيف اسرائيل دون ان تذهب الى حد شن الهجوم على مصر ، فقوات الطوارىء الدولية ما تزال موجودة »(٤) .

وفي ١٦ ايار / مايو ، طلبت مصر سحب قوات الطوارىء التابعة للامم المتحدة من منطقة الحدود المصرية ـ الاسرائيلية . بيد ان الطلب لم يشمل القوات الموجودة في غزة وشرم الشيخ ، كما انه لم يقصد سحب القوات نهائياً من مصر ، وانما تجمعها في خان يونس ورفح . بيد انه عندما اصر يوثانت ، الامين العام للامم المتحدة، على ابقاء القوات كما هي او سحبها كلياً ونهائياً ، لم يجد عبدالناصر مفراً من طلب سحب القوات كلياً ونهائياً ، وبالفعل استجاب يوثانت لهذا الطلب(٥) .

والواقع ان قراري التعبئة وسحب قوات الطوارىء كانا متوافقين تماماً مع العقائد الاساسية لعبد الناصر . ويجمع دارسو هذه الفترة ان القرارين تأثرا الى حد كبير بتصور

---

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢٣ .

(٥) Indar Jit Rikhye, *The Sinai Blunder* (New Delhi; Oxford; IBH Publishing, 1978), pp. 51-62.

عبدالناصر للمؤامرة الامريكية ـ الاسرائيلية وبمنهجه في حساب المخاطرة السياسية(٦) .

وقد عبر عبدالناصر عن الطبيعة الردعية المحدودة لقراري التعبئة وسحب قوات الطوارىء ، في حديثه الى ابراهيم ماخوس، وزير خارجية سوريا آنئذٍ ، بقوله :

« إننا بحشد قواتنا في سيناء اردنا ان نقوم بمظاهرة كبيرة، ولكي يكون من هذه المظاهرة رسالة لاسرائيل تجعلها تفكر مرة ثانية . ولكني ارجوكم انتم في سوريا ان تضبطوا اعصابكم ، ولا تدفعوا الامور الى نقطة الخطر . انني لا اريد ان اقفل باب التراجع وراء اسرائيل . اريدهم ان يتراجعوا بهدوء، ولا اريد ان اجعل هذه العملية صعبة عليهم . فمن الخطر في اوقات الازمات ان تغلق باب التراجع اذا لم تكن تريد الصدام الفوري معه . خطتي الآن ان أترك قوات الطوارىء في شرم الشيخ وغزة . لقد طلبنا سحبهم من الخط الواقع بين « طابا » و« رفح » لفتح خط المواجهة امام تدخلنا ، لو اردنا ذلك . لكن خروجهم من « شرم الشيخ » سوف يؤدي الى تعقيدات كثيرة ، ثم ان خروجهم من قطاع غزة ليس في صالحنا . . . اريدكم في دمشق ان تعرفوا ان الموقف دقيق ، وعلينا ان نعالجه باعصاب باردة . وانا اطلب منكم ان تساعدوني بالامتناع عن اي عمل استفزازي في هذه الظروف الساخنة »(٧) .

واضح اذاً من حديث عبد الناصر الى ابراهيم ماخوس ان الهدف الاساسي كان ردع اسرائيل ومنعها من الهجوم على سوريا ، وانه كان حريصاً على عدم تصعيد الازمة والسماح لاسرائيل بالتراجع (٨) .

بيد ان عبدالناصر اتخذ في ٢٢ ايار / مايو قراراً جديداً باغلاق خليج العقبة امام السفن الاسرائيلية ، وامام السفن التي تحمل بضائع استراتيجية لاسرائيل . ومن المؤكد ان هذا القرار كان يتناقض مع بعض العقائد الناصرية الاساسية. فعبد الناصر كان يعلم ان اغلاق الخليج يمثل مخاطرة كبيرة ، كما قال في خطاب التنحي في ٩ حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ . كما انه تلقى معلومات من المخابرات العامة ان مثل هذه الخطوة ستعني حتماً المواجهة العسكرية مع اسرائيل . فاسرائيل ـ كما قدرت المخابرات العامة ـ ستقوم باحدى الخطوات التالية ، اذا تم اغلاق الخليج : احتلال غزة ، محاولة فتح الخليج بالقوة ، او شن هجوم كاسح على

---

(٦) Robert Henry Stephens, *Nasser: A Political Biography* (London: Allen Lane; Penguin, 1971), p. 436, and Nadav Safran, *From War to War: The Arab- Israeli Confrontation, 1948-1967* (New York: Pegasus, 1969), p. 285.

(٧) محمد حسنين هيكل ، لمصر . . . لا لعبد الناصر : الحملة ضد جمال عبد الناصر ما وراءها ؟ (الكويت : دار السياسة ، ١٩٧٧) ، ص ٧٧ .

(٨) يروي السيد حسن ابراهيم نائب رئيس الجمهورية في الفترة الناصرية ، انه خلال ازمة ايار / مايو ـ حزيران / يونيو عام ١٩٦٧ اخبره عبد الناصر ، « انني لن احارب ، وان الذي يأتي بعدي هو الذي سيأخذكم الى تل ابيب » ، انظر : حسن ابراهيم في : روز اليوسف ، (١٤ نيسان / ابريل ١٩٧٦) .

القوات المصرية في سيناء[٩] . وفي الوقت نفسه قدمت المخابرات الحربية معلومات تفيد ان اسرائيل لن تجرؤ على الهجوم في حالة اغلاق الخليج[١٠] .

كان من المتوقع من عبدالناصر - في هذه الظروف - ان يتجنب اتخاذ اي قرار ينطوي على مخاطرة سياسية كبيرة . بيد انه في ٢٢ ايار / مايو استدعى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي في منزله واقترح اغلاق الخليج . ووافق اعضاء اللجنة بالاجماع - باستثناء محمد صدقي سليمان ، رئيس الوزراء آنئذٍ - الذي اوضح ان الاقتصاد المصري قد لا يتحمل مخاطر هذا القرار[١١] . ويؤكد شمس بدران ، وزير الحربية آنئذٍ ، ان عبد الناصر لم يستشر السوفيات قبل اتخاذ القرار[١٢] ، كما يؤكد صلاح نصر ان عبدالناصر لم يستشر المخابرات العامة او مجلس الدفاع الوطني قبل اتخاذ القرار[١٣] .

من الواضح اذاً ان القرار كان قرار عبدالناصر . ولنا ان نتساءل ، لما اتخذ عبدالناصر هذا القرار رغم علمه بمخاطره الجسيمة ؟ ويكاد يجمع الدارسون على ان الانتقاد الاردني - السعودي والبعثي كان هو العامل الحاسم في اتخاذ القرار . يؤكد صلاح نصر ان هدف عبدالناصر كان اسكات الاتهامات السعودية - الاردنية بأنه قد سمح لاسرائيل بالحصول على مكاسب نتيجة حرب عام ١٩٥٦[١٤] . كذلك كتب اسحاق رابين ، رئيس هيئة اركان حرب القوات الاسرائيلية آنئذٍ ، ان عبد الناصر لم يكن يهدف الى الدخول في حرب في ايار - حزيران / مايو - يونيو عام ١٩٦٧ ، ولكنه اراد فقط « ان يسكت الانتقادات العربية ، وان يقوي مركزه في العالم العربي »[١٥] .

بالاضافة الى ذلك ، فقد اعتقد عبد الناصر ان قواته المسلحة تستطيع ان تخوض معركة دفاعية مع اسرائيل . وكان عبد الناصر يعلم ان قواته المسلحة قد لا تكون قادرة على اجتياح اسرائيل ، ولكنها على الاقل ، تستطيع ان تصمد عند خط المضايق وتلحق خسائر فادحة باسرائيل . فإذا بدأت اسرائيل بالهجوم ، وصمدت القوات المصرية ، فإن المحصلة النهائية ستمثل نصراً عربياً .

وقد تأكد هذا الاعتقاد في ذهن عبدالناصر في ضوء المعلومات التي تلقاها من قيادات القوات المسلحة عن قدرات الجيش المصري . فقد تلقى تقارير من المخابرات الحربية ان

---

(٩) صلاح نصر ، عملاء الخيانة واحاديث الافك (بيروت : [د. ن.]، ١٩٧٧) ، ص ٩٤ .
(١٠) محمد فوزي ، « شهادة على حرب يونيو ،» الاخبار (القاهرة) ، ١٥ / ٦ / ١٩٧٧ .
(١١) انور السادات، البحث عن الذات : قصة حياتي (القاهرة : المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٧)، ص ٢٢٥ .
(١٢) شمس بدران ، في: الحوادث ، (٢ ايلول / سبتمبر ١٩٧٧) ، ص ١٩ - ٢٢ .
(١٣) نصر ، عملاء الخيانة واحاديث الافك ، ص ١٠١ .
(١٤) المصدر نفسه ، ص ١٠١ .
(١٥) Isaac Rabin, «Nasser Wanted Gains without War,» vol. 20 (1977), p.65.

الضربة الجوية الاسرائيلية الاولى لن تدمر اكثر من ٢٠ بالمائة من السلاح الجوي المصري[١٦] . كما تلقى تأكيدات من المشير عامر ـ اثناء اجتماع اللجنة التنفيذية العليا في ٢٢ ايار / مايو ـ بأن القوات المصرية قادرة على دخول المعركة[١٧] . وقد عبر عبدالناصر عن مركزية هذين العاملين في اتخاذ قرار اغلاق الخليج في خطاب القاه امام وفد اتحاد العمال العرب في ٢٥ ايار / مايو . في هذا الخطاب اشار الى الانتقادات العربية لسياسته السابقة ازاء خليج العقبة ، والى المعلومات التي تلقاها من القوات المسلحة عن قدرتها على خوض حرب دفاعية .

بيد أننا ينبغي الا نلغي تأثير العقائد الناصرية ايضاً في اتخاذ قرار اغلاق الخليج . فالواقع ان الخطأ في تقدير الموقف كان في ذاته جزءاً من طبيعة العقائد الناصرية ، وبالذات العقائد المتعلقة بتقديره لمنهج اسرائيل في قبول وضبط المخاطرة السياسية . فكما رأينا في تحليل عقائد عبدالناصر في الفترة الثانية ، كان عبد الناصر يعتقد ان اسرائيل لن تقدم على اتخاذ مخاطرة كبيرة ، وانها لن تفعل ذلك الا اذا ضمنت تأييد دولة كبرى واحدة على الاقل . وفي الوقت نفسه ، قدر عبد الناصر ان الولايات المتحدة ـ الحليف الرئيسي لاسرائيل ـ لن تكون قادرة على مساعدة اسرائيل في تلك المخاطرة[١٨] . وقد ساعدت خبرة حرب عام ١٩٥٦ ، على تأكيد هذا التقدير في ذهن عبدالناصر . فقد تصور ان اسرائيل لن تكرر التجربة ، الا اذا توافرت الظروف نفسها . ومن المهم ان نلاحظ انه في خطابه الذي اعلن فيه اغلاق الخليج ، اشار عبدالناصر الى خبرة حرب عام ١٩٥٦ ، والى اعتقاده بأن اسرائيل لن تجرؤ على تحمل مخاطرة الدخول في حرب مع مصر .

وقد لخّص انتوني ناتينغ هذا التقدير بناء على حديثه مع عبدالناصر قبل نشوب الحرب في ٥ حزيران / يونيو ، بقوله : « لقد تبيّن لي بوضوح من مناقشة طويلة اجريتها معه قبل ساعات من اندلاع حرب الايام الستة ، انه كان يعيش في مناخ عام ١٩٥٦ . ولهذا ، فقد كان مقتنعاً أن الاسرائيليين ليسوا مستعدين لدخول الحرب على جبهتين بمفردهم ، على الاقل بسبب تخوفهم من السلاح الجوي المصري . ولهذا ايضاً ، فقد اعتقد انه ما لم يساندهم الغرب في المعركة ، على الاقل بتوفير غطاء جوي ، كما فعلت بريطانيا في حرب السويس ، فإنه سيكون قادراً على افشال خططهم باظهار ان مصر ستحارب الى جانب سوريا »[١٩] .

---

(١٦) بدران ، في : الحوادث ، (٢ ايلول / سبتمبر ١٩٧٧) .

(١٧) السادات ، البحث عن الذات : قصة حياتي ، ص٢٢٥ . يقول محمود رياض ، وزير خارجية مصر آنئذٍ ، ان عبد الناصر اخبره في ٢٩ ايار / مايو ان المشير عامر اكد له استعداد القوات المسلحة للحرب ، ويضيف ان المشير عامر قد اكد له ـ اي لمحمود رياض ـ انه « لو قامت اسرائيل بأي عمل ضدنا ، فإننا نستطيع بثلث قواتنا فقط ان نصل الى بئر سبع » ، انظر : محمود رياض ، مذكرات محمود رياض ، ١٩٤٨ ـ ١٩٧٨ : البحث عن السلام والصراع في الشرق الاوسط (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨١) ، ص ٤٤ .

(١٨) نصر ، عملاء الخيانة واحاديث الافك ، ص ١٠١ .

(١٩) Nutting, *Nasser*, p. 398.

ومن ثم يمكن تتبع سوء التقدير الى « النهج الاجرائي » الناصري ذاته ، ذلك ان تحليله لمنهج اسرائيل في حساب المخاطرة ، قاده الى ان يتخلى ، تحت الضغط العربي ، عن منهجه الحذر في قبول المخاطرة باغلاق خليج العقبة . نتيجة لتقديره لعدم قدرة اسرائيل على الدخول في مخاطرة كبيرة ، فقد قدر انها لن تكون في مركز يسمح لها باستعمال القوة العسكرية قبل مرور ستة شهور على الاقل[٢٠] .

ومن ثم ، فقد تصور انه يستطيع ان يستغل « فترة التقاط الانفاس » هذه ، لشن حملة سياسية لمنع تصعيد الازمة ،يقدم من خلالها مجموعة من التنازلات المحدودة ،وانه بمرور الوقت فإن احتمال نشوب الحرب سيقل الى حد كبير[٢١] .

وبالفعل ، بدأ عبد الناصر على الفور في احتواء الازمة ، وتقديم مجموعة من التنازلات ، كان اول تنازل هو اتفاقه مع يوثانت في ٢٤ ايار / مايو،بمقتضى هذا الاتفاق ، وافق عبدالناصر ، على تجميد الموقف ، بمعنى الا تقوم اسرائيل بتحدي حصار الخليج ، كما تمتنع مصر عن تفتيش سفن الدول الاخرى المتجهة الى اسرائيل . وقد وافق عبد الناصر على تجميد الموقف بشرط ان توافق اسرائيل بدورها على الاجراء نفسه . بيد انه لم ينتظر موافقة اسرائيل واصدر تعليماته الى القوات المصرية في شرم الشيخ بعدم تفتيش السفن غير الاسرائيلية[٢٢] . وفي المؤتمر الصحفي الذي عقده في ٣٠ ايار / مايو ، اقترح احياء لجنة الهدنة المصرية ـ الاسرائيلية المشتركة لكي تشرف على انسحاب الحشود المصرية والاسرائيلية من مواقعها ، واقترح احالة مسألة مرور السفن الاسرائيلية في خليج العقبة الى محكمة العدل الدولية . ويذكر شمس بدران ، ان عبد الناصر اخطره قبل سفره الى موسكو ـ اي سفر بدران ـ بأن يخطر السوفيات انه اذا حاولت السفن الاسرائيلية المرور في الخليج ، فإن القوات المصرية لن تعترضها[٢٣] . واخيراً ، فقد وافق على ارسال زكريا محيي الدين ـ نائب رئيس الجمهورية ـ الى واشنطن للتباحث مع الرئيس جونسون حول احتواء الازمة .

اتساقاً مع هذا المنطق ، اتخذ عبدالناصر قراره الرابع في ٢٥ ايار / مايو ، بعدم البدء بالضربة العسكرية . ففي مساء هذا اليوم ، حضر عبد الناصر مؤتمراً عسكرياً عقده المشير لقادة فروع القوات المسلحة وكبار القادة . وفي المؤتمر اقترح المشير فكرة الخطة التعرضية

---

(٢٠) عبداللطيف البغدادي ، مذكرات عبد اللطيف البغدادي، ٢ج (القاهرة : المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٧) ، ج٢ ، ص ٢٧٤ .

(٢١) يؤكد صلاح نصر(انظر : حسنين كروم ، صلاح نصر : الاسطورة والمأساة (القاهرة: مكتبة كمال الدين ، ١٩٧٦) ، ص ١٥٥ ، ومحمد حسنين هيكل، انظر : هيكل، لمصر . . . لا لعبد الناصر : الحملة ضد جمال عبد الناصر ما وراءها ؟، ص ٧٩) ، ان ذلك كان هو تقدير عبدالناصر للموقف . لاحظ التشابه الشديد بين هذه الحسابات وتلك بعد قرار تأميم شركة قناة السويس .

(٢٢) هيكل ، المصدر نفسه ، ص ٨٠ ـ ٨١ .

(٢٣) بدران ، في: الحوادث، (٢ ايلول / سبتمبر ١٩٧٧) .

الهادفة الى عزل منطقة ايلات والاستيلاء عليها . بيد ان عبد الناصر اعترض على هذه الخطة ، وقرر عدم البدء بالضربة العسكرية الاولى ، واتخاذ مواقع دفاعية بحتة . ويروي الفريق مرتجى، قائد جبهة سيناء في ذلك الوقت ، ان عبد الناصر ، قال في هذا الاجتماع ان الضربة الاولى ستوجهها اسرائيل نحو قواتنا الجوية ويجب ان نستعد لها . ولما أبدى قائد القوات الجوية تفضيله لاتخاذ زمام المبادأة ، فرد عبد الناصر « إننا اتخذنا قراراً سياسياً بأن لا نكون البادئين بالضرب ، وعليكم انتم تفادي ضربة العدو الاولى »[٢٤] .

وفي اوائل حزيران / يونيو ، بدأ عبد الناصر يدرك ان الموقف قد تغير ، وان احتمالات الحرب ربما اصبحت مؤكدة . فقد حدث تغيير وزاري في اسرائيل أتى بموشى ديان ومناحيم بيغين الى مجلس الوزراء . بيد ان عبدالناصر لم يغير قرار الامتناع عن الضربة الاولى ، واكد ذلك في اجتماع عسكري عقد في القيادة العامة للقوات المسلحة في ٢ حزيران / يونيو . وفي هذا الاجتماع اكد ان احتمالات الحرب زادت من ٨٠ بالمائة الى ١٠٠ بالمائة ، وان اسرائيل ستبدأ بالهجوم خلال ثلاثة ايام ، كما ان الهجوم الاسرائيلي سيبدأ بالضربة الجوية . ومرة اخرى ، رفض مطالب قادة القوات المسلحة بالبدء بالضربة الجوية الاولى او احتلال منطقة النقب . وبرر هذا الرفض على اساس النتائج السلبية الدولية ، وبالذات بالنسبة للولايات المتحدة ، التي يمكن ان تنتج عن الهجوم المصري[٢٥] .

والواقع ان التحليل السالف لمجموعة القرارات التي اتخذت اثناء الازمة العربية ـ الاسرائيلية عام ١٩٦٧ يقودنا الى نتيجة مهمة تتعلق بوزن العقائد السياسية في القرار السياسي . فبينما كانت قرارات التعبئة ، وسحب قوات الطوارىء ، والامتناع عن شن الضربة الاولى ، متسقة مع العقائد الناصرية . الا ان قرار حصار الخليج لم يكن متسقاً تماماً مع تلك العقائد . فالضغوط الآنية من النظام العربي ، أجبرته على التخلي عن منهجه الحذر . وقد ساعد على ذلك المعلومات الخاطئة التي تلقاها عن قدرة القوات المسلحة ، بالاضافة الى سوء التقدير الكامن في عقائده عن استعداد اسرائيل لتحمل المخاطرة السياسية .

---

(٢٤) عبد المحسن مرتجى كامل (الفريق) ، الفريق مرتجى يروي الحقائق ، قائد جبهة سيناء في الحرب ١٩٦٧ (بيروت : الوطن العربي ، [د.ت.] .)، ص ٧٩ ـ ٨١ .

(٢٥) فوزي ، « شهادة على حرب يونيو ،» وانور السادات ، « يوميات حرب اكتوبر ،» مايو (القاهرة) ، (٥ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨١) .

خَاتِمَة

ما هي النتائج التي يمكن أن نستخلصها من تحليـل النسق العقيدي لجمـال عبدالنـاصر ولسياسته الخارجية ؟

يؤكد تحليل العقائد الناصرية صحة الفرضية الاسـاسية للمنـظور المعرفي ـ العقيـدي . وتؤكد هذه الفرضية ان الفرد ينزع ـ بوعي او بدون وعي ـ الى تطوير مجموعة من العقائد التي تمكنه من التعامل مع البيئة بفهم المعلومات الآتيـة منها ، ومن اتخـاذ القرار . ويثبت التحليـل الذي قدمناه في هذا الكتاب ان عبد الناصر قد طور مجموعة من العقائد ، وان هذه العقائد ـ كما يفترض المنظور المعرفي ـ كانت تشكل نسقاً متكاملاً من العقائد مما يسمح بتصور نموذج للعقائد الناصرية .

يمكن القول ان نموذج العقائد الناصرية يتأسس على مجموعتين محدودتـين من العقائـد ، ولكنهما مترابطتان وتمثلان موقعاً مركزياً من النسق العقيدي العام . اولى هذه المجموعات تحدد طبيعة التوجه الفلسفي لعبد الناصر : تصور صراعي للعالم السياسي على المستويات الاجتماعية والاقليمية والعالمية كافة ، منظور تاريخي حتمي للحياة السياسية مصحوب بميل الى اختيار الاهداف القصوى في كل موقف سياسي . اما المجمـوعة الثـانية ، فهي تـدور حول صـورته السلبية لاعدائه ، واستراتيجيته الردعية ازاءهم مصحوبة بضوابط امان اداتية كتفضيل التدرجية في المنهج ، وتأخير السلوك ، وتجنب المخاطرة السياسية. فاختيار عبد النـاصر لاهـداف قصوى كان مرتبطاً ارتباطاً عكسياً باستراتيجية تحقيق الاهداف . وكلما أمعن عبـد النـاصـر في تعظيم الاهداف المختارة، اصر على الحذر في تطبيق تلك الاهداف . وقد وجدت هاتان المجموعتان من العقائد في النسق العقيدي لعبد الناصر وجوداً آنياً ترابطياً ، بحيث ان كل مجموعة كـانت تقوم بوظيفة موازنة المجموعة الاخرى . ويمكن القول ، ان عدم فهم هذه العلاقات التوازنية في النسق العقيدي الناصري ، ربما يفسر لنا كثيراً من اخطار التحليل الواردة في كثير من الكتابات التقليدية المعادية لعبد الناصر .

النتيجة الثانية هي ان النموذج العقيدي الناصري لم يكن مجرد مجموعة عشوائية من العقائد ، ولكنه يشكل « نسقاً » يتميز بمجموعة من الخصائص البنيانية الاساسية ، يمكن ان نحدد منها ست خصائص بالتحديد :

١ ـ ان هذا النسق قد تطور زمنياً من مجرد نسق بسيط يتضمن مجموعة محدودة من العقائد الى نسق مركب اكثر ثراء وتمايزاً . فقد ازداد عدد العقائد السياسية ، كما ازدادت درجة التمايز في التعبير عنها ، وان كان ذلك يصدق حتى نكسة عام ١٩٦٧ بالتحديد .

٢ ـ اتسم النسق العقيدي الناصري بوجود مجموعة مركزية من العقائد في قلب النسق تحدد جوهره وطبيعته . هذه المجموعة بالتحديد هي العقائد المتعلقة بالعدو ، الاستراتيجية السياسية ، التفاؤل السياسي ، المناهج السياسية ، اختيار الاهداف ، تنبؤية الحياة السياسية . ومن المهم ان نتذكر ان هذه العقائد لم تتسم فقط بالمركزية طوال فترة اداء النسق العقيدي الناصري (وحتى عام ١٩٦٧) ، وإنما اتسمت ايضاً باستمرار القوة النسبية لمركزيتها . كما انه من المهم ان نتذكر ان صورة العدو كانت تمثل اكثر العقائد مركزية في النسق العقيدي الناصري ، باستثناء الفترة الاولى .

٣ ـ إن النسق العقيدي الناصري اتسم بالاستقرار . فمضمون العقائد السياسية لم يتغير كثيراً من بداية تكوينه الى نهايته . وكانت اكثر العقائد استقراراً تلك المتعلقة بطبيعة العدو (اسرائيل) ، طبيعة العالم السياسي ، طبيعة النظام الدولي ، التفاؤل السياسي ، تنبئية الحياة السياسية ، واختيار الاهداف .

٤ ـ النسق العقيدي الناصري اتسم بدرجة كبيرة من الاتساق المعرفي بين اجزائه . بيد انه تضمن من ناحية اخرى تناقضاً بين بعض تلك العقائد ، ومن اشكال التناقض هذه ، ذلك التناقض بين صورته السلبية للعدو واختياره اهدافا قصوى ـ وبين التمسك بالتدرجية والحذر ، ورفض المخاطرة ، او استعمال القوة العسكرية ، وذلك التناقض بين تصوره للعداء الاصيل الذي تكنه اسرائيل للعرب وبين تصوره لاحجام اسرائيل عن تحمل مخاطرات سياسية في تعاملها مع العرب . التناقض الاول ربما كان مسؤولاً عن عدم فهم الكثيرين للتحليل السياسي الناصري ، وبالذات فيما يتعلق بالصراع العربي ـ الاسرائيلي ، اذ كيف يتسنى لفرد يرى ان العدو يمثل خطراً داهماً ويختار اقصى الاهداف المتاحة في الموقف السياسي ، ان يكون حذراً الى هذا الحد في التعامل مع هذا العدو ، او في تنفيذ تلك الاهداف ؛ ويوضح التحليل الذي قدمناه ان خبرة التعامل مع العدو في اوائل الخمسينات ، والمنظور التاريخي للسياسة هما اللذان انتجا الصورة السلبية للعدو ، والاعتقاد في اختيار الاهداف القصوى (لأنها تتمشى مع السياق العام للتاريخ) ، وفي الوقت نفسه فإن الحذر الشديد في تطبيق الاهداف ـ وبالذات ازاء العدو ـ كان بمثابة آلية لضبط المخاطر المباشرة الناشئة عن تبني تلك الصور والاهداف . ومن ثم فالاتساق هنا كان « اتساقاً نفسياً » اكثر منه « اتساقاً منطقياً » كما يخبرنا علم النفس الاجتماعي . بيد ان التناقض الثاني كان اكثر خطورة ، ومن المؤكد انه كان مسؤولاً عن الخطأ في حساب البدائل عند اصدار قرار اغلاق خليج العقبة في ايار /مايو عام ١٩٦٧ .

٥ ـ انه نسق عقيدي يتسم بالترابط بين شتى اجزائه ، سواء على المستوى السكوني او المستوى الحركي . فعلى المستوى السكوني ، لاحظنا وجود ثلاث مجموعات متشابكة من العقائد ، كل منها يشكل نسقاً فرعياً في ذاته ، كما أن كلاً منها يرتبط أشد الارتباط بالمجموعات الاخرى . كذلك ، اوضح التحليل ان تغير اي من عقائد النسق العقائدي كان ينتج آثاراً معينة في عقائد النسق الاخرى . فقد لاحظنا مثلاً ان تزايد التعبير عن المفهوم الصراعي للعالم السياسي يصحبه تزايد في التعبير عن التفاؤ ل السياسي ، وعن الدور الايجابي للقائد السياسي ، وعن ضرورة اختيار اهداف قصوى ، مع تناقص في قوة الاقتناع بجدوى القوة العسكرية .

ومن ثم ، فإن النسق العقيدي الناصري تضمن خمسة محاور اساسية : هي المحور الفلسفي ، محور العدو ، المحور الادائي / الفلسفي / محور الاستراتيجية السياسية ، والمحور الدولي ، وهي في مجموعها تشكل جوهر النموذج الناصري للنسق العقيدي .

٦ ـ ان النسق العقيدي الناصري كان نسقاً مركباً يتضمن مجموعة من الانساق العقيدية الفرعية ، التي يتعامل كل نسق منها مع قضية محددة . هذه الانساق الفرعية هي : نسق العدو الداخلي ، نسق التنمية ، النسق العقيدي العربي ، النسق العقيدي العربي ـ الاسرائيلي ، ونسق السياسة الخارجية العامة . تفاوتت هذه الانساق الفرعية في درجة البساطة والتركيب وفي درجة التشدد والتوسط . فنسق العدو الداخلي كان يتسم بالبساطة والتشدد ، بينما اتسم النسق العربي بالتركيب والتوسط .

النتيجة الثالثة تتعلق بتأثير المتغيرات البيئية على النسق العقيدي . فكما أن للنسق العقيدي وظيفة في عملية القرار ، فإنه ايضاً يتأثر بمجموعة من المتغيرات البيئية والذاتية كالانتماء الاجتماعي والطبقي للفرد ، نمط تنشئته الاجتماعية والسياسية ، ودوره الاجتماعي ، ودرجة ثقافته وهكذا . ويدلنا التحليل الذي قدمناه على ان نكسة عام ١٩٦٧ كان لها تأثير حاسم على النسق العقيدي الناصري ، ليس على مستوى تغيير مضمون العقائد ـ وان كان ذلك قد حدث بشكل محدود ـ وانما على مستوى ثراء النسق واولويات العقائد . فقد لاحظنا ان ثراء النسق العقيدي الناصري قد تدهور الى حد كبير بعد نكسة عام ١٩٦٧ ، كما ان مركزية وهامشية العقائد السياسية قد تغيرت . فقد احتلت العقائد الادائية ذات العلاقة المباشرة بالموقف الجديد موقفاً مركزياً ، بينما تراجعت بعض العقائد الفلسفية الى الهامش . فمن ناحية ، قفزت العقائد المتعلقة بالقوة العسكرية ، والمخاطرة السياسية ، والتكتيك السياسي الى مركز النسق العقيدي الناصري . ومن ناحية اخرى ، تراجع النمط الحتمي للتاريخ ، وتصور دور القائد السياسي الى هامش هذا النسق . وهذا يؤكد ان النسق العقيدي هو نسق متفاعل مع البيئة الخارجية المحيطة به .

النتيجة الرابعة التي يمكن أن نستخلصها تتعلق بمصداقية الوثائق الناصرية في الكشف عن عقائد عبدالناصر . فمن خلال مجموعة من الاختبارات الاحصائية ، توصلنا الى نتيجة مهمة

وهي ان التعبير عن العقائد في وثائق عبد الناصر ، لم يختلف من وثيقة الى اخرى او من جمهور الى آخر ، خلافاً لما تتصوره بعض القراءات التقليدية لتلك الوثائق .

النتيجة الخامسة تتعلق بطبيعة نظام اتخاذ القرار في الفترة الناصرية . فرغم الدور الذي لعبته المؤسسة العسكرية في صنع قرارات السياسة الداخلية ، الا انها عزفت عن التدخل في قرارات السياسة الخارجية . وفي غيبة دور المؤسسات ، اصبح عبد الناصر هو الصانع الرئيسي - إن لم يكن الوحيد - لقرارات السياسة الخارجية . كذلك اتسمت عملية اتخاذ القرار بسيطرة نموذجي « الاختيار الرئاسي »، و« التعزيز الايجابي » من مجموعة اتخاذ القرار لهذا الاختيار . وقد هيأت تلك الحقيقة المسرح لتعظيم دور الحسابات الكامنة في النسق العقيدي الناصري في اتخاذ قرارات السياسة الخارجية .

النتيجة الاخيرة تتعلق بحدود التأثير الذي تمارسه العقائد السياسية للقائد على عملية اتخاذ القرار ، وبالذات في مجال السياسة الخارجية . فعلم السياسة الخارجية يفترض ان السياسة الخارجية هي عملية تتسم بعدم اليقين الهيكلي وندرة المعلومات وتضاربها ، محدودية القدرة على التنبؤ . ومن ثم ، فإن عقائد القائد السياسي تغدو هي المعيار الرئيسي للاختيار . وبالفعل ، فقد وجدنا ان تعامل عبدالناصر مع قضايا السياسة الخارجية كان مصحوباً بتعبير عن العقائد السياسية ، اكثر من التعبير عن تلك العقائد عند التعامل مع قضايا السياسة الداخلية . وقد اتضح ذلك في ان ٤١ بالمائة من الفقرات المتعلقة بالسياسة الخارجية تتضمن تعبيراً عن العقائد السياسية ، بينما تصل النسبة المماثلة في مجال السياسة الداخلية الى ١٨ بالمائة .

وقد اوضح تحليل بعض قرارات السياسة الخارجية في الفترة الناصرية ، ان الحسابات السياسية التي بنيت على تلك القرارات متوافقة الى حد كبير مع مضمون الحسابات السياسية الكامنة في العقائد السياسية لعبد الناصر . بيد ان قرار اغلاق خليج العقبة في ايار / مايو عام ١٩٦٧ ، وان كان قد نتج الى حد ما عن سوء التقدير الكامن في النسق العقيدي الناصري ، الا أنه قد تأثر، الى حد كبير، بالضغوط البيئية الآتية من النظام الاقليمي العربي . فقد كانت تلك الضغوط شديدة الى الحد الذي دفعه الى التخلي عن منهجه الحذر في التعامل مع اسرائيل . والواقع ان هذه النتيجة تشير بدورها الى نتيجة مهمة تتعلق بدور القائد السياسي (مقاساً بدور نسقه العقيدي) في السياسة الخارجية . فمن المؤكد ان هذا الدور اكثر تعقيداً من التبسيط الثنائي الذي يميز المناظرة التاريخية حول دور القائد السياسي . فالسؤال الحقيقي ليس ما اذا كان القائد السياسي يلعب دوراً في صنع السياسة الخارجية ، ولكن ما هي الظروف التي يصبح هذا الدور في ظلها دوراً أساسياً في صنع السياسة الخارجية . وتؤكد هذه الدراسة ان السياسة الخارجية بصفة عامة هي احد المجالات التي تعظم من دور القائد السياسي ، كما ان ظروف الازمة الدولية من شأنها أن تزيد من تعظيم هذا الدور .

الملحق :
وثائق تحليل المضمون

١ ـ الاعمال الكاملة

تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر . القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د.ت.].

مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر . القاهرة : مصلحة الاستعلامات ، [د.ت.]. ج١ : ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ يناير ١٩٥٨ ؛ ج ٢ : فبراير ١٩٥٨ ـ يناير ١٩٦٠ ؛ ج ٣ : فبراير ١٩٦٠ ـ يناير ١٩٦٢ ؛ ج ٤ : فبراير ١٩٦٢ ـ يونيو ١٩٦٤ ، و ج ٥ : يوليو ١٩٦٤ ـ يونيو ١٩٦٦ .

وثائق الرئيس عبد الناصر : خطب ، احاديث ، تصريحات . القاهرة : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، ١٩٧٣ . ج ١ : يناير ١٩٦٧ ـ ديسمبر ١٩٦٨ ، وج٢ : يناير ١٩٦٩ ـ سبتمبر ١٩٧٠ .

٢ ـ الكتب والمقالات

فلسفة الثورة . القاهرة : وزارة الارشاد القومي ، ١٩٥٤ .

الميثاق : قدمه الرئيس جمال عبد الناصر الى المؤتمر الوطني للقوى الشعبية يوم ٢١ مايو ١٩٦٢ . القاهرة : الاتحاد الاشتراكي العربي ، ١٩٦٢ .

« اثيوبيا دولة شقيقة . » مقدمة كتاب : امين شاكر ، سعيد العريان ومصطفى امين . اضواء على الحبشة . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٢ . ص ٥ ـ ٨ . (اخترنا لك ، ٦)

« الاستعمار الوان . » مقدمة كتاب : امين شاكر ، سعيد العريان ومصطفى امين . جنوب افريقيا : جنة البيض وجحيم الملونين . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٤ . ص ٤ ـ ١٠ .

« تركيا الشقيقة . » مقدمة كتاب : امين شاكر ، سعيد العريان ومحمد مصطفى عطا . تركيا والسياسة

العربية : من خلفاء آل عثمان الى خلفاء اتاتورك . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٥ . ص ٥ ـ ٨ . (اخترنا لك ، ٢٠)

«ثورة شعب .» التحرير (ادارة الشؤون العامة للقوات المسلحة المصرية) : ٣١ كانون الاول / ديسمبر ١٩٥٢ . ص ٤ ـ ٥ .

«شمال افريقيا بلادنا .» مقدمة كتاب : امين شاكر ، سعيد العريان ومصطفى امين . شمال افريقيا بين الماضي والحاضر والمستقبل . القاهرة : دار المعارف . ص ٥ ـ ٩ . (اخترنا لك ، ٨)

«الشيوعية .» مقدمة كتاب : امين شاكر ، سعيد العريان وعلي ادهم . حقيقة الشيوعية . القاهرة : ادارة كتب سياسية ، ١٩٥٩ . ص ٣ ـ ٤ . (كتب سياسية ، ٢)

«كيف دبرنا هذا الانقلاب .» التحرير : ١٥ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٥٢ . ص ١٠ ـ ١٢ .

«مصر كمصدر اشعاع حضاري للعالم .» مقدمة كتاب : حسين مؤنس . مصر ورسالتها القاهرة : دار المعارف . ص ٥ ـ ٨ . (اخترنا لك ، ٥٥)

مقدمة كتاب : انور السادات . اسرار الثورة المصرية : بواعثها الخفية واسبابها السيكولوجية . القاهرة : دار الهلال ، ١٩٥٧ . ص ٨ ـ ١١ .

مقدمة كتاب : محمد عطا . الدعوة الاسلامية . القاهرة : دار المعارف . (اخترنا لك)

«The Egyptian Revolution.» *Foreign Affairs:* Vol. 33, no. 2, January 1955. pp. 199-211.

٣ ـ المحادثات الخاصة

«تسجيلات دقيقة لاسرار اوثق واخطر علاقة بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر .» صباح الخير : ١٠ شباط / فبراير ١٩٧٧ .

٤ ـ المذكرات واليوميات

The Truth about the Palestine War. Cairo: Al-Tahrir Press, 1956.

٥ ـ الاجتماعات

«محاضر اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني للقوى الشعبية ، ٢٦ نوفمبر ـ ٤ ديسمبر ١٩٦١ .» في : التخطيط الثوري للمستقبل . القاهرة : محافظة القاهرة ، العلاقات العامة .

محاضر محادثات الوحدة الثلاثية ، مارس ـ ابريل ١٩٦٣ . القاهرة : مؤسسة الاهرام ، ١٩٦٣ .

«محاضر اجتماعات الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي العربي ، ٢٤ ديسمبر ١٩٦٤ ـ ١١ مايو ١٩٦٥ .» في : رفعت السعيد : اوراق ناصرية في ملف سري للغاية . القاهرة : دار الثقافة الجديدة ، ١٩٧٥ . ص ٢٠ ـ ٨٢ .

«مناقشات جمال عبد الناصر مع اعضاء اللجنة التنفيذية في الامانة العامة حول خطة العمل الجديدة للتنظيم السياسي .» الطليعة (القاهرة) : السنة ١ ، العدد ٣ ، اذار / مارس ١٩٦٥ . ص ٩ ـ ٢٦ .

« المحاضر السرية لمناقشات عبد الناصر مع امناء المكاتب التنفيذية لمحافظتي القاهرة والجيزة ، ج ١ : ٧ / ٣ / ١٩٦٦ - ج ٢ : ٨ / ٣ / ١٩٦٦ . » في : جمال عبد الناصر . **التنظيم والحركة : المحاضرات الخاصة بالتنظيم الطليعي** . بيروت : [د.ن. ، د.ت.]. ص ٢٢ - ٥٧ و ٥٩ - ٩٦ على التوالي .

« حديث جمال عبد الناصر التنظيمي في المؤتمر الاول لاعضاء المكاتب التنفيذية في المحافظات عن اسلوب العمل في الاتحاد الاشتراكي . » **الطليعة**: السنة ٢ ، العدد ٢ ، شباط / فبراير ١٩٦٦. ص ١١ - ١٨.

من محاضر اجتماعات عبد الناصر العربية والدولية، ١٩٦٧ - ١٩٧٠ . بيروت : مؤسسة الابحاث العربية ، ١٩٧٩ .

« المحاضر السرية لاجتماع الرؤساء العرب قبيل وفاة عبد الناصر . » في : موسى صبري . **وثائق حرب اكتوبر** . القاهرة : المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٥ . ص ١٥٣ - ١٩٨ .

« محاضر مناقشات عبد الناصر مع المبعوثين المصريين ، ١٩٧٠ . » في : السعيد . **اوراق ناصرية في ملف سري للغاية** . ص ٨٥ - ١٠٤ .

٦ - الاحاديث الصحفية والخطب

« حديث صحفي . » **التحرير** : ٢٨ كانون الثاني / يناير ١٩٥٣ . ص ٤ .

« مقابلة صحفية مع وكالة الانباء المصرية . » **الاهرام** : ٢٦ / ٢ / ١٩٥٣ .

« حديث صحفي . » **التحرير** : ٢٢ نيسان / ابريل ١٩٥٣ . ص ٧ .

« حديث الى صحيفة بوربا اليوجوسلافية . » **الجمهورية** : ١ / ١ / ١٩٥٥ .

« حديث الى مندوب صحيفة صدى لبنان . » **التحرير**: ٢٢ شباط / فبراير ١٩٥٥.

« حديث الى مجلة نيوزويك . » **الاهرام** : ٢٣ / ٥ / ١٩٥٥ .

« مقابلة مع الجارديان » **الاهرام** : ٢٠ / ٧ / ١٩٦٦ .

« خطاب في الحوامدية . » **الاهرام** : ٢٧ / ٣ / ١٩٥٣ .

« خطاب اعلان تأميم قناة السويس ، ٢٦ / ٧ / ١٩٥٦ . » **الاهرام** : ٢٧ / ٧ / ١٩٥٦ .

« خطاب عبد الناصر الى الملك حسين في سبتمبر ١٩٦١ . » في : **شباب اليوم ورجال الغد** . القاهرة : محافظة القاهرة ، مطابع الشعب ، ١٩٦١ .

« خطاب في جمعية الصداقة العربية السوفييتية في موسكو . » **الاهرام** : ٣٠ / ٨ / ١٩٦٥ .

« خطاب في الطلبة العرب في موسكو . » **الاهرام** : ٣٠ / ٨ / ١٩٦٥ .

« خطاب في مؤتمر القمة العربي الثالث ، الدار البيضاء ، ١٣ / ٩ / ١٩٦٥ ، بوصفه رئيساً للمؤتمر . » **الاهرام** : ١٤ / ٩ / ١٩٦٥ .

« خطاب في العيد الرابع عشر للثورة المصرية ، القاهرة ، ٢٢ / ٧ / ١٩٦٦ . » **الاهرام** : ٢٣ / ٧ /

١٩٦٦ .

« كلمة في الاجتماع السنوي لاساتذة جامعة الاسكندرية .» الاهرام : ٢٨ / ٧ / ١٩٦٦ .

« كلمة في افتتاح مؤتمر المبعوثين للدراسة في الخارج ، الاسكندرية ، ٦ / ٨ / ١٩٦٦ .» الاهرام : ٧ / ٨ / ١٩٦٦ .

« مناقشة مع المبعوثين للدراسة في الخارج ، الاسكندرية - ٦ ، ٧ / ٨ / ١٩٦٦ .» الاهرام : ٨ ، ٩ / ٨/ ١٩٦٦ .

« رسالة الى مؤتمر منظمة الطلبة العرب الخامس عشر في الولايات المتحدة وكندا .» الاهرام : ١ / ٩ / ١٩٦٦ .

« خطاب في دار السلام بمناسبة زيارة تنزانيا .» الاهرام : ٢٣ / ٩ / ١٩٦٦ .

« خطاب في زنزبار .» الاهرام : ٢٥ / ٩ / ١٩٦٦ .

« خطاب في دار السلام .» الاهرام : ٢٧ / ٩ / ١٩٦٦ .

« خطاب امام الجمعية الوطنية في تنزانيا ، ٢٧ / ٩ / ١٩٦٦ .» الاهرام : ٢٨ / ٩ / ١٩٦٦ .

« خطاب في نيودلهي بمناسبة زيارة الهند .» الاهرام : ٢١ / ١٠ / ١٩٦٦ .

« مؤتمر صحفي في نيودلهي .» الاهرام : ٢٥ / ١٠ / ١٩٦٦ .

« كلمة في الحفل الذي اقامته له منظمة التضامن الآسيوي - الافريقي في نيودلهي ، ٢٦ / ١٠ / ١٩٦٦ .» الاهرام : ٢٧ / ١٠ / ١٩٦٦ .

« خطاب في اجتماع جماهيري في نيودلهي .» الاهرام : ٢٧ / ١٠ / ١٩٦٦ .

« خطاب بمناسبة انتهاء زيارة الهند .» الاهرام : ٢٧ / ١٠ / ١٩٦٦ .

« خطاب في اديس ابابا .» الاهرام : ٧ / ١١ / ١٩٦٦ .

« خطاب بمناسبة زيارة الرئيس التشيكي للقاهرة .» الاهرام : ١٤ / ١١ / ١٩٦٦ .

« خطاب بمناسبة زيارة الرئيس البلغاري للقاهرة .» الاهرام : ٢١ / ١١ / ١٩٦٦ .

« خطاب في مجلس الامة بمناسبة افتتاح دورته الرابعة ، القاهرة ، ٢٤ / ١١ / ١٩٦٦ .» الاهرام : ٢٥ / ١١ / ١٩٦٦ .

« خطاب بمناسبة زيارة الرئيس الجزائري هواري بومدين للقاهرة ، ٢٨ / ١١ / ١٩٦٦ .» الاهرام : ٢٩ / ١١ / ١٩٦٦ .

« خطاب في الجلسة الخاصة لمجلس الامة التي عقدها للترحيب بالرئيس الجزائري هواري بومدين ، القاهرة ، ٣٠ / ١١ / ١٩٦٦ .» الاهرام : ١ / ١٢ / ١٩٦٦ .

« خطاب بمناسبة الذكرى العاشرة لعيد النصر ، ٢٣ / ١٢ / ١٩٦٦ . » الاهرام : ٢٤ / ١٢ / ١٩٦٦ .

« رسالة الى الملك حسين في ٦ / ٧ / ١٩٦٧ . » في :

Peter Snow. *Hussein: A Biogrpahy*. Washington, D.C.: Luce, 1972. pp. 191-192.

المـراجـع

١ ـ العربية

كتب

امام ، عبدالله . **ملف عبد الناصر : مذبحة القضاة** . القاهرة : : مكتبة مدبولي ، ١٩٧٧ .

ـــ . **الناصرية: دراسة بالوثائق في الفكر الناصري** . تقديم ضياء الدين داود . بيروت : مطبعة الوطن العربي ، [د.ت.].

بحيري ، محمد ابو زيد . **الناصرية** . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠ .

البشري ، طارق . **الديمقراطية والناصرية** . القاهرة : دار الثقافة الجديدة ، ١٩٧٥ .

البغدادي ، عبد اللطيف . **مذكرات عبد اللطيف البغدادي** . القاهرة : المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٧ . ٢ج .

بلال ، عبدالله . **تأملات في الناصرية : ثورة انسانية خالدة** . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠ .

ـــ . **عبد الناصر والجماهير** . القاهرة : [د.ن. ، د.ت.].

بيبرس ، ضياء الدين . **الاسرار الشخصية لجمال عبد الناصر** . القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٧٧ .

ـــ . **فتحي رضوان يروي لضياء الدين بيبرس اسرار حكومة يوليو ـ مع دراسة شاملة بعنوان هوامش على لعبة المذكرات** . القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٧٦ .

ـــ . **هوامش على قصة محمد حسنين هيكل** . بيروت : المكتبة العصرية ، ١٩٧٥ .

البيطار ، نديم . **نحو الارتباط بمصر الناصرية او طريق الوحدة العربية** . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٣ .

جوهر ، سامي . **الصامتون يتكلمون : عبد الناصر ومذبحة الاخوان** . ط ٧ . الاسكندرية : المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٦ .

حداد ، سمير . المبررات التاريخية للعقيدة الناصرية . بيروت : لجنة العمل التعليمي الناصري في دار المعلمين والمعلمات ، ١٩٧٢ .

الحديدي ، صلاح الدين . شاهد على حرب ٦٧ . القاهرة : دار الشروق ، ١٩٧٤ .

حمروش ، احمد . قصة ثورة ٢٣ يوليو . ج١ : مصر والعسكريون ؛ ج٢ : مجتمع جمال عبد الناصر ؛ ج٣ : عبد الناصر والعرب وج ٤ : شهود ثورة يوليو . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٤ - ١٩٧٧ .

دياب ، محمد . الحل الناصري لازمة الديمقراطية . بيروت : دار المسيرة ، ١٩٧٥ .

رشاد ، محمد . سري جداً : من ملفات اللجنة العليا لتصفية الاقطاع . القاهرة : دار التعاون ، ١٩٧٧ .

رياض ، محمود . مذكرات محمود رياض ، ١٩٤٨ - ١٩٧٨ : البحث عن السلام والصراع في الشرق الاوسط . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨١ .

السادات ، انور . البحث عن الذات : قصة حياتي . القاهرة : المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٧ .

السباعي ، يوسف . ايام عبد الناصر : خواطر ومشاعر . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٧١ .

سرور ، طه عبد الباقي . جمال عبد الناصر : رجل غيّر وجه التاريخ . القاهرة : المكتبة العلمية ، ١٩٧٥ .

السوداني ، محمود علي حسن . جمال عبد الناصر بين خصوم وانصار . القاهرة : المطبعة الكمالية ، ١٩٧٧ .

شعلان ، محمد سليمان ويوسف خليل يوسف . ايديولوجية جمال عبد الناصر ومفاهيمها في التربية والتعليم . القاهرة : مكتبة غريب ، ١٩٧٠ .

شلبي ، احمد . مصر في حربين ، ١٩٦٧ - ١٩٧٣ : دراسة مقارنة لبيان اسباب الهزيمة ودعائم النصر . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٥ .

صادق ، حاتم . قضايا ناصرية . القاهرة : دار الموقف العربي ، ١٩٨١ .

صايغ ، انيس . في مفهوم الزعامة السياسية : من فيصل الاول الى جمال عبد الناصر . بيروت : جريدة المحرر ؛ المكتبة العصرية ، ١٩٦٥ .

صبري ، موسى . وثائق ١٥ مايو . القاهرة : المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٧ .

طه ، رياض . قصة الوحدة والانفصال : تجربة انسان عربي من خلال احداث ١٩٥٥ - ١٩٦١ . بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٩٧٤ .

عامر ، عامر . حكم عبد الناصر بين النظرية والتطبيق . القاهرة : المكتبة النموذجية ، ١٩٧١ .

عبد المنعم ، احمد فارس . « القرار المصري بعقد صفقة الاسلحة التشكيلية عام ١٩٥٥ : دراسة في السياسة الخارجية المصرية . » (رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٠) .

عبد الناصر ، جمال . قال الرئيس : روائع خالدة في احداث مصر الكبرى للرئيس جمال عبد الناصر . القاهرة : دار الهلال ، ١٩٥٧ .

عطوي ، فوزي . جمال عبد الناصر : رائد التاريخ العربي الحديث . بيروت : الشركة اللبنانية للكتاب ، ١٩٧٠ .

العطيفي ، جمال . ايام خالدة من حياة عبد الناصر . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٠ . (سلسلة اقرأ ، ٣٣٥)

العقاد ، عامر . جمال عبد الناصر : حياته وجهاده . القاهرة : دار الشعب ، ١٩٧٠ .

ـــ ، صلاح . مأساة يونيو ١٩٦٧ : حقائق وتحليل . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٥ .

علوان ، ابراهيم . مراحل مجهولة من حياة الرئيس. بيروت : الشركة اللبنانية للكتاب ، ١٩٧٠ .

عودة ، بطرس عودة . جمال عبد الناصر : دوره في النضال العربي . القاهرة : المطبعة الفنية الحديثة ، ١٩٧١ .

غندور ، صبحي . الناصرية . بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٢ . ·

قراعة ، سنية . حارس المجد ، جمال عبد الناصر . القاهرة : مكتب الصحافة الدولي ، ١٩٥٨ .

[كامل]، عبد المحسن مرتجى [الفريق]. الفريق مرتجى يروي الحقائق ، قائد جبهة سيناء في الحرب ١٩٦٧ . بيروت : الوطن العربي، [د.ت.].

كروم ، حسنين . صلاح نصر : الاسطورة والمأساة . القاهرة : مكتبة كمال الدين ، ١٩٧٦.

محفوظ ، محمد جمال الدين . عبد الناصر والقوات المسلحة . القاهرة : القوات المسلحة ، ادارة التوجيه المعنوي ، ١٩٧١ . (الثقافة العسكرية للشعب ، ٨)

مراد ، محمود . حوار مع هدى عبد الناصر . القاهرة : ١٩٧٥ .

مطر ، فؤاد . بصراحة عن عبد الناصر : حوار مع محمد حسنين هيكل . ط ٢ . بيروت : دار القضايا ، ١٩٧٥ .

مظهر ، سليمان . عملاق من بني مر . القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ .

نصر ، صلاح . عبد الناصر وتجربة الوحدة . بيروت : [د.ن.] ، ١٩٧٧ .

ـــ . عملاء الخيانة واحاديث الافك . بيروت : [د.ن.]، ١٩٧٧ .

ـــ ، مارلين . التصور القومي العربي في فكر جمال عبد الناصر ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٠ : دراسة في علم المفردات والدلالة . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨١ .

هويدي، امين. مع عبد الناصر . بيروت : دار الوحدة ، ١٩٨٠ .

هيكل ، محمد حسنين . حديث المبادرة . بيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ١٩٨٠ .

ـــ . لمصر . . . لا لعبد الناصر : الحملة ضد جمال عبد الناصر ما وراءها ؟ الكويت : دار السياسة ، ١٩٧٧ .

ـــ . ما الذي جرى في سوريا؟ القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٢ .

يوسف ، احمد . « الدور المصري في اليمن ، ١٩٦٢ - ١٩٦٧ . » (اطروحة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٨) .

دوريـات

ابراهيم ، حسن . « مقابلة صحفية . » روز اليوسف : ١٤ نيسان / ابريل ١٩٧٦ .

ـــ ، زكريا . « مفهوم عبد الناصر للثورة . » الفكر المعاصر (القاهرة) : تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٠ .

ـــ ، سعد الدين . « الاصول الاجتماعية والثقافية للقيادة القومية ، نموذج جمال عبد الناصر . » المستقبل العربي : السنة ٣ ، العدد ٢٠ ، تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٠ .

اسكندر ، امير . « الناصرية والعالم الثالث . » الفكر المعاصر : تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٠ .

بدران ، شمس . « مقابلة صحفية . » الحوادث : ٢ ايلول / سبتمبر ١٩٧٧ .

بطرس - غالي ، بطرس . « الناصرية وسياسة مصر الخارجية . » السياسة الدولية : السنة ٧ ، العدد ٢٣ ، كانون الثاني / يناير ١٩٧١ .

حافظ ، علوي . « مهمتي السرية بين عبد الناصر وامريكا . » الاخبار (القاهرة) : ١ ، ٤ / ٨ / ١٩٧٦ .

ـــ ، منير . « التاريخ السري لحكم جمال عبد الناصر : حواديت السفارات المصرية . » روز اليوسف : ٢ ، ١٧ ، ٢٦ ايار / مايو ؛ ١٤ ، ١٩ حزيران / يونيو ١٩٧٦ .

الحافظ ، ياسين . « عبد الناصر والصراع العربي - الاسرائيلي . » شؤون فلسطينية : العدد ١١ ، تموز / يوليو ١٩٧٢ .

حسن ، احمد. في : الشعب : ٧ / ٩ / ١٩٨٢ .

الحسين بن طلال [ملك الاردن]. « مقابلة صحفية . » الحوادث : ٢٧ تموز / يوليو ١٩٧٣ .

حسين ، كمال الدين . « مقابلة صحفية . » روز اليوسف : ١٤ آب / اغسطس ١٩٧٥ .

دياب ، حسن . « مقابلة صحفية. » النصر (القاهرة) : تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٠ .

السادات ، انور . « يوميات حرب اكتوبر . » مايو (القاهرة) : ٥ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨١ .

سلام ، حلمي . « عبد الناصر كما عرفته .» **الحوادث** : ٢٩ ايلول / سبتمبر ١٩٧٢ .

شاكر ، امين . « منطق العملاء .» **الاهرام** : ١٦ / ١٢ / ١٩٧٧ .

شوقي ، يوسف حسن . « تصور القيادة الناصرية لاسلوب تسوية الصراع العربي الاسرائيل .» **شؤون عربية** : تشرين الاول / اكتوبر ١٩٨٠ .

صبري ، حسين ذو الفقار . « مقابلة صحفية .» **روز اليوسف** : ٦ ايار / مايو ١٩٧٧ .

طلعت ، ابراهيم . « جمال عبد الناصر يروي تفاصيل اتهام الاخوان بحرق القاهرة .» **روز اليوسف** : ١٧ كانون الثاني / يناير ١٩٧٧ .

ــــ . عبد الناصر وسراج الدين وجهاً لوجه .» **روز اليوسف** ، ١٣ ايلول / سبتمبر ١٩٧٦ .

ــــ . في : **روز اليوسف** : ١٠ كانون الثاني / يناير ١٩٧٧ .

غولدمان ، ناحوم . « مقابلة صحفية .» **الاهرام** : ٢٧ / ٥ / ١٩٧٨ .

الفقي ، احمد حسن . « مهمة سرية في موسكو .» **الاخبار** : ٢٨ / ٤ / ١٩٧٩ .

فوزي ، محمد . « شهادة على حرب يونيو .» **الاخبار** : ١٥ ، ١٦ / ٦ / ١٩٧٧ .

[كامل]، عبد المحسن مرتجى [الفريق]. في : **روز اليوسف** : ١٠ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٧ .

كوهين ، يروهان . في : **التحرير** (ادارة الشؤون العامة للقوات المسلحة المصرية) : ١٧ ايلول / سبتمبر ١٩٥٣ .

لطفي ، حمدي . « هزيمة يونيو : حقائق عسكرية حجبوها ١٥ سنة .» **الوادي** : حزيران / يونيو ١٩٨٢ .

اللوزي ، سليم . « ما بعد عبد الناصر .» **الحوادث** : ١٢ تشرين الاول / اكتوبر ١٩٧٠ .

« مذكرات سياسي عربي مطّلع .» **الاهرام** : ٦ / ٧ ، ١٠ / ٨ / ١٩٧٨ .

مرعي ، سيد . « مذكرات سيد مرعي .» **الاهرام** : ٢٠ / ٨ / ١٩٧٨ .

منصور ، فوزي . « دور التجربة في فكر عبد الناصر .» **الفكر المعاصر** : تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٠ .

هيكل ، محمد حسنين . « خطة القيادة العربية الموحدة ومن الذي سلمها الى الرجل القبيح ؟» **الاهرام** : ٢٣ / ١٢ / ١٩٦٦ .

ــــ . « كيف اجتمعت بريطانيا واسرائيل على طريق التواطؤ ثم العدوان .» **الاهرام** : ٧/ ١٠ / ١٩٦٦ .

ــــ . « الوحدة على مستوى القمة والعذاب .» **الاهرام** : ٢٢ / ١ / ١٩٦٥ .

٢ ـ الاجنبيــة

Books

Abelson, Robert P. [et al.]. *Theories of Cognitive Consistency: A Source Book.* Chicago, Ill.: Rand McNally, 1968.

Almond, G., S. Flanagen and R. Mundt, eds. *Crisis, Choice and Change: Historical Studies in Political Development.* Boston, Mass.: Little, Brown, 1973.

Anderson, J., Jr. «The Operational Code Belief System of Senator Arthur Vandenberg: An Application of the George Construct.» (Ph. D. dissertation, University of Michigan, 1974).

Antoun, Richard and Iliya Harik, eds. *Rural Politics and Social Change in the Middle East.* Bloomington, Ind.: Indiana University Press, 1972. (International Development Research Center, studies in development, 5)

Apter, David, ed. *Ideology and Discontent.* New York: Free Press, 1964.

Archibald, K. ed. *Strategic Interaction and Conflict.* Berkeley, Calif.: University of California Press, 1966.

Armstrong, D.M. *Belief, Truth and Knowledge.* Cambridge, Mass.: Cambrige University Press, 1973.

Ashford, Douglas. *Ideology and Participation.* Beverly Hills, Calif.: Sage, 1972.

El-Ashram, E.«Nasser's Ideology and Organization: A Modernizing Experiment In Egypt, 1952-1970.» (Ph. D. dissertation, New York University, 1972).

Avnery, Uri. *Israel without Zionists: A Plea for Peace in the Middle East:* London: Macmillan, 1969.

Axelord, Robert. *Framework for A General Theory of Cognition and Choice.* Berkeley, Calif.: University of California Press, 1972. (Institute of International Studies Research, series 18)

–, ed. *Structure of Decision.* Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1976.

Baker, Raymond William. *Egypt's Uncertain Revolution under Nasser and Sadat.* Cambrige, Mass.: Harvard University Press, 1978.

Barber, J.D. *The Presidential Character: Predicting Performance in the White House.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1972.

Bates, Frederick L. and Clyde C. Harvey. *The Structure of Social Systems.* New York: Gardner, 1975.

Bauer, R. J., L. Dexter and I. de Sola Pool. *American Business and Public Policy: The Politics of Foreign Trade.* New York: Atherton, 1963.

Be'eri. Eliezer, *Army Officers in Arab Politics and Society.* New York: Praeger, 1970

Bem, Daryl J. *Beliefs, Atittudes and Human Affairs.* Belmont, Calif.: Cole, 1970.

Berindranath, Dewan. *Nasser, the Man and the Miracle*. New Delhi: Afro-Asian Publications, 1966.

Bossell, Hartmut, S. Klaczke and N. Muller, eds. *Systems Theory in the Social Sciences.* Basel; Stuttgart: Birkhauser, 1976.

Boulding, Kenneth J. *Ecodynamics.* Beverly Hills, Calif.: Sage, 1978.

——. *The Image.* Ann Arbor, Mich.: University of Michigan Press, 1956.

Brim, Orville G., Jr. [et al]. *Personality and Decision Processes: Studies in the Social Psychology of Thinking.* Stanford, Calif.: Stanford University Press, 1962. (Stanford studies in sociology, 2)

Burgess, Philip M. *Elite Images and Foreign Policy Outcomes: A Study of Norway.* Columbus, Ohio: Ohio State University Press, 1967.

Burns, Eedon Louis Millard. *Between Arab and Israeli.* Toronto: Clarke and Irwin, 1962.

Chittick, William O, ed. *The Analysis of Foreign Policy Outputs.* Columbus, Ohio: Merril, 1975.

Copeland, Miles. *The Game of Nations: The Amorality of Power Politics.* London: Weidenfeld and Nicolson, 1970.

Coplin, William D. and Charles W. Kegley, Jr., eds. *A Multi-Method Introduction to International Politics: Observation, Explanation and Prescription.* Chicago, Ill.: Markham, 1971.

Coser, Lewis A. *The Functions of Social Conflict.* Glencoe, Ill.: Free Press, 1956.

Cottam, Richard W. *Foreign Policy Motivation: A General Theory and a Case Study.* Pittsburgh: University of Pittsburg Press, 1977.

Cummins, H.W. *Mao, Hsiao,Churchill and Montgomery: Personal Values and Decision-Making.* Beverly Hills, Calif.: Sage, 1973.

Dawisha, A [deed] I. *Egypt in the Arab World: The Elements of Foreign Policy.* London: Macmillan, 1976.

Dekmejian, Richard Hrair. *Egypt Under Nasir: A Study in Political Dynamics.* Albany, N.Y.: State University of New York Press, 1971.

De Rivera, Joseph. *The Psychological Dimension of Foreign Policy.* Consultant, James N. Rosenau. Columbus, Ohio: Merril, 1968.

Di Renzo, Gordon J.,ed. *Personality and Politics,* New York: Anchor Books, 1974.

Downs, Roger M. and David Stea, eds. *Image and Environment: Cognitive Mapping and Spatial Behavior.* Foreword by Kenneth E. Boulding. Chicago, Ill.: Aldine, 1973.

—— and ——. *Maps in Mind: Reflections on Cognitive Mapping.* New York: Harper and Row, 1977.

Dubois, Shirley Graham. *Gamal Abdel Nasser, Son of the Nile: A Biography.* New York: Third Press, 1972.

Dyal, James, ed. *Readings in Psychology: Understanding Human Behaviour.* New York: McGraw-Hill, 1967.

East, Maurice [et al.], eds. *Why Nations Act: Theoretical Perspectives for Comparative Foreign Policy Studies.* Beverly Hills, Calif.: Sage, 1978.

Ellis, Henry C. *Fundamentals of Human Learning and Cognition.* Dubuque, Iowa: Brown, 1972.

Elms, Alan. *Personality in Politics.* New York: Harcourt Brace, 1976.

Falkowski, Lawrence. *Presidents, Secretaries of State and Crises in U.S. Foreign Relations: A Model and Predictive Analysis.* Boulder, Colo.: Westview, 1978.

Feigenbaum, E. and J. Feldman, eds. *Computers and Thought.* New York: McGraw- Hill, 1963.

Feldman, S., ed. *Cognitive Consistency.* New York: Academic Press, 1966.

Fenney, E.L., ed. *Comparative Politics and Political Theory.* Durham, N.C.: University of North Carolina Press, 1966.

Fessor, Richard and S. Feshback, eds. *Cognition, Personality and Clinical Psychology.* San Francisco, Calif.: Jossey- Bass, 1968.

Finlay, David J., Ole R. Holsti and Richard R. Fagen. *Enemies in Politics.* Chicago, Ill.: Rand McNally, 1967.

Fishbein, Martin and Icek Ajzem. *Belief, Attitude, Intentions and Behavior: An Introdution to Theory and Research.* Reading, Mass.: Addison- Wesley, 1975.

Frank, J. *Sanity and Survival: Psychological Aspects of War and Peace.* New York: Vintage, 1967.

George, Alexander L. *Towards a More Soundly Based Foreign Policy: Making Better Use of Information.* Washington, D.C.: U.S. Government Printing Office, 1975.

—— and Richard Smoke. *Deterrence in American Foreign Policy: Theory and Practice.* New York: Columbia University Press, 1974.

Gilbert, J. «John Foster Dulles' Perceptions of the People's Republic of China: A Study of Belief

Systems and Perceptions in the Analysis of Foreign Policy Decision-Making.» (Ph.D. dissertation, Texas Tech University, 1973).

Ginsberg, Mitchell. *Mind and Belief: Psychological Ascription and the Concept of Belief.* New York: Humanities Press, 1972.

G.V. Goelho, D.A. Hamburg and J.A. Adams, eds. *Coping and Adaptation.* New York: Basic Books, 1974.

Creenstein, Fred I. *Personality and Politics: Problems of Evidence, Inference and Conceptualization.* Chicago, Ill.: Markham, 1969.

Haas, Michael, ed. *International Systems. A Behavioral Approach.* New York: Chandler, 1974.

Hanreider, Wolfram F., ed. *Comparative Foreign Policy: Theoretical Essays.* New York: McKay, 1971.

Harkabi, Y[ehoshafat]. *Arab Attitudes to Israel.* Jerusalem: Israel Universities Press, 1972.

——. *Arab Strategies and Israel's Response.* New York: Free Press, 1977.

Harris, Nigel. *Beliefs in Society.* London: Watts, 1968.

Harvey, O., ed. *Motivation and Social Interaction.* New York: Ronald, 1963.

Heikal, Mohamed [Hasanayn]. *The Cairo Documents: The Inside Story of Nasser and His Relationships with World Leaders, Rebels and Statesmen.* New York: Doubleday, 1972.

——. *The Road to Ramadan.* New York: Ballentine, 1975.

Heradstveit, Daniel. *Arab and Israeli Elite Perceptions.* New York: Humanities Press, 1974. (Norwegian foreign policy studies, 7)

——. «An Operational Code Study of the Middle East.» Oslo, The Norwegian Institute for Foreign Affairs, 1978. (Manuscript): *The Arab-Israeli Conflict: Psychological Obstacles to Peace.* Oslo: Universitets Foriaget , 1979; New York: distributed by Columbia University Press, 1979.

Hermann, Charles F. ed. *International Crises: Insights from Behavioral Research.* New York: Free Press, 1972.

——. *Research Tasks for International Crisis: Avoidance and Management.* U.S. Advanced Research Projects Agency, 1975.

——, Margaret and T. Milburn, eds. *A Psychological Examination of Political Leaders.* New York: Free Press, 1977

Heuer, Richard , Jr., ed. *Quantitative Approaches to Political Intelligence: The C.I.A. Experience.* Boulder, Colo.: Westview 1978.

Hilsman, Roger and Robert C. Good, eds. *Foreign Policy in the Sixties: The Issues and In-*

struments. Essays in honor of Arnold Wolfers. Homewood, Mad.: Johns Hopkins University Press, 1965.

Hofstadter, Dan. *Egypt and Nasser*. New York: Facts on File, 1973. 3 vols.

Holsti, K.J. *International Politics: A Framework for Analysis*. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1978.

——, Ole R. *Content Analysis for the Social Sciences and Humanities*. Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1969.

——. *Crisis, Escalation, War*. Montreal: McGill-Queen's University Press, 1972.

Hourani., Albert. *Middle Eastern Affairs, No. 4*. London: Oxford University Press, 1965. (St. Antony's papers, 17)

Janis, Irving L. *Victims of Groupthink: A Psychological Study of Foreign Policy Decisions and Fiascoes*. Boston, Mass.: Houghton Mifflin, 1972.

—— and Leon Mann. *Decision-Making: A Psychological Analysis of Conflict, Choice and Commitment*. New York: Free Press, 1977.

Jervis, Robert. *The Logic of Images in International Relations*. Princeton, N.J. Princeton University Press, 1970.

——. *Perception and Misperception in International Politics*. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1976.

Kelly, George. *The Psychology of Personal Constructs*. New York: Norton, 1955.

Kelman, Herbert, ed. *International Behavior*. New York: Holt, Rinehart and Winston, 1965.

Kennan, George. *Memoires, 1925-1950*. New York: Atlantic, 1967.

Kerr, Malcolm. *The Arab Cold War, Gamal Abd al-Nasir and His Rivals, 1958-1970*. London: Oxford University Press, 1973.

——, ed. *The Elusive Peace in the Middle East*. Albany, N.Y.: State University of New York Press, 1975.

Khaddouri, Majid. *Arab Contemporaries: The Role of Personalities in Politics*. Homewood, Mad.: Johns Hopkins University Press, 1973.

Khouri, Fred J. *The Arab-Israeli Dilemma*. 2nd ed. Syracuse, New York: Syracuse University Press, 1976.

Kiesler, Charles A., Barry E. Collins and Norman Miller. *Attitude Change: A Critical Analysis of Theoretical Approaches*. New York: Wiley, 1969.

Kirk, Elizabeth. *International Perceptions and Foreign Policy: A Literature Survey and Assessment*. Bathesda: Mathematica, 1976.

Klineberg, O. *The Human Dimension of International Relations*. New York: Holt, Rinehart and Wisnton, 1964.

Knorr, Klaus Eugen and Sidney Verba, eds. *The International System: Theoretical Essays.* Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1961.

Knuston, N.J. *The Human Basis of Polity: A Psychological Study of Political Men.* Chicago, Ill.: Atherton, 1972.

Koch,S., ed. *Psychology: A Study of a Science.* New York: McGraw-Hill, 1959.

Kolko, Joyce and Gabriel Kolko. *The Limits of Power: The World and the United States' Foreign Policy, 1945-1954.* New York: Harper and Row, 1972.

Lamberth, John and Herbert Rappaport and Margaret Rappaport. *Personality: An Introduction.* New York: Knoph, 1978.

Lane, Robert. *Political Ideology.* New York: Free Press, 1962.

——. *Political Man.* New York: Free Press, 1972.

——, Ruth. *Political Man: Toward A Conceptual Base.* Beverly Hills, Calif.: Sage, 1973.

Laqueur, Walter. *Nasser's Egypt.* London: Weidenfeld and Nicolson, 1956.

Leites, Nathan . *The Operational Code of the Politburo.* New York: McGraw-Hill, 1951.

——. *A Study of Bolshevism.* Glencoe, Ill.: Free Press, 1953.

Lenczowski, George, ed. *Political Elites in the Middle East.* Washington, D.C.: American Enterprise Institute for Public Policy Research, 1975. (Foreign affairs Study, 19)

Lenin, Vladimir Illich. *Collected Works.* vols. 9 and 24. Moscow: Progress, 1964, 1965.

Levy, L. *Conceptions of Personality, Theories and Research.* New York: Random, 1970.

Lewin, D. *Principles of Topological Psychology.* New York: McGraw-Hill, 1936.

Lindzey, Gardner and Elliot Aronson, eds. *The Handbook of Social Psychology.* Vol. 2: *Research Methods.* Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1968, and vol. 5: *Applied Social Psychology.* Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1969.

Lippman, Walter. *Public Opinion.* New York: Free Press, 1965.

Lipset, Seymour Martin. *Political Man: The Social Basis of Politics.* New York: Doubleday, 1963.

Little, Tom. *Modern Egypt.* New York: Praeger, 1968.

——, G. and H. Lasswell. *Politics and Personal Style.* Melbourne: Nelson, 1973.

Love, Kenneth. *Suez, the Twice Fought War: A History.* London: Longman, 1970.

McNeil, Elton, ed. *The Nature of Human Conflict.* New York: Prentice-Hall, 1965.

Macridis, Roy C., ed. *Foreign Policy and World Politics.* New York: Englewood Cliffs, 1972.

Mahgoub, Mohamed Ahmed. *Democracy on Trial: Reflections on Arab and African Politics.* London: Deutch, 1974.

Mandel, Robert. *Percption, Decision-Making and Conflict.* Washington, D.C.: University Press of America, 1979.

Mansfield, Peter. *Nasser.* London: Methuen, 1969.

Meritt, R., ed. *Foreign Policy Analysis.* New York: Lexington, 1975.

Milbrath, L. *Political Participation.* Chicago, Ill.: Rand McNally, 1965.

Milburn, T. ed. *A Psychological Examination of Political Leaders.* New York: Free Press. 1977.

Miller, David W. and Martin K. Starr. *The Structure of Human Decisions.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1967.

Minsky, Marvin, ed. *Semantic Information Processing.* Cambridge, Mass.: MIT, 1968.

Morris, William. *Decision Analysis.* Columbus, Ohio: Grid, 1977.

Mueller Robert. *Risk, Survival and Power.* New York: American Management Association, 1970.

Murchison, C., ed. *The Case For or Against Physical Belief.* Worcester, Mass.: Clark University, 1927.

Murray, H. *Explorations in Personality.* New York: Science Editions, 1962.

Neisser, U. *Cognitive Psychology.* New York: Appleton-Century, 1967.

Nutting, Anthony. *Nasser.* New York: Dutton, 1972.

O'Shaughnessy, John. *Inquiry and Decision: A Methodology for Management and the Social Sciences.* New York: Barnes and Nobles, 1973.

Paige, Glenn. *The Scientific Study of Political Leadership.* New York: Free Press, 1977.

Pearson, Lester. *Mike, The Memoires of the Right Honorable Lester Pearson.* Toronto: Toronto University Press, 1972.

Perlmutter, Amos. *Egypt , The Praetorian State.* New Brunswisk, N.J.: Transaction Books, 1974.

Pettman, Ralph. *Human Behavior and World Politics.* New York: St. Martin's Press, 1975.

Phares, Jerry. *Locus of Control in Personality.* Morristown: General Learning Press, 1976.

Putnam, Robert D. *The Beliefs of Politicians.* New Haven, Conn.: Yale University Press, 1973.

Rappoport, Leon and David Summers. *Human Judgement and Social Interaction.* New York: Holt, Rinehart and Winston, 1973.

Reed, G. *The Psychology of Anomalous Perception.* Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1972.

Rejwan, Nissim. *Nasserist Ideology: It's Exponents and Critics.* New York: Wiley, 1974.

Rikhye, Indar Jit. *The Sinai Blunder.* New Delhi: Oxford and IBH Publising, 1978.

Rokeach, Mlton. *Beliefs, Attitudes and Values.* San Francisco, Calif.: Jossey-Bass, 1972.

——. *The Open and Closed Mind: An Investigation into the Nature of Belief Systems and Personality Systems.* New York: Basic Books, 1960.

Rosenau, James N., ed. *Comparing Foreign Policies: Theories, Findings and Methods.* New York: Halsted, 1974.

——, ed. *In Search of Global Patterns.* New York: Free Press, 1976.

——, ed. *International Politics and Foreign Policy.* Rev. ed. New York: Free Press, 1969.

——, Vincent Davis and Maurice E. East, eds. *The Analysis of International Politics.* Essays in honor of Harold and Margaret Sprout. New York: Free Press, 1972.

——, Kenneth W. Thompson and Gavin Boyd. *World Politics: An Introduction.* New York: Free Press, 1976.

El-Sadat, Anwar. *Revolt on the Nile.* Foreword by President Nasser. Trans. by Thomas Graham. London: Vingate, 1957.

Safran, Nadav. *From War to War: The Arab-Israeli Confrontation, 1948-1967.* New York: Pegasus, 1969.

Schank Roger and K. Kobly, eds. *Computer Models of Thought and Language.* San Francisco, Calif.: Freeman, 1973.

Schiebe, Karl. *Beliefs and Values.* New Haven, Conn.: Yale University Press, 1970.

Schroder, H. M., M. Driven and St. Streufert. *Human Information Processing.* New York: Holt, Rinehart and Winston, 1967.

——. and P. Suefeld. *Personality Theory and Information Processing.* New York: Ronald, 1971.

Seidenberg, B., ed. *Basic Studies in Social Psychology.* New York: Holt, Rinehart and Winston, 1965.

Sharabi, Hisham. *Palestine and Israel: The Lethal Dilemma.* New York: Pegasus, 1969.

Sigler, John, John O. Field and Murray L. Adelman. *Applications of Events Data Analysis: Cases, Issues and Programs in International Interaction.* Beverly Hills, Calif.: Sage, 1972.

Singer, J.D., ed. *Quantitative International Politics.* New York: Free Press, 1968.

Snyder, Glenn and Paul Diesing. *Conflict among Nations: Bargaining, Decision- Making and System Structure in International Crises.* Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1977.

——, Richard, H. Bruck and B. Sapin. *Foreign Policy Decision-Making.* New York: Free Press, 1962.

Sprout, Harold and Margaret Sprout. *The Ecological Perspective on Human Affairs with Special Reference to International Politics.* Princeton, N.J.: Princeton University Press for the Center of International Studies, 1965.

Stagner, R. *Psychological Aspects of International Conflicts.* Belmont: Brooks and Cole, 1967.

Stein, Janice Gross. «Elite Images and Foreign Policy: Nehru, Mennon and India's Policies.» (Ph.D. dissertation, McGill-Queen's University, Montreal, 1969).

Steinbruner, John. *The Cybernetic Theory of Decision.* Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1974.

Stephens, Robert Henry. *Nasser: A Political Biography.* London: Allen Lane; Penguin, 1971.

Stupack, Ronald J. *The Shaping of Foreign Policy: The Role of the Secretary of State as Seen by Dean Acheson.* New York: Odyssey, 1969.

Tolman, E. *Purposive Behavior in Animal and Man.* New York: Century, 1932.

Tweraser, K. *Changing Patterns of Political Beliefs: The Foreign Policy Operational Code of J. William Fullbright.* Beverly Hills, Calif.: Sage, 1974.

Vatikiotis, Panayiotis J. *The Egyptian Army in Politics: Pattern for New Nations?* Bloomington, Ind.: Indiana University Press, 1961.

——, ed. *Egypt Since the Revolution.* London: Allen and Unwin, 1968.

——. *Nasser and His Generation.* London: Croom Helm, 1978.

Wheelock, Keith. *Nasser's New Egypt: A Critical Analysis.* New York: Praeger, 1960. (Foreign Policy Research Institute series, 8)

Worchel, P. and D. Byne, eds. *Personality Change.* New York: Wiley, 1965.

Wright, Quincy. *The Study of International Relations.* New York: Appleton-Century Crofts, 1955.

Zinnes, Dina. *Contemporary Research in International Relations.* New York: Free Press, 1976.

Periodicals

Abelson, Robert P. and J. Douglas Carroll. «Computer Simulation of Individual Belief System.» *The American Behavioral Scientist:* Vol. 8, no. 9, May 1965.

Allison, Graham and Morton H. Halperin. «Bureaucratic Politics: A Paradigm and Some Policy Implications.» *World Politics:* Vol. 24, 1972.

Andriole, Stephen. «Artificially Intelligent Foreign Policy Decision-Making.» *Comparative Foreign Policy Notes:* Vol. 8, Summer 1980.

Art, R. J. « Bureaucratic Politics and American Foreign Policy: A Critique.» *Policy Science:* Vol. 4, 1973.

Axelord, Robert. «Psych-Algebra: A Mathematical Theory of Cognition and Choice with an Application on the British Eastern Committee in 1918.» *Peace Research Society International Papers:* Vol. 18, 1972.

——— . «Schema Theory: An Information Processing Model of Perception and Cognition.» *American Political Science Review:* Vol. 67, no. 4, December 1973.

Ball, D.J. «The Blind Man and the Elephant: A Critique of Bureaucratic Politics Theory.» *Australian Outlook:* Vol. 28, 1974.

Barron, Frank. «Some Personality Correlates of Independant Judgement.» *Journal of Personality:* Vol. 21, 1973.

Bennet, S. E. «Modes of Resolution of a Belief Dilemma in the Ideology of the John Birch Society.» *Journal of Politics:* Vol. 33, no. 1, January 1971.

Ben-Zvi, Abraham. «Misperceiving the Role of Misperception: A Critique.» *The Jerusalem Journal of International Relations:* Vol. 2, 1976.

Bonham M. and Shapiro. «Simulation in the Development of a Theory of Decision-Making.» *Sage International Yearbook of Foreign Policy, 1973.* Ed. Patrick J. McGowan. Beverly Hills, Calif.: Sage, 1973.

Bowers, Kenneth S. «Situationism in Psychology: An Analysis and Critique.» *Psychological Review:* Vol. 80, no. 5, September 1973.

Brecher, Michael, Blema Steinberg and Janice Gross Stein. «A Framework for Research on Foreign Policy Behaviour.» *Journal of Conflict Resolution:* Vol. 13, no. 1, 1969.

Brenner, M. «The Problem of Innovation and the Nixon-Kissinger Foreign Policy.» *International Studies Quarterly:* Vol. 17, 1973.

Brodin, Katarina. «Belief Systems, Doctrines and Perception.» *Cooperation and Conflict:* Vol. 2, 1972.

Budner, Stanley. «Intolerance of Ambiguity as a Personality Variable.» *Journal of Personality:* Vol. 30, no. 1, March 1962.

Choucri, Nazli. «The Nonalignment of the Afro-Asian States: Policy, Perception and Behavior.» *Canadian Journal of Political Science:* Vol. 2, no. 1, March 1969.

Cobb, Roger W. «The Belief-Systems Perspective: An Assessment of a Framework.» *Journal of Politics:* Vol. 35, 1973.

Cohen Yeruham. «The Secret Negev Talks.» *Jewish Observer and Eastern Review:* Vol. 7, 1953.

Davis, Dianne. «The Operational Code of Bruce Beetham.» *Political Science* (Australia): Vol. 32, 1980.

Dekmejian, Richard Hrair. «The U.A.R. National Assembly: A Pioneering Experiment.» *Middle Eastern Studies:* Vol. 4, 1967-1968.

Dougherty, James. «The Aswan Decision in Perspective.» *Political Science Quarterly:* Vol. 74, no. 1, March 1959.

Etheridge, Liyod S. «Personality and Foreign Policy: Bullies in the State Department.» *Psychology Today:* Vol. 8, no. 10, March 1975.

Fishbein, Martin and Bertram H. Raven. «The AB Scales: An Operational Definition of Belief and Attitude.»*Human Relations:* Vol. 15, no. 1, February 1962.

Flapan S [imha]. «Resolving the Israeli-Arab Conflict: Some Missed Opportunities.» *New Outlook:* Vol. 16, no. 4, May 1973.

George, Alexander L. «The Operational Code: A Neglected Approach to the Study of Leaders and Decision-Making.» *International Studies Quarterly:* Vol. 13, 1969.

Glenn, Edmund. «A Cognitive Approach to the Analysis of Cultures and Cultural Evaluation.» *General Systems Yearbook of the Society for General Research.* Eds. L. Bertalanffy and A. Rapoport: Vol. 11, 1966.

Goldhamer. «Public Opinion and Personality.» *American Journal of Sociology:* Vol. 55, no. 4, January 1950.

Greenstein, Fred I. «The Impact of Personality and Politics: An Attempt to Clear away Underbush.» *American Political Science Review:* Vol. 61, no. 3, September 1967.

Harik, Iliya. «The Single Party as a Subordinate Movement,: The Case of Egypt.» *World Politics:* Vol. 26, no. 1, October 1976.

Helkal, M [ohamed] H.[asanayn]. «Egyptian Foreign Policy.» *Foreign Affairs:* Vol. 56, no. 4, July 1978.

Holsti, K. J. «National Role Conceptions in the Study of Foreign Policy.» *International Studies Quarterly:* Vol. 14, 1970.

——, Ole R. «Cognitive Process Approaches to Decision Making.» *American Behavioral Scientist:* Vol. 28, no. 2, 1978.

——. «The «Operational Code» Approach to the Study of Political Leaders: John Foster Dulles' Philosophical and Instrumental Beliefs.» *Canadian Journal of Political Science:* Vol. 3, no. 1, March 1970.

——, and A. George. «The Effects of Stress on the Performance of Foreign Policy Makers.» *Political Science Annual.* Ed. C.P. Cotter: Vol. 6, 1975.

Kelman, Herbert C. «Attitudes Are Alive and Well and Gainfully Employed in the Sphere of Action.» *American Psychologist:* Vol. 29, no. 5, May 1974.

——. «The Role of the Individual in International Relations: Some Methodological Considerations.» *Journal of International Affairs:* Vol. 14, 1970.

Kerr, Malcolm [H.]. «Coming to Terms with Nasser: Attempts and Failures.» *International Affairs* (Oxford): Vol. 31, no. 1, January 1967.

Kirkpatrick, S.A. «Psychological Views of Decision-Making.» *Political Science Annual:* Vol. 6, 1975.

Lampton, David M. «The US Image of Peking in Three International Crises.» *Western Political Quarterly:* Vol. 26, no. 1, March 1973.

Levi, W. «Ideology, Interests and Foreign Policy.» *International Studies Quarterly:* Vol. 14, 1970.

Levinston, Daniel J. «The Relevance of Personality for Political Participation.» *Public Opinion Quarterly:* Vol. 22, no. 2, Spring 1958.

Liouk, Amnon Kape. dans: *Le Monde:* 3/6/1972.

Luttbeg, Norman R. «The Structure of Beliefs among Leaders, and the Public.» *Public Opinion Quarterly:* Vol. 32, no. 3, Fall 1968.

McLellan, David S. «The «Operational Code» Approach to the Study of Political Leaders: Dean Acheson's Philosophical and Instrumental Beliefs.» *Canadian Journal of Political Science:* Vol. 4, no. 1, March 1970.

May, Ernest. «The Nature of Foreign Policy: The Calculated Vs. the Axiomatic.» *Daedalus:* Fall 1962.

Moore, Clement Henry. «Authoritarian Politics in Unincorporated Society: The Case of Nasser's Egypt.» *Comparative Politics:* Vol. 6, no. 2, January 1974.

New York Times: 3/11/1955.

«On Nasser and His Legacy.» *Journal of Peace Research:* Vol. 4, 1974.

Osgood, Charles E. and L. Anderson. «Certain Relations among Experienced Contingencies: Associative Structure and Contingencies in Coded Messages.» *American Journal of psychology:* Vol. 70, no. 3, September 1957.

Phares, Jerry. «Internal-External Control as a Determinant of the Amount of Social Influence Exerted.» *Journal of Personality and Social Psychology:* Vol. 2, 1965.

Pike, D. «The Operational Code of the North Vietnames's Politburo.» *Asia Quarterly:* Vol. 1, 1971.

Putnam, Robert D. «Studying Elite Political Culture: The Case of Ideology.» *American Political Science Review:* Vol. 65, no. 3, September 1971.

Rabin, Isaac. «Nasser Wanted Gains without War.» *New Outlook:* Vol. 20, no. 2, 1977.

Raser, J. «Personal Characteristics of Decision Makers: A Literature Review.» *Peace Research Society International Papers:* Vol. 5, 1966.

Robinson, Thomas W. «Chou En-Lai's Political Style: Comparison with Mao Tse-Tung and Lin Piao.» *Asian Survey:* Vol. 10, no. 12, December 1970.

Rokeach, Milton. «Attitude Change and Behavioral Change.» *Public Opinion Quarterly:* Vol. 30, no. 4, Winter 1966.

——. «The Organization and Modification of Beliefs.» *Centenial Review:* Vol. 7, 1963.

Sarbin, J.R. «Anxiety, Reification of a Metaphor.» *Archives of General Psychiatry:* Vol. 10, 1964.

Sartori, Giovanni. « Politics, Ideology and Belief Systems.» *American Political Science Review:* Vol. 63, no. 2, June 1969.

Schueftan, Dan. «Nasser's 1967 Policy Reconsidered.» *Jerusalem Quarterly:* Vol. 3, 1977.

Schulze, R. «Some Socio-Psychological and Political Functions of Ideology.» *Sociological Quarterly:* Vol. 10, 1969.

Scott, William A. «Reliability of Content Analysis: The Case of Nominal Scale Coding.» *Public Opinion Quarterly:* Vol. 19, no. 3, Fall 1955.

Semmel, Andrew. «Understanding Foreign Policy: Some Thoughts from Academia and Department of Defense.» *Comparative Foreign Policy Notes:* Vol. 8, Winter 1981.

Shapiro, Michael and M. Bonham, «Cognitive Process and Foreign Policy Decision-Making.» *International Studies Quarterly:* Vol. 17, 1973.

Shupe, Michael C. et al. «Nationalization of the Suez Canal: A Hypergame Analysis.» *Journal of Conflict Resolution:* Vol. 24, no. 3, September 1980.

Sniderman, Paul M. and Jack Citrin. «Psychological Sources of Political Belief: Self-Esteem and Isolationist Attitudes.» *American Political Science Review:* Vol. 65, no. 2, June 1971.

Snyder, Jack L. «Rationality at the Brink: The Role of Cognitive Processes in the Failures of Deterrence.» *World Politics:* Vol. 31, no. 3, April 1978.

Sprout, Harold and Margaret Sprout. «Environmental Factors in the Study of International Politics.» *Journal of Conflict Resolution:* Vol. 1, 1957.

Stassen, Glenn H. «Individual Preference Versus Role Constraint in Policy-Making: Senatorial Responses to Secretaries Acheson and Dulles.» *World Politics:* Vol. 25, no. 1, October, 1972.

Stein, Janice Gross. «Freud and Descartes: The Paradoxes of Psychological Logic.» *International Journal:* Vol. 32, no. 3, Summer 1977.

Stupak, Ronald J. «Dean Rusk on International Relations: An Analysis of Philosophical Perceptions.» *Australian Outlook:* Vol. 15, 1971.

Subramaniam, V. «Fact and Value in Decision-Making.» *Public Administration Review:* Vol. 23, no. 4, Decmber 1963.

Triandis, H. and E. David. «Race and Belief as Determinants of Behavioral Intentions.» *Journal of Personality and Social Psychology:* Vol. 2, 1965.

Walker, Stephen G. «The Interface between Beliefs and Behavior: Henry Kissinger's Oper-

ational Code and the Viet-Nam War.» *Journal of Conflict Resolution:* Vol. 21, no. 1, March 1977.

Wicker, Allan W. «Attitudes Versus Action: The Relationships of Verbal and Overt Behavioral Responses to Attitude Objects.» *Journal of Social Issues:* Vol. 25, no. 4, 1969.

——. «An Examination of the «Other Variables» Explanation of Attitude-Behavior Inconsistency.» *Journal of Personality and Social Psychology:* Vol. 19, no. 1, 1971.

Worchel, Philip. «Social Ideology and Reactions to International Events.» *Journal of Conflict Resolution:* Vol. 11, no. 4, 1967.

Papers

Fenn, P. H. «The Operationalization of the Cognitive Map: Nasser during Suez.» (Mimeo.)

George, Alexander L. and Ole R. Holsti. «The Operational Code Belief System and Foreign Policy Decision-Making.» 1975. (Mimeo.)

Holsti, Ole R. «The Operational Code as an Approach to the Analysis of Belief Systems.» Duke University, 1977. (Mimeo.)

——. «Operational Code Belief System: A Code Book.» Duke University, 1976. (Mimeo.)

——. « A Typology of Operational Code Belief Systems.» Duke University, 1977. (Mimeo.)

Conferences and Meetings

International Studies Association [ISA]. Meeting, Toronto, 1976.

——. Meeting, St. Louis, 1977.

——. Meeting, Washington, D.C., 1978.

Norsk Uterniks politish Institut. European Consortium for Decision- Making Process, Grenoble, 1978.

Work Conference on Content Analysis, Monticell, Ill., 1955 . *Trends in Content Analysis: Papers of the Work Confrence on Content Analysis, Monticell, Ill., 1955.* Ed. Ithiel de Sola Pool. Urbana, Ill.: University of Illinois Press, 1959.

فهرس عام

(خ)

(د)

(ر)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ن)

(هـ)

Books



من منشورات
مركز دراسات الوحدة العربية

الدكتور محمد السيد سليم

■ مدرس العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، ومحاضر في الجامعة الامريكية في القاهرة، وخبير في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية في مؤسسة الاهرام.

■ حصل على دكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية من جامعة كارلتون بكندا عام ١٩٧٩، وزمالة ما بعد الدكتوراه من جامعة بوسطن في الولايات المتحدة، ١٩٨٣.

■ عمل استاذاً زائراً بجامعتي زامبيا واديس ابابا.

■ متخصص في السياسة الخارجية والعلاقات الدولية.

■ نشر مؤخراً كتاباً بعنوان تحليل السياسة الخارجية (بالعربية)، وآخر عن عدم الانحياز في عالم متغير (بالانكليزية)، الى جانب دراساته الاخرى المنشورة في الدوريات العربية والاجنبية.

الطبعة الثانية

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون
ص. ب: ٦٠٠١ - ١١٣ - بيروت - لبنان
تلفون: ٨٠١٥٨٢ - ٨٠١٥٨٧ - ٨٠٢٢٣٤
برقياً: «مرعربي»
تلكس: ٢٣١١٤ مارابي. فاكسيميلي ٨٠٢٢٣٣